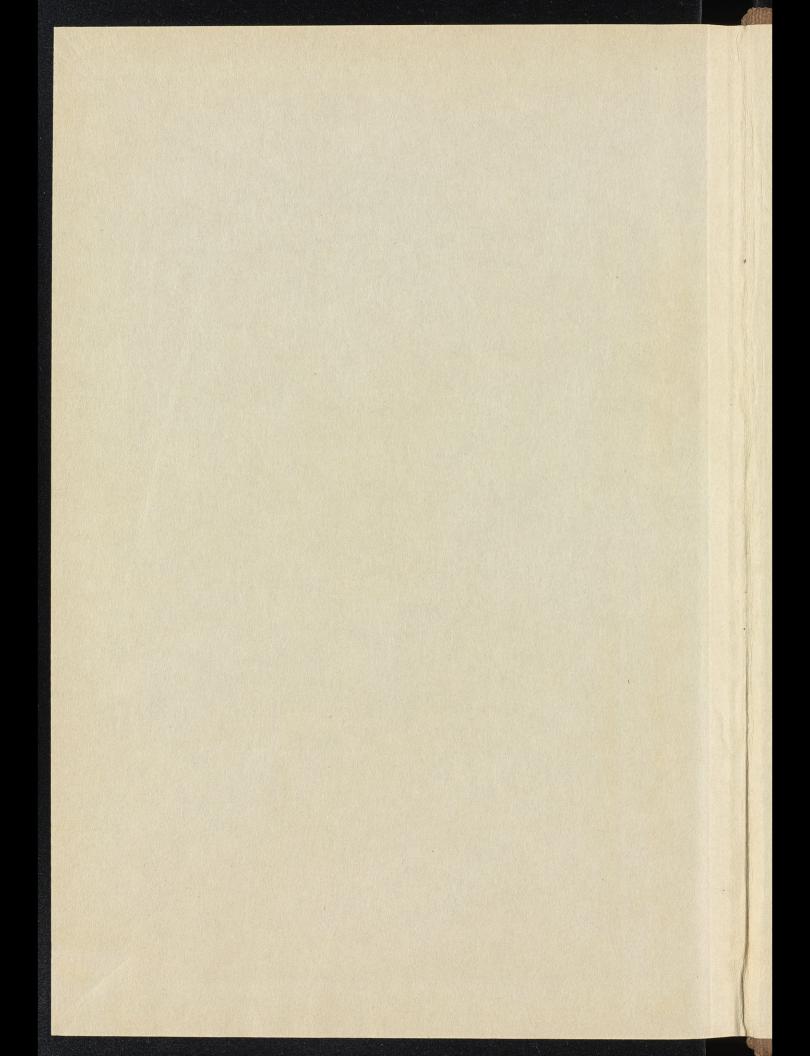
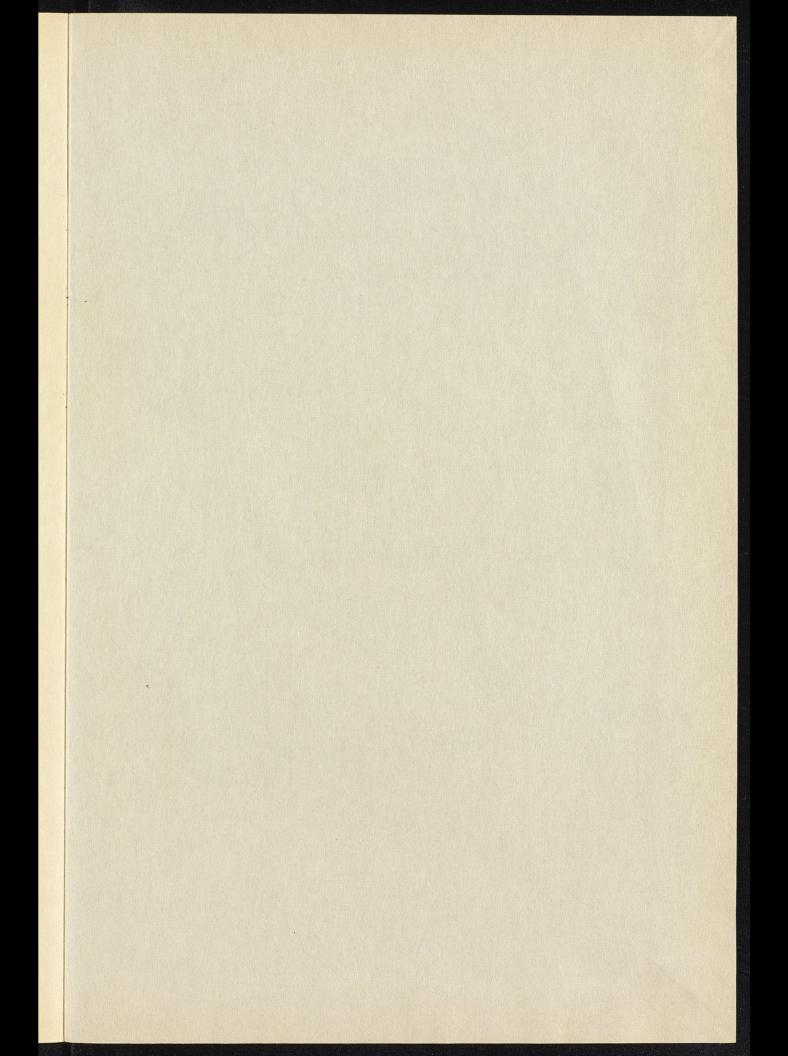


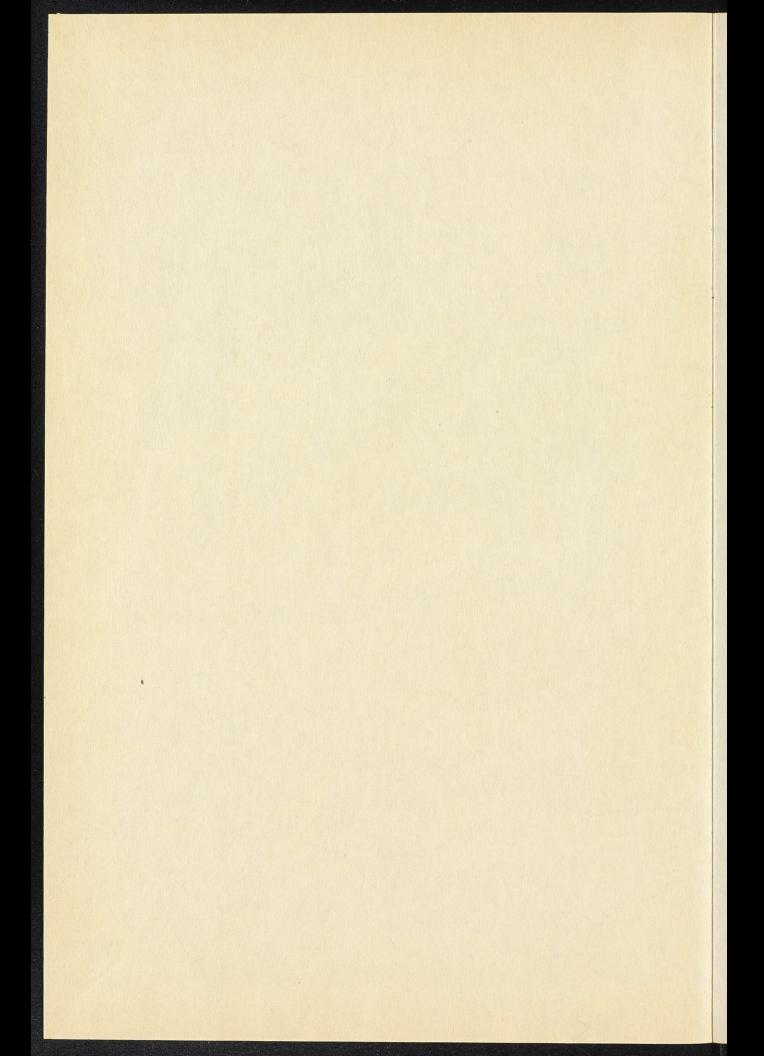
# Columbia University in the City of New York

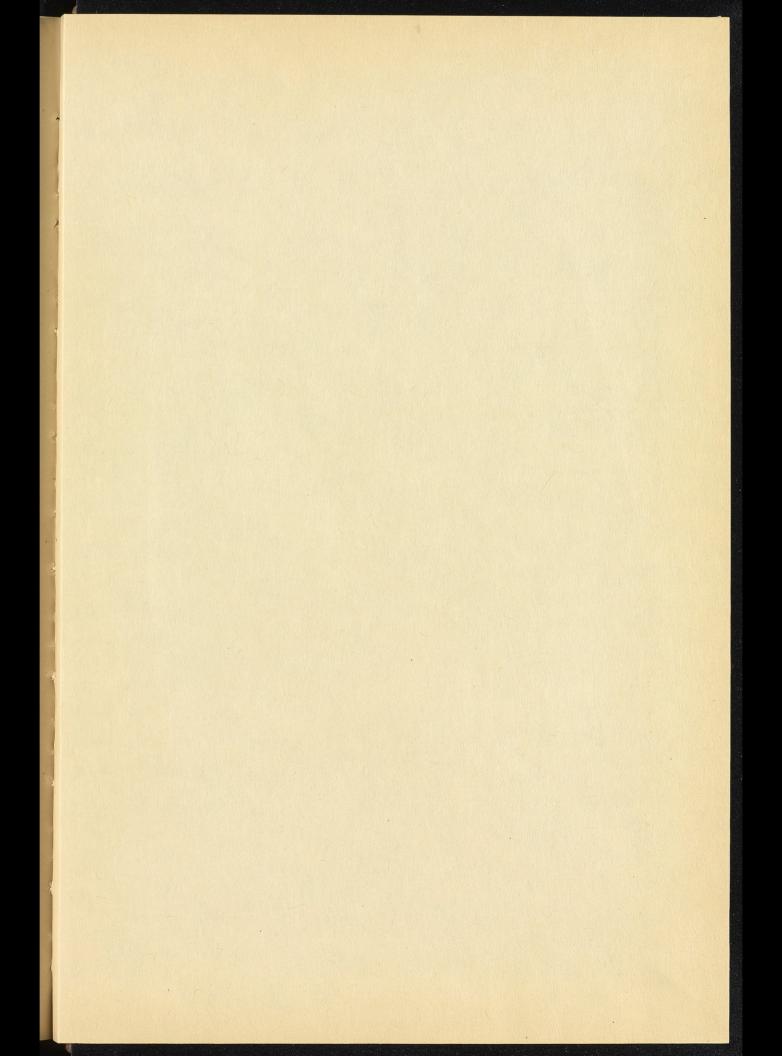
THE LIBRARIES











(3,2) (mol) 20 2 4 (3,2) (mol) 20 (mol)

تألیف لوثر وب سنودارد الامریسکی LOTHROP STODDARD نقله الی العربیة

الأيشاذعاج وعين

وفيه فصول وتعليقات وحواش مستفيضة عن دقائق أحوال الأمم الاسلامية وتطورها الحديث

بقلم ميرالبيان والمجاهدالكبير

المنتسكات

المجلّدالثالث

حقوق الطبع والترجمة محفوظة القاهرة — ١٣٥٢ — هجرية

عُنيَّتُ بِنشْرُهُ مُرِكَّتَ ، وَمُطْبِعَة عِيسَى الْبابِالْجِلِي وَشِرِكاه بَصِّر

893.791 \$±644 ٧٠3 ١٠٠٥ رَبِّ يَسِّرْ وَأَعِنْ

# وفهرست العجلد الثالث

من كتاب « حاضر العالم الاسلامي »

الدعوة الاسلامية في افريقية للامير شكيب من صفحة 1-20 الصراع بين الاسلام والنصرانية وأيهما الغالب في أمر المدنية صفحة 1-20

الخلاصة صفحة ١١

التبشير والمبشرون صفحة ١٢

الكامرون صفحة ١٦

السودان صفحة ٢١

سكوتو وبورنو صفحة ٢٢

الباقرمي والسنيغال وواداي وكأنم صفحة ٢٤

علكة مالى صفحة ٢٩

مسألة الرقيق والشرع صفحة ٣٤

تتمة ذكر السودان صفحة ٥٤

الاسلام في السودان مقال للاستاذ ديريش وسترمان الألماني في مجلة العالم الاسلامي

الألمانية من صفحة ٥٥ - ٥٨

العرب في الكونغو للامير شكيب من صفحة ٥٩ - ٢٢

سلطنة رام للامير شكيب من صفحة ٢٧ - ٢٤

مهالك أواسط افريقية للامير شكيب من صفحة ٥٥ - ٦٨

شرقى افريقية للامير شكيب من صفحة ٢٩ - ٧٧

مسامو الحبشة للامير شكيب من صفحة ٧٨ - ١١٩

الاسلام في ماداغسكر وجزائر القومور وبيانات عن الحضارمة للامير شكيب من صفحة ١٢٠ - ١٨٢

القومور أو القمر صفحة ١٤٢

× جزائر انجوان صفحة ١٤٨

تصحیح وتوضیح و بیانات عن الحضارمة بقلم العدامة المؤرخ المدقق السید محمد ابن عبد الرحن بن شهاب العلوی الحضرمی من صفحة ۱۵۷ — ۱۸۷ الأمیر محمد بن عبد الکریم زعیم الریف للامیر شکیب من صفحة ۱۸۶ — ۲۰۷ التعصب الأوربی أم التعصب الاسلامی ومائة مشر وع لتقسیم ترکیا للامیر شکیب من صفحة ۲۰۸ — ۳٤۲ — ۲۰۸

مباحث اجتماعية ورمى الاوربياين الشرع الاسلامى بالجود للامير شكيب من صفحة ٣٤٠ — ٣٥٠

- قضية فصل الدين عن السياسة من صفحة ٢٥١ - ٣٦٤ - ٣٦٧ الحصاء المسلمين للامير شكيب من صفحة ٣٦٥ - ٣٦٧

الفيليين صفحة ١٢٣

قفقاسيا صفحة ١٢٨

ترجة القرآن صفحة ٢٦٩

مسألة الصلب وقول ابن حزم صفحة ٧٠٠

× عود الى رأى هورغرونيه صفحة ٢٧٧

السيد احد الشريف السنوسي صفحة ٧٧٤

تقرير عن القضية الطرابلسية البرقاوية من صفحة ٢٧٩ - ٣٨٥

رئيس الجامعة الاسلامية بجمهورية ليبيريا من صفحة ٣٨٥ - ٣٨٨

الدفاع عن الحروف العربية من صفحة ٣٨٩ ــ ٣٩٣

اظهار محاسن الاسلام لعالم ايطالى من صفحة ٢٩٨ — ٣٩٣ طرابلس وبرقة أيضاً من صفحة ٣٩٧ — ٣٩٨

# الدعوة الاسلامية في افريقية

# للفيركنيب

الصراع بين الاسلام والنصرانية وأيهما الغالب في المدنية

٧ \_ الخلاصة

٣ \_ الـكامرون

ع \_ السودان. سكوتو. بورنو. الباقيرمي. السنيغال. واداي. كانم. مملكة مالي

مسألة الرقيق والشرع

٦ \_ تتمة ذكر السودان

قال المسيو مورى: فلننظر الآن الى مجارى الدعاية الاسلاميه فى قارة افريقية: فالمجرى الاول هو التيار المراكشي ، الذى يتمون من زوايا المغرب العمديدة، ومدارس فاس ومراكش ، ويخترق بلاد الآدرار (بجهة السنيغال) فينشر دعوة الاسلام فى كارته ، وفوتاجالون ، والسودان .

والمجرى الثانى هو الذى يخرج من مدارس القادرية فى تمبكتو ، ومن بعض زوايا التيجانية ، ويتبع مجرى النيجر الى بلاد صانقا ( من الكونغو الفرنسى ) ، فيتلاقى مع مراكز التبشير المسيحى فى ملتقى نهرى النيجر والبنيوى .

والمجرى الثالث هو الذي يصدر عن زوايا السنوسية في الجغبوب وغذامس منتحيا جهات بحيرة تشاد، و به أصبحت وادى و بور ونو، مراكز تتأجج فيها حرارة الاسلام.

والمجرى الرابع يخرج من الأزهر بمصر فيتبع النيل الى كردوفان ، الى الاوغاندة حيث ينازع مبشرى البروتستانت والكاثوليك على قيادة الارواح.

وأهم مجارى الدعاية الاسلامية هو ما يقوم به تجار المسامين ، الذين يقصدون دارفور والسودان تارة من مصر وطو را من طرابلس ، وأفعل من هؤلاء رهط التجار الذي يقوم من زنز يبار قاصدا بلاد البحيراب الكبر الى الكونغو ، تابعا مجرى هذا النهر الى بلاد

البانتو (١) حيث يسابق البعثات المسيحية على أرواح هذا الشعب.

والحق يقال ان الاسلام في هذه الصفحة الاخيرة من تاريخه قد دل على أنه يملك حيوية عظيمة ، وقابلية شديدة للانتشار . فليتذكر الناس حركات أمة البله (٢) ونشاط الدراويش أتباع الطرق ، وتكاثر الزوايا ، وثورة الحاج عمر الفوتي وخلفائه ، والمهدى السوداني ، وتجارة الرقيق . ولا ينكر أن الرق ألغي وان أحدو وساموري ومحمد أحد انكسروا ، وان الغارة الاسلامية توقفت في السودان الفرنسي وفي السودان المصري ، ولكن التعصب الاسلامي لم ينطفئ وانما هو يتوقد تحت الرماد ، وتجد الدعوة الاسلامية ماشية بالرغم من كل الحوائل في الاوغاندة ، ووادي الكونغو ، ووادي النيجر ، ووادي الغامبية ، وساحل غينية ، وسنري في الفصل الآتي مواقف الديانتين بعضهما بازاء بعض .

# الصراع بين الاسلام والنصرانية وأيهما الغالب في أمر المدنية

قال: ان الديانتين الاسلامية والنصرانية ، واقفتان كل منهما في مقابلة الاخرى على خطين طويلين ، فاذا خططنا خطاً عتد من مصب السنيغال الدرجة ٢٩ من العرض الشمالي ، قاطعا الى شرقى افريقية الدرجة ٧ والدقيقة ٣٠ من العرض الجنوبي . وخطا ثانيا ، عتد من الدرجة ٥ من العرض الشمالي مع الدرجة ١٠ من الطول الغربي الى الدرجة ٥ من العرض الشمالي مع الدرجة ٥٠ من الطول الشرقي في قرب مو زامبيق ، تكونت لنا العرض الجنوبي مع الدرجة ٥ من الطول الشرقي في قرب مو زامبيق ، تكونت لنا منطقة واسعة جدا ، يضطرب ضمنها مائة مليون نسمة هم معترك النزاع بين الاسلام والنصرانية .

وقد تقدم كون مراكز دعوة الاسلام هي فاس ، وطرابلس ، وجغبوب ، والازهر ، و زنزيبار ، وان طلائعها في بحيرة تشاد وتمبكتو . وأما النصرانية فدعاتها من فرنسيس ، وطليان والمان ، وسكندينافيين ، وانكليز ، وامريكيين ، قد اخترقوا الكتلة الفتيشية من

<sup>(</sup>١) شعب زنجي كبير يتألف منه سكان الكونغو ، وأهالى بلدان البحيرات الكبر ، وأقاليم إفريقية الجنوبية كالزولو ، والبتشوانه الخ

<sup>(</sup>٢) أمة سودانية تسكن ضفة السنيغال الشمالية ، ومنها أهالى فوتاجالون ، وبلاد النيجر العليا والوسطى وسمرة ألوان هذه الأمة مشربة بحمرة ، وشعورهم مائلة الى السباطة ، وسحنتهم تكاد تكون أوربية ، ويقال لهم أيضاً الفولاه والفولبه وكلهم مسلمون

ثلاث أو اربع نقاط وهي : وادى غامبيه وأعلى السنيغال ، وسيراليون وساحل غينية ، ومثلث النيجر ، وأعلى الزامبيز ، و بلاد البحيرات الكبر . وأعز مراكز النصرانية اليوم هي السودان الغربي ، والكونغو ، و بلاد الكافر ، والاوغانده ، والزامبيز الاعلى . (١)

أما من جهة العدد فالمتنصرون من السود لا يزيدون على سبعة ملايين وخسمائة الف ، حال كون المسلمين ٣٦ مليونا أكثرهم مستعمرات فرنسا فانهم في السنيغال الى شرقى بافولابه ومنهم أكثر أهالى نيورو، وغومبو، وسوكوتو وجيع منطقة فاقيبين، وتمبكتو، ووادى النيجر، وبلاد فوتاجالون، وبلاد كيتا، وبامباكو، وستادونغو الخ.

ثم أخذ يسرد المسيو بونه مورى الاسباب التي جعلت للاسلام الفوز في افريقية بين السود ، وأهم هذه الاسباب بساطة العقيدة الاسلامية ، التي تنحصر في كلة لا الله الا الله محمد رسول الله ، مما يقبله عقل الزنجي بدون عناء كبير ، كذلك الجنة التي عند المسلمين تطابق ميول الزنوج ، أكثر من فردوس النصارى ، كذلك الاسلام ليس فيه طبقات ودرجات ، فالزنجي لا يرى نفسه محتقرا في الجاعة الاسلامية . قال: ومع كون الفقير والغني متساويين عند كل الملل فليس عند أغنياء المسلمين هذه العظمة والخشونة اللتان عند أغنيائنا ، بل أغنياء الاسلام أكثر تذكرا لزوال النعم وتحول الاحوال من أغنياء الاسلام وان عدهناك مضافا .

<sup>(</sup>۱) الكونغو نهر عظيم في أواسط افريقية يخرج من غربي بحيرة نياسا وينتهى في الأوقيانوس الاطلانتيكي ، طوله ٢٠٠٤ كيلو متر وحجمه مائة من ٤٠ ألف الى ٧٠ ألف متر مكعب ، والبلاد التي تجاوره تسمى بلاد الكونغو وهي أربعة أقسام الكونغو الألماني في الشهال وهو الكامرون ، والكونغو البرتقالي وهو انفوله في الجنوب ، والكونغو الفرنسي ، ثم الكونغو البلجيكي ، وأعظمها البلجيكي الذي عدد سكانه ١٤ مليوناً . وأما الاوغاند فحقها أن تكون من السودان المصرى وهي شمالي بحيرة فيكتوريا نيانزه الى الغرب ، أهلها مليون نسمة حصلت فيها فتن بعد وفاة ملكها ميتزا بسبب الدعوات الدينية ، بين المسلمين والبروتستانت والكاثوليك ويقول موريس فال الفرنسي في قاموسه ان الغلبة كانت بلبروتستانت بسبب عضد الضباط الانكليز لهم . والاوغاندة كا لا يخفي أدخلتها انكلترة في مستعمراتها ، وأما بلاد الكافر فهي في افريقية الجنوبية قد مر ذكرها ، وأما الزامبيز فهو نهر عظيم يتكون من ملتق ليبا وكامبومبو ، اللذين ينبعان في نحو الدرجة ١٢ من العرض الجنوبي تنسب الى هذا النهر مستعمرة ملتق ليبا وكامبومبو ، اللذين ينبعان في نحو الدرجة ١٢ من العرض الجنوبي تنسب الى هذا النهر مستعمرة الزامبيز البريطانية وأهلها مليون وثلا عائة ألف

ثم ان العرب والمغار بة والبربريتز وجون بالسودانيات ، فتحصل بينهم و بين الزنوج وشائج انساب وأرحام تريد نفوذ أولئك عليهم ، حال كونه من النادر الاندر أن يتزوج أوربى بسمراء أو يرضى بمصاهرة رجل اسود . ثم ان تعدد الازواج ، وجواز الرق (كذا) ، ومنع القرآن للسكرات ، كلها أسباب تجعل الرجحان في كفة الاسلام .

وأكثر الذين صنفوا على افريقية حتى الذين منهم اشتهروا بعداوة الاسلام، اعترفوا بحسن عاقبة اسلام السود من الوجهة الدينية والادبية. لانهم تخلصوا من عبادة الاوثان والحيوانات ، وأقلعوا عن عادة الذبائح البشرية ، وتركوا السحر والسحرة ، وانصرفوا الى عبادة اله واحد عدل ، يعبدونه عبادة روحية منزهة . ثم ان دعاة الاسلام يعلمون المهتدين مبادئ اللغة العربية التي هي في الاسلام بمثابة اللاتيني في أمم النصرانية . وما لا شك فيه ، أن الاسلام يزيد النفس عزة ، وينهض بوجدان الزنجي كما قال آتر بوري Atterbury وهو قوله : « بمجرد ما يدخل الزنجي في الاسلام يشعر بكرامة نفسه ، و بعد أن كان يعتقد ذاته عبدا ، يصبح في نظر نفسه حراً . »

وان جميع وصايا جعيات المبشرين بترك المسكرات ، لم تبلغ شيئا من درجة تأثير الاسلام في حظر هذه الرذيلة . وربما قيل انه كماكان الامساك عن شرب الجريرفع درجة الانسان ، فالتزوج باكثر من واحدة يعمل عكس ذلك . والجواب على هذا أن أكثر المسامين يقتصرون على الزوجة الواحدة أولا لأن القرآن شرط لتعدد الزوجات شروطا ثقيلة ، ثأنيا ، لأن النفوذ الاوربي ازداد في العالم الاسلامي ، وصاركثيرون من المسلمين ينفرون من تعدد الزوجات — وأتى بونه مورى على ذلك بشواهدكثيرة ، وخاض في يخث المرأة الجديدة في الاسلام ، وتكلم على كتاب المرحوم قاسم أمين ، وعلى مدارس الاناث المحدثة في الاسلام الى أن قال: « أما مواطن ضعف الاسلام بازاء النصرانية فنها تعدد الزوجات . »

لأن تعدد الزوجات بذاته يسقط من مكانة المرأة ، التي هي في نظر السواد الاعظم من المسامين واسطة شهوة ، ووسيلة للنسل لاغير . فهذا من مواطن ضعف الاسلام بازاء النصرانية ثم هناك ضعف آخر وهو فساد القضاء الاسلامي وفقد العدل فيه ، اذكل ما هو مشهو رعن قضاة الحكومات السابقة في فرنسا من الرشوة والتزوير والظلم . لا يحسب

شيئا في جنب مساوى و قضاة الاسلام في افريقية . فانه يكاد يكون مستحيلا نجاح فقير في دعوى مع غني ، أو انصاف أرملة وقاصرين في نزاع مع وصي

فليفكر جيداً المسامون في هذه الكامة ، وليعلموا أنه اذا كان الله تعالى أباح تعدد الزوجات تحت شروط ، فلم يبح الظلم بوجه من الوجوه. بل الاسلام وضع العدل فوق العبادة ومع هذا فقد صار الأمر الى أن فساد القضاء وفقد العدل في محاكم الاسلام ، أصبحا حجة على الاسلام ، ونقطة يهاجم بها . ولا شك أن أمثال هؤلاء القضاة من المسلمين ، هم بأعماهم أفش نكاية بالاسلام من جميع أعدائه . أفلا يعلم هؤلاء أن مثل هذه الأحوال ، هي التي رفعت ثقة الاور بيين ، لا بل الشرقيين من المحاكم الشرعية ، وحلت الكثيرين على طلب الغائما ، أو وضعها تحت السيطرة الأور بية ? فأى عار على الاسلام أكبر من هذا ? وأى جناية على الاسلام أفظع من أن يصوره رجال الشرع بغير صورته بسوء أعماهم ، فبدلا من أن يرغب فيه الناس تراهم يرغبون عنه بسببهم .

أجعل المسيو بونه مورى استحلال الرق من جلة نقائص الاسلام ، واعترف بان العبيد أبناء العبيد الذين يخدمون في البيوت ويدينون بالاسلام ، لاتساء معاملتهم ، ولكن أفاض في وصف سوء المعاملة التي يلقاها أسرى الحرب ، وطعن كثيراً في تجار الرقيق لاسيا من العرب ، ووصف القسوة التي تظهر منهم في معاملة من يصطادونهم من الزنوج . وجعل أصل التبعة في ذلك على الاسلام . ونسى أن الرق وجد في جيع الأزمان ، وانه وجد في النصرانية أيضاً . وان البوير الأوربيين في جنوبي افريقية ثقل عليهم تحرير الرقيق ، أكثر من تجار العرب . وان الحرب في أميركا استمرت عدة سنوات ، بسبب أن قسما عظيا أروسية ، وهم الفلاحون كانوا أرقاء للامراء والأشراف ، ولم يتحرروا الا منذ نحو ١٥٠ سنة وهم من الجنس الأوربي لا من الزنج . كذلك غفل أو تغافل عما أوصي به الاسلام بشأن الرقيق ، وما عظم من فضيلة تحرير الرقاب ، وكيف أن آخر كلام الذي علياتي وهو على فراش احتضاره كان ، التوصية بالأرقاء . فنظر المؤلف من جهة واحدة ، وذ كر السيئات وأغفل الحسنات .

ثم خاض المسيو بونه مورى في ثمرات الدعوة المسيحية فقال ، ان عدد المتنصرين

من المسامين لا يكاد يذكر ، ولكن لا يخرج من ذلك أن الدعوة المسيحية لم تكن ذات تأثير على المسلمين بل ان الميل الحاضر عندهم الى الا كتفاء بالزوجة الواحدة ، والاعتناء بترقية سوى" المرأة ، واصلاح المحاكم ، كل هذا كان من نتائج الدعوة المسيحية . فأما بين الوثنيين فان دعاة الانجيل قاوموا عبادة الفتيش (١) والاعتقاد بالسحر والتعاويذ ، والذبائح البشرية ، والرق ، وأصلحوا حال المرأة ، واجتهدوا في تعلم الزنجي ، الاقتصار على الزوجة الواحدة ، وأفهموا السود أن على المرأة واجبات غير الولادة ، وهي تهذيب الأولاد وتمريض المرضى والزمني ، بخلاف المسلمين الذبن يرون في المرأة واسطة للنسل لا غير. (كذا) وعاموا السود النظافة وقوانين حفظ الصحة ، ومن نوهم على الأشغال اليدويةوالزراعة وأما من جهة المستشفيات ولا سما ملاجئ المجذومين ، فدث في هذا الباب ولا حرج . ثم ان المبشر بن هم الذبن نشروا في أور با فظائع صيد البشر حتى اهتمت الدول بذلك ، وعقدت المؤتمرات التي قررت فيها منع بيع الرقيق. ولم يتوقف المبشرون عن التشهير بمساوئ تجار الرقيق بل شهر وا بسيئات المستعمر بن الاور بيين أنفسهم فما لو خبطوا الاهالى بعصا العسف وذلك كما فعـل المبشرون الانكليز، عند ما رأوا أعمال بعض البلجيكيين في الكونغو. ومما لا يمكن السكوت عنه أن بعض الاو ربيين ارتكبوا جريمة بيع المسكرات بين الزنوج، ومنهم ضباط وحكام استعماوا القسوة في معاملتهم ، فكانوا مثالا سيئا وان بعض المبشرين أنفسهم ، ارتزقوا من حرف غيير لائقة بالعمل الذي بعثوا من أجله ، وان كثيراً من المبشرين تشاجر بعضهم مع بعض ، لا سما الكاثوليك والبروتستانت ، وحصلت في الاوغاندة وقائع دموية بسبب نشر الدين ، فهذا مما يقدح الشكوك في قلوب الذين ذهب المبشر ون لهدايتهم ، وما ذا تقول في حرب الترانسفال التي دارت بين أمتين مسيحيتين تحت أعين الزنوج، فجاءت بتكذيب دعوى البيض بكون انجيلهم هو واسطة السلام. قال: وبالجلة فاذا كان الاسلام قد رجح من جهة عدد الذين اتبعوه من السود، فالنصرانية كانت الرجحي في أهمية النتائج الأدبية والاقتصادية ، ثم لا يوجد وجه للقايسة بين المدارس النصرانية وبين كتاتيب الزرايا فضلا عن كون مبشري الانجيل أسسوا مدارس صناعية مثل باقامو يو Bagamoyo ومدرسة لوفيدال Lovedale ومدارس زراعية

<sup>(</sup>١) لفظة برتقالية الأصل معناها الوثن أو المعبود من الحيوانات

مع الموذجانها نظير مؤسسة الآباء البيض في كيتا Kita وأين تجد عند دعاة الاسلام من دور الأيتام وملاجئ العجزة والزمني ومستشفيات المجاذيم ، ما تجده عند دعاة النصرانية ، وأين في العالم الاسلامي النسوة اللائي مثل راهبات الرحمة الكاثوليكيات والاخوات الانجيليات ، ونساء المبشرين . لا جرم أن النصرانية في هذا الموطن هي العليا وان كان الاسلام هو الفائق في قضية منع الكحول .

فنحن لا ننكر ما قاله المسيو بو نه مورى من أنه لا وجه للقايسة بين مؤسسات الاسلام والنصرانية في افريقية وغيرها من جهة الاتقان والتفنن، وتنوع العلوم، والصناعات، واشتراك النساء مع الرجال في هذه المشروعات الخيرية، وما تأتى به هذه الراهبات من الخوارق في خدمة الانسانية. كلا والله لا ننكر ذلك، (والحق من ربك فلا تكون من الممترين). ولكن مما لاينكر أيضاً أن انحطاط المؤسسات الخيرية الاسلامية، انما وقع بانحطاط القوة السياسية الاسلامية في الاعصر الاخيرة، اما قبل ذلك فلم تكن مدينة تذكر في الاسلام الا فيها البيارستانات، ودور المجاذيم، والمجاذيب، وملاجئ الزمني، وملاجئ العميان وكل هذه المؤسسات كانت لها أوقاف دارة، ومنابع رزق ينفق منها عن سعة.

لا بل الذي خطر ببال المسلمين من جهة اسداء الخير ، واماطة الأذى ، وتخفيف آلام البشر قد وصل من التناهى الى درجات ، لم تبلغها أو ربا في عصر مدنيتها هذه ، ودل على أن في الاسلام من رقة الشعور ، ودقة اللحظ ، وتوقع النادر من النوازل ، ما ليس في غيره . واليك هذا المثال :

كانت فى دمشق الشام عدا دور المجانين والمجاذيب والمجاذيم ، أوقاف على الحيوانات ، ويقال ان مرجة دمشق هـنه التي هى اليوم متنزه أهل الحاضرة ، كانت وقفا على الخيل التي تعبت فى الجهاد وأسنت ، يطوّل لها فيها دون غيرها .

وسمعت رواية من أفواه بعض الأدباء لم أجد عليها نصاً ، ولكنها قريبة الى التصديق وهي ، أنهم وجدوا في الوثائق المتروكة عن المستشفى النورى الشهير (١) وظيفة من جلة وظائف المعالجة لم يخطر ببال الاور بيين ، مع تناهيهم في الترف والعناية بالصحة

<sup>(</sup>١) محل الحجكمة الشرعية الآن وهو منسوب الى الملك العادل نور الدبن زنكي رحمه الله

أن يجعلوها وظيفة ، ولا أن يرتبوا لها جعلا معلوماً ، وهي تكليف اثنين بان يقفا بمسمع من المريض ، و بدون أن يلحظ أن ذلك جار منهما عمداً يسأل أحدهما الآخر عن حقيقة علة ذلك المريض ، فيجاو به رفيقه بانه لا يوجد في علته ما يشغل البال ، وأن الطبيب رتب له كذا وكذا من الدواء ، ولا يظن أنه يحتاج الى أكثر من كذا من الوقت حتى ينقه ، وغير ذلك من الحديث ، الذي اذا تهامس به اثنان على مسمع عليل ثقيل الحال وظنه صحيحا ، زاد في نشاطه ، ونهض من قوته المعنوية بما يفعل فعل انجع الادوية لا سيا عند ذوى الامزجة العصبية . فهذه نكتة ، لم يتنبه الاور بيون الى أن يدخاوها في جلة وظائف المستشفيات الى هذه الساعة ، مع انها في منتهى درجات الرقة والفائدة .

ومن أرق وألطف ما وجد في الاسلام من هـذا المعنى وقف الزبادى ، الذي كان في دمشق ، وقد حد ث عنه ابن بطوطة وهو مكان توجد فيه صحاف من الخزف الصيني الجليل القدر ، وقفها أصحابها لأجل انه اذا كان غلام كسر آنية لسيده وتعرض بذلك لغضبه ، يذهب الى هذا المـكان ويضع الاناء المحسور ، ويأتى باناء صحيح بدلا عنه . فهل لحظ أرباب المبرات من الافرنج معروفاً ، بلغ هذا المبلغ من الكياسة ، ولطف الشعور ؟

و وجد فى الشام وقف لتزويج البنات الفقيرات.

و وقف لسقيا الماء المثاوج في الصيف لعابري السبيل ، وقد يسقونه بماء الخروب أو غيره من الأشربة .

ووقف لمستشفى المجاذيم ، من جلة أراضية القرى التي كانت للرحوم أحد باشا الشمعة في حوران .

أما أوقاف البيمارستانات فهذه لاتحصى في الاسلام .

وفي مكة المكرمة وقف ، مخصص ريعه لمنع الكلاب من دخول مكة .

وقف لاعارة الحلى والزينة في الاعراس والأفراح ، بحيث ان العامة والفقراء لابل الطبقة الوسطى يرتفقون بهذا المعهد الخيرى ، فيستعير ون منه ما يلزمهم من الحلى لأجل التزين به في الحفلات ، و يعيدونه الى مكانه بعد انتهائها فيتيسر للفقير أن يبرزيوم عرسه بحلة لائقة ، ولعروسه أن تجلى بحلية رائقة مما يجبر خاطرهما ، وكذلك يستغنى المتوسط في الثروة عن أن يشترى مالا طاقة له به .

وفى مكة وقف آخر تستعار منه عائدوات السفر والمفر وشات للولائم والوضائم .
و بلغنى أنه يوجد بمصر وقف لسكنى الأيامى . ووقف آخر لكسوة أولاد الفقراء .
و وقف لاطعام الكلاب .

و يوجد بتونس الخضراء وقف مرصد ريعه لنزويج بنات الفقراء واليتيات ، ووقف للصبيان ، لهم يوم مخصوص هو يوم الجيس يسألونهم فيه عن جيع ماقرأوه فى الاسبوع ، و يعطونهم بعد ذلك دراهم بعثاً لهمهم ، وتفريحاً لقاوبهم . ووقف للاستحمام مجاناً ، توضع فيه صرر من الدراهم كل صرة فيها مقدار أجرة الجام ، فيدخل المحتاج الى الاستحمام أو ازالة الجنابة ، و يتناول احدى هذه الصرر و يذهب الى الحام ، فيدفعها بعينها و يستحم .

ويوجد في تونس وقف غير الوقف الأول ، لتزويج البنات الا بكار اللائي بمحل الزواج.

وفى تونس وقف لدار المجاذيم . ووقف آخر للعاتبه .

وفى تونس وقف لختان أولاد الفقراء ، يختن الولد و يعطى كسوة ودراهم . وهناك وقف تو زع منه الحلواء فى رمضان مجانا .

وقيل لى ان فى تونس كما فى دمشق وقفا لمن انكسر بيده اناء ، فيذهب و يأخذ منه بدل الاناء الذى انكسر.

و يأتى الى تونس فى بعض أيام السنة نوع من السمك تفيض به شواطئها ، فيوجد فى تونس وقف يشترى من ريعه جانب كبير من هذا السمك ، ويوزع على الفقراء .

و يوجد في فاس وقف أشب بالوقف الذي في دمشق ، والآخر الذي في تونس ، لمن ينكسر بيده اناء .

وفيها وقف لاحتياط آخر ، وهو أن من وقع عليه زيت مصباح ، أو تلوث ثو به بشئ آخر ، يذهب الى هذا الوقف و يأخذ منه مايشترى به ثو با آخر .

وهناك وقف سيدى أبى العباس السبتى" للعميان والزمنى ، يأخذون كل يوم من ريعه مايعيشون به ذكوراً واناثا على كثرة عددهم.

و يوجد وقف اسمه وقف سيدى على أبى غالب ، ينفق منه على ذوى العاهات .

و وقف في فاس ، ينفق منه لرفع الحجارة من الطرقات.

ووقف للمؤذنين الذين يحيون الليل بالنو بة ، كل منهم يسبح الله نحو ساعة بصوته الرخيم ، ويسمى هـذا المؤذن « بمؤنس الغرباء » أو « مؤنس المرضى » لأن المريض لايقدر أن ينام ولا يوجد فى كل الاحيان من يحيى الليل لأجله ، فليس له أنيس احسن من هذا المؤذن الذي يشجيه بصوته الرخيم فى تسبيح البارى تعالى فى ساعات الليل الأخيرة .

وفي مدينة مراكش وقف لسقى الماء المثلوج في أيام القيظ كما في دمشق.

وفيها مؤسسة اسمها « دار الدقة » وهى ملجأ تذهب اليه النساء اللائى يقع نفو ر بين بعولتهن فلهن ان يقمن به آكلات شار بات ، الى ان يز ول مابينهن و بين أز واجهن من النفور. وعلى دار الدقة هذه ، أوقاف عديدة دارة.

و يوجد في مراكش مكان اسمه «سيدى فرج» عليه أوقاف كثيرة دارة فائضة ، وذلك لايواء المجاذيب والمعاتيه ، ولتجهيز الموتى من الضعفاء والمساكين . و يؤخذ من ريع أوقاف سيدى فرج هذا ، لشراء ملابس تو زع على الفقراء في أول الشتاء .

و روى جان وجيروم تارو الاخوان ، الكاتبان الفرنسيان في رحلتهما الى مراكش، ان في مدينة مراكش ملجأ لا يوجد مثله في الدنيا بأسرها ، وهو بناء يكاد يكون بلدة ، وله ساحة يكاد الطرف لا يأتى على آخرها ، وفي هذا الملجأ ستة آلاف أعمى ينامون ، ويأ كلون و يشر بون ، و يقرأون ، ولهم أنظمة ، وقوانين ، وهيئة ادارة ، وصندوق الح .

فهدا مثال مما في العالم الاسلامي من المشر وعات الخيرية والماشر الانسانية ، مما لم يتفطن لاكثره العالم الأوربي بعد ان وصل الى ما وصل اليه من الغاية القصوى في العمران ، والدرجة العليا في الاحتياط لازاحة علل الانسان . وربما كان كثير من هذه الأوقاف والملاجئ قد انحط أودرس ، أو استأثر نظاره بريعه لسوء الحظ ، ولكن هذا لا يمنع من أن تكون هذه المؤسسات الجليلة، وهذه الخواطر الخيرية الدقيقة قد وجدت في الاسلام أيام عزه، ولا يزال قسم كبيرمنها موجودا . فافتخار المسيو بونه مورى على الاسلام بوفرة الملاجئ ودور الايتام ، وكثرة معاهد الخير في النصرانية ، دون الاسلام ليس في مجله . ولو اطلع على هذه المعلومات ، التي هي قليل من كثير مما في الاسلام من المبرات العامة لرجع عن كلامه .

#### الخلاصة

استخلص صاحب كتاب الاسلام والنصرانية في افريقية من ابحاث كتابه هذا ، التي خصنا أكثرها تلخيصا مطابقا للائصل ، ان الأديان التي جاءت افريقية بأفضل وأسلم مبادئ المدنية هي الاديان الئلاثة ، الموسى ية ، والنصرانية ، والاسلامية . وان الوثنية التي كانت عليها قرطاجنة والاسكندرية في الأعصر القديمة لم تفد افريقية شيئا ، كما أن الفتيشية الحاضرة بين الزنوج ، هي مصدر لافظع الاعجمال واسخف العبادات .

وقد كان لليهودية دور عظيم بمصر لعهد البطالسة وفى افريقية الرومانيه ، قبل مولد السيد المسيح بقرن و بعده بقرنين . ولكنها الآن انحطت كثيرا فى هذه القارة ، فليس فى شمالى افريقية أكثر من ٢٦٠ ألف نسمة من اليهود ، أقلهم انحطاطا يهود الجزائر ومصر ، وترى جعية الاتحاد الاسرائيلى عاملة لاعلاء سويهم بهمة عظيمة .

أما النصرانية فازدهرت كثيراً في القرن الثاني الى السابع لليلاد وعمت شمالي افريقية من مصر الى أقصى المغرب، فلما جاء الفتح العربي الاول في القرن السابع ثم الثاني في القرن الحادي عشر جرفاكل آثار النصرانية هناك الا ماكان للقبط عصر والحبشة.

وأما الاسلام فبعد أن أشرقت به أنوار العلوم والصناعات بمصر و بالمغرب توقف على مستوى واحد، ثم شرع بالتدهور بعد سقوط الاندلس.

ثم عادت النصرانية بواسطة جعيات التبشير المسيحى الى العمل بين الزنوج الفتيشيين ، ولكنك ترى دعاتها في سواحل زنجبار ، ونواجى البحيرات الكبرى وفي واداى، وحول بحيرة تشاد ، وفي البلاد الواقعة بين منحدر النيجر ومنابع السنيغال ، يتصادمون مع رجال الطرق الاسلامية ، وطلبة فاس ، والائزهر الذين يأبون النصرانية بأى وجه كان . فنذ بداية القرن التاسع عشر اشتدت المزاجة بين هاتين الديانتين ، وتسابقتا على السيادة الدينية بل على السيادة الدينية السياسية ، عا لايقل حرارة عن مساجلتهما أيام القرون الوسطى .

فاذا ينبغى لنا أن نتمنى من جهة نتيجة هـذه المصارعة بين هاتين الديانتين ? وأية حطة يجب أن يتبعها مبشر و النصرانية لا كمال عملهم ?

الجواب على السؤال الأول: لاينبغى لنا ان نتمنى لافشل الاسلام ولا فوزه. لاينبغى أن نتمنى فشل الاسلام لائه مما لامشاحة فيه أن دين مجمد قد أعلى مستوى القبائل الفتيشية التي دانت به ، وخدم بذلك الانسانية . فان غاب هذا الدين عن بعض تلك المراكز ، سادت فيها البربرية وعم شرب الجور . ولا ينبغى لنا أن نشتهى فو زه لأنه اذا فاز ، هاج التعصب الاسلامي وعقبت ذلك حروب دموية ، وربما مذابح يهلك فيها الأوربيون . هذا فضلا عن كون الاسلام اذا رفع مستوى الزنجي فانه يقف به فيما بعد على درجة ، لا يتقدم عنها ولا يتأخر . (يشير الى الجود الحاضر) .

وعندى ان الاولى بقاء الديانتين في مراكزهما الحاضرة تسعى كل منهما سعيها مع التسامح والتفاهم. فأما في البلاد التي دخلت في الاسلام فيجب العدول عن سياسة التنصير والاكتفاء بادخال مبادئ مدنيتنا بواسطة المدارس الفرنسوية العربية ، أو الانجليزية العربية والمستشفيات والملاجئ ، ومدارس تعليم البنات الخ. وكذلك يحسن بالاوربيين أن يقتدوا بالمسلمين في الامتناع عن المسكرات وفي احترامهم الفتيشي ، الذي يقلع عن عقيدته الأولى ، وعده مساويا للابيض ، وفي الالفة بين الغني والفقير.

ولكن حيث أباح الأسلام التعذيب في القضاء ، أو تجارة الرقيق ، أو الشعوذات السحرية ، فيجب على ممشلى النصرانية أن يأذنوا بذلك حكوماتهم ، حتى تبطل هذه الأمور بالقوة .

وعلى دعاة النصرانية أن يسرعوا في عملهم ، و يضاعفوا همتهم ونشاطهم بحيث يسبقون دعاية الاسلام ، و يعرفوا المائة مليون زنجي الباقين على الفتيشية بانجيل المسيح ، قبل أن يسمع هؤلاء بذكر القرآن . وعليهم أن يتوخوا البساطة في التعليم المسيحي ، و ينهجوا الطريق الذي نهجه حواريو المسيح في وقتهم عند ماكانوا يهدون الوثنيين . وأما الفضائل فيجب على المبشرين أنفسهم أن يكونوا هم القدوة بها ، ليمحوا سيات غيرهم من النصاري البيض . اه

### التبشير والبشرون

هذه خلاصة كتاب الاسلام والنصرانية في افريقية عولنا عليه ، لأنه أجع مارأينا في هذا الموضوع . وكان ستودارد قد نقل عنه . واطلعت على كتاب عنوانه « عصر في افريقية والاوقيانوس » لجعية التبشير الانجيلية الباريزية مطبوع في السنة ١٩٢٣ الماضية

فوجدت فيه بعض نبذات تتعلق بالاسلام في أواسط افريقية .

فذكر ان في السنيغال خسة أوستة أجيال ، مجموعهم مليون ونصف مليون نسمة ، وان أحصاهم عددا جيل يقال هم الاولوف Ouolof فقال ان هؤلاء قاطبة كانوا مسامين ولا يزالون مسامين ، ولكنهم بمجيء شبابهم أثناء الحرب الكبرى الى فرنسا ، حصلت ثورة في أفكارهم وتساهلوا في الدين قال : ولا نقدر ان نقول ان هذه الثورة الفكرية أفادتهم من الوجهة الأدبية . كلا بل صاروا مدمنين للسكر ، بعد أن كانوا لايذوقون الاشر بة المتخمرة أصلا ولم تقتصر هذه الثلمة في سور التعاليم القرآنية على شرب الخر بل تجاوزت الى عدم الصوم في رمضان وترك الصلاة .

قال وحصل منذ نحو عشر سنوات أن شاباً مساماً ابن عائلة وجيهة في سور Sor ، تردد كثيراً على المدرسة الانجيلية في هذه البلدة ، الى أن التمس من المسيو أندرى درانكو تعليمه الدين المسيحي ، ولحظ أهله ذلك فلم يعارضوه في أول الأمر ظناً بأنه لا يصبأ عن دينه ، ولكنهم لم يلبثوا أن عرفوا أن الشاب ترك صلاة المسامين وصيام رمضان ، وانه مرق من الاسلام ، فأرسلوه الى جهة بعيدة لم يرجع منها .

قال فاما في هذه الأيام فوادث كهذه لاتقع لالكون الأهالي تركوا الاسلام، بل الكون النشئ الجديد تملص من القيود العتيقة . فصار بعض الشبان يغشون محلات العبادة عند النصاري سواء في سان لويس ، أو في دافار ، ويشتركون في الأناشيد الروحية ، مما يدل على حالة عقلية لم تكن من قبل . فعلى المبشرين أن يستغلوا هذه الحالة الجديدة بتوجيهها الى جهة المسيح . وقد آن لنا أن نستفيد عبراً من الماضي ، فاننا نحن منذ ، ٦ سنة ، كانت مستولون على السنيغال ، وعند ما جاء أول مبشر الى السنيغال منذ ، ٦ سنة ، كانت مقاطعات كثيرة من السنيغال لم يقبل أهلها دين الاسلام . ولكن نقصتنا النقة وأعوزنا الثبات ، مع أن الأرض اذا كانت خصبة تحتمت فلاحتها و زرعها ولو تأخر الوقت . نعم ان السريديين السريديين السريديين مثل السريديين مثل السريديين مثل السريديين مثل السريديين مغظمهم وثنيون .

ففي السنيغال مليون ونصف مليون نفس كلها خلائق الله ، وكلها في حاجة الى المخلص

ولقد كانت تر بيتها الى هــذا اليوم اسلامية بحتة ، ولكن جرى تحول فى الأفكار بهــذه المدة الأخيرة ، فالساعة اذاً قد أزفت للعمل. اه

وكاتب هذا الفصل المبشر البرت درانكورت يحرض قومه على البذل والاهتمام و بث الدعاة في السنيغال.

ثم اطلعت فى هذا الكتاب نفسه عن فصل آخر ، لمبشر يقال له المسيو فو ر Fanre يتكلم على البعثة الانجيلية فى بلاد الغابون أو الكونغو الفرنسى ، و يقول فيه ان هذه البلاد بعد ان مضمت اليها مستعمرة الكامرون الألمانية ، صارت بقدر فرنسا أر بعاً أو خس مرات ، وان سكانها أقوام مختلفة من سود افريقية منهم مسلمون وأكثرهم فتيشيون . ومن جلة ما ورد فى هذا الفصل قوله :

ان الأوربيين ، قد جنوا على السلالة السوداء جنايات كثيرة لا مندوحة لهم من التكفير عنها . فاذا كانت أمم المبونغوى ، Mpongwé والغالوه ، GaIoa والنكوى ، التخاسين البيض كانوا يصطادون Nakomi وغيرها وقد انقرض كثرها فا ذاك الا الكون النخاسين البيض كانوا يصطادون أبناء هذه الأقوام ، و يستعبدونهم و يبيعونهم ، وللكون أكثر أرباح التجار البيض ، هي من تجارة السلاح والبارود والمسكرات ، وبالآخر فلنقل الحقيقة وهي ان الزنا مع ما يجره من الأمراض التي كادت تفني هؤلاء الزنوج ، انما فشا فيهم بو اسطة الأوربيين . ولحكم من جرم جره الأوربيون بين هؤلاء السود البؤساء ، ومما لا نقدر أن نكابر فيه هو أن الاستعمار العصري ان هو الا استغلال المستعمرات وأهلها ، بأي وجه كان . فسئولية أوطاننا من هذه الجهة باهظة ولا سبيل لانكارها (١) فن الواجب اذاً علينا . نحن البروتستانت أن نعوض الضرر الذي ألحقه أبناء جنسنا بأهل افريقية ، وان نحمل كمة الجياة والنور والقوة ، الى حيث الانحطاط والظلمات ولنتذكر ان مئات ألوف من هؤلاء الذين سقناهم الأهالي لبوا نداء بلادنا في الحرب الكبرى ، وقتلوا في سبيلنا ، فان ثلثي هؤلاء الذين سقناهم الله الحرب لم يعودوا الى أوطانهم ، لأن منهم من قتل ومنهم من مات بالأمراض الخ .

ومما يستجلب النظر في هذا الكتاب فصل لمبشر اسمه فريدريك فرنيه Fréderic Vernier عن التبشير الانجيلي في ماداغسكر أشار فيه الى نجاح الدعوة في تلك

<sup>(</sup>١) فليتأمل القارئ في شهادة هذا المبشر الأنجيلي على قومه

الجزيرة الكبرى ، ولكنه لم يخل كلامه من شكوى من من أعمال الجزويت ، الذين لبثوا مدة طويلة مستخدمين قوة الحكومة الفرنسية لاعنات البروتستانت ، ولم يتمكن هؤلاء من رفع الظلم والانتقام عنهم الا ببذل أموال جزيلة ودماء زكية . وكذلك شكا من حلة الملاحدة من الأوربيين الذين كانوا يناوئون الدعوة الدينية من أصلها ، ثم من فساد الأخلاق وفتور العزائم المستوليين على سكان ماداغسكر ، ومما يجعل وصاية البعثات الانجلية على الكنائس الوطنية حما .

ثم ذكر ان نسبة المسيحيين الى الوثنيين في مقاطعات ايمرنيه Imérina و يتسليو Betsiléo ، و وتاماتاف Tamatave ، و بلاد السكالاف Sakalaves هي نسبة اثنين الى ثلاثة. وشكا من كون الوثنية في المدة الأخيرة أخنت تتقدم الى الامام ، وان مبشرا انجيلياً فاجاً بهر وثني مجتمعين لعبادتهم . قال : « وان جيع الأهالي في ماداغسكر يعتقدون باله واحد يسمونه « اندريا مانيترا » أو « ادريا ماتاهاري » أي أبدي وخالق . وكما يستدل عليه من أمثالهم وعباراتهم ، لا تخلو ديانتهم من مبادئ أدبية سامية . مشلا يقولون : اندريا ميتراتسي تياراتسي . ومعناها : الله لا يحب الشر . و يقولون عبارات معناها : انه يوجد عبد الشر أن ينتصر يوما . والله لا ينخدع . والله لا يخطئ ولكن الناس هم الذين في الضلال وغير ذلك . ومع هذا فهذه العقيدة بقيت عاجزة عن اعطاء الماداغسكريين ديانة قيمة قادرة على تزكية النفوس . فانهم يوجهون صلاتهم الى جاجم الموتى ، ويظنون ان أر واح الأهالي الأصليين الذين طردتهم أمة الهوفا Hovas من ديارهم ، عادت فاتخذت مساكن في بعض الحجارة والينابيع ، فلهذا يقدمون لها القرابين لتسكين غضبها . وهم يعتقدون بالسحر والسحرة ، و بالتعاويذ والرقى ، والطلسمات ، و بالاجال فدينهم دين يعتقدون بالسحر والسحرة ، و بالتعاويذ والرقى ، والطلسمات ، و بالاجال فدينهم دين الخوف ، ولا يعرفون شيئاً عن الاله الكريم العفو الغفار قابل التوب . الى آخر ما قال .

ثم ان في هذا الكتاب فصلا مهما عن الكامرون نلخص منه بعض معاومات مفيدة وهو من قلم المبشر المسيو الليغره Allegret . قال:

## الكامرون

ان الـكامرون قطر واقع فى داخل خليج غينية ، مساحتها أر بعهائة وتسعون ألف كياو متر مربع أى بقدر مساحة فرنسا ، وهو من بحيرة تشاد الى الاقيانوس من الشرق الى الغرب ، ومن النيجر الى الغابون من الشمال الى الجنوب . وأما أهالى الـكامرون فعددهم أربعة ملايين أى ضعف أهالى ماداغسكر ، هذا عدا القبائل العاصية المعتصمة بالجبال والمظنون أن نحو ثلثى الأهالى لا يزالون وثنيين . ويسكن فى الآجام الجنو بية جيل متوحش اسمهم البيغمه Pygmé ، والباقون من الأهالى ثلاثة أقسام ":

الأول البانتو، في السواحل والوسط والجنوب وكلهم فتيشيون، وهم فرق الدوالة، والباسة والثوري والبولو الخ. و بين هؤلاء تأسست مراكز التبشير بالانجيل.

الثانى السودانيون الباقى أكثرهم على الفتيشية ، وأصلهم مهاجرون من الشرق وهم سكان شمالى الكامرون ، ولهم المارات وحكومات وطيدة .

الثاث المسامون وهم الحاوسة ، والفولبة ، والعرب الذين في سواحل بحيرة تشاد ، فأما الحاوسه ، فأن بأيديهم جيع التجارة من شمالي الكامرون الى جنو بيها وهم يهود هاتيك البلاد وتراهم في كل مكان لا تخاو منهم بقعة ، وفي كل قرية من قرى الجنوب حارة للحاوسة . كما أنه على أبواب المدن الكبيرة توجد قرى للحاوسة والأهالي لا يحبون الحاوسة ولكنهم محتاجون الى البضائع التي يأتون بها ، ويظهر أن هذه النفرة منهم ستزول شيئا فشيئاً وسينتهى الأمر بسيادة الهلال (أى الاسلام) على كل محل أن لم يبادر المسيحيون باتقاء الخطر . وفي الحالة الحاضرة لا تجدهم مفرطين في التعصب ، فلا يزال عند المبشرين المسيحيين الوقت الكافي لمسابقة دعايتهم .

ولقد كان احتلال أمة الفولبة لبلاد الآداموا ، منذ عهد غير بعيد . جاءوا من بلاد السنيغال والنيجر ، و بورنو وانتجعوها ، وكان أصل انتجاعهم لها ارتياد المراعى لمواشيهم ، ولبثوا حقبة يؤدون اتاوة لملوك الوثنيين ، كما أنه لا يزال طائفة منهم اسمهم البورورو Bororos ، بقرب مدينة فومبان يؤدونها الى اليوم . ولكن لما تكاثر الفولبه اعصوصبوا حول زعيم لهم يقال له آدما وهو الذي انتسبت الى اسمه بلاد الآداموا فاستولى على

المملكة ، وصار الوثنيون هم الذين يؤدون الجزية للسامين وصار هؤلاء يأخذونهم أرقاء ، وانهزم جم من الوثنيين الى الجبال حرصاً على استقلالهم . ومع هذا فقد بقي طوائف من السامين تحت سيادة الوثنيين . ويوجد أقوام مثل التيكار والبامون والفوت ، يتكون منهم مناطق حائلة بين المسامين والفتيشيين .

ثم قال وان الكامرون هي أرض مختارة للتبشير ولها مستقبل عظيم ، كأن نتمكن من تنصير الوثنيين الذين فيها ونقف حاجزاً بينهم و بين الدعوة الاسلامية ، وأخيراً ننشر النصرانية بين المسلمين أنفسهم . انتهى كلامه بحرفه

ثم في محل آخر تكلم هذا المبشر عن آفات الدعوة الدينية من تزاحم الأوربيين على النجارة والربح المالى . وزعم أن الألمان اغتصبوا الأهالي أراضيهم ، وانهم في أغسطس سنة ١٩١٤ شنقوا ملك دواله ، بحجة أنه تمرد على السلطة الألمانية. ثم انتقل الى ذكر الحرب العامة فقال انها جاءت كصرصر عاتية لم تبق ولم تذر ، فيل للناس أن عمل المبشر بن حبط تماماً بزوال الحكومة الألمانية من الكامرون. إذ أنه لما سيق المبشرون الى الساحل أساري هجمت العساكر السوداء من الفريقين ، وثار الأهالي وخربو المؤسسات والمراكز التي كانت للتبشير. وأناس كثير ون هجروا القرى و لاذوا بالجبال فراراً من العساكر وان ١٥ ألفاً من الألمان وأعوانهم قبض عليهم وسيقوا الى دواله حيث كان منهم الى سنة ١٩٢٠ يعملون في الأرض. فلا حاجة الى ذكر ما حل بالضائر ونزل بالعقائد من جراء هذه الحوادث ، فقد مات التبشير ودرست معالمه ، وحصل رد فعل استؤنفت به قوة الوثنية ، ورفعت رؤوسها دعاة الكنيسة النصرانية الأهلية ، وصاروا ينادون علنا : لا نريد أن نكون تحت سيطرة البيض ولا أن نكون مسيحيين ، اذ هذه أفعال البيض قد ظهرت للعيان ، فلنعد الى عقائد آبائنا. وهكذا عادت الوثنية الى سطوتها الأولى . وانفرد بعض تلاميذ البعثات الأوربية بمذاهب مزجوا بها بين العقائد المسيحية والفتيشية . وعاد كشيرون من الزنوج الى تعدد الزوجات ، واغتنمت هذه الفرصة الكنيسة الافريقية التي قاعدتها « افريقية للافريقيين » وأخذت تنفر الأهالي من المبشرين الأوربيين ، وأباحت لأتباعها تعدد الزوجات. فإن هذه الكنيسة الأهلية لم تكن في الحقيقة ثمرة نهضة روحية ، بل هي نتيجة دخول روح الوثنية في النصرانية. فانقسمت الكنائس الى ثلاث كل منها تقاتل

الأخرى . وانتهز دعاة الكاثوليك هـنه الغرة ليقولوا للزنوج البروتستانتيين : « أما وقد صرتم من تبعة فرنسا الآن فلا تستطيعون أن تكونوا بروتستانتاً . »

و بينها الوثنية تهاجم النصرانية من هذه الجهة اذ هاجها الاسلام من الجهة الأخرى فان سلطان بامون الذي كان من قبل دعا المبشرين من نفسه ولى وجهه شطر الاسلام و بني جامعاً ودعا جميع تبعته أن يتخذوا الاسلام دينا .

ثم ذكر هذا المبشركيف أن الحكومة الفرنسية أرسلت بعثة لاصلاح هذه الحال ، وماعانوه من الصعاب حتى أعادوا الشيء كماكان أو قريبا مماكان ، وكيف وحدوا بين الحكنائس وأقاموا جبهة واحدة بازاء الاسلام من جانب ، والوثنية من جانب آخر . ثم ختم فصله بقوله :

أما موضوع الاسلام فهو من الطول بحيث لا أقدر أن أفتحه ، فقد سبق لنا أن بين كيف أن نجويا Njoya سلطان البامون ولى وجهه شطر الاسلام ، ولكن اسلامه كان مجزوجاً بعقائد وثنية وأخرى مسيحية . وقد صنف كتاباً يعلن فيه مذهبه وسماه «طريق الحياة » وفى الحقيقة أنه فتيشى ، لم يسلم الا ليكون القائد المطلق لشعبه . ولو لم تكن البعثة الانجيلية قد دخلت فى البلاد ، لر بما كان الاسلام قد عمها . وقد خالطت بنفسى أمة البله الذين فى بامون فوجدتهم مسلمين غير متعصبين وهم على جانب من الوداعة ، فظهر لى أنه يمكننا أن نبذر زرع الانجيل بين هذه الامم التى تغلغل فيها الاسلام ، وان نقف تقدمه بل نهاجه رأساً فى أماكنه فيلزم أن نعيد الى الكنائس الاهلية الصبغة التبشيرية ، ونجعلها دائما تحت سيطرة رسالات الدعاية ولا ننفك عن الدعوة ، ونذكر كنائس سواحل الكامرون بان الاسلام الذى أخنى على جيع كنائس شمالى افريقية ، يمكنه أن يخنى عليها هى ان لم تتدارك هذا الخطر عاجلا . انتهى

وقد اطلعت على كتاب عن المستعمرات الالمانية للاستاذ رور باخ Rohrbach الالماني ذكر فيه بلاد الآداموا من شمالي الكامرون فقال: « ان هذه البلاد هي مركبة من القسم الذي كان يخص المانية من قبل، وأضيف اليه القسم الذي تخلت عنه فرنسا لالمانية بموجب اتفاق ١٩١١. فالآداموا من الجنوب تتصل بالقسم الاعلى من الكامرون، وتشتمل على أعالى بلاد فنو مع النواحي التي بين فنو واراضي لوغونه، التي هي حدود

الالمان من جهدة الاملاك الفرنسية المتاخة لبحيرة تشاد . قال ، وفي هذه الجهات أقوام وطنيون كثيرون هم سلاطين من أنفسهم ، ويقال للسلطان عندهم لاميدوس Lamidos والاهالى منذ عهد طويل هنا هم تحت نفوذ التعليم العربى ، واكثرهم مسلمون . وتوجد مدن مهمة مشل غاروه Garua ، وماروه Marrua ، الى الشهال من فنو . وأعظم امارات بلاد الفلاحين أى المسلمين هي ريبو به Riebnba ، ثم من الآداموا المقتطعة من الاملاك الفرنسية بموجب اتفاق سنة ١٩١١ مدينة ليرة Lere ، و بندر Binder ، وعلى الحدود الالمانية من جهة لونغو نه مدينة كوسرى Kusseri ، وفي الشهال على بحيرة تشاد بلدة المونغو الالمانية من جهة لونغو نه مدينة كوسرى Kusseri ، وفي الشهال على بحيرة تشاد بلدة المونغو عظيمة ، و يستخرجون زيت الزيتون والسمسم والقطن بكثرة ، وعندهم مواسم حبوب مترقية ، وهم يتفننون بها و يكتسون منها ، ولا شك أن للا داموا مستقبلا عظيما من مترقية ، وهم يتفننون بها و يكتسون منها ، ولا شك أن للا داموا مستقبلا عظيما من جهة زراعة القطن .

ثم ذكر بلاد الطوغو من مستعمرات المانية فى خط الاستواء ، وقال ان الاسلام فيها هو فى تقدم مستمر ، ونشر صورة مسجد اسلامى فى مدينة سانزانه مانغو Sansane فى شمالى الطوغو . »

وقد ورد فى كتاب يسمى « المملكة الاستعمارية الألمانية » كلام طويل ، على مسامى الكامرون وأواسط افريقية نلخص منه مايأتى :

« انه فى القرون الوسطى ، كانوا فى شهالى افريقية يعتقدون بوجود شعوب زنجية سمراء فى بلاد التوارق العليا والتيبستى من جهة وادى دراعة وقزان ، ويظن الرحالة الألمانى ناختيغال Nachtigal ، ان هؤلاء هم الذين يقال لهم كارامانت Karamant ، وكان قد ذكرهم هير ودوتس المؤرخ . ولما فتح العرب شهالى افريقية جاء قسم من البربر وأجلوا الغو بير Gobir الذين هم من أطراف أمة الحاوسة الحاضرين الى السودان فامتدوا هناك وأسسوا الامارات السبع التي ير وون انها كانت للحاوسة ، فأما الامارات الخارجة عنهافيظن انها ممالك الأمم التي غلب الحاوسة عليها و يرجح كون مملكة كانم أقدم من ممالك الحاوسة وفى القرن الثانى عشر للسيح ، جاء الاسلام ودخل بقوة عظيمة ، وانتشر فى جنو بى بحيرة تشاد وفى غربيها ، و بعد حروب شديدة مع أمة تسمى الايز و Eso ، انتهى الأمر بتغلب

الاسلام . وفي الفرن الرابع عشر والخامس عشر ، استولى البولالا Bulala ، الذين هم من أصل عربي سوداني مختلط على الكانم. وتراهم اليوم يسكنون في الجنوب الشرقي من بحيرة تشاد، وقد تمكنوا من بو رنو الى الغرب من البحيرة، وباختلاط هؤلاء مع الايز و المار ذ كرهم تولد الجيل المسمى بالكانوري Kanuri ، ثم عظمت سلطنة بورنو في القرن السادس عشر ، والسابع عشر ، والثامن عشر الى أن سقطت حديثًا(١). وقدحقق المؤرخ دسبلاغنس Desplages انه في سنة ١٢٠٠ عاء شعب من أصل بربري ، وأجلب نحيله على غربى السودان ، وكان اسمه السوسو ، وكان شعارهم على أسلحتهم الافعى . ويظن انهم أنفس الهيكسوس خرجوا من وادى النيل الى شرقى السودان فهؤلاء السوسو يحتمل أن يكونوا هم أنفس الايزو الذين في مدة أربع سنوات قتلوا أربعــة من ملوك بورنو. والرحالتان بارت وناختيغال يظنان وقوع هذا الحادث في القرن الرابع عشر. وعلى كل حال فان عددا من القبائل العربية جاءوا من شرقي السودان ، وانتجعوا البلاد الواقعة جنوبي بحيرة تشاد ، واستقروا في دارفور وواداي واختلطوا بأهلهما ، وهم أصحاب البـــلاد لهذا العهد. ثم جاء شعب آخر من الغرب من بلاد السنيغال ، وهو الشعب الذي يقال له الفولبه واشتهر باسم الفلانه ، فهؤلاء أسسوا بلاد الكامرون ، ويظن بارت أن أصلهم من جنو بى مراكش، ويقول دسبلاغنس انهم بدو من القبائل الرحل في الصحراء فمنذ عدة قرون جاء هؤلاء من السنيغال وأوطنوا بلاد تشارى رعاة لمواشيهم .

وسنة ١٨٠٦ حصل انقلاب فى مملكة سوكوتو ، أساسه حركة زعيم دينى اسمه الشيخ عثمان يوديو ، وظهر من الفولبه هؤلاء تعصب شديد فى الاسلام ، وتأسست حكومة أمراء ممتدة من النيجر الى البلاد العالية ، الى جنو بى بلاد الاداموا . وصارت سكوتو هى العاصمة وصار تحت حكم سكوتو عدة مماك ، من جلتها الاداموا التى كانت عاصمتها يولا المال وكان من توابعها مدينتا تيباتى Tibati و ناغاومدره Nagaumdere ، وخضع لمملكة الاسلام جانب من الوثنيين . وجرت حروب كثيرة بين أمة الفولبة ومملكة بو رنو ، حضر بعض وقائعها الرحالة الانجليزى دنهام Denham ، وثبت أهالى مدينتي لره Lere ، ولانقو ، والانحاء الوثنيون أمام الفولبة ، ولكن الفولبه استولوا على ناغا ومدره ، وبانقو ، والانحاء والانحاء

<sup>(</sup>١) على أيدى المستعمر بن الأوربيين

الجنوبية.

ولما سقطت الحكومة المصرية مدة في السودان الشرقي ظهر الأسود المسمى رابح ، وفتح دارفور ، ودار بنده ، ودار يونقه ، ومملكة الباقرمي وبورنو و بلاد بحيرة تشاد ، وأسس سلطنة عظيمة . (وسيأتي خبرراج).

وجاء فى كتاب «المملكة الاستعمارية الألمانية » بمناسبة ذكر الكامرون ، انه يوجد الآن فى جنوبى بحيرة تشاد ، مائة ألف عربى يقال لهم شوا Schua ، جاءوا من أوائل أعصر الاسلام وقد حافظوا على لغتهم طاهرة نقية الى يومنا هذا ، حال كون قبائل عربية أخرى ، جاءت الى الاداموا واندمجت فى الأهالى ، ففقدت لغتها . على انه ممالا ينكر ، ان اللغة العربية تمثل دوراً مهماً فى جيع العالم السودانى الاسلامى ، لكونها لغة مكتوبة ، وهى لغة القرآن .

# السودان

ننقل عن المسيو موريس فال Maurice Wahl معلم التاريخ والجغرافية في مدرسة كوندورسه Condorcet ومفتش المعارف في المستعمرات الفرنسية تحت عنوان كلة «سودان » الفصل الآتي ملخصاً:

« بلاد من افريقية تمتد من الصحراء شمالا الى خط الاستواء جنوبا ، (البحيرات الكبر والكونغو) ومن الاوقيانوس الاطلانتيكي غربا الى الحبشة والبحر الأحر شرقا ، وهو السودان المطلق في الغرب والوسط ، والسودان المصرى في الشرق . فالسودان المطلق اذا دخل فيه ساحل الاطلانتيك مثل السنيغامبيه وغينية العليا ، فساحته ثلاثة ملايين كياو متر مربع واكثره يفاع من الأرض قليل الارتفاع من ٠٠٠ الى ٠٠٠ متر ، فيه بعض سلاسل من الجبال مثل سلسلة فوتاجالون في الغرب تعلو من ١٣٠٠ الى ١٥٠٠ متر ، وسلسلة نياو رى في الجنوب الغربي عاوها ١٨٠٠ متر ، وسلاسل جبال الاداموا وسوكوتو في الوسط وهي تعلو ١٥٠٠ متر ، وجبال دارفور في الشرق ارتفاعها ١٨٣٠ متراً وتهطل الأمطار في هذه البلاد من حزيران (يونيو) الى اكتوبر ، وهي تنقص كلا أخذت شمالا ، وهده الأمطار تملأ الأنهار المسماة بالسنيغال والغامبية والكازامانس وريوغراند ومالا كورى ، في الجنوب ، وأهم الجيع

النيجر، وهناك الشارى والدومادوغو في نواحى بحيرة تشاد. وأما الساحل الاطلانتيكي فهو شواطئ رملية من الرأس الابيض الى الرأس الاخضر، وجبال منقطعة مشرفة على البحر من الرأس الاخضر الى جزيرة شربر والمراسى الجيدة فيه قليلة، والمناخ وبى. وهواء السودان حار مع يبوسة صوب الشهال، ومع رطو بة نحو الجنوب، والحراج الكبار لاتوجد الا في الجنوب الغربي، وأهم المحاصيل الذرة، والارز، والقطن، والتبغ، وهناك من الحيوانات الخيل والبقر والمعزى والغنم والجواميس، ومن المعادن الرصاص والنحاس الحيوانات الخيل والمفضة، و يمكن تقسيم السودان الى أربع مناطق، الاولى في الشهال الغربي وهي السنيغال والبلاد الواقعة شهالى النيجر، وأرضها ليست خصبة. والثانية، بلاد النيجر وجبال كونغ وفو تاجالون، وهي ذات أرضين مروية وهواء مقبول. والثالثة، بلاد الغابات المتاخة خط الاستواء وسواحل غينية. والرابعة، البلاد التي في الوسط سوكوتو والآدامو"ا وغيرها وهي خصبة معمورة.

أما الاهالي فانهم من ١٥ الى ٢٠ مليونا ، منهم سود يقال طم الاولوف Krou والسيرير Bambara والبامياره Bembara والمامياره Sèrères والله والمناتي Sèrères والداهوى الخ في الغرب والجنوب . ومنهم الحاوسه والفانتي Fanti والتوكولور Achantis والسونغاي والسونغاي والساخري في الوسط . ومنهم البهل Peuhls والتوكولور Toucouleurs والبربر والتوارق والعرب في الوسط والشمال . والاكثرية الساحقة في هذه البلدان كلها والبربر والتوارق والعرب في الوسط والشمال . والاكثرية الساحقة في هذه البلدان كلها للاسلام ، والديانة الاسلامية تكسب دائما من أمم الفتيش . وأكثر السودان أصبح الآن مستعمرات للاور بيين ، فالسنيغال وغينية الفرنسية والسودان الفرنسي وساحل العاج والداهوي لفرنسا . والغامبية وسيراليون وساحل الذهب ولا غوس وأراضي شركة النيجر والداهوي لفرنسا . ولمانية بلاد توغو على ساحل غينية . وأما الممالك الاهلية المستقلة بعض الاستقلال ، فهي جهو رية ليبريه (١) على ساحل غينية . وأما الممالك الاهلية المستقلة بعض الاستقلال ، فهي جهو رية ليبريه (١) على الساحل ألبنيوي والنيجر والآداموا جنو بي النيجر ، ومملكة كونغ ، وأملاك ساموي على النيجر ومملكة سوكوتو بين البنيوي والنيجر والآداموا جنو بي النيجر ، وبور نو الي الغرب والجنوب من بحيرة تشاد ، والكانم في الشمال الشرق ، والباقيري في الجنوب الشرق عمتدا الي الشرق من بحيرة تشاد ، والكانم في الشمال الشرق ، والباقيري في الجنوب الشرق عمتدا الي الشرق من بحيرة تشاد ، والكانم في الشمال الشرق ، والباقيري في الجنوب الشرق عمتدا الي الشرق

<sup>(</sup>١) هذه مستقلة عاماً

بو اسطة واداى .

وأما السودان الشرق فهو الواقع شرق البلاد التي ذكرناها ، يشتمل على جميع وادى النيل من غوندوكورو الى وادى حلفا ماخلا الحبشة ، متوسط ارتفاعه عن سطح البحر . . . متر ، والنيل يخترقه من الجنوب الى الشمال ، منضمة اليه من الشمال انهر بحر الغزال ، ومن الجنوب السوبات وأنهر الحبشة و بحر الازرق والعطبرة . والائهالى نحو عشرة ملايين نسمة وهم سود فى ناحية الجنوب يقال لهم دينكا و بو نغوس ونوير وشياوق ، وعرب و بهل فى دارفور ، وأما فى بلاد النوبة فأجناس مختلطة ، برابرة و بحة و بيشارى ممتزجون بالعرب . ويقال للناحية الجنوبية الشرقية من السودان المصرى بلاد سنار ، وللبلاد التي شمالى النيل الكردوفان وللتي الى الغرب منه دار فور ، وللتي فى الشمال بلاد النوبة » . اه

## سو کو تو

وقال الجغرافي المذكور عن مملكة سوكوتو:

« مملكة في السودان بين النيجر الأدنى والبنيوى ، مستوية في الشمال ، مضرسة في الجنوب ، يرويها نهرا سوكوتو وكومادوقو الصادران من بحيرة تشاد ، هواؤها ناشف في الشمال كشير الرطو بة في الجنوب ، زراعتها الارز والقطن وقصب السكر والتمر ، مساحتها ٠٠٠ ألف كياو متر ، وعدد الاهالي ١٠٠ ملايين سود ، من الحاوسه والبهل والتوكولور والسونغاى ، كلهم مسامون ، الا القليل . أعظم مدنهم كانو واورنو وسوكوتو وكفي ابديسانغه seffi - Abdes - senga وياقو باوغومبي . وقد كانت تأسست سلطنة سوكوتو على يد عثمان دانغ فوديه سنة ١٨٠٠ ، ومدت رواقها على جيع الاقطار الواقعة بين تمبكتو و بحيرة تشاد ، فانفصلت عنها فيا بعد مالك بو رنو والاداموا وغاندو ونو بى ، ولكنها لاتزال تعترف بسيادة سلطان سوكوتو الدينية » .

#### بورنو

ثم قال عن مملكة بو رنو مايأتى:

« مملكة في السودان الى الجنوب والغرب من بحيرة تشاد ، بين هذه البحيرة

والصحراء وسوكوتو والآداموا والباقيرى ، مساحتها ٥٠٠ ألف كياو متر مربع ، وأهلها خسة ملايين من جنس الكانورى الذين هم متولدون من اختلاط السود والبربر والعرب . والبلاد خصيبة تجود فيها زراعة القطن ، وفيها الغنم والبقر والخيل والنحل بكثرة ، وأهلها ينسجون الثياب والسجادات ، وعاصمتها كوكا » .

## الباقيرمي

وقال عن مملكة الباقيرمي ما يأتى:

« مملكة من السودان الأوسط الى الجنوب الشرق من بحيرة تشاد ، يسيقها نهر شارى ، واقعة اليوم ضمن منطقة النفوذ الفرنسى ، وأهلها مليون نسمة ، وعاصمتها ماسينيه Massenya ، و يقيم السلطان ببلدة بوقومان على الضفة اليسرى من الشارى » .

### السنيغال

وذ كرعن بلاد السنيغال: « انها ١٥٠ ألف كياو متر مربع ، وان أهاليها مليون وثلاثائة ألف ، من الأولوف والسيرير والبامباره والمالينكه الخ. وقال ان الفرنسيس دخلوا الى السنيغال في القرن السادس عشر ، ولكنهم لبثوا أحقاباً لا يملكون غير سان لويس وارغين وغورى ، ثم أخذوا يوسعون فتوحانهم شيئاً فشيئاً ، ولم تصر السنيغال مستعمرة حقيقية الاسنة ١٨٧٨ ومن السنيغال تبسط الفرنسيس في أواسط افريقية ».

#### واداى

وقال عند ذ كر واداى :

« بلاد فى السودان الأوسط بين دافور من الشرق ، والبرقوات من الشمال ، والكائم والباقيرى من الغرب ، والكونغو الفرنساوى من الجنوب ، مساحتها ، 30 ألف كياو متر مربع ، وأهلها مليونان ونصف مليون سودانيون مختلطون بعرب ، كلهم مسامون والطريقة السنوسية سائدة هناك ، وأرض واداى خصبة فى الوسط والجانب الشرقى منها » .

# كانم

وذ كر عن كانم « أنها الى الشمال الشرقى من بحيرة تشاد ، وان أهلها عرب وتيبو ،

وعددهم مائة ألف وهي اليوم تابعة واداي ». اه.

وللفاضل الأديب الشيخ مجمد بن عمر التونسي ، رحلة الى دارفور وواداي مترجة الى اللغة الفر نسوية بقلم الدكتور پرون Perron مدير المدرسة الطبية في مصر أيام مجمد على وأحد أعضاء الجعية الآسيوية ، وقد تضمنت هذه الرحلة فوائد عظيمة عن تاريخ دارفور وواداي والباقيري وما جاورها ، وأحوالها الاجتماعية والاقتصادية وحروبها الداخلية ، نأثر منها نبذة عما يتعلق بسكان واداى ، الذين بينهم قبائل كثيرة من العرب ، وقد اضطررنا لنقل ذلك من الترجة الفرنسية لعدم وصول يدنا الى الأصل العربي، قال في الصفحة ٧٤٥ : « ان سكان دار صليح ( اسم وادى ) هـم المصاليت والميمة والداجو والـكاشمرة. والقرعان والكوكا والجنادرة والبيرقيد. وكل من هذه الشعوب يسكن في ناحية ، فالمصاليت يسكنون في دار الصباح أي بلاد الشرق وهم انسباء لمصاليت دارفور ، وعددهم كثير سواء في دارفور أو في واداي ، وهم مرابيع القامات شديدو السمرة ، وأكثر بلادهم سهول.وأما أهل واداى الأصليون فيسكنون في وسط البلاد ، ومنهم ينتخب وزراء السلطان وأجناده ، و بلادهم جبلية وأعظمها جبل آبوسنون ، وهم يزعمون أنهم أصل أهل واداى وان سائر أقوام واداى متشعبة منهم ، وهم طوال القامات أشداء كالعالقة . وأما الكشامرة ، فيسكنون على مسافة أر بعـة أيام من « واره » عاصمة واداى ، في واد لطيف تجرى فيه المياه وتسقى أراضيهم ، وهم كثيرو العدد ، وقراهم معمورة جداً ، واذا قرع طبل الحرب. خرج من أصغر قراهم ٥٠٠ رجل شاكي السلاح ، وهم اذا اجتمعوا يشكلون وحدهم جيشاً عظما مع أنهم أطوع من غيرهم للسلطان ، وعندهم وداعة بدون ضعة ، ولونهم بين الأبيض والاسود، ولغتهم تختلف عن سائر لغات أهل واداي . وأما الكوكا فانهم كثير و العدد ، ونساؤهم موصوفة بالجال يضاهين أجل النساء الحبشيات ، وهم طوال رشيقو القدود أقوياء ، مفتولو السواعد ، وقراهم معمورة وأراضيهم مروية ، والسلاطين تتزوج منهم لجال نسائهم.

«وأما القرعان فانهم في شمالي واداي، ونساؤهم أيضاً موصوفات بالجال، وعندهم كثير

من المواشي (١).

«وأما الجادو فانهم في جنوبي دار صليح جيران للكوكا، ولكنهم غلاظ الطباع قريبون للتوحش. ويجاورهم الميمة وهؤلاء في الجنوب. والجنا كرة هم عبيد السلطان، وعددهم وافر ، ومساكنهم الى الجنوب الشرقي من واداى . والبيرقيد هم شرار أهل واداي ليس عندهم عهد ولا صدق ، يقطعون الطرق وينهبون السابلة ، قصار القامات ، وهم سقاط في نظر أهل واداي . وحول واداي تسكن قبائل عربية صريحة ، فن الشرق ، الزبيدية ، وعرب البحر والعريقات ، ثلاث قبائل غنية قوية . وقد حقق لى الفقيه موسى و عيم الزبيدية أخو بدر الدين الامام الذي يصلى بالسلطان صابون صاحب واداى أن الزبيدية هم من زبيد في اليمن ، أصلهم من حير . أما العريقات فقال لي الفقيه مجد أحدهم وهو ترجان السلطان ان أصلهم من العراق ، من سلالة لخم وجـــــــــــــــــــــــ وأما عرب البحر فانهم كثيرو ، العدد ، ينقسمون الى عدة بطون ويلى أمرهم زعيم واحد . والى الشمال من واداى المحاميد ، وهم بطون وأفاذ عديدة ، وعندهم أموال لا تحصى من الابل والخيل وغيرها ، وفي الجنوب يوجد عرب المسيرة والفلان وهم كثيرون جداً ». انتهي بتصرف. وجاء ذكر العرب في محل آخر من هذه الرحلة فيقول في صفحة ٢١ : « ان قبائل الكوكا والكودكو والبيقو والداجو والماوبيه والبيرقيـد والحمات والبنداله والفيرتي في الجنوب والغرب والبرتى والميمة والغيمير والمسمجة والمادافو والبلاله والهليلات في الشمال، والمصاليت في الشمال، وغيرهم ، كل قبيلة منها لها ملك والقبائل العربية التي كلها تسكن أرض وادى أو بعضها مثل السلامات والجعاتنة و بني راشد ، عليهم أيضا مشايخ ، وكالهم تحت نظر ولاة السلطان ، كل زغم أو ملك تابع لوكيل السلطان الذي يليه » . اه .

وكنت سمعت أن سلاطين واداى ينتسبون الى بنى العباس ، وأخبرنى سيدى أحد الشريف السنوسى أن هـنا هو المشهور عند أهل السودان ، وأن أهل واداى لا يدعون على منابرهم الالسلطانهم ولا يعرفون خليفة ولا اماماً غيره. فاما كنت أطالع رحلة الشيخ محد بن عمر التونسى وجدته يشير الى انساب سلاطين دارفور وكردوفان و واداى ، فقال ما يأتى ملخصاً:

<sup>(</sup>١) ذكر لى الاستاذ السنوسي الكبير سيدى أحمد الشريف أن بلاد القرعان هؤلاء تمتـــد الى أطراف الصحراء والى الواح التي هي بلاد السنوسية جنوبي الـكفرة .

« عند ما جئت الى واداى وكنت أصلى الجعة كنت أسمع الخطيب يدعو دائما بنصر السلطان مجد عبد الكريم ابن السلطان مجد صالح بن السلطان محمد جوده ابن السلطان صليح ، فطر لى أن أسأل شيوخ البلاد عن نسب السلطان صليح ومحتده ، فكانت الأجو بة مختلفة ، فبعضهم قال لى انه سناوى أى من أهل واداى الأصليين سكان جبل آبو سنون . ثم لحظت ان ختم السلطان مكتو به عليه هـنه الكلمات « السلطان محمد عبد الكريم ابن السلطان صالح العباسي » فسألت عن كيفية اتصال نسبه ببني العباس ، فبعضهم ذهب الى أنها نسبة غير حقيقية ، وآخر ون وثقوا هذه النسبة ، فسألت العقيد أحد من أكابر رجال الدولة وكان متوقد الذهن واسع المعرفة ، فقال انه عند استيلاء التتار على بغداد انهزم العباسيون الى مصر ، ولما غلبت دولة الماليك على مصر تفرقوا أيضا في الأطراف، فذهب منهم واحد الى الحجاز وولد له ولد سماه صالحا، فلما كبر صالح صادف في مكة حجاجاً من سنار ، وكان فقيها عالماً حكما ورعاً ، مواظباً على الفروض الدينية ، يحبه العلماء والصلحاء ، فأحبه السناريون ورغبوه في زيارة بلدهم ، فجاء الى سنار ، فرأى فيها من الفسق والفجور ما اشمأزت منه نفسه فلم يطل المقام عندهم ، وما زال يضرب في البلاد حتى وصل الى جبل آبوسنون في واداي . وكان أهل هذا الجبل وثنيين ، فأساموا على يده لما رأوا من دينه وصلاحه وارشاده ، وأقاموه رئيسا عليهم وكانوا في كثرة عظيمة ففرض الزكاة على الأغنياء لاعانة الفقراء . ثم دعا الى الجهاد في المشركين ، فأطاعه الذين شرح الله صدورهم للاسلام وغزوا الكفار. الاأن صالحا قدم بين يدى السيف الدعوة باللطف، فأجابه الى الاسلام أربع قبائل كبيرة، قبيلة آبوسنون ثم المالانقه والمادابه والماداله ، وهم أصل مملكة واداى . ولا يمكن أن يكون سلطان الا اذا كانت أمه من إحدى هذه القبائل. ثم يليهم قبيلة آبو داراغ ، ولا تساوى أولئك في الشرف لأن اسلامها وقع متؤخراً . ثم شرع صالح في الجهاد وأخــ الناس يدخلون في دين الله أفواجاً ، فلما اتسع نطاق الاسلام في تلك البلاد ، بو يع صالح سلطانا وصار الملك في أعقابه

قال : «وسمعت من جهة أخرى من الشريف سميح ، ان ملوك واداى ودارفور وكردوفان ، كانوا ثلاثة اخوة من فزارة . وذكر تفاصيل هذه الرواية ولدنه قال ، انه لا يوجد دليل من خطأو من تاريخ مدتوب على شيء من هذه الروايات ، وكلها

مسموعات وأخبار شفو ية غير مو بوقة ، ولكن قال ان الذي اشتهر من سيجايا السلطان صليح أشبه بمناقب الرشيد والمأمون ، في العقل والحزم والكرم وشدة البأس . وعلى كل حال فسواء صحت هذه الرواية أو لم تصح ، فان عهد تأسيس هذه الممالك الثلاث ، واداى ودارفو ر وكردوفان ليس بقديم ، ولا يزيد على مائتي سنة » انتهى

أقول ان صح كون أهل واداى لم يدينوا بالاسلام الا منذ مائتى سنة كما يذهب اليه الفاضل الشريف الشيخ محمد بن عمر التونسى ، فن المقرر ان الاسلام دخل السودان قبل ذلك بكثير . فهذا صاحب صبح الأعشى الذى عاش قبل هذا العهد بنحو خسمائة سنة ، يقول عن أهل برنو انهم مسامون ، ويذكر أنه وصل كتاب من ملك البرنو فى أواخر الدولة الظاهرية (برقوق) يذكر فيه انه من ذرية سيف بن ذى يزن ، الا انه لم يحقق النسب ، فذكر انه من قريش وهو غلط منهم فان سيف بن ذى يزن من أعقاب تبابعة النسب ، فذكر انه من قريش وهو غلط منهم فان سيف بن ذى يزن من أعقاب تبابعة اليمن من حير . قال : وقاعدتهم مدينة «كاكا» بكافين بعدكل منهما ألف ، فيما ذكر لى رسول سلطانهم ، الواصل الى الديار المصرية صحبة الحجيج فى الدولة الظاهرية برقوق .

واليك ماقال عن الكانم: «والكانم بكاف بعدها ألف ثم نون مكسورة ، وميم في الآخر وهم مسلمون أيضاً ، والغالب على ألوانهم السواد . قال في « مسالك الأبصار » : و بلادهم بين افريقية و برقة ، ممتدة في الجنوب الى سمت الغرب الأوسط . ثم نقل عن « مسالك الأبصار » ان أحوال كانم وأحوال أهلها حسنة و ر بما كان فيهم من أخذ في التعليم ، ثم قال نقلا عن « مسالك الأبصار » وسلطان هذه البلاد رجل مسلم قال في « تقويم البلدان » وهو من ولد سيف بن ذي يزن . وقال في « مسالك الأبصار » وأول من بث فيهم الاسلام ، الهادي العثماني ، ادعى أنه من ولد عثمان بن عفان رضى الله عنه وملكها ثم صارت بعده لليزنيين . وذكر في « التعريف » ان سلطان الكانم من بيت قديم في الاسلام ، وقد جاء منهم من ادعى النسب العلوى في بني الحسن أ. قال في « مسالك الأبصار » : وملكهم على حقارة سلطانه وسوء بقعة مكانه ، في غاية لا تدرك من الكبرياء يمسح برأسه عنان السهاء مع ضعف أجناد وقلة متحصل بلاد ، لا يراه أحد الا في العيدين بكرة وعند العصر ، أما في سائر أيام السنة ، فلا يكلمه أحد ولو كان أميراً ، الا من و راء حجاب . قال : والعدل قائم في بلادهم ، و يتمذهبون بمذهب الامام مالك رضى الله عنه ، وهم ذو و اختصار في اللباس بلادهم ، و يتمذهبون بمذهب الامام مالك رضى الله عنه ، وهم ذو و اختصار في اللباس بلادهم ، و يتمذهبون بمذهب الامام مالك رضى الله عنه ، وهم ذو و اختصار في اللباس بلادهم ، و يتمذهبون بمذهب الامام مالك رضى الله عنه ، و يتمذهبون بمذه العمام مالك رضى الله عنه ، و يتمذهبون بمذهبون بمذهب الامام مالك رضى الله عنه ، و يتمذهبون بمذهبون بمذه بالمساه مالك رضى الله عنه و يتمذهبون الأسهاء المالم مالك رضى الله عنه به و يتمذهبون بمذهبون بمذهبون بمذه بالمثان المناء بالمناه با

يابسون فى الدين ، وعسكرهم يتلثمون ، وقد بنوا مدرسة للمالكية بالفسطاط ينزل بها وفودهم » . اه . قلت من كان العدل به قائماً فلا يعد ملكه حقيراً .

#### ملكة مالِّي

ثم ذكر في صبح الأعشى مملكة مالى في السودان قال: « ومالى بفتح المم وألف بعدها لام مشددة مفخمة وياء مثناة تحت في الآخروهي المعروفة عند العامة ببلاد التكرور، قال في « مسالك الأبصار » وهذه المملكة في جنوبي المغرب متصلة بالبحر المحيط. قال في « التعريف » وحدها في الغرب البحر المحيط (١) وفي الشرق بلاد البرنو، وفي الشمال جبل البربر ، وفي الجنوب الهمج » ونقل عن الشيخ سعيد الدكالي: « انها تقع في جنوب مراكش ودواخل بر العدوة ، جنوبا بغرب الى البحر الحيط. قال: وهـذه المملكة هي أعظم ممالك السودان المسامين »: وذكر صاحب « العبر » أنها تشتمل على خسة أقاليم كل اقليم منها مملكة بذاتها. الاقليم الأول اقليم مالى ، واقع بين اقليم صوصو واقلم كوكو. صوصو من غربيه وكوكو من شرقيه. ثم ذكر اقلم صوصو (٢) ثم ذكر اقلم غانة (٣) فقال : « بفتح الغين المعجمة ثم نون مفتوحة وهاء في الآخر وهي غربي اقليم صوصو المقدم ذكره ، تجاور البحر المحيط الغربي ». قال: وقد حكى ابن سعيد: «ان لغانة نيلا شقيق نيل مصر ( هو النيجر ) ، يصب في البحر المحيط الغربي عند طول عشر درج ونصف وعرض أربع عشرة . واليها تسير التجار المغاربة من سجاماسة في بر مقفر ومفاو زعظيمة في جنوب الغرب نحو خسين يوماً ، فيكون بين غانة و بين مصبه نحو أربع درج ، وهي مبنية على ضفتي نيلها هذا. قال في العبر: « وكان أهلها قد أساموا في أول الفتح الاسلامي. وقد ذكر في « تقويم البلدان » أنها مدينتان على ضفتي نيلها احداهما ، يسكنها المسلمون والثانية يسكنها الكفار».

<sup>(</sup>۱) أى الاقيانوس الاطلانتيكي ، والظاهر أن بلاد مالى هى السنيغال ومضافاتها ، فقد مر بك أن الأوربيين يذكرون من أعظم شعوب السنيغال المالينكه ، وبينها وبين كلمة مالى من المشابهة مالا يخفى (۲) تقدم ذكر أمة السوسو تقلا عن بعض مؤرخى الافرنجة وذهاب بعصهم الى انهم من الهكسوس ، وقال ربما أبدلوا الصاد سينا مهملة (۳) هى التي تقول لها الافرنجة غينية

ثم ذكر اقليم كوكو وقال ان ملكها قائم بنفسه ، له حشم وأجناد وقواد وزى كامل، قال : وقاعدته مدينة كوكو بفتح الكاف وسكون الواو وفتح الكاف الثانية وسكون الواو بعدها ، وموقعها فى الجنوب عن الاقليم الأول ، قال ابن سعيد حيث الطول أر بعوأر بعون درجة والعرض عشر درج قال : وهى مقر صاحب تلك البلاد . قال : وهو كافر يقاتل من غر بيه من مسلمى غانة ومن شرقية من مسلمى الكانم . وذكر المهلبى فى العزيزى أنهم مسلمون و بينها و بين مدينة غانة مسيرة شهر ونصف » .

وذكر بلاد التكرور وهي الاقليم الخامس . قال في « الروض المعطار » وهي مدينة على النيل على القرب من ضفافه . قال : « و بينها و بين سجاماسة من بلاد المغرب أر بعون يوما بسير القوافل. وأقرب البلاد اليها من بلاد لمتونة بالصحراء (آسني) بينهما خس وعشر ون مرحلة » . قال في « مسالك الأبصار » انهذه المملكة تشتمل على أر بعة عشر اقلما وهي : غانة وزافون وترنكا وتكرور وسنغانه وبانبغو وزرنطابنا وبيترا ودمورا و زاغا و كابرا و براغودى و كو كو ومالى . قال : وفي شمالى بلاد مالى ، قبائل من البربر بيض. ماقاله صاحب « العبر » وهو : ان هذه الممالك كانت بيد ملوك متفرقة ، وكان من أعظمها مملكة غانة ، فلما أسلم الملثمون من البربر تسلطوا عليهم بالغزو ، حتى دان كثير منهم بالاسلام ، وأعطى الجزية آخرون . وضعف بذلك ملك غانة واضمحل ، فتغلب عليهم أهل صوصو المجاور ون لهم وملكوا غانة من أيدى أهلها . وكان ماوك مالى قددخاوا في الاسلام من زمن قديم . قال : ويقال ان أول من أسلم منهم ملك اسمه « برمندانه » ثم حج بعد اسلامه ، فاقتنى سننه في الحيج ملوكهم من بعده . ثم جاء منهم ملك اسمه « ماري جاظه » ومعنى مارى الأمير الذي يكون من نسل السلطان ، ومعنى جاظه الأسد ، فقوى ماكه وغاب على صوصو وانتزع ما كان بأيديهم من ملكهم القـديم، وملك غانة الذي يليه الى البحر المحيط ، شمملك بعده ابنه « منساولي » ومعنى منسا بلغتهم السلطان ، ومعنى ولى على . وكان من أعظم ملوكهم. وحج أيام الملك الظاهر بيبرس صاحب مصر. ثم ملك بعده أخوه « والى » ثم ملك بعده أخوه « خليفة » وكان أحق ، فوثب عليه أهل مملكته وقتلوه . ثم ولى عليهم سبط من أسباط مارى جاظه المقدم ذكره ، اسمه أبو بكر. ثم تغلب على الملك

مولى من مواليهم اسمه « ساكبوره » ويقال « سيكره » فاتسع نطاق مملكته وغلب على البلاد المجاورة له ، وفتح بلاد كوكو واستضافها الى مملكته ، واتصل ملكه من البحر الحيط الغربى الى بلاد التكرور ، وحج أيام السلطان الناصر محمد بن قلاون ورجع فقتل فى أثر عوده .

وملك بعده «قو » ابن السلطان مارى جاظه : ثم ملك بعده محمد بن قو . ثم انتقل الملك من ولد مارى جاظه الى ولد أخيه أبى بكر ، فولى منهم « منسى موسى » بن أبى بكر قال فى « العبر » وكان رجلا صالحا وملكا عظيما ، له أخبار فى العدل تؤثر عنه وعظمت المملكة فى أيامه الى الغاية ، وافتتح الكثير من البلاد . قال فى « مسالك الأبصار » حكى ابن أمير حاجب والى مصر عنه ، انه فتح بسيفه أر بعاً وعشرين مدينة من مدن السودان أبن أمير حاجب والى مصر عنه ، انه فتح بسيفه أر بعاً وعشرين مدينة من مدن السودان ذوات أعمال وقرى وضياع . قال فى « مسالك الأبصار » قال ابن أمير حاجب : سألته عن سبب انتقال الملك اليه فقال : « ان الذي كان قبلي كان يظن ان البحر الحيط له غاية تدرك فيهزمئين سفن وشحنها بالرجال والأز واد التي تكفيهم سنين ، وأم من فيها أن لايرجعوا مقدمي بلغوا نهايته أو تنفذ أزوادهم ، فغابوا مدة طويلة ثم عادت منهم سفينة واحدة، وحضر مقد"مها ، فسأله عن أمرهم . فقال : سارت السفن زماناً طويلا حتى عرض ها فى البحر في وسط اللجة واد له جرية عظيمة ، فابتلع تلك المراكب وكنت آخر القوم فرجعت بسفينتي ، فإيصدقه ، فهز الني سفينة الفا للرجال وألفا للأز واد ، واستخلفي وسار بنفسه ليعلم حقيقة ذلك . فكان آخر العهد به و بمن معه ».

قلت: ان صحت هذه الرواية ولايوجد دليل على كذبها ، فيكون المسلمون قد عاولوا اكتشاف القارة الجديدة مرتين ، أولاهما ، عند ما أبحر الاخوة المغرورون من اشبونة عاصمة البرتقال موغلين في بحر الاطلانتيك ، والثانية ، على يد هذا الملك الذي حاول هذا الأمر مرتين وذهب في سبيله شهيداً .

قال في « العبر » وكان حج الملك منسى موسى سنة أربع وعشرين وسبعمائة في. الأيام الناصرية ( محمد بن قلاون )

قال في « مسالك الأبصار » قال لى المهمندار خرجت للتقاه من جهـة السلطان ،

فأكرمني اكراماً عظيماً وعاملني بأجل الآداب، ولكنه كان لا يحدثني الا بترجان، مع اجادته اللسان العربي. قال: ولما قدم، قدم للخزانة السلطانية حلا من التبر، ولم يترك أميراً ولارب وظيفة سلطانية الاو بعث اليه بالذهب، وكنت أحاوله في طلوع القلعة للاجتماع بالسلطان حسب الأوامر السلطانية . فيأبي خشية تقبيل الأرض للسلطان و يقول : « جئت المحج لا لغيره » . ولم أزل به حتى وافق على ذلك . فلما صار الى الحضرة السلطانية قيل له: قبل الأرض، فتوقف وأبي اباء ظاهراً . وقال : «كيف يجوز هـذا ؟ » فأسر" اليه رجل كان الى جانبه كلاما . فقال : « أنا أسجد لله الذي خلقني وفطرني ثم سجد » وتقدم الى السلطان. فقام له بعض القيام وأجلسه الى جانبه وتحدثا طويلا. ثم قام السلطان موسى فبعث اليه السلطان بالخلع الكاملة له ولا صحابه ( وأفاض في وصف الخلع ) ولما آن أوان الحج بعث اليه بمبلغ كبير من الدراهم ، وهجن جليلة كاملة الاكوار والعدة لمركبه ، وهجن اتباع لا محابه وأزواد جمة ، و ركز له العليق في الطرق ، وأمر أمير الركب باكرامه واحترامه. ولما عاد بعث الى السلطان من هدية الحجاز تبركا، فبعث اليه بالخلع الكاملة له ولا محابه. وذكر عن ابن أمير حاجب والى مصر انه كان معه مائة حلذ هبا أنفقها في سفرته تلك على من بطريقه الى مصر من القبائل ، ثم بمصر ، ثم من مصر الى الحجاز توجها وعوداً حتى احتاج الى القرض ، فاستدان على ذمته من تجار مصر عا لهم عليه فيه المكاسب الكثيرة ، بحيث يحصل لأحدهم في كل ثلاثمائة دينار سبعائة دينار ربحاً ، و بعث اليهم بذلك بعد توجهه الى بلاده. قال في « العبر » ودام ملكه خساً وعشرين سنة ومات فلك بعده ابنه « منسامغا » ومعنى مغا عندهم مجد يعنون السلطان محمداً ، ومات لار بع سنين من ولايته . وملك بعده أخوه « منسا سليمان بن أبي بكر » . قال في « مسالك الابصار » واجتمع له ماكان أخوه افتتحه من بلاد السودان وأضافه الى يد الاسلام ، و بني به المساجد والجوامع والمنارات ، وأقام به الجمع والجماعات والأذان ، وجلب الى بلاده الفقهاء من مذهب الامام مالك رضى الله عنه ، وتفقه في الدين . قال في « العبر » ودام ملكه أر بعاً وعشر بن سنة ، ثم مات وولى بعده ابنه «قنبتا بن سلمان » ومات لتسعة أشهر من ملكه . وملك بعده « مارى جاظه » بن منسامغا بن منسى موسى ، فأقام أربع عشرة سنة أساء فيها السيرة ، وأفسد ملكهم ، وأتلف ذخائرهم بسرفه وتبذيره ، حتى

انتهى به الحال فى السرف ، أنه كان بخزائنهم حجر ذهب زنته عشرون قنطاراً منقولا من المعدن من غير سبك ولا علاج بالنار وكانوا يرونه من أنفس ذخائرهم لندور وجود مثله فى المعدن ، فباعه على تجار مصر المترددين اليه بأبخس ثمن وصرف ذلك كله فى الفسوق ، وكان آخر أمره أن أصابته علة النوم وهو مرض كثيراً ما يصيب أهل تلك البلاد ، لا سيا الرؤساء منهم ، يأخذ أحدهم النوم حتى لا يكاد يفيق ، فأقام به سنتين حتى مات سنة خس وسبعين وسبعائة .

وملك بعده ابنه موسى ، فنكب عن طريق أبيه وأقبل على العدل وحسن السيرة . وتغلب على دولته وزيره «مارى جاظه » فجره وقام بتدبير الدولة ، وكان له فيها أحسن تدبير . و بقي « منسا موسى » حتى مات سنة تسع وثمانين وسبعائة . وملك بعده أخوه « منسا مغا » وقتل بعده بسنة أو نحوها . وملك بعده « صندكى » زوج أم موسى المقدم ذكره ومعنى صندكى الوزير ووثب عليه بعد أشهر رجل من بيت مارى جاظه . ثم خرج من ورائهم من بلاد الكفرة رجل اسمه مجمود ، ينسب الى « منساقو بن منسا ولى بن مارى جاظه » ولقبه منسا مغا ، وغلب على الملك في سنة ثلاث وتسعين وسبعائة قال في «التعريف» وصاحب التكرورهذا يدسمي نسبا الى عبد الله بن صاحل بن الحسن بن على بن أبي طالب كرم الله وجوههم . قلت : هو صالح بن عبد الله بن موسى بن عبد الله أبي الكرام بن موسى الجون ابن عبد الله بن حسن المثني بن الحسن السبط بن أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه . وقد ذكر في تقويم البلدان «أن سلطان غانة ، يدعى النسب الى الحسن بن على عليهما السلام ، فيحتمل أنه أراد صاحب هذه الملكة ، لأن من جلة من في طاعته ، غانة . » . التهى بعض تصرف .

فأنت ترى ما للاسلام فى تلك الديار من القدم ورسوخ القدم . وجاء فى « الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى » تحت عنوان « تلخيص القول فى سودان المغرب والاشارة الى ممالكهم ودولهم من لدن الفتح الاسلامى الى هذا التاريخ » ما يأتى :

« اعلم أن هؤلاء السودان هم من نسل عام بن نوح عليه السلام باتفاق النسابين والمؤرخين ، و يجاور البربر بأرض المغرب منهم أمم كثيرة من أعظمها أهل مملكة غانة ، وهم المتصاون بالبحر المحيط من جهة الغرب على مصب النيل السوداني فيه . وتتصل بهم من « ه س \_ ثالث »

جهة الشرق أمة أخرى تعرف بصوصو (بصادين أو سينين مهملتين مضمومتين) ثم بعدها أمة أخرى يقال لها مالى ، ثم بعدها أمة أخرى تسمى كوكو ويقال كاغو ، ثم بعدها أمة أخرى تعرف بتكرور ويقال لها أيضاً سغاى (١) ثم بعدها أمة أخرى تدعى كانم ، وهو أهل مملكة برنو المجاورة لافريقية من جهة قبلتها ، ثم بعدها أرض النو بة المجاورة لبلاد مصر ، فأما أهل غانة فقد كانوا في صدر الاسلام من أعظم أمم السودان، أساموا قديماً وكان لهم ملك ضخم ، وكانت حاضرة ملكهم هي غانة ، وهي مدينتان على ضفتي النيل السوداني من أعظم مدن العالم وأكثرها عمراناً ، ذكرها صاحب نزهة المشتاق (الشريف الادريسي) وصاحب المسالك والمالك وغيرهما. وقال الفقيه الأديب أبو العباس أحد بن عبد المؤمن القيسى الشريشي في شرح المقامات الحريرية ما نصه: غانة بلد من بلاد السودان وأليها ينتهي التجار (يعني من المغرب) والمدخل اليها من سجاماسة ومن سجاماسة اليها ذها بأ مسيرة ثلاثة أشهر ، ومن غانة الى سجاماسة اياباً مسيرة شهر ونصف ، وسبب ذلك أن الرفاق تتجهز اليها من سجاماسة بالأمتعة والأثقال فتباع في غانة بالتبر ، فن سافر اليها بثلاثين حلا يرجع منها بثلاثة أحمال أو بحملين ، واحد لركوبه ، وثان للماء بسبب المفازة التي في. طريقها الخ. الى أن قال: والاماء فيها قد جعل الله فيهن من الخصال الكريمة في خلقهن وخلقهن فوق المراد ، من ملاسة الأبدان وتفتق السواد وحسن العينين واعتدال الأنوف و بياض الأســنان وطيب الروائح . اه . وقال ابن خلدون كان في غانة فما يقال ملك و دولة لفوم من العلويين ، يعرفون ببني صالح . قال صاحب الاستقصا الشيخ أحمد الناصري السلاوي : ثم ان أهل غانة ضعف ملكهم وتلاشي أمرهم في المائة الخامسة ، واستفحل أمر الملثمين المجاورين لهم من جهة الشمال مما يلى البربر ، وزحف اليهم الأمير أبو بكربن عمر اللَّتُونَى فَاتِحِ المغربِ ومستخلف يوسف بن تاشفين عليه ، فلما رجع الأمرير أبو بكر الى الصحراء غزا بلاد السودان وفتح منها مسيرة ثلاثة أشهر ، واقتضى منهم الأتاوات ، وحمل الكثير منهم ممن لم يكن أسلم قبل ذلك على الاسلام ، فدانوا به . ثم اضمل ملك أهل غانة بالـكلية ، وتغلب عليهم أهل مملكة صوصو الجـاورين لهم ثم ان أهل مالى كثروا أمم السودان في نواحيهم تلك واستطالوا على الأمم المجاورين لهم فغلبوا على صوصو ، وملكوا

<sup>(</sup>١) مر بك ذكر السونناي في ما تقلناه عن كتب الأوربيين

ما كان بايديهم و بايدي أهل غانة ، ثم افتتحوا بلاد كوكو وأضافوها الى ملكهم وصارت دولة مالى متصلة فما بين غانة في الغرب وأرض التكرور في الشرق ، واعتز سلطانهم وهابتهم أمم السودان ، ومن هذه الدولة كان السلطان منسا موسى بن أبي بكر وأخوه منسا سلمان اللذان كان بينهما و بين السلطان أبي الحسن المريني (صاحب المغرب) من المهاداة والمواصلة ما تقدم ذكره (١) ، وكان مع السلطان منسا موسى المذكور ، الأديب الشاعر أبو اسحاق الطويجي الأندلسي الذي بني له القبة المربعة ، العجيبة الصنعة ، البديعة النقش والتخريم ، التي أجازه عليها باثني عشر ألف مثقال من التبر ، وغير ذلك مما من في أخبار الدولة المرينية. وكان منها أيضا السلطان مارى زاطه (٢) ، الذي هادى السلطان أبا سالم المريني وأغرب عليه بالزرافة حسما تقدم ، قالوا وكان هـذا السلطان مسرفا مبذراً بحيث أفسد ملكهم وأتلف ذخيرتهم (٣) ، ثم مات عرض النوم . ثم توارث بنوه الملك من بعده ، فكانوا في تراجع وانتقاص الى أن انقرض أمرهم شان غيرهم من الدول ، وظهرت دول آل سكية من أهل مملكة كوكو ، ويقال كاغو. قال الامام التكروري في كتابه « نصيحة أهل السودان »: ان آل سكية أصلهم من صنهاجة وملكو اكثيرا من بلاد السودان ، وأول ملوكهم الحاج محمد سكية ( بضم السين وسكون الكاف بعدها ياء مفتوحة ثم هاء تأنيث) وكان الحاج محمد المذكور رحل في أواخر المائة التاسعة الى مصر والحجاز، بقصد حج بيت الله الحرام و زيارة قبر نبيه عاليه ، فلقي بمصر الخليفة العباسي ، اذ كان رسم الخلافة العباسية لا زال قائمًا بها يومئذ، حتى محاه السلطان سلم العثماني أيام تغلبه على مصر سنة ثلاث وعشر بن وتسعائة ، فلما اجتمع الحاج محمد سكية بالخليفة المذكور طلب منه أن يأذن له في امارة بلاد السودان، وان يكون خليفت هناك ففوض اليه الخليفة العباسي النظر في أمر ذلك الاقليم وجعله نائبه على من و راءه من المسلمين ، فرجع الحاج محمد سكية الى بلاده وقد بني أمر رياسته على قواعد الشريعة ، وجرى على منهاج أهل السنة ، ولقي بمصر أيضا الامام شيخ الاسلام حافظ الحفاظ جلال الدين السيوطي فاخذ عنه عقائده ، وتعلم

<sup>(</sup>١) ومنسى موسى هو الذي حج ومر بمصر في أيام الناصر ابن قلاوون حسبا تقدم

<sup>(</sup>٢) وفى صبح الأعشى يقول مارى جاظه

<sup>(</sup>٣) وتقل الحكايات التي نقلناها عن صبح الأعشى

منه الحلال والحرام ، وسمع عليه جلا من آداب الشريعة وأحكامها وانتفع بوصاياه ومواعظه. فرجع الى السودان ونصر السنة ، وأحيى طريق العدل ، وجرى على منهاج الخليفة العباسي في مقعده وملبسه وسائر اموره ، ومال الى السيرة العربية وعدل عن سيرة العجم ، فصلحت الأحوال ، وكان الحاج محمد المذكور سهل الحجاب ، رقيق القلب ، خافض الجناح ، شديد التعظيم لائمة الدين ، محبا للعاماء مكرما لهم ، ولم يكن في أيامــه كلها بؤس ولا بأس ، بل كانت رعيته في خفض عيش وأمن سرب ، وفرض عليهم شيئًا خفيفاً من المغارم وظفه عليهم ، و زعم انه ما فعل ذلك حتى استشار الامام السيوطي شيخه ، ولم يزل على سيرته المـذكورة الى أن اخترمتـه المنية. فقام بالامر بعده ولده داود بن مجمد، فاحسن ما شاء وتبع سيرة أبيه الى أن لحق بربه. فقام بالامر بعده ولده استحاق بن داود فعدل عن بعض سيرة أبيه واستمر حاله الى أن غزته جيوش المنصور (١) ، فنقضت ملكه ونثرت سلكه ، وانقرض آل سكية بعد أن كان تحت طاعتهم مسيرة ستة أشهر من بلاد السودان. وأما مملكة تكرور وكانم فقال ابن خلكان ، ان كانم ( بكسر النون) جنس من السودان وهم بنو عم تكرور، وكل واحدة من هاتين القبيلتين لا تنسب الى أب ولا أم، وانما كانم اسم بلدة بنواحي غانة، وتكرور اسم للارض التي هم فيها. قال في الاستقصا انه كان لاهل كانم مع الدولة الحفصية ( بتونس ) في المائة السابعـة وما بعـدها ، مهاداة ومواصلة كما كان لاهل مالى مع بني مرين. ونقل عن الشيخ أحد بابا السوداني من تقييده المسمى بمعراج الصعود ، أن أهل السودان اسلموا طوعا بلا استيلاء أحد عليهم ، كاهدل كانو وكنتي و برنو وسنغاى ، ماسمعنا قط ان أحداً استولى عليهم قبل اسلامهم ومنهم من هم قدماء الاسلام كاهل مالى أسلموا في القرن الخامس أو قربه ، وكاهل برنو وسنغاى. اه. قال وقد عامت ان أهل غانة تقدم اسلامهم على هذا التاريخ

وقال المسيو اندرى آرسين André Arcin مدير القلم المخصوص بوالى غينية في كتابه المسمى غينية الفرنسية La Guiné Française المطبوع سنة ١٩٠٧، ان احد بابا المند كور، يزعم انه سنة ٢٠ لهجرة ، كان في مدينة غانة العظيمة لا أقل من ١٢ جامعا ولكن في هذا القول مبالغة عظيمة ، والارجح أن مملكة السونغاى لم تدخل في الاسلام

<sup>(</sup>١) السعدي صاحب المغرب

الا في القرن الحادي عشر (١).

اما ياقوت الجوى فيقول في معجم البلدان عن أهل كانم انهم سودان مشركون ، وقد كان ياقوت في أواخر القرن السادس الى أوائل السابع فيظهر أن اسلام أهل كانم أحدث عهداً من اسلام أهل مالى وغانه ، أو ان خبر اسلامهم لم يبلغ ياقوت في وقته . وذكر ياقوت شاعراً بمراكش اسمه الكانمي ، كما أن صاحب الاستقصا ذكر شاعراً هو أبو اسحاق ابراهيم بن يعقوب الكانمي الذي أنشد المنصور الموحدي قوله : — أبو اسحاق ابراهيم بن يعقوب الكانمي الذي أنشد المنصور الموحدي قوله : — أن المحابة في حجاب

أزال حجابه عنى وعينى تراه من المهابة فى حجاب وقر بنى تفضله ولكن بعدت مهابة عند اقترابى

قلت أظن الشاعر الكانمي الذي ذكره ياقوت هو هـذا الذي ذكره صاحب الاستقصا لأن عهد ياقوت هو عهد الموحدين ، وأما هذا المعنى الذي نظمه فقد أخطر ببالى من شعر الحداثة قصيدة نظمتها وأنا ابن ست عشرة سنة ومنها:

لقد أنا ك بالقدر التدانى وقد أدناك بالحب التناءى توقد شدة وتذوب لطفاً كطبع السيف من نار وماء

وذكر صاحب الاستقصا من علماء برنو ، الشيخ العارف بالله أبا مجمد عبد الله البرنوى شيخ الولى الكبير أبى فارس عبد العزيز الدباغ قال ، وكان فيهم العلماء والصلحاء والادباء والشعراء .

وذكر صاحب الاستقصا دخول ملك برنو في طاعة السلطان المنصور السعدى صاحب المغرب في خبر طويل نقلا عن « مناهل الصفا » خلاصته أنه في سنة تسعين وتسعائة ، ورد على المنصور الخبر وهو بمدينة فاس بقدوم رسول ملك برنو ، ومعه هدايا مما جرت عادتهم بأن يجلبوه من فتيان العبيد والاماء وكسى السودان وطرفه . وكان من ذلك عدد كثير يناهز المئين . فوافي المنصور بعسكره على رأس الماء من ساحة فاس ، وكان يوم ملاقاته يوما مشهوداً حسناً وأبهة وجلالة ، جلس بالقبتين التوأمتين المضروبتين أمام السياج المحيط بقبابه واستوقف الموالي والماليك سماطين من التوأمتين الى القبة العربية ، ثم منها الى فسطاط الجاوس المعاوم بالديوان ، ثم منه الى باب المعسكر القبلي وأتي بالرسول يخترق السماطين حتى نزل

<sup>(</sup>١) أي القرن الخامس للهجرة

بالديوان، وكان الملا من أكابر الدولة وصدور المملكة جاوساً ، وكرسي المملكة وسرير الخلافة منصوبا به ، والمهابة قد اخرست الألسن وأخشعت القاوب والأبصار ، فجلس الرسول هنالك ملياً ، ثم توجه به على سبيل الترقى الى القبة العربية فجلس بها ، ثم جاء الاذن الكريم بايصاله الى مقر أمير المؤمنين بالتوأمتين فوقف بين يديه وتشرف بالنظر الى طلعته السعيدة ، فأدى الرسالة وقضى فرض التهنئة وسنة الهدية وأعرب عن مقاصد مرسله ، واعترف للملكة العظيمة بحقها ، وأظهر من الخضوع والاستكانة والطواعية ما أوصاه به مرسله ثم توجه به الى معسكر ولى العهد تاج الاسلام ، وكافل الأمة بعد والده المولى الامير أبي عبد الله محمد الشيخ المأمون بالله ، وكان لصق معسكر أمير المؤمنين برأس الماء. فأشرف الرسول على دنيا اخرى ، وأبهة مدهشة ، ومحلة هائلة ، فوقف موقف الحيرة واستدرج الى أن وصل لقباب ولى العهد ومضاربه ، وكان قد قعد له بفسطاط جاوسه افم قعود ، ولما استؤذن عليه و وقف بين يديه ، حيى وفد ي وانصرف عنه الى محل نز وله بالقصبة من فاس ، وأدر عليه من الانعام والاكرام ما لم يكن له في حساب. وكان من أغراض الرسالة التي أنفذه بها سلطانه طلب المدد من أمير المؤمنين بالعساكر والاجناد وعدة البندق ومدافع النار، لجاهدة من يليهم بقاصية السودان من الكفار . وكان هذا الرسول قد وفد من قبل على سلطان الترك بالاصطنبول السلطان مراد العثماني ، يطلب منه المدد لجهاد كفار السودان ، واخفق سعيه ولم يحصل على طائل ، فوجهه في هذه النو به الى ملك المغرب يطلب منه المدد ، فكان الذي دل عليه الكتاب خلاف ما دل عليه كلام الرسول ، جر اليهم ذلك توغلهم في الجهل ، وعدم من يحسن الاعراب عن مقاصدهم من فرسان الانشاء ، اطموس معالم العلوم عندهم على الجلة. وقارن ذلك ما كان من توجيه أمير المؤمنين عساكره لتدويخ قطرى توات وتكورارين وأمل أن يحعلهما ركابا لبلاد السودان ، والاستيلاء على ممالكها التي وجـه اليها عساكره بعـد ذلك . فبلغت مملكة مالى الى أن وردت من نيلها على مائة مرحلة من ثغور المغرب. فاغتنم المنصور لذلك اختلاف الرسول والرسالة ، و بني عليــه ما اعتد به على صاحب برنو ، ورجع الرسول الى مرسله بعد مكافأته ، وتوجيه هدية من عتاق الخيــل بكسى من ملابس الخــلافة ، واسباب أخر . ولما بلغ الرسول ، والتي المعذرة ، الى سلطانه ، استأنف الهدية واعرب اذ ذاك عن مراده ، ورد الرسول ثانية الى باب امير المؤمنين

غوافاه بحضرته ودار خلافته من مراكش ، فازال اللبس و بين الغرض ، فلما تحقق المنصور بقصده ، صدع له بالحق والدعاء الى التي هي أقوم ، وطالبهم بالبيعة له والدخول في دعوته النبوية ، التي أوجب الله عليهم وعلى جيع العباد الانقياد اليها ، وقر ر لهم بلسان السنة الناطق والكتاب المنزل على جده الصادق ، ان الجهاد الذي ينتحلونه ويظهر ون الميل اليه لا يتم لهم فرضه ، ولا يكتب لهم عمله ما لم يشدوا في أمرهم إلى اذن من امام الجاعـة الذي اختص الله أمير المؤمنين بوصفه ، اذ هو الكافل لهذه الأمة و وارث تراث النبوة ، وقيضه الله خلافة بيضة الاسلام ، وخصه بالشرف القرشي ، الذي هو شرط في الخيلافة باجماع من علماء الاسلام ، وائمة السنة الاعلام ، والزمهم القيام في اقطارهم بدعوته. ومجاهدة اعدائهم الكفار بكلمته ، وعلق لهم أيده الله (١) الامداد على البيعة والوفاء بهذا الشرط، فالتزمه الرسول و زعم أيضا عن سلطانه بالقبول والاجابة ، وطلب من السلطان نسخة يتوجه بها من صورة البيعة اذ ليس ببلدهم من يحسن الانشاء ، فانشأها كاتب الدولة ابو فارس عبد العزيز الفشتالي ونصها: « الجديلة الذي أعلى لكلمة الحق منارا ، يسامي في مطالعها النجوم ، وزاح بها عن شمس الهداية المنيرة ، غياهب الغباوة المدلهمة ، وسحاب الغواية المركوم» الخ وارساوا نص البيعة الى السلطان أبي العلا صاحب مملكة برنو. وانتخب المنصور رسولا عارفا مجربا ممن لهم بصيرة باحوال السودان فبعثه معهم عينا يأتيه باخبار البلاد حتى كأنه يشاهدها. و بعث معه رسالة الى السلطان اسحق بن داود من آل سكية صاحب علكة كاغو من أرض السودان يأمره فيها ، بأن رتب على معدن الملح الذي في تغازي بين المغرب والسودان وظيفا ، بأن يجعل على كل من يحمل منه شيئاً من الواردين عليه مثقالا من الذهب العين تستعين بذلك الخراج عساكر المسلمين على جهاد الكفار ، لأن ذلك بحر لا ساحل له . وكان المنصور لم يكاتبه في ذلك حتى استفتى علماء ايالته وأشياخ الفتيا بها ، فأفتوه بما هو المنصوص من أن النظر في المعادن مطلقا انما هو للامام ، وانه ليس لأحد أن يتصرف في ذلك الاعن اذن السلطان أو نائبه. و بعث اليه المنصور بتلك الفتاوي مع الرسالة الموجه بها مع الرسول ، من انشاء العلامة الأديب مفتى الحضرة المرا كشية ، المولى أى مالك عبد الواحد بن أحد الشريف السجاماسي . ولما بلغت رسالة المنصور الى السلطان

<sup>(</sup>١) صاحب مناهل الصفا محرر هذا الكلام معاصر للمنصور

اسحق سكية واطلع عليها ، شق عليه ذلك وماطل في الجواب، وحيث أبطأ الرسول، فطن المنصور لما انطوى عليه سكية من عدم اجابته لما طلب من الوظيف على الملاحة، فاشتد غضبه وعزم على توجيه العساكر الى السودان. قال الفشتالي لما رجعت ارسال المنصور اليه من عند اسحق سكية وأعاموه بمقالته وامتناعه واحتجاجه بأنه أمير ناحية والمنصور أمير ناحية ، وانه لا تجب طاعته عليه ، شاور المنصور أصحابه وأهــل الرأى والتتي في يوم مشهود. فقال لهم « انى عزمت على منازلة أمير السودان صاحب كاغو لتجتمع كلة. المسامين ولأن بلاد السودان كثيرة الخراج يتقوى بها جيش الاسلام » الخ فاما فرغ المنصور من كلامه سكت الحاضرون ، فقال لهم اسكتم استصواباً لرأيي ، أو ظهر لكم خلاف ما ظهر لى . فأجاب كلهم بلسان واحد ان ذلك رأى عن الصواب منحرف ، وذلك لأن بيننا و بين السوادان مهامه فيحاء ، تقصر فيها الخطبي وتحار فيها القطا ، وليس فيها ماء ولا كلائ، فلا يتأتى السفر فيها، وأيضا فان دولة المرابطين على ضخامتها، ودولة الموحدين على عظمتها ودولة المرينيين على قوتها ، لم تطمح همة واحد منهم لشي من ذلك، وحسبنا أن نقتني أثر تلك الدول ، فان المتأخر لا يكون أعقل من الأول ؛ فاما قضى أولئك الأقوام كلامهم قال لهم « ان كان هذا غاية ما استضعفتم به أمرى وفيلتم به رأيي ، فليس فيه حجة ولا ما يخدش فما عندى ، فاما قولكم بيننا و بينها صحار مخوفة ومفاو ز مهلكة. لجدو بتها وعطشها ، فنحن نرى التجار على ضعفهم وقلة استعدادهم يشقون تلك المهامه في كل وقت ، و يخوضون احشاءها مشاة وركبانا وجاعة و وحدانا ، ولم تنقطع قط ركاب التجار عنها ، وأنا أقوى أهبة منهم ، وللجيش همة ليست للقوافل. وأما قولكم ان من كان. قبلنا من الدول الطنانة لم تطمح أبصارهم لذلك ، فاعاموا أن المرابطين صرفوا عنايتهم لغزو الأندلس ومقابلة الافرنج ، والموحدون اقتفوا سبيلهم في ذلك و زادوا بحرب ابن غانية والمرينيون كانت غالب وقائعهم مع بني عبد الواد بتلمسان ، ونحن اليوم قد انسد عنا باب الأندلس باستيلاء العدو عليها جلة ، وانقطعت عنا حروب تامسان باستيلاء الترك عليها ، ثم ان أهل تلك الدول لو أرادوا ماأردنا لصعب عليهم لأن جيوشهم كانت فرسانا رامحة و رماة ناشبة ، ولم يكن عندهم هذا البار ود وعساكر النار المرهبة الصواعق ، وأهل السودان ليس عندهم الآن الا الرماح والسيوف ، وهي لا تقاوم هذه المدافع المستحدثة ، فقاتلتهم سهلة

وحربهم أيسر من كل شي (١) وأيضا فان السودان أنفع من افريقية فالاشتغال بها أولى من منازلة الترك لأنه تعب كثير في نفع قليل. فهذا جواب ماعرض لكم ، ولا يحملنكم ترك الملوك الأول ذلك على استبعاد القريب ، فانه كم ترك الأول للا آخر ». فلما فرغ المنصور من خطابه، انفصل الجع على البعث الى السودان ومتابعة المنصور في رأيه عليه . قال صاحب الاستقصا: وفي كلام المنصور امران يحتاجان الى مزيد بيان الأول ، ماقاله من ان الملتمين لم تكن طم سلطنة على السودان ، يعني بهم الذين أقاموا بأرض المغرب مثل يوسف بن تاشفين و بنيه ، فلا يرد عليه أن الامير أبا بكر بن عمر غزا السودان وفتح منه مسيرة ثلاثة أشهر ، لان ذلك بعد رجوعه الى الصحراء واستقراره بها ، واعراضه عن ملك المغرب. الثاني ، ماقال من أن البارود لم يكن في تلك الدول الفارطة ، يعني به لم يكن موجوداً فيها بكثرة ، فلا يرد عليه ان ظهوره كان في أوائل المائة السابعة لأول دولة بني مرين. ثم انه في سنة سبع وتسعين وتسعائة . اخذ باعداد آلة السفر ومهماته ، وتهيئة المدافع والعجلات التي تحملها ، والبارود والرصاص ، و بقي في الاستعداد مدة طويلة . وفي اليوم السادس عشر من ذي الحجة سنة ٩٩ خرجت العساكر وعدتها اثنان وعشر ون ألفاً ، منهم ألفان من المدفعية والبحرية وعقد المنصور على ذلك الجيش لمولاه الباشا جؤذر ، وشد أزره بجماعة من أعيان الدولة ، وكتب الى قاضى تنبكتو العلامة أبى حفص عمر بن الشيخ محود بن عمر آقيت الصنهاجي ، يأمره بحض الناس على الطاعة ولزوم الجاعة. فنهض العسكر من تانسيفت الى ثنية الكلاوى الى درعة ودخاوا القفر فقطعوه مائة مرحلة ، ولم يضع لهم عقال بعير الى أن وصلوا الى تنبكتو ثغر السودان ، فأراحوا بها أياما وسار وا قاصدين دار اسحق سكية ، فاحتشد لهم أمم السودان وقبائلها ، والملثمين المهادنين لهم يقال انه جع فوق مائــة ألف مقاتل. ولما تقارب الجعان عيى الباشا جوذر عساكره للحرب فدارت بهم عساكر السودان من كل جهة ، وعقلوا أرجلهم مع الابل وصبروا من الضحى الى العصر ، وكانت أسلحتهم هي السيوف والرماح ، فلم تغن مع البارود شيئًا . ولما كان آخر النهار ، انهـزم السودان وحكمت في رقابهم سيوف جؤذر وجنده ، حتى كان السودان ينادون نحن مسلمون ، نحن

<sup>(</sup>۱) لله در المنصور السعدى كأنه دولة استعمارية تتكلم

الخوانكم في الدين ، والسيوف عاملة فيهم (١) ، وتم النصر لعساكر المنصور في منتصف جادى الاولى سنة ٩٩٩ ، وراسل ابن سكية جؤذرا في الصلح على مال معين يدفعه ، فاجابه الى ذلك على مشورة المنصور وامضائه اياه وكانت العساكر أصابتها الجي فاتفق رأى الامراء على الرجوع الى تنبكتو ، وكتبوا الى المنصور ولبثوا ينتظرون الجواب. وأخذ جؤذر في انشاء السفن وتركيبها ، ولما كلت دفعها في النيل ، ولما بلغ المنصور خبر الصلح قام وقعد ، وقوم عسكرا خفيفاً أرسله مع مملوكه الآخر محمود باشا وهو أخو جؤذر ، وقلده أمر العساكر كلها وعزل جؤذرا عنها ، وأمر مجود باشا أن يبقيه معه وكتب الى أمراء العساكر يعاتبهم على الصلح مع ابن سكية ، و يؤكد عليهم في الرجوع الى بلاده ، واتباعه حيثًا توجه ولو عبر النيل الى العدوة الأخرى. وخرج محمود باشا في عسكره في زمن الحر، في وقت لايقدر على الحركة فيه الا القطا الكدر، وقطع القفر في خسين مرحلة ، ونزل بالعساكر على رأس تنبكتو على رأس سنة الألف. ثم شحنوا السفن وساروا بالملاحين والجند الى أن نزلوا على مدينة كاغو قاعدة ملك سكية ، وكان هذا حشد لهم أمم السودان ، لكنهم لما سمعوا رعد المدافع والمهاريس ورأوا ارتفاع القنابر في الجو، انهزموا وسار اسحق سكية في فل من جوعه وعبر النيل الى العدوة الأخرى ، فتبعه مجود وعبر النيل خلفه وأوقع به ، ونهب جميع ما احتوى عليه معسكره ، فانهزم الى القفر وهلك فيه. وقام اخو اسحق وجع جوعا و زحف الى مجود باشا، فهزمه هذا وقتله. وتمهدت السودان كلها وكتب بخبر الفتح الى المنصور، فأقام مهرجانا عظما بظاهر الحضرة، وزينت الأسواق وأخرج فيها المنصور الصدقات، وأعتق الرقاب، و وصلته من مجود باشا الغنائم مما لا يحصى من جلتها أر بعون جلا من التبرالخ وانتظمت الممالك السودانية في سلك طاعته مابين البحر الحيط من أقصى المغرب، الى بلاد برنو المتاخة لبلاد النو بة المتاخة لصعيد مصر. وكان في تنبكتو أسرة يقال لها بوآقيت ، ممن لهم الوجاهة الكبيرة والرياسة الشهيرة ببلاد السودان دينا ودنيا بحيث تعددت فيهم العلماء والقضاة ، وتوارثوا رياسة العلم في السودان مدة تقرب من مائتي سنة وكانوا من أهل اليسار والسؤدد لايبالون بالسلطان فمن دونه، فلما فتح جيش المنصور بلاد السودان أبقاهم محمود باشا على حالهم الى ان كانت سنة ١٠٠٧، فكان أهل السودان

<sup>(</sup>١) اذاً لم تصدق دعوى المنصور بأنه انما يحارب لأجل الاسلام

سئموا ملكة المغاربة فتخوف المنصور من آل آقيت ، فكتب بالقبض عليهم وتغريبهم الى مراكش ، فقبض على جاعة منهم ، فيهم العلامة أبو العباس أحد بن أحد بن أحد بن عمر بن مجمد آقيت المدعو أحد بابا صاحب تكميل الديباج وغيره من التا آيف ، والقاضى أبو حفص عمر بن مجمود بن عمر بن مجمد آقيت ، وغيرهما ، وحملوا مصفدين فى الحديد الى مراكش ومعهم حريمهم ، وانتهبت ذخائرهم وكتبهم . واستمروا مدة فى مراكش فى حكم الثقاف الى أن انصرم امد المحنة ، فسرحوا فى ٢١ رمضان سنة ١٠٠٤ وفرحت قلوب المؤمنين لذلك . ولما دخل الفقيه أبو العباس على المنصور وقال له : أي حاجة لك فى نهب متاعى وكتبى وتصفيدى من تنبكتو الى هنا ، حتى سقطت عن ظهر الجل واندقت ساقى . قال له المنصور : « أردنا ان تجتمع الكلمة ، وانتم فى بلادكم من أعيانها، فان أذعنتم اذعن غيركم » . فقال له الشيخ أبو العباس : فهلا جعت الكلمة بترك تامسان ، فانهم أقرب اليك غيركم » . فقال أبو العباس : ذاك زمان ، و بعده قال ابن عباس ، لاتـ تركوا الترك وان النبو وانفض المجلس ، و بقى آل آقيت بمراكش الى أن مات المنصور ، وعقب على ذلك صاحب فاذن طم ابنه بالرجوع الى تنبكتو . » انتهى ببعض تصرف . وعقب على ذلك صاحب فاذن طم ابنه بالرجوع الى تنبكتو . » انتهى ببعض تصرف . وعقب على ذلك صاحب الاستقصا بفصل فى مسألة الرقيق والشرع آثرنا تلخيصه

#### مسئلة الرقيق والشرع

قال: قد تبين لك عا قصصناه عليك من أخبار السودان ما كان عليه أهل تلك البلدد من الأخذ بدين الاسلام من قديم ، وانهم من أحسن الأمم اسلاما وأقومهم دينا ، وبهذا يظهر لك شناعة ماعمت به البلوى المغرب (والمشرق) من استرقاق أهل السودان مطلقا ، وجلب القطائع الكثيرة منهم في كل سنة ، و بيعها في أسواق المغرب ، يسمسر ون بها كما تسمسر الدواب ، بل أفش ، قد تمالا الناس على ذلك ، وتوالت عليه أحياهم حتى صار كثير من العامة يفهمون ان موجب الاسترقاق شرعا هو اسوداد اللون ، وكونه مجاوبا من تلك الناحية . وهذا لعمرى من أعظم المناكر في الدين ، اذ أهل السودان قوم مسلمون ، فلهم مالنا ، وعليهم ماعلينا . ولو فرضنا أن فيهم من هو مشرك أو متدين بدين آخر ، فالغالب عليهم اليوم وقبل اليوم هو الاسلام ، والحكم للغالب . ولو فرضنا أن

لاغالب، وإن الكفر والاسلام هناك متساويان، فن لنا بأن المجلوب منهم هو من صنف الكفار. والأصل في نوع الانسان هو الحرية والخلوعن موجب الاسترقاق ، ومدعى خلاف الحرية مدعى خلاف الأصل. ولا ثقة بخبر الجالبين لهم والبائعين ، لما تقرر في الباعة من الكذب مطلقا عند بيع سلعهم ، وفي باعة الرقيق خصوصا ، ولا يعتمد أيضا على قول ذلك العبد نفسه أو الأمة نفسها كما نص عليه الفقهاء . لاختلاف الأغراض والأحوال في ذلك ، فان البائع قد يضر بهم حتى لايقر وا الا بمالا يقدح في صحة بيعهم ، وقد يكون للعبد أو الأمة غرض في الخروج عن ملك من هو بيده بأي وجه كان ، فيهون عليه أن يقر على نفسه كي ينفذ بيعه عاجلا. وقداستفاض عن أهل العدل ان أهل السودان اليوم وقبل اليوم ، يغير بعضهم على بعض و يختطف بعضهم أبناء بعض ، و يسرقونهم من الأماكن النائية عن مداشرهم وعمرانهم ، وان فعلهم ذلك كفعل أعراب المغرب ( والمشرق ) في اغارة بعضهم على بعض ، واختطاف مواشيهم ، والـكل مسلمون . وانما الحامل لهم على ذلك قلة الديانة وعدم الوازع ، فكيف يسوغ للحتاط لدينه أن يقدم على شراء ماهو من هذا القبيل . (الى أن يقول ) أما وضع يد الجالبين لهم عليهم ، فلا تكني شرعا في جواز الاقدام على شرائهم . لضعف هذه العلامة بمااحتف بها من القرائن المكذبة لها ، وليستفت المرء قلبه فقد قال عليه استفت قلبك وان أفتوك. فانه اذا رجع الى قلبه في هذه المعضلة ، لايقدر أن يحوم حول هذا الجي بحال. ونقول لولم يكن في ذلك الاالشبهة القوية وفساد الزمان، ورقة ديانة أهله، لكان في هذه الأمور الثلاثة مع ملاحظة سد الذريعة الذي هو أحد أصول الشريعة لاسما عند الامام مالك رضي الله عنه ، مايوجب التخلي عن ملابسة هذه المفسدة بالعرض والدين نسأل الله أن يوفق منولاه أمر العباد لحسم مادةهذا الفساد، فان سبب الاسترقاق الشرعي الذي كان على عهد النبي عليه والسلف الصالح مفقود اليوم ، وهو السبي الناشئ عن الجهاد المقصود به اعلاء كلة الله ، وسوق الناس الىدينه الذي اصطفاه لعباده ، هذا هو ديننا الذي. شرعه لنا نبينا عليه وخلافه خلاف الدين ، وغيره غير المشروع . انتهى ببعض تصرف . والحد لله على كون الحكومات الاسلامية العصرية ، انتبهت لسد الذريعة ووافقت على ابطال الرق.

### تتمةُ ذكر السودان

وذكر المسيو اندري راسين صاحب كتاب « غينية الفرنسية » مامحصله ان البربر هم الذبن من الشمال زحفوا على أمم الفتيش ونشر وا بينها الاسلام، فصارت في الجنوب مراكز عظيمة للدعاية الاسلامية مثل «ديينه» Diéné المدينة التي يقطنها السونغاي ، فقد اجتمع فيها بعد اسلامها بقليل سنة ١٠٥٠ مسيحية ، من جيع أصناف مسلمي الشمال ، لاسما المانده ، وصارت أعظم ملتقي للتجار في غربي افريقية بلمن أعظم مراكز الاسلام التجارية. و بني فيها كومبور و مسجدا جامعا مدهش البناء ، ثم تأسست مدينة تنبكتو في الشمال ، فصارت مركزا آخر يتسرب منها دعاة الاسلام الى الجنوب. ودخاوا الى بلاد سارا كوله Sarakholé على ضفاف السنيغال ، و بلاد منابع النيجر ( النيل السوداني ) وغينية و بو رى Bouré وقسم من سانكاران Sankaran ومن واز ولو Bouré ، مع المدينة الدينية كانكان Kankan وما زال الاسلام ينمو على النيجر حتى أسلم أكثر أهالى وادى النيجر وسواحل السنيغال وسيراليون ، و بقيت كو رة واحدة أكثرها فتيشية لجهة البحر. وأكثر هذا النمو الاسلامي، كان سببه أمة الفوله والحاج عمر وساموري وانما كان الذين أتوا بالاسلام من الأصل، قبائل من البربر المتعامين، مثل القبيلة المسهاة أهل سيدي على وأولاد فاضل وأولاد برسى والشيوش والجيلو بة والكونتة وغيرهم. ومن هؤلاء الكونتة البكاءون الذين اشتهروا في جهات تنبكتو. وأصل الكونتة من زناتة من بلاد التوات هاجروا الى الجنوب في القرن الثالث عشر للسيح ، و بنوا في تنبكتو المدارس والر باطات مما لمعت به تلك المدينة طويلا، وتراهم الآن متفرقين في السوادين، لكن أهم مراكزهم تاغان Tagan واريبنده Aribinda . والبكاءون يزعمون انهم من سلالة عقبة ( بن نافع بن عبد القيس الفهرى") الفاتح العربي ، ثم انضم الى ذلك تأثير الطرق الصوفية ، لأن هذه الطرق هي من أحسن الأجهزة للنضال. وأحدثها عهدا وأشدها عزما هي السنوسية ، والتيجانية. وهذه الثانية هي في السودان الغربي والسواحل أعظم انتشارا. وأما الطريقة القادرية فهي أعظم من الجيع ، وقد اشتهرت بالتسامح والتساهل ، وان كان المهدى السوداني وكثير ممن حاربونا نحن ، هم من أتباعها . وتجد القادرية في السودان أقساماً منها القادرية البكائية والقادرية المختارية ، والقادرية أتباع زين العابدين ابن سيدى أحمد ، والقادرية أتباع الشيخ سيديا ، والقادرية الفاضلية جاعمة الشيخ سعمد بو . فالسواد الأعظم من مسلمى السنيغال وغامبية وغينية والنيجر الأعلى هم قادرية من أتباع هؤلاء ، ثم فى بلاد أولاته Oualata القادرية الرقاني ، وهم ثلاث فرق . أما التيجانية فهى حديثة العهد تأسست فى سنة ١١٨٦ للهجرة ، وأشهر من شهرها فى السودان الحاج عمر ، ومن الغريب انها فى الجزائر تنصح بالموالاة للفرنسيس ، وفى السودان ترفع راية الجهاد . وأما السنوسية فوصوفون بالشدة وعداوة الأجانب أكثر من الجيع ، واتباعهم فى السودان الغربي ليسوا كثيرين ولكن مملكة واداى أكثرها لهم .

ولا يوجد في غينية مرابطون على النحو الذي في المغرب، بل يوجد بمقام المرابطين رؤساء سياسيون حولهم أتباع وأعوان، وطبقة أخرى هم معامو المدارس والفقهاء في الدين، ويسمى الواحد من هؤلاء « كاراموكو » Karamokho وعندهم لقب آخر للجاهدين والذين فتحوا البلدان وهو « المامى » منحوتا من « أمير المؤمنين » ( أو نسبة الى الامام ) .

وليس عند أهل غينية رغبة عظيمة فى الحج ، بل الذين يحجون الى مكة كل سنةهم عدد قليل بالرغم من كون تو رودو الحاج موسى بنى لهم فى مكة رباطا . ولكن لاينبغى أن نغتر ببعض ظواهر الفتور التى تلوح على اسلام غينية ، بأن نغتقد عدم رسوخ الاسلام فيهم وعدم امكان تحفزهم للقيام علينا : فانك لتجدهم شديدى الرغبة بتعليم عقائدهم وفيهم عاماء كثيرون لا يكتفون بالقرآن ، بل يقرأون السنة وكتاب خليل فى الفقه المالكى وعندهم مكاتب شرعية مهمة . أخبر الدكتور بليدن Blyden انه عرف منهم اناسا يشترون النسخة الواحدة من المصحف بخمس ليرات انكليزية ، ولا يجدون ذلك كثيرا . وتجد منهم كثيرين مؤلفين وأكثر تا ليفهم مخطوطة ، ولكن القرآن صار يطبع فى سيراليون وكونا كرى . وان التربية الدينية فى تلك البلاد ، هى أوسع مما يظن لا سيا فى جهات فوته وكنكان ، فالبنات يدرسن سنتين والذكور أر بع سنوات وأحياناً ثمانى سنوات . ومدة الدرس كل يوم تبلغ أر بع ساعات . ومن التلاميذ من يرغب فى زيادة التفقه ، فيذهب الى الشمال مثل بلد ديينه وتورو أو يقصد المغرب . ولدينا احصاء ادارى عن مدارس الاسلام

في بعض النواحي. ففي الديتين Ditinn ٣٤٦ مدرسة فيها ٢٩٦٢ تاميذاً ، وفي كانكان ٠٠ مدرسة فيها ٨٠٠ تاميذ ، وفي كوين Koin درسة فيها ٧٥ تاميذا، وفي سيغوري ۲۸ Sguri مدرسة فيها ١٦٠ طالبا. وكان في فوكومبه Foukoumba مركز بلاد فوته الديني سنة ١٨٩١ ثلاثون مدرسة للذكور والاناث. وكان في دينغيراي Dinguiray سنة ١٩٠٠ نحو ٢٠٠ مسجد و ١٨٠ مدرسة فيها ٨٠٠ طالب. وهذا العدد في دينغراي على ٢٣ ألف نسمة لا زيادة . و وظيفة المعلم محترمة موقرة ، وكثير ون من الزعماء هم يعلمون أولادهم بأنفسهم. ويأخذ المعلم عادة ٢٠ فرنكا على كل سورة يحفظها التاميذ. وعند ما يحفظ نصف القرآن يقدمون له ثو راً ، ومتى حفظ القرآن كله يعطونه فرسا. والمعلم يعلم الأولاد الكتابة بو اسطة ألواح في أيديهم ، وهذا هو التعلم الابتدائي. ولكن الذين بريدون اكمال التحصيل يتعامون التفسير. وأنما قد تبين من تقرير رسمي فرنساوي على حالة التعلم في احدى كور وادى النيجر ، انه من بين ألف ولد يخرج . . ٧ لايعامون شيئًا ، و ٢٥٠ يعرفون القراءة والكتابة و ٤٠ يحفظون القرآن كله بدون أن يحسنوا تفسيره بلغتهم ، و ١٠ يمكنهم أن يفسر وه بلغتهم . أما الصلاة وأحكام العبادة فحفوظة جيداً ، واسم الصلاة « سالى » أو « دالى » وساعة الصلاة «ساليفانا» وفي بعض السواحل « سولوفانا » ، وصلاة الفجر في السواحل « سونغوفو » وصلاة العصر « لانسارا » ، ويقال لها عنه المالينكه « لانساما » وصلاة المغرب « سونغوماني » وأما أمم الديولا والسونينكي والماندي فيطلقون عليها أساءها العربية. ونهار الجعة يجتمع المسامون في المسجد الجامع ، ولكن مما يذكر أن هذه العادة قد خفت كثيراً بعد استيلائنا لا سما في فوتا ديالو Fouta Dialo ، وقل ازدحام المصلين في صلاة الجعة . و يصومون رمضان لكن لابالتشديد الذي عليه المغار بة، وعند ما يلوح الهلال يكون العيد الصغير، فيطلقون البواريد. ويسمون عيد الفطر « سونغالو سالى » أو «كالوسالى » وهذا بلغة الماندي ، أما في اغة الفوله فاسمه «كوريليوروسوماني» ، وفي العيد الكبيريضحون كل واحد كبشا. و يسمى هذا العيد « تاباسكي » بلغة الأولوف و « ساليبا كالو » أو « دونكي سالى » بلغة المالينكه و « باناسالي » بلغة السانينكه. ( ثم ذكر اندري ارسين بعض الحروب التي وقعت بين المسلمين والفتيشيين ، وقال) ان هؤلاء طالما قاوموا الاسلام بشدة بالغة الحد، وقد استولى الفتيشيون مرة على كانكان هذه المدينة الاسلامية المقدسة، ولكن أمة السونينكه الاسلامية كانت تواصل التقدم من الشمال، وصارت بورى وموسادوغو وموساردو مدنا اسلامية، وهي أحسن المدن وأعجرها وأنظفها هناك، ولكن الفتيشيين لبثوا فتيشيين. وكانت غينية العليا أسامت بهامها في أيام الماي سامورى، ولكن بعد موته رجع الكورما، والواز ولو، والتورون، والسانكاران، والكورانكو، والكيسي الى أوثانهم، وعادوا الى شرب المسكر. وأما بلاد التوما فن البداية لم تطع سامورى.

أما في الأوان الحاضر فدن الاسلام في غينية العليا ممتدة على طول الأنهر، وفيها كثير من الغرباء الذين يتواردون اليها منذ قرنين . و بالاجال فني مقاطعة يو رى من غينية أشهر مدن الاسلام ، كيرانه Kérouané ، والاهينا Alahina ، ومدينة Medina ، وكاكاتومبو د Kakatoumbo وفي مقاطعة سييكه Sieké بيرامفيرا Kakatoumbo Sindougou ، وتوقاين Togin ، وفي مقاطعة كولوكالان Kouloukalan دوقوره Dougoura ، وكو باني Kobani وكينيكر و Kiniékrou ، وفي المادينغ Mading ، أهم مدنهم بالانكوما كونا Balankoumakana وأما في سائر المدن لا سما في مقاطعتي ديوما Diouma ونوغا Nouga ، فالأكثرية ليست للاسلام . وأماكان فهي من أعظم كراسي الاسلام في السودان الفرنسي ، أكثر أهلها سونينكه . وكذلك كونغ وديينه . وقد أسس أشياخ الطريقة التيجانية مدارس في كانكان ومكاتب، ونشأ فيها مرابطون كثيرون كانت لهم اليد الطولي في نشر الاسلام في افريقية الغربية والجنوبية. والى هذا اليوم هي مركز جاذبية لبلاد سيفيري وكرروسه. وفيها آل سريفو الذين يدعون انهم أشراف من آل البيت ، وإن اسمهم مشتق من شريف. ومن المدن الاسلامية العظيمة مدينة طو با Tonba في ساحل العاج ، و بيلا Beyla وذاكر الله ، و بلال الله ، و نيالا وديا كوليدغو الخ. وأما بلاد الفوته ديالو فان لها تاريخا مهما في الاسلام هناك ، فقد جاءتها الدعوة من الشمال بو اسطة التوكولور، ومن الشرق بو اسطة السونينكه، ولذلك تألف بها حزبان أحدهما يقال له « ألفيا » Alfaia والثاني « صوريا » Soria ، فالصوريا هم الشرقيون اتخذوا الطريقة القادرية حال كون الألفيا بحسب قول المسيو لوشاتليه

Le Chatelier كه كمكوا بالسنة ولم يعرفوا الطرق وقد كان مبدأ الاسلام في فوته على أيدي البهل والسونينكه ، ولكن لما أسلم على أيديهم الديالونكه صار هؤلاء من أشد الدعاة حية وليست بلاد فوته منقسمة الى كور اسلامية وأخرى وثنية كما هو الحال في غينية العليا ، بل جميعها دار اسلام . والمدينة المقدسة فيها هي فوكومبا ، وفي جامعها جرت العادة بمبايعة المامي ، وهذا الامتياز لها ، من أجل كون أمير هذه البلدة هو أقدم أمراء تلك البلاد اسلاما ومن البلدان الاسلامية العظيمة « فوتاطور و » وهي أقرب البلد الى ديالو . و بلاد السارا كولى وهم من الأقوام الشديدة الاعتقاد ، وفيها مدارس للعلوم الدينية . ومن المراكز المشهورة في تعليم الدين « تمي » و « لا بي » و « دونهول فلاح » و «فوكومبا » و « بارفلا » و « دنتارى » و « كولانغي » وغيرها وفيها الجوامع العظيمة

والاسلام ممتد أيضاً في الجهات الجنو بية الغربية من غينية ، والسبب في امتداده الى هناك هي فتوحات القبائل الشمالية مثل السو نينكه والتو رودو والديولا والدياكانكه، ومن هذه الأقوام جند الحاج عمر أحسن عساكره ، وخلف مريدين قاوموا الفرنسس أشد المقاومة ، مثل المرابط محمد ، ولامينا درامي . وقد كان اختمالط السونينكة والديولا بأهالى الجنوب سببا في زيادة نشر الدعوة الحمدية ، حتى لا يكاد يخاو منها مكان في سواحل غينية . واشتهر بشدة التمسك بالاسلام أمة النالوماندي . حتى ان ملك النالو تلقب بأمير المؤمنين . كذلك زعيم الساراكولي في بلاد ميلاكوري لقب عامي موريا أي امام موريا . فوريا وموريبايا وكالوم وسومبويا وبراميا وبونغو ونونز العليا ، الأكثرية فيها هي للإسلام والأهالى من جنس الصوصو . وكان الميكيفوري Mikiforé باقين على الفتيشية ، لكن الضابط بر وكارد Brocard قرر بعد فص أجراه ، ان الاسلام غلب عليهم اليوم ، حتى قال انهم يعتقدون ان الرجـل الحر له وحده الحق بالقاء السلام. وكـنلك قبيلة الباغافوره Bage Foré التي هي من أشد قبائل السواحل عتواً . دخلها الاسلام وبدأ كثير من رؤسائها بهجرة الخرة . وفي بعض الأماكن تجد الزعماء قد صار وا مسلمين وإن كان عامة شعبهم باقين على الوثنية . ولقد سرت مع أحد حكام غينية السفلي وهو المسيونوارو Noirot في أطراف هذه البلاد ، وكانت مضت عليه سنون طوال في جنو بي غينية ، فاندهش مما رآه من آثار العقيدة الاسلامية مما لم يكن رآه قبلا ، اذ في كل قرية حتى في صغريات القرى تجد « م غ - ثالث »

مصلیات للاسلام. نعم ان مسامی جنوبی غینیة لیس عندهم تعصب مسامی الشمال. ومن المدن الاسلامیة المشهورة فی الجنوب « بنا » و « کیسی کیسی » و « کونا کری » و بلاد « الهو بو » وأما بلاد « کادی » و « کونسوتامی » و « بومبایا » فهی اسلامیة بحتة » ومعدودة من أقسام « فوته » الضاربة فی نحر الاوقیانوس. ومن علامات تقدم الاسلام فی الجنوب شیوع لقب « المامی » فی ماوکهم مما یغضب أهل فوته دیالو ، الذین یقولون: مامن مامی فی کل غینیة سوی أمیرهم. وقد یعترفون بهذا اللقب لمامی موریا ، ولکن یصعب علیهم اقرار به لملوك « ریوبونعو » و « کانیا » و « تامیسو » و « نالو » و « کالوم » .

وجيع المرابطين الدعاة في كورة « واسو » هم في الأصل من السونينكه ، ويقال هم « السيسي » و « الدارامي » والتوري والى الشرق من ميلا كوري يوجد قوم اسمهم « اليولا » متمسكون جدا بالاسلام ، وكان لهم يد في نشره بين الأمم المجاورة ، كذلك في جهة « فارانا » يوجد قوم اسمهم « الفيريا » مقيمون لشعائر الاسلام بكل دقة لاسيا في « داندو » و « أولادا » .

والشرف الأعظم في نظر مسامي السودان هو الانتساب الى العرب ، فالعرب عندهم هم انموذج الشعوب كما قال السيو فامشون Famechon ، لاسيا الانتهاء الى آل البيت . »

وأنهى المسيو الدرى آرسين كلامه على غينية أو غانة بقوله: ان الاسلام انتشر بسرعة عظيمة في بلاد الزنوج نعم ان تقدمه اليوم أصبح أبطأ من ذى قبل، لكنه صار أرسخ من ذى قبل بسبب السكون والامان. واذا اعتبر الانسان انه منذ مائة وخسين سنة لم يكن مسامون في غينية السفلى ، وانهم الآن صاروا نحو النصف من الأهالى عرف مقدار سير الاسلام في هذه الأقطار. كذلك المرابط منذ ثلاثين سنة فقط ، لم يكن يجرؤ ان يتوغل في هاتيك الاصقاع ، فصار اليوم يسير و بين يديه جاعات وله اتباع. ثم علل مؤلف « غينية الفرنسوية » نمو الاسلام بين السود بساطة قواعده ، وما أشبه ذلك من الأسباب التي أشار اليها مؤلف كتاب « الاسلام والنصرانية في افريقية ».

وقد عرفت الرحالة الشيخ عبد الكريم مراد ، نزيل كانو من بلاد النيجر ، أصله من طرابلس الشام زارني في لوزان سو يسرة في العام الماضي ١٩٢٣ ، فسألت عن بلاد النيجر والسوادين فقال لى : « ان بلاد النيجر تشتمل على ٢٠ مليون نسمة ، مقسومة بين

الانكليز والفرنسيس ، وان عاصمة النيجر الانكليزي مدينة لاغوس Lagos ، وانسلطان سوكوتو كان كبير سلاطين السودان كلهم قبل دخول الانكليز ، فلما دخل الانكليز أخرجوا كل أولئك السلاطين من طاعته ، فبقيت له سيادة اسمية . وأما السلاطين المذكورون ، فنهم سلطان كشينا حج في العام الماضي . وسلطان كانو . وسلطان برنو . وسلطان زاريا . وسلطان بدا . وسلطان آبدان . وسلطان لوري وغيرهم . وأما سلطان لاغوس وسلطان أبي كتا ، فشركان . ولكن للاسلام قوة في بلادهما وفي جيع بلاد الفتيشيين . وسلطان هؤلاء يحتفل بعيد الاسلام ، ويلبس فيه الملابس الرسمية وعند سلطان أبي كتا وزير مسلم ، والجوامع كثيرة في بلاد الكفار تقام فيها ، الجع والاذان مسموع . وسألته عن مدينة كانو والجوامع كثيرة في بلاد الكفار تقام فيها ، الجع والاذان مسموع . وسألته عن مدينة كانو التي كان فيها ، فأجابني ان أهلها نحو ثلاثين ألف نسمة وهم مسامون »

وأختم هذا الفصل بنكتة سمعتها من المرحوم الشيخ عبد الجليل براده من علماء المدينة المنورة ، وأدباء عصره ، قال : سأل واحد من أهل الأدب وهو في موسم الحج حاجاً أسمر عن بلده في السودان ، فأجابه : غانة . فأنشد السائل على الفور هذا البيت : كذا كذا فليزر مولاه من عرفه من غانة غاية الدنيا الى عرفه

\* \* \*

وجدنا من تمام الفائدة في الاعلام عن غربي افريقية عقد فصل خاص بجنوبي الصحراء الكبرى بين المغرب الأقصى والسنيغال واعتمدنا فيه على رحلة المسيو «غاسطون دونه» Gaston Donnet الافرنسية سنة ١٨٩٣ الى تلك البقاع لارتيادها

قال انه كُلف اختراق البلاد المسماة « الترارزة » و « أولاد أبو سبع » و « أولاد دليم» و « بلاد الادرار » والاقامة مدة من الزمن في مستعمرة «ريو دو اورو » الاسبانيولية ثم التقدم من جهة الشمال الشرقي الى حد « تين دوف » ثم « رأس جو بي » أي وادي دراعة .

وقد كانت هذه الرحلة قبل احتلال فرنسة للغرب الأقصى . ولصاحبها كتاب آخر السمه « من السنيغال الى تيريس »

و بلاد السنيغال مأخوذ اسمها من نهر السنيغال. وهذا منسوب الى قبيلة صنهاجة البربرية الشهيرة التي منها فروع في تلك الأصقاع ولما كان الأهالي يلفظون جيم « صنهاجة »

كالكاف الفارسية أو الجيم المصرية قالوا « صنهاكة » وجاء الفرنسيس فعلوا منها اسم بلاد « السنيكال » واصطلح كتاب العرب على كتابتها بالغين أى « سنيغال » وقبيلة صنهاجة هي شعب كبير من البربر قد اختلط بالعرب بالزواج وتولد منه الشعب الذي يسكن الآن في أطراف الصحراء على حدود السنيغال

وأهم القبائل المجاورة للسنيغال هي ثلاث: الترارزة في شهالى والو والبراخنة في شهالى ديمار وفوتا والدويش في شهالى دمغة إلى الشرق والمغاربة في تلك الديار ينقسمون الى مغاربة شهاليين وقبليين فالشهاليون هم الذين لا يفارقون أعالى الصحراء والقبليون و يقال لهم القبالة هم الذين يذهبون جنو باً حتى يشرفوا على النهر و يبيعوا هناك الصمغ الذي هو محصولهم الى تجارسان لويس ، وللطرارزة عائلتان وجيهتان فيما بينهم إحداهما أولاد دايمان والأخرى عائد. فأولاد دايمان مرابطون أي لهم الرئاسة الدينية وأولاد عائد محاربون أي لهم إمارة السيف. ولقد تناقصت أهمية هاتين العائلتين بعد أن صار أحمد سلوم أميراً على الطرارزة بمعاونة فرنسا. وأما عائلات المرابطين المشهورة فهم أولاد دامان وعائلة يقال لها أهل ريس وتاغنيت وتاجا كاند والبارك الله وايت أوالى وايت أبو الحسن وتنداغة وايت يعقوب والسو يلات وغيرهم.

وأما طبقة الحاربين فهى مختلطة من عرب و بر بر وسودان والجيش الذى يعتمد عليه أحد ساوم أمير الطرارزة هو مؤلف من مغاربة مختلطين بسودان من الجيل الذين يقال لهم ألوف. وأشهر عائلات هذه الطبقة الهيب الله وأولاد أكحر وأولاد بوسبع والعبيدات وأولاد رقيق وأولاد عايد وزنبوقي وأولاد البلية وأولاد عبد الواحد والمبارك والرقيبات والدغمولة والسبحات وأولاد عمران وغيرهم وأكثر هذه القبائل تدفع ضريبة لأحد ساوم من غنم و بقر وهجن ومعزى وسكر وسمك مقدد و تمر و بارود وبعض مسكوكات. أما عائلات المرابطين فهى معفاة من هذه الرسوم ويوجد قبيلة اسمها أليب هذه تكاد تكون مستقلة فلا تخضع لأحد ساوم وهي ترعي المواشي وتكثر بينها و بين أولاد دليم الحروب لأن هؤلاء تغلب عليهم اللصوصية وهم عرب في الأصل (١)

وأكثر الخوف في الصحراء من أولاد دليم وهم يجو بون البيداء من كل جهة ويبدأ

<sup>(</sup>١) قبائل دليم كثيرة بين المدينة المنورة ونجد

مكان سلطتهم في قنيطير وينتهي في ريّو دو أورو

واما أهالى بلاد تاسيست ونيجيريت و إمشيرى فنى تاسيست البركة الله مرابطون والغورا والبنى عمر البود وهم من أولاد دليم والبويلى. وأما فى نيجريت فالبركة الله والفودير و بعض بربر من صنهاجة . وأما فى الامشيرى فيوجد من هذه القبائل ومن أولاد لاب وهم من أولاد دليم فى الأصل . وأولاد لاب هؤلاء متفقون مع الطرارزة . وأما أولاد بوسبع فهم طائفة من المراكشيين المهاجرين الى الرقيبات وتكنه و بلادهم تبدأ بأعالى أغادير وحديثها الشمالى قيريس . وحديثها الشرقى تاسيست ونيجريت . وأكثرهم صيادو سمك يصطادون على سواحل طافولى وقنيطير وهم تابعون للائمير أحد ساوم

والعادة في جميع هذه القبائل أن يسودها صاحب السيف وهو الأمير ثم المرابط وهو الزعيم الديني ويأتي بعدهما العامة الذبن يدفعون الضرائب ولكنهم أحرار تماماً. ثم يأتي الأرقاء وهؤلاء أصلهم من السود غير المسلمين و اذا استرق الانسان زنجياً غير مسلم لا يجبره على الاسلام ، واذا أسلم الزنجي لا يتخلص من الرق ولكن لا يسوغ لصاحبه أن يبيعه من غير مسلم. ويجب على السيد أن يطعم عبده بقدر طاقته ولا يحمله أحالا شاقة لا يطيقها والعبد يأكل ويلبس نظير سيده وإذا تحقق أن عبداً كان سيده لا يطعمه فانه يجبر على بيعه . وأكثر هؤلاء العبيد لا يريدون الحرية فانه يقدر الواحد منهم أن يفر الى سان لويس في السنغال ففي الحال ينال حريته . ولكنهم لا يذهبون ليتحرروا لأنهم يرون أنهم لو رجعوا الى السودان وعاشوا بين قبائلهم فان حريتهم فيها لا توازي رقهم عند المغاربة ومعيشة هذه القبائل هي على وتيرة واحدة دائمة فهم يتنقلون من الشمال الى الجنوب ومن الشرق الى الغرب. وأرقاؤهم يشتغاون لهم وأكثر أوقاتهم يقضونها بالأحاديث يجتمعون ويضطجعون ويشربون الشاي ويتحدثون تارة عن سلطان المغرب وأحياناً عن استانبول وأحياناً عن الافرنج وكثيراً ما يشنون الغارات على القوافل ثم ذكر صاحب هـذا الكتاب أنه بقي مدة عند أحد المرابطين الشيخ باباو الدحدي وهو من المشايخ المشهورين هناك وكان يقيم في قرية اسمها « بوزوبرة » قال : وكنت أرى الأهالي يقومون الصبح ويصلون وراء هذا الشيخ وكان يعظهم وطالما نهاهم عن النهب والتعدى ولكنهم قلما ينتهون. وتكلم أيضاً عن الشيخ سعد بو وأصله من الحوض لكنه من ثلاثين سنة مقيم في تاسيست وهو رجل مجمود السيرة وكان قد أنقذ الافرنسي « بول سُلْيْليه » من يد أولاد دليم ولذلك كسب اسها حسنا عند الافرنج . وهو يسكن في بيت من الحجر لا في مضارب و بر كغيره و يجلس على كرسي لا على الأرض و يقرأ القرآن و يفسره . وله أخ اسمه ماء العينين له اسم كبير ، وقد ذكر المؤلف تفاصيل كثيرة عن سعد بو وأخيه أهملناها نظراً لمضي زمانها ولكون الفرنسيس بعد ذلك التاريخ احتاوا بلاد المغرب وأصبحوا هم أصحاب الكلمة في تلك الأصقاع فتغيرت الحالة هناك . وهو يذكر أن هذه القبائل المغربية كانت تنفر من الأوروبي و ترى فيه العدو الدائم وليست أسباب هذه البغضاء هي العداوة بين المسلم والمسيحي فقط بل يظهر أن الافرنج الذين في سان لويس يسيئون معاملة هؤلاء المغاربة عند ما يذهبون الى تلك المدينة و يحتقرونهم و يجرحون عزة أنفسهم والمؤلف ينصح قومة بتبديل هذه المعاملة

ويذكرعن كسل هذه القبائل شيئاً كثيراً ويقول ان شغل أراضيهم ومواشيهم كله بيد العبيد . ولا يمدح منهم غير أولاد بو سبع ويقول انهم القبيلة الوحيدة التي تشتغل وتأخذ وتعطى وأكثر شغلهم بالسمك المقدد . ولا شك أن الحالة قد تغيرت الآن هنالك عما كانت يوم كتب هذا التأليف أي منذ خس وثلاثين سنة الى أر بعين سنة لأنه طرأ على العالم تغييرات كثيرة غيراً ننا نستبعد أن يكون وقع تغيير في حالة العلاقات بين المغار بة والأور بيين ور بما كانت العداوة اليوم أشد منها قبل أن بسطت فرنسا جايتها على المغار بة وذلك لأسباب لا تخفي عن أحد

# الاسلام في السودان

## مقال قيم للاستاذ ديريش وسترمان الأَلماني

في مجلة العالم الاسلامي الألمانية

نشر الاستاذ الالمانى المعروف ديريش وسترمان مقالا فى مجـــلة ( العالم الاســـلامى ) الالمانية عن الاسلام فى السودان ، ننشره فما يلى .

تقتصر الابحاث الآتية عن الاسلام فى بلاد السودان الممتدة من الصحراء وسواحل غيا نا العليا الى سواحل الكمرون ومنها الى الحدود الغربية للوادى فى اتجاه شهالى شرقى ، أو بعبارة أوضح على مناطق نفوذ قبائل « الماندينجو » و « الهوسا » و « الهوسا » و « الفولبا » السياسية والاقتصادية ، ولوان نفوذ قبيلتى « الهوسا » و «الفولبا» فى شهالى محيرة تشاد أقل أثراً ، الا ان اتصال هذه المنطقة بالجهات الغربية وثيق ومتعدد النواحى بحيث لا يمكن التفويق بين مقاطعتى « بورنو » وباجيرسى » و بين المقاطعات الاخرى الغربية

يصعب جداً تقرير درجة انتشار الاسلام على وجه التحديد في بلاد السودان ، من حيث مساحة الاراضي أو من حيث عدد المسامين ، فان عدد السكان على العموم لم يحص احصاء دقيقاً للا آن في هذه الجهات ، هذا علاوة على عدم احصاء عدد التابعين لكل دين بالمرة ، وذلك لصعو بة التفرقة في كثير من الاحوال لانتشار الجهل وتعدد النحل والمذاهب المختلفة ، اذ انه توجد درجات دينية كثيرة بين المسلم المتعلم المتمسك بدينه مثل قبائل « تيمبوس » و « كانوس » و بين عبيد الغابات التي تقتصر معارفهم الدينية على تقليد بعض العادات السطحية دون أن يكون لهم بأبسط قواعد الاسلام أي معرفة ، الا انه يمكن التنبؤ بأن مستقبل هذه الجهات في صالح الاسلام وليس في صالح الوثنية أو الاديان الاخرى و بما أن الاسلام دخل الاراضي السودانية من الشمال فاننا نجد جهاته الشمالية أكثر وأشد إسلاما من باقي البقاع ، و يحتل المسلمون اغلب هذه المساحات حتى حدود الغابات ، ولو انهم جاسوا خلالها في كثير من الجهات ووصاوا بطريق المواصلات الحديثة حتى ولو انهم جاسوا خلالها في كثير من الجهات ووصاوا بطريق المواصلات الحديثة حتى

السواحل. ويعتبر العرب في هذه البلاد اشد القبائل اسلاما وغيرة على دينهم ويليهم مباشرة الحاميون: المغاربة والفولبا والتواريج والهوسا، ولو اننا نسمع من حين لآخر عن بعض الوثنيين في قبيلة الفولبا ولكن ذلك يرجع في الغالب الى مصادر غير موثوق بها، ويوجد كذلك القليل من الوثنيين الآن بين من يتكام بلغة الهوسا واكنهم ليسوا من أفراد الهوسا الحقيقية.

أما في افريقيا الغربية الفرنسية فيمكننا أن نعتمد على احصائيات دقيقة ، ففي السنغال مثلا يعيش ٢٥٥٠٠ من الفولبا و ٢٥٨٠٠ من الدكر ور وكل من الفريقين فور معتز بأصله ومتعلق بالديانة الاسلامية جداً ، وأما الولوف واليولوف وهم أكبر عنصر في المستعمرة الفرنسية فأكثرهم من المسامين وتكاد تختفي الوثنية بينهم على عكس قبيلة السيرر وعددهم ، ١٩ الفا وهم خليط بين الفولبا والولوف فأكثرهم بقي على الوثنية ، أما قبائل السوننكه التابعين للماندينجو فشديدو الغيرة على اسلامهم . وكذلك أصبح عدد الوثنيين قليلا جداً بين قبائل المالنكه

أما في غيانا الفرنسية فيبلغ عدد المسامين الفولبا حوالي ٩٧٠ ألف نسمة و ٤٩٢ ألفاً من الجالونكه من المالنكه وغالبيتهم الساحقة من المسامين ، وأما باقي السكان فنهم ٣٨٥ ألفاً من الجالونكه وكانوا في الاصل يقطنون في الجهات الشمالية في فوتاجالون فأغلبهم من الوثنيين ، الا ان الاسلام يتقدم بينهم تقدما سريعاً بفضل مجهود قبائل الفولبا ، و باقي الاهالي من قبائل عنا ومندا و نالو وتوما وكيسي يكادون يكونون جيعاً وثنيين

و يبلغ عدد سكان ساحل العاج حوالى مليونى نسمة ، منهم ٢٤٧ ألفاً مانداجولا من المسلمين والسينو فو وأغلبهم وثنيون و باقى الاهلين يكاد لا يكون للاسلام بينهم اثر ، وكذلك الحال فى داهومى التى يبلغ عدد سكانها ٥٥٥ ألفاً ، ولا يزيد عدد المسلمين بها على به ألفاً ، وأما المقيمون على شواطئ نهر نيجرو يطلق عليهم اسم دندى فهم شديدو التمسك بالدين الاسلامى ، وكذلك قبائل الفولبا الرحل الذين يقيمون فى مقاطعة بار با بجوار قرى الوطنيين ، وأما الاهالى الوطنيون فلم يبلغ الاسلام بينهم مبلغاً بعيداً ففي سنغال الأعلى لا يوجد أكثر من ٢٠ ألف مسلم بين قبائل البامبارا الوثنية البالغ عددهم ٧٧٤ ألف نسمة ، الا أن الاسلام يتقدم بينهم بسرعة فائقة بعد زوال الفوارق السياسية بين

السكان على وجه العموم . وكذلك الحال في مقاطعة موسى التي يمكن الآن اعتبار الاسلام فيها هو دين المستقبل ، بالرغم من أن معظم سكانها الآن يتبعون العادات والتقاليد الوثنية ويبلغ عدد سكان سنغال الأعلى من خسة الى خسة ملايين ونصف مليون لا يقل عدد المسامين به عن مليونين

\* \* \*

وعلى العموم يمكن القول بأن الاسلام يتقدم بين الوثنيين في ساحل العاج وداهومي وكذلك في غيانا الفرنسية وسنغال الأعلى بخطوات بطيئة لأن الأهالي في هذه الخطوات يعدون من الوثنيين العنيدين في تقاليدهم وعباداتهم

وأما فى المستعمرات الانجليزية فلانكاد نحصل على معاومات بالمرة عن عدد المسامين. و يضطر الباحث أن يكتفى ببعض المعاومات التي يحصل عليها عرضاً

و يبلغ عدد سكان سيراليونا مليوناً و٧٠٣ آلاف أغلبهم وثنيون ، لايتبع الاسلام فيها غير القليل من الفولبا من سكان الجهات الشمالية وغالبية الماندنيجو ، وأما قبائل تمنا ومندا فأغلبهم وثنيون ولو أن الاسلام يتقدم بينهم بسرعة عظيمة أيضاً

وفى المدن الساحلية يغاب عدد الأهالى المسامين ، ففي بورت لوكوه سنة ١٩٠٧ كان جيع السكان تقريباً من المسامين ، وفي فريتون توجد ٥ مدارس اسلامية حكومية بها مالا يقل عن ٧٦٠ تلميذاً مع أن عدد السكان لايزيد على ٣٤ ألف نسمة

فالحال اذاً في سيراليونا هي أن الاسلام جاءها من داخل البلاد الى الشواطئ حتى عم جيع المدن الساحلية في حين أن سكان القرى الداخلية بقيت على وثنيتها

وأما في ساحل الذهب فيبلغ عدد السكان مليو نا وستهائة ألف نسمة كانت غالبيتهم وثنية ، الا أن الاسلام تقدم بينهم تقدماً سريعاً ، فانه لا توجد ناحية تجارية هامة تخلو من جامع ومدارس اسلامية ، ولو أن المسامين ليسوا من الأهالي الوطنيين بل من الأجانب النازحين الى البلاد من جهات مختلفة ، فأصبح بمدينة تامالا وهي عاصمة المقاطعات الشهالية مالايقل عن ألف مسلم من ٢٠٠٠ عدد السكان ، وكذلك يتقدم الاسلام يوماً بعديوم في المقاطعات الأخرى وعلى السواحل الهامة ، وأكثر عناصر القبائل الاسلامية انتشاراً هي الهوسا والماندينجو الذين كثرت مهاجرة التجار منهم الى هذه البلاد

وقد قدرت جريدة « الجعية الافريقية » المسلمين في جيع نواحي ساحل الذهب في عام ١٩٠٩ بمالا يقل عن مائة ألف وقدأصبح الآن بدون مغالاة لايقل عن ضعف هذا العدد

وأكثرهم في المقاطعات الشمالية

وقاد لاتوجد جهة أخرى في البلاد السودانية انتشر فيها الاسلام في الفترة الأخيرة مثل نيجيريا ويبلغ عدد سكانها حوالي ١٦ مليوناً ، خصوصا في الأقاليم الجنوبية التي كانت حتى زمن قريب تعتبر موطنا للوثنيين ، وأما في شمال نيجيريا وهي البلاد التي فتحتها قبائل الهوسا والفوليا فإن الاسلام هو الدين الغالب .

وأما القبائل التي تقطن جنوب نهر النيجر والبنوى وعلى امتداد الشواطئ الشمالية والشرقية من نهر النيجر فأغلبها من الوثنيين. وفي شمال نيجيريا مالا يقل عن ٢ أو ٣ ملايين وثنيين من عدد السكان وهو عشرة ملايين نسمة ، الا انهم في طريقهم الى الدخول في الدين الاسلامي بفضل مجاورتهم للأغلبية الاسلامية الساحقة هذا فضلا عن أثر ثقافة الاسلام فيهم

وأمافى جنوب نيجيريا فان المسامين لا يكونون شعبا موحداً رغما عن التقدم الباهر الذي أحرزه الاسلام بين الأهالى في السنوات الأخيرة خصوصا في المدن الكبيرة حتى أصبحت المرائحة المسامين القيادة الفكرية في هذه النواحي ، حتى ان سكان مدينة لاجوس وهي مركز رئيسي للتبشير المسيحي \_ يدين الآن أكثر من نصفهم بالدين الاسلامي ، وكذلك يتقدم الاسلام في باقي البلدان الأخرى الشرقية والساحلية بسرعة غريبة وفي مستعمرة غامبيا أصبح الآن من يدين بالاسلام أكثر من . . . ، ه ولا يزيد عدد سكانها على ١٦ ألف نسمة

أما الحال في المستعمرات الألمانية السابقة فان توجو تكاد تكون كلها وثنية ، فلا يكاد يزيد عدد المسلمين بها عن ١٤ ألفاً من تعداد يبلغ المليون ، وهو عدد يكاد لايذكر بجانب الأغلبية الوثنية الساحقة . وفي الكمر ون يوجد شعب اسلامي موحد لايستثني منه غير سكان جبال المندرا الوثنيين والذين هم في عزلة تامة عن كافة المواصلات الحديثة ، ولو أن سكان بلادهم الكبيرة يدينون بالاسلام أيضاً بالرغم من ذلك . وفي اداماوه تدين البقاع التي احتلتها قبائل الفوليا كذلك بالدين الاسلامي ولو أن الوثنية تعم النواجي الجنو بية .

و يلاحظ أن تقدم الاسلام قدوقف قليلا في هذه النواحي منذ زالت دولة الفولبا وان كانت التقاليد التي و رثها رؤساء القبائل الوثنية عن أسيادهم المسلمين لازالت متبعة ومحبو بة عندهم ، وقد تقدمت قبائل الهوسا المسلمين نحو مناطق الغابات والشواطئ في المدة الأخيرة ولو أنهم لم يتمكنوا من مساعدة انتشار الاسلام هناك كثيراً ، وعلى الجلة فان الاحصائيات الأخيرة تدل على أن مايقرب من ثلث سكان الكمرون يدين بالديانة الاسلامية (عن مجلة نور الاسلام)

## العرب في الكونغو

# لعفيركنب

الملعت على رحلة لأحد أدباء البلجيك المسمى فريترفان در ليندن Linden استوفى فيها الشرح على الكونغو ، فعثرت فيها على بعض جل تتعلق بالعرب في الكونغو ، وعامت أن الاسلام قد دخل فى هذه المملكة العظيمة التى هى الكونغو البلجيكي . قال فى الصفحة ٢٩١ ، فى بحث عن تداول الأهالى للمكوكات : « ان أكثر البلجيكي . قال فى الصفحة Arabisés يعرفون النقود ، وان تجار العرب من الكاسونغو وأكبر التجار الذين لهم علاقات مع زنزيبار ، يؤثر ون الذهب لا سيا الليرة السترلينية ، لأن علاقاتهم متصلة مع عرب الأوغانده ، والمستعمرات الألمانية فى شرقى افريقية . وتراهم مع علاقاتهم متصلة مع عرب الأوغانده ، والمستعمرات الألمانية فى شرقى افريقية . وتراهم مع وأما تجارة الرقيق فانهم لا يتعاطونها الا فى داخل البلاد من قرية الى قرية ومنع ذلك يكاد وأما تجارة الرقيق فانهم لا يتعاطونها الا فى داخل البلاد من قرية الى قرية ومنع ذلك يكاد يكون مستحيلا ، اذ ليس الاسترقاق هو اليوم بالقوة المسلحة كما كان قبلاً ، بل فظائع ولكن العربي أو المستعبد الى يضفها ليفنسون وستورم وهوديستر هذه كلها دخلت فى خبر كان . ولكن العربي أو المستعبر لا يشتغل بيده فلا يستغنى عن العبد ، لأجل الغراس وخدمة البيت والنقل والحل ، وليست معاملته للعبد بسيئة وقد ينتقل العبد من سيد الى سيد ، والذي يظهر انه لو تحرر هؤلاء العبيد كلهم دفعة واحدة لكانت ضربة قاضية على سعادة البلاد ، وتحول هؤلاء الى رعاع متشردين .

وان العنصر العربي لا يزال عظيا في جهات كاسونغو ، لكن مجده الماضي قد زال ، والمراكز التي كانت لموني محره (١) وسعيد بن عبد لى قد ذهبت . أما كاسونغو القديمة ، فهى قرية جيلة مبنية باللبن مقطعة بالشوارع وهناك عرب صراح يلبسون جبباً بيضاء ، ويتلفعون بكوفيات مطرزة تطريزاً بديعاً ، سياهم تدل على الكرامة والوقار ، وحركاتهم

<sup>(</sup>١) يظهر انه اسم زعيم عربي

وسكناتهم مقرونة بالأدب التام ، والكياسة المتناهية ، والرصانة الفائقة ، فنسق حياتهم يختلف كثيراً عن نسق الزنزيباريين العبيد القدماء ، الذين يظهرون عظمة تستحق السخرية ، بتقليدهم ساداتهم العرب في كسوتهم و رفاهيتهم .

ومرة دعانى أحد العرب فى كاسو نغو الى منزله قائلا: سفا كيدى كاريبو. ومعناها: صباح الخير تفضل. فدخلت الى بيته فوجدته مفروشاً بالحصير ومزيناً بالمتاع اللطيف ، وأبواب البيت والشبابيك كلها منقوشة ، وعلى أحد الأبواب كتابة عربية أظنها آية من القرآن. فقدم لى العربى طاساً لذيذاً من القهوة ، وباعنى بعض الحصر ، وهو يظهر انه انما أسدى الى مكرمة.

وترى القرى على الطريق المؤدية من كاسونغو القديمة الى كاسونغو كلها جيلة نظيفة والمسحة العربية بادية عليها ، ولكن مرض النوم فاش في هذه الأنحاء ، وقد نقص كثيراً في عدد الأهالى في جوار كاسونغو . ولا تجد في جوار كاسونغو أكثر من ألف مستعرب من الرجال البالغين ، وثلاثة أو أر بعة عرب صراح ، وأر بعة أو خسة زنجباريين ، وليس بين الأهالى جامعة يخشى من عواقبها ، فنقدر أن ننظر الى المستقبل باطمئنان .

ثم ذكر مدينة نيانقفة Niangwe فنقل عن قائم المقام السويدى غليروبGleerub قوله في سنة ١٨٨٦:

« ان نیانقفه هی مقر العرب الأصلی و هی مقسومة الی قسمین یفصل بینهما واد عمیق تکثر فیه مزارع الأرز ، فاذا بلغ ارتفاع نهر الکونغو معظمه طمت المیاه علی هذا الوادی . وقد ازدادت هذه المدینة من عهد ستانلی ازدیاداً عظیا ، فأهلها الیوم یبلغون نحو عشرة آلاف . وتری علی جانبی الوادی أفر المزارع والمغارس وجیع الأشجار المشمرة الجاو بة من افریقیة الشرقیة ، کذلك العرب أدخاوا فیها المواشی والجیر الفارهة للرکوب هد . قال فریترفان درلیدن : « أما الیوم فقد نزلت نیا نقفه عن درجتها هذه ، بسب ثورة سنة ۱۸۹۳ ، و عرض النوم أیضا ، ولم یبق فیها الا ألفارجل . وتحولت تلك المخارف البدیعة التی كانت مصطفة بها الأشـجار علی ضفتی النهر ، الی شعاب سطا علیها العوسیج والشوك ، ولم یبق فی نیانقفه منزل یستحق الذكر ، سوی بیت بیانیسنغا Pianisengha

هــــذا الزعيم العربي الذي بقي أمينا للحكومة البلجيكية ، وحظى بمقابلة الملك في قصر بروكسل » .

ثم في الصفحة ٢٧٤ من الكتاب ذكر المؤلف نهراً يتشعب من الكونغو، و يمتد يحو ٢٠٠٥ كيلو مترا بعرض يتفاوت من ٢٠٠٠ الى ٢٠٠٠ متر، وقال ان على جانبيه القرى، وان الأهالي هم من العرب والمستعربين، والطراء من أما كن بعيدة. و وصف العرب بالنظافة والاتقان في العمل، وقال ان المستعربين والعبيد الذين يخدمونهم يشكلون قرى نظيفة تحيط بها مزارع أرز واسعة. ثم أطرى هؤلاء الأهالي في شدة انهما كهم بالتحارة.

وفى الصفحة ، ٢٩ ذكر قرية مستعربة مدحها بنظافتها ، و بين الفرق العظيم بينها و بين القرى الأخرى التي يسكنها غير المستعربين ، وشاهد فيها سوقاً مهمة تقام كل يوم من الصبح الى نحو الظهر فى ساحة القرية ، و وصف الدكاكين التي فيها ، معروضة أمامها أصناف البضائع ، وحوانيت الخياطين و باعة الخزف والخوص وغير ذلك ، وقال ان المستعربين رحبوا بهم ترحيباً ودعوهم الى منازهم ، فعاجوا على معلم كتاب أمامه جاعة من الصبيان يعلمهم القرآن .

وذكر ان سكان هذه القرية المستعربة يبلغ عددهم ألني رجل. وقال انه سأل المسيو دومولمستر المندوب العام في الكونغو، عن عدد المستعربين في الولاية الشرقية من الكونغو فقال له: لا أقدر أن أجزم بشئ، ولكنني أظن انهم نحو مائتي ألف. فقال له: أفلا تراهم خطراً دائماً على المستعمرة? فأجابه: كلا. لأنهم متفرقون، ولاننا نحن نملك القوة اللازمة لقمع كل ثورة. ثم قال له:

«طالما اتهم هؤلاء العرب والمستعربون تهما باطلة ، فلا أنكر انه يجب علينا مراقبتهم واجبارهم على طاعة القوانين ، ولكن مما لاأنكره أيضا انهم عنصر جيد فى البلاد ، لأنهم قوامون على الزراعة ، مدنيون بطبعهم ، وعندهم ميل الى الجنس الأبيض ، ونحن كل سنة نشترى منهم فى جهات ستانليفيل و بو نتيارفيل ولوكاندو وكيروندو ، مقدارا مهما من الأرز » . اه

# سلطنة راج

# لفتركنب

معلوم انه كان رجل يقال له الزبير باشا حاكما من قبل الايالة المصرية على بلاد بحر الغزال من السودان ، فصرفته الحكومة المصرية من هناك برجل ايطالى الأصل ، اسمه غسى باشا ، واعتقلت الزبير باشا بمصر . فثار ابنه سليان انتقاما لأبيه ، فانهزم وقتل ، وتفرق الجاعة الذين كانوا حوله وحول أبيه ، ومنهم عبد للزبير اسمه رابح ، انفرد بنفسه وتبعه كثير من الضباط الذين كانوا مع الزبير ، فشد ثمانية بيارق كل بيرق ١٢٠ رجلا الى مسلحا . و وقع ذلك سنة ١٨٧٩ فباشر رابح بهذه القوة غزواته الشهيرة ، ولقبه رهطه السلطان رابح وهذا كان مبدأ أمره .

وقد كتب كثير من الأو بيين على راج هذا ، من جلتهم صديقنا البارون ماكس. أو بنهايم الألمانى الذي هو من أشهر الرحالات الذين عرفوا الشرق وأهله ، فانه ألف كتابا اسمه Rabeh und Tchadgebiete أى ، « راج و بلاد تشاد » ، جاء فيه بخبر هذا الرجل الأفاق على وجهه (١٩٠٢) وكذلك كتاب جنتيل Gentil المسمى « سقوط سلطنة راج » المطبوع سنة ١٩٠٢ أيضا . وقد جاء ذكر راج في كتاب للدكتور دكورس Decorse طبيب الجنود في المستعمرات الفرنسية ، والمسيو دمومبين Demombynes أحد أساتدة مدرسة المستعمرات ، واسم هذا الكتاب « راج وعرب الشارى » وألف المسيو دوجارى. مدرسة المستعمرات ، واسم هذا الكتاب « راج وعرب الشارى » وألف المسيو دوجارى. كتابا اسمه « حياة السلطان راج » وغير ذلك .

وأول مابداً رابح بالعمل كان فى « دار مانغا » اذ منها غزا غزوة فى دارفور ، ثم فى واداى ، ثم واصل غزواته فى باطن السودان ، وجعل مركزه فى بلاد شارى . ثم صعد فى نهر شارى الى ضفته الشالية ، ثم نزل الى ضفته الجنوبية وأقام مدة ببلد «كوتى» وغزا بلاد « سومراى » ومازال من غزاة الى غزاة الى سنة ١٨٩٧ فأقام ببلدة « بوسو » على الشارى وجهز جلة على « الباقيرى » ، فاستولى عليها . والتجأ سلطان الباقيرى الى بلاد الشارى الأسفل ، ثم الى واداى (١٨٩٤) فوجه رابح حينئذ عزمه الى بو رنو واستولى على الشارى الأسفل ، ثم الى واداى (١٨٩٤) فوجه رابح حينئذ عزمه الى بو رنو واستولى على

« كرناك لوغبون» فأرسل اليه سلطان بو رنو قوة يقودها محمد طاهر وما لا كريم ، فهزمها رابح و زحف رابح قاصدا «كوكا » عاصمة بو رنو بطريق « نقالة » فرج هاشم سلطان بو رنو لقتاله ، والتقيا في أم « حبيس » فانكسر هاشم ودخل رابح «كوكا » ، وجعل عاليها سافلها ثم اعتصم ببلدة اسمها « ديكوا » فقام بسلطنة بو رنو أبو خيارى عم السلطان هاشم ، وناوش رابحا القتال . ثم انبرى لمقاومة رابح زعيم ديني اسمه الشيخ أبو قنطور ، فصارت بينهما واقعة في «غاجيبو» الى الشرق من ديكوا ، ومع هذا فبتي رابح سائدا ، وكان سلطان زيندر يدفع اتاوة لسلطان بو رنو ، فلما استولى رامح على بو رنوا أبى دفعها له ، فزحف فضل الله بن رابح الى سلطان زيندر المذكور وقاتله فلم يظفر منه بطائل .

وينها الأمور متسقة لراج وهو يفكر في تأسيس سلطنة عظيمة اذ زحف اليه الفرنسيس الذين هالهم مستقبل أمره ، فقصدوا خضد شوكته قبل أن يستفحل شائه ، ففي ١٥ يونيو (حزيران) سنة ١٨٩٩ وصل الضابط بريتونه Bretonnet الى كونو ، فنهد اليه راج بقوة صاعدا نهر شارى وما زال من بلد الى بلد حتى وصل الى كونو ، فاما علم الضابط الفرنسي بوصوله أخلى كونو واعتصم بهضاب عالية موافقة للدفاع من بلاد «نياليم» ، ولكن راج استأصل تلك القوة الفرنسية بأسرها مع قوة «غاورانغ» سلطان الباقيرمي ، الذي كان حليفاً للفرنسيس ، وذلك في ١٧ يوليو سنة ١٨٩٩ .

وعاد راج الى كونو فهاجمه الفرنسيس بقيادة جنتيل فى ٢٧ اكتوبر من السنة المذكورة ، فلم يقدر وا على أخذ المدينة ، ولكنهم اضطروا رابحا الى اخلائها من نفسه . فأنحاز راج الى بلدة « ميلتو » ثم قصد « لوغون » من جهة بحر الرقيق وعاد الى ديكوا ، فلم يقم بها الا شهرا وذهب يحشد جنوده فى « كوسرى » .

فزحفت اليه معاً جنود البعثة الصحراوية ، و بعثة افريقية الوسطى ، و بعثة شارى ، تحت قيادة جولاند Jolland وما نبيه Maynier وذلك فى ، ١ دسمبر سنة ١٨٩٩ ثم فى السنة التالية أردفا بقائدين آخرين ، فو رو Foureau ولاحى لاحى الله بن رابح وناوش مانييه القتال ، وكانت قوة فضل الله ستمائة بندقية . ثم بلغه ان لاحى استولى على كوسرى . فزحف الى كوسرى من الجنوب ثم اضطر ان أن يرجع الى لوغون . وجاء رابح بنفسه فيم فى «لختة» ودارت رحى الحرب فانكسر رابح وقتل فى ٢٢ ابريل ، ولكن

رجاله قتاوا من الفرنسيس عدداً كبيرا، منهم القائد لامى نفسه ، وقائد آخر اسمه «كوانته» . و بلغ فضل الله خبر مقتل أبيه ، وهو فى لوغون ، فاخلى هذه المدينة قاصدا ديكوا التى كان فيها اخوه « نيابى » ، فقصده الفرنسيس الى ديكوا فرج منها بدون قتال ، فتعقبه الفرنسيس بقوة أدركته فى لا مايو سنة . . ، ، ، فى مكان يقال له «دغيمبه» فدحرته الى الجنوب فسار وا و راءه الى محل يقال له « ايشيغو ية » فلم يفو زوا منه بطائل ، ثم وقف فضل الله فى بلدة تسمى « برغامه » وأخذ يحشد جنوده مراقبا حوادث بو رنو .

وكان سلطان بو رنو « عمر ساندا » يكره الفرنسيس فعزله هؤلاء و ولوا مكانه اخاه « غرباى » فقصده فضل الله وتغلب عليه فى واقعة « نقاله » ففر الى جهة كانم . فاشتد عزم فضل الله وكشر عن ناب العداوة للفرنسيس و بعث الى قائد منهم اسمه «ر و بيليو » يطالبه باسلاب أبيه التى أخذوها من كوسرى ، فأرسل ر و بيليو الى فضل الله ثلاثة رسل يعرض عليه الملاقاة فأمى فضل الله بقط رقابهم . فقصده ر و بليو بجيشه وهزمه : فالتجأ فضل الله الى مستعمرة النيجر الانكليزية ثم رجع الى معسكره الأصلى فى « برغامه » وهناك دخل فى مفاوضات مع الانكليز و زاره الماجو ر « ماك كلينتوك » ، ثم بلغ فضل الله ان غرباى عاد الى بو رنو واستوى على عرشها . فقصده وهزمه ودخل ديكوا . فزحف الكولونل « قوجبه » من أراض المستعمرة الانكليزية فقتل فضل الله قى المعركة وتشتت الذين معه ، ودخلوا الى بلاد « كبردى » التى أهلها وثنيون فقا تلوهم بالسهام فاضطر نيابى بن رباح أن يستسلم الى الفرنسيس . وهكذا انتهت سلطنة راج وأولاده بعد أن لمعت سيوفهم لمعانا هائلا يستسلم الى الفرنسيس . وهكذا انتهت سلطنة راج وأولاده بعد أن لمعت سيوفهم لمعانا هائلا يستسلم الى الفرنسيس . وهكذا انتهت سلطنة راج وأولاده بعد أن لمعت سيوفهم لمعانا هائلا

# ﴿ تابع للكلام على مملكة واداى و دارفور و باقيرمى و بونو وغيرها من ممالك أواسط افريقية ﴾

### للفيركسب

تقدم ما نقلناه عن تأسيس سلطنة واداى من رحلة الشريف بن عمر التونسى ، وقد اطلعنا على رحلة لرجل انكليزى محفوظة عند السادة السنوسية ولم يصرح فيها باسم المؤلف، ففيها رواية ثانية وهي هذه ملخصة :

في السنة العشر بن بعد الألف أسقط عبد الكريم بن يامي حكومة « تينجر » الكافرة وأسس حكومة واداى . وابنه خاروط الذي خلفه أسس مدينة « وارا » وجعلها عاصمة للملكة المذكورة. وخلفه ابنه خريف الذي قتلته قبيلة « تاما » لئلاث سنين من ملكه. وخلف هذا أخوه الأصغر يعقوب عروس. وهذا هو الذي كان قاتل سلطان دارفور موسى ابن سليمان وسليمان هذا هو أول سلطان مسلم على دارفور . وقد دارت الدائرة على يعقوب سلطان واداى وخلفه ابنه خاروط النانى الذى استمر ملكه أر بعين سنة بالراحة والسعادة . تم خلفه ابنه جوده الملقب بخريف التمان ، والملقب أيضاً بمحمد صولاى الذي معناه مجمد المنجى ، لأنه نجبي واداى من نير دارفور في مدة السلطان أبي الفاسم سلطان دارفور وهذا هو المسلم السادس من سلاطين هذه المملكة . ثم ان محمد صولاى هذا استولى على كانم ، انتزعها من يد السلطان بورنو ، وتولى أر بعين سنة . وخلفه ابنه صالح الملقب « بدر"ة » ولم يكن محمود السيرة. وفي السنة النامنة من حكمه ثار عليه ابنه عبد الكريم الملقب بصابون فقتل الوالد وتولى الولد وكانت حكومته أكثر حكمة من جميع الحكومات التي عرفتها واداي. فتقوت فيأيامه واداي وطوّعت الباقرمي وأراد أن يفتح طرقاً الى الشمال الىالبحر الأبيض ، لكنه تو في سنة ١٢٣٠ تاركا ستة أولاد من الذكور لعشر سنوات من ملكه . ووقع اختلاف بين أولاد صابون وحروب ، انتهت بظفر حزب ولده يوسف. فهذا تولى ١٦ سنة بالظلم والقهر ثم قتل سنة ١٧٤٥ وخلفه ابنه راكب، فات بتلك السنة . وجلس على كرسي الملك « م o - ثالث »

أحد أفراد البيت المالك واسمه عبد العزيز بن راداما ، فتولى نحو خس سنوات ونصف سنة وتوفى ، فتولى ولده الصغير آدم فهذا بقي سنة واحدة ثم أخذ أسيراً الى دارفور بطلب مجد صالح أخى السلطان عبد الكريم صابون الذى استمد محمد فضل سلطان دارفور لاسترجاع ملكه . فجلس محمد صالح على كرسى واداى سنة ١٢٥٠ وأحسن السياسة ، وفى سنة ١٢٦١ هاجم مملكة بورنو فلم يفز بطائل ثم ثار محمد بن محمد صالح بابيه ونشبت حرب داخلية .

قال الرحالة الانجليزى: ولما برح الناقل باقرمى ، كان سمع أن الابن غلب أباه وجلس مكانه فليس فى هذه الرواية شئ من خبر انتساب سلاطين واداى الى بنى العباس.

وذ كر هذا الرحالة فوائد كثيرة عن أواسط افريقية ، فلما كان في سياحته هذاك أي. منذ ثمانين سنة ، كان جيش دارفور عشرة آلاف فارس ، وكان في وسع واداى أن تجهز خسة أو ستة آلاف من الخيالة ، وكانت مملكة الباقرمي تقدر أن تجند ثلاثة آلاف فارس ، هذا مع العرب الذين يقال لهم «شوا» و يقولون لهم «شيوا».

قال : وعرب شيوا الدين في باقرمي ، ينقسمون الى أولاد سلامه و بني حسن وأولاد موسى وأولاد على وديغاغره

وذ كر معاومات أخرى عن تأسيس ممالك دارفور والباقيري أو الباجيري والماجيع انه من السنة التسعائة الى الألب للهجرة ، كانت أمة التينجر من الكفرة تملك جميع دارفور وواداى والباقيري ، فني نحو السنة الألف غلب على دارفور الأمير المسمى كورد وأسس سلطنة دارفور وكان خلفه الثالث سليان وهو أول من أسلم من ملوك دارفور . ثم فاز عبد الحريم ابن ياي بسلطنة واداى . وأسامت سلطنة الباقيري بعد واداى بعشر سنوات ، وأول من ملكها من المسامين السلطان عبد الله ، وخلفه ولده « وانجا » وخلف وانجا « لاونى » وفي مدة لاونى اضطرت الباقيري أن تدفع اتاوة لسلطنة بورنو . ثم ملك السلطان بوغوماندا في الباقيري ، ثم الحاج محمد الأمين ، وكان ملكه حليفا للاقبال والمجد وخلفه ابنه عبد الرحن فار به عبد الكريم صابون سلطان واداى ، وقهره وقتله بطلب محمد الكريم على تخت الباقيري ابن السلطان المقتول وهو عبد الرحن وكان صغيراً . فاءه أخوه الأ كبر عثمان وسمل عينيه ابن السلطان المقتول وهو عبد الرحن وكان صغيراً . فاءه أخوه الأ كبر عثمان وسمل عينيه

<sup>(</sup>۱) الرحالة التونسي يذكر أن سبب غزو عبد الكريم صابون للباقرمي ، هو سوء سيرة سلطان هذه البلاد وتماديه في انباع شهواته حتى انه تزوج باخته مع نهى علماء الدين له بأجمعهم

وجلس مكانه فعاد سلطان واداى الى الباقيرى وحارب عثمان وهزمه وأعاد الى السلطنة أخاه الأعمى . ولما عاد عبد الكريم الى بلاده ، ظهر عثمان وغلب أخاه وأغرقه فى النهر وجلس محله ثانية . ثم ثار به الأهالى فلعوه ، ونصبوا أخا آخر له يسمى الحاج فالتجأ عثمان الى عدوه القديم سلطان واداى . فأعاده عبد الكريم الى ملكه ولكنه ضرب عليه اتاوة أعظم عاكانت تؤدى الباقيرى الى بورنو . فلما رأى الشيخ سلطان بورنو أن الباقيرى لا تريد أن تكون تحت سلطة بورنو ، استمد يوسف باشا والى طرابلس لقتال الباقيرى ، فأرسل اليه أمير فزان مصطفى الأجر ومعه قوة سنة ١٢٧٨ ، ثم فى سنة ١٢٧٠ كانت حرب انفالا الثانية ولم يوفق سلطان بورنو لتدويخ الباقيرى . ومات عثمان سنة ١٢٧٠ وخلفه ابنه عبد القادر الذي كان هو الجالس على عرش باقيرى يوم حرر ذلك السائح رحلته وقال ان سكان باقيرى يومئذ كانوا مليوناً ونصف مليون نسمة .

وذكر سياحته الى مملكة « لوغون » ومقابلته لسلطانها ، ولكن بدون أن يشاهده وجهاً لوجه بل كان السلطان قاعداً و راء ستر من الحصير ، وكان يترجم بينهما ضابط بورنوى ، اسمه « كاشلا معدى » كان ذهب الى هناك لقبض الاتاوة السنوية التى تدفعها لوغون الى بورنو . ويقال لسلطان لوغون « ميارا » ( بتشديد الياء ) فعرض السائح الانكليزى السلطان المذكوران الدولة الانكليزية كانت أرسلت ضابطا معتمداً من قبلها وهو المسمى بالرئيس خليل ، لاجل تقديم التحية لوالده « ميارا صالح » ، وهى الآن مرسلته هو لاجل تقديم التحية لسعادته السلطانية . فسر السلطان بذلك وكان اسم هذا السلطان ميارا يوسف . وكانت مملكته تدفع اتاوة لبورنو وللباقيرى معا . ويقول السائح الانكليزى ان مملكة لوغون كانت جديدة ولم يكن مضى على دخولها فى الاسلام أكثر من ستين ان مملكة لوغون كانت جديدة ولم يكن مضى على دخولها فى الاسلام أكثر من ستين الن عملكة لوغون كانت جديدة ولم يكن مضى على دخولها فى الاسلام أكثر من ستين الغون عاصمة لوغون قاصداً الباقيرمى ، و بعد أن ذكر تفاصيل كثيرة عن أحوال تلك البلدان ، وصناعتها و زراعتها وغاباتها وأنهارها ، ومن عرف من رجالها ، ذكر رجلا اسمه الحاج أبو بكر صادق من أهل الباقيرمى كان يحسن العربية ، أنه سهل له أموره وساعده فى شدائد كثيرة عرضت له ، وفى دخول « ماضه » عاصمة الباقيرمى . وكان سلطان الباقير مى فى شدائد كثيرة عرضت له ، وفى دخول « ماضه » عاصمة الباقيرمى . وكان سلطان الباقير مى البامباره فى شدائد كثيرة عرضت له ، وفى دخول « ماضه » عاصمة الباقيرمى . وكان سلطان الباقير مى البامباره

على ساحل البحر المحيط ، كان يتجر بين تنبكتو والتوات ثم قصد المدينة المنورة ، ومنها جاء الى بر الشام وحضر حصار ابراهيم باشا ابن مجمد على لعكا ، ثم ذهب الى بغداد والبصرة وأخيراً عاد الى المدينة المنورة ، وكان مجيئه الى الباقيرمي لاجل أخد عبيد لخدمة الحرم النبوي. والثاني هو المسمى بالفقيه سامبو من الفلا"نه ، كان مكفوفا ، لكنه في غاية النباهة ، قرأ في الازهر وتبحر في الادب والفلسفة ، وكان قصد مدينة زبيد في اليمن لدرس الحساب والجبر لاشتهار زبيد بهذه العلوم ، فحال دون وصوله الى زبيد ما كان من حروب الوهابية ، فجاء الى دارفور ومنها الى واداى ، واتصل بسلطانها عبد العزيز ، ثم بعد موت هذا السلطان تحول الى الباقير مي . قال السائح الانكليزي ان فقيه سامبوكان يروى تاريخ الخلافة ، و يحدث عن عظمتها من بغداد الى الاندلس ، و يعرف ذلك حق المعرفة . وأما الثالث ، فكان رجلا مصريا اسمه سلمان هو في غاية التهذيب ، وقد عرف استانبول ومكة وغيرهما من البلدان. قال واثناء اقامته عاضة احتبس المطرطويلا، فتطير به الاهالي وقالوا ان قدوم هذا السائح الانكليزي هو السبب في امتناع الغيث فقال لهم: ان هذا عيب عليكم لانكم مسلمون ولا يجوز أن تكون لكم أفكار عبدة الاصنام. فقال له أحد رجال تلك الدولة: نعلم انه لا يحتبس المطر بسبب أحد ولكن نرغب اليك أن تشترك أنت مع الاهالي في الدعاء بنزول الغيث. ثم وردت الى السائح كتب من الحكومة الانكليزية تشكره فيها على عمله ، ومن سلطان بو رنو يلتمس منه الرجوع اليه. فوقعت هذه الكتب في أيدي رحال الحكومة الباقيرمية ، فحصلت لهم فيه شبهة وأرادوا أن يعتقلوه ، وطلبوا منه كتاب الرحلة الذي كان يحرره ، وأحيلت هذه الكتب والرحلة الى جاعة العلماء الذبن هناك ومنهم الفقيه سامبو ، فبعد البحث فيها قالوا للحكومة ليس في هذه المكاتبات شيء يوجب الحـــنـر ، وهذا الرجل انما غايته العلم والاطلاع . و بعـــد ذلك امكنت السائح مقابلة السلطان عبد القادر الباقير مي ، فقال للسلطان : ان الدولة الانكايزية هي متفقة مع سلطان استامبول! ومن هنا يظهر انه طالما تقرب الانكليز الى ماوك الاسلام ، حتى في السودان ، بدعوى الاتفاق مع سلطان استانبول ....

#### شرقى افريقية

## لفارتنب

من البلاد الاسلامية المعدودة في افريقية ، بلاد سواحل زنجبار والصومال والغاله Gallas والقسم الاسلامي من الحبشة . ولما كان هدفنا الذي نرمي اليه في هذه التعليقات ليس التعريف بجميع بلدان الاسلام وشؤون الاسلام ، بل التعريف بما نأى من البلاد وغمض من الشؤون وخفي من الأخبار ، مع ترك الحقائق المشهورة والتواريخ التي يعرفها الخاص والعام ، رأينا أن نقول كلة عن هذه البلاد .

لا يخفى أن سياسة « المناطق » هى الصفحة الأولى من الاستعار » ولا يوجد شي أشد خطراً على المنالك المستقلة من تعيين الدول العظام « المناطق » التي يتفقن على اعطائها لكل منهن » فقد تكون أعدى من الجذام » وقد تجر الى الحروب العظام . وما أخذت فرنسا مما كش الا مقابلة لأخذ انكلترة مصر » وما دخلت ايطالية طرابلس الا مقابلة لأخذ تينك الدولتين مما كش ومصرا . وما شبت حرب البلقان الا على أثر الغارة الايطالية على طرابلس وذلك أن دول البلقان الصغيرة لما رأت ايطالية قد استباحت حمى الدولة العثمانية بدون أدنى تحرج » وخلافاً للعاهدات الدولية » أباحت هى لنفسها ما أباحه غيرها لنفسه » فكانت الحرب البلقانية التي هي بلا مماء أم الحرب العامة . فأنت ترى ما ولده جشع الدول الكبرى وما نشأ عن تقسيات فرنسا وانكلترة في افريقية ، عوجب عقد سنة ٢٠١٧ ، ولنذ كر لك الآن خلاصة استيلاء الألمان على مستعمرة شرقى افريقية ، وقضاءهم على سلطنة تلك البلاد التي كانت للعرب فنقول :

كان بسمارك يكره الاستعار ويذهب الى كون ألمانيا يجب أن تكتفى باستثمار داخل بلادها ، وتمضى في طريق ترقيها الصناعي الذي فاقت فيه جيع الأمم ، وكان يتجنب مشكلات الاستعمار التي هي مفاتيح للحروب والمصائب ، ولكن جيع الألمان الذين كانوا يسيحون في البلدان الشرقية ، ويرون أعلام فرنسا وانكلترة وهولاندة خافقة على بلاد

السود والحر والصفر ، لم يكونوا يرون رأى بسمارك ، بل كانت تأخذهم الغيرة من تبسط هاتيك الدول وراء البحار مع انكماش ألمانيا في داخل بلادها . مع أنه كما قال الشاعر :

فلا كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس في مجمع

تم لما اتسعت تجارة ألمانيا وارتقت صناعتها هـنا الارتقاء الهائل ، لم تشأ الشركات الألمانية أن تبقى في استجلاب المواد الخام عالة على تجار المالك الأخر ، بل أحبت أن تكون لها مستعمرات هي أيضاً تأخذ منها ما تحتاج اليه رأساً ، وما زال الألمال ببسمارك حتى أنزلوه الى ميدان الاستعار .

وأول شركة تجارية ألمانية حاولت التملك في افريقية هي شركة فرمن ١٨٨٨ أن النقلية ، كانت لها مصالح عظيمة في سواحل افريقية الغربية ، فأرادت عام ١٨٨٨ أن علك لنفسها مرسى على تلك السواحل ، وسنة ١٨٨٨ أبلغ سفير ألمانية في لندن حكومة بريطانية العظمى ، ان الأراضي التي لا يكون عليها دعوى من انكلترة أو دولة أخرى ، تحفظ ألمانية لنفسها حق وضع اليد عليها . وفي ٢٤ ابريل سنة ١٨٨٨ أبلغت ألمانية انكلترة أن الأراضي التي تملكها الألمان داخل مرسى « انغرابكينا » وشمالي نهر الاوراج بموجب صكوك بينهم و بين بعض زعماء الهوتنتوه هذه ، قد صارت تحت الحاية الألمانية . وأبدت حكومة مستعمرة الكاب معارضة لها الأراضي بالفوة .

وفى تلك الاثناء كانت فرنسا قد اتفقت مع انكاترة على اقتسام البلدان الواقعة شمالى سيراليون ، وانكاترة اتفقت مع البرتغال على اقتسام مستعمرات جنوبى افريقية ، فاشتدت حركة الغيرة في المانية ، وسنة ١٨٨٨ اشترت شركة فرمن السالفة الذكر أرض مالنبا Malinba في الدكامرون ، وسنة ١٨٨٨ التمس بعض زعماء بلاد توغو باغراء تجار الالمان حماية الامبراطورية الالمانية ، ومنذ ذلك الوقت تأسست مستعمرة الدكامرون واضطرت انكاترة وفرنسا ان تحددا حدود مستعمراتهما بينها و بين المانية ، التي صارت مالكة الدكامرون والتوغو ، وتم ذلك سنة ١٨٨٥ و ١٨٨٨ .

ولم يقتصر الالمان على منافسة الانكايز والفرنسيس في غربي افريقية بل تبسطوا في شرقي هذه القارة ، فاشترت «شركة الاستعار الالماني » سنة ١٨٨٤ أراضي واسعة في

بلاد فيتو Witu ، واتفقت مع سلطان فيتو على أن يعترف بحمايتها للاراضى المذكورة. فاحتج سلطان زنجبار على عمل سلطان فيتو وزعم أنه لا يملك حق النزول للالمان عن شي ، وسرح جنودا الى هاتيك الارجاء لحفظ حقوق سيادته عليها. وكان سلطان زنجبار يدعى حق السلطنة على جيع البلاد الممتدة من رأس دلغادو Cap Delgado جنوبا ، الى فارشيخ Warscheich شمالا ، والتي تمتد من البحر الى البحيرات الكبرفى داخل القارة .

فالالمان نالوا من الانكايز الاعتراف بصحة عملهم ، فى اتفاق مؤرخ فى ٣٠ مايو سنة ١٨٨٥ وفى ٧ أغسطس من تلك السنة جاءت خس بوارج حربية المانية ، وهددت سلطان زنجبار فى عاصمته بجزيرة نزيبار . فانتهى الخلاف بعقد معاهدة بين السلطان والالمان ، على أن تعنى من المكوس جميع البضائع والمتاجر المشحونة الى بلاد الالمان ، وجعلت فرضة دار السلام على الساحل الافريق فى يد المانية . وتأسست مستعمرة شرقى افريقية الالمانية ، وتعينت لجنة المانية مختلطة بانكليز وفرنسيس لنحديد حدود هذه المستعمرة .

وسنة ١٨٨٦ تم تعيين الحدود ، فخرج فى نصيب سلطان زنجبار جزر زنزيبار و بمبا ولامسه Lamce ومافيا Mafia ، وعشرة أميال بحرية من العرض على طول سيف البحر الممتد من مصب نهر المينيغانى فى جون زونغى Zunghi الى كيبينى Kipini ، مع بلاد كيسماجو Kismaju و بارافا Barawa و مركا Makdischu ومقديشو Makdischu و فارشيخ . و تعين لسلطان فيتو البلاد التى تمتد من كيبينى الى شمالى جون ماندا Manda .

وكان حد المستعمرة الألمانية من الجنوب نهر رفوما Rovuma ومن الشمال خط عتد من مصب نهر الفانغا Wanga الى بحيرة جيب Jipe ومن هناك في وسط أراضي زافتا كaveta ودشاقا Dechagga تابعاً المصب الشرقي من « الكليمانجار و » حتى بحيرة فكتوريا نيانزا وتعهدت المانية بان لا "عتد شهالي هذا الخط ، وانكاترة بان لا تعتد جنو بيه وأما البلاد التي في الشمال الى زانا Zana ومنها الى معارضة الدرجة ، من العرض الشمالي مع الدرجة ٧٣ من الطول الشرقي ، فجعلت منطقة نفوذ انكليزية . واتفقت دولتا انكاترة والمانية على اقناع سلطان زنجبار بقبول معاهدة الكونغو ، كما ان المانية رضيت بامضاء الاتفاق الانكليزي الفرنسي ، المتعلق بهام استقلال زنز يبار . وفي ٤ ديسمبر سنة ١٨٨٦

امضى سلطان زنريبار هذا الاتفاق الذي امضته فرنسا أيضا. وفي ١٠ ديسمبر رضيت البرتقال أن يكون نهر ر وفوما حداً بينها و بين المستعمرة الالمانية ولكن الالمان اتبعوا خطة غيرهم في التوسيع ، فاضطرت انكاترة ان تذكر المانية بكون معاهدة سنة ١٨٦٦ الانكايزية الفرنسية تضمن استقلال سلطنة زنريبار ليس الجزر فقط ، بل السواحل التي تقابلها . فادعت المانية أن كلا من سلطان زنريبار وسلطان فيتو عاجز عن توطيد الامن والنظام في أرضه ، وأرادت ارسال حلة عسكرية بحجة الغاء الرقيق وتنظيم البلاد ، ولما كان بسمارك بدهائه لا يريد ايجاد معضلة سياسية بينه و بين دولة عظيمة كانكاترة لاجل مستعمرة ، فقد اختار طريقة اخرى وهو ان يشترى سموت انكلترة ببعض المسامحات ، فاعترف في ١٩ اغسطس سنة ١٨٨٩ بان المانيا تعتبر الاوغانده ووادلاى والاراضي الواقعة شمالي الدرجة الواحدة من العرض الجنوبي ، خارجة عن دائرة العمل الالماني .

وفى مدة كاپرينى عقدت المانية مع انكاتره اتفاقا تنزل فيه هذه عن جزيرة هليجو لاند التي فى البحر الشمالى ، بمقابلة تخلى المانية لانكاترة عن حاية سلطنة فيتو وساحل الصومالى ، وصار لانكاترة بموجب هذا الاتفاق حق السيطرة على سلطنة زنزيبار ، مع جزر بمبا والاراضى التابعة لفيتو ، وأنزل سلطان زنزيبار لالمانية عن جزيرة مافيا وما يقابلها . وذهبت سلطنة فيتو باستيلاء انكاترة عليها ، وهكذا تمزقت هذه السلطنة العربية كل ممزق باتفاق انكاترة مع المانية ، وهو الذي نقضت بموجبه جميع هاتيك العهود السالفة . وكان ينبغي للعرب الذين اغتروا بمواعيد انكلترة لهم فى أثناء الحرب العامة ، أن يطلعوا على ما جريات هذه الدولة ومعاهداتها مع عرب آخرين مثلهم ، فر بما كان لهم بذلك عبرة يعتبرون بها . . .

ولم تقبل فرنسا ان تصدق هذه المواطات الانجليزية الالمانية الا ببدل ، هو اعتراف انكلترة بحماية فرنسا لماداغسكر .

وتبلغ مساحة المستعمرة الالمانية المسماة بمستعمرة شرقى افريقية ، ٩٥٠٠٠ كيلو متر وعدد سكانها سبعة ملايين وخسمائة وأحد عشر الف نسمة ، من أصلها ثلاثة ملايين من أمم البانتو والواميهي والمافيتي والفاهوما والمأسايي . وهم سكان البلاد الأصليون ، ومن يقى فهم جنس اسمه السواحلي ، متولد من اختلاط العرب والزنوج ، فهؤلاء يبلغون ثلاثة

ملايين ونصف مليون هذا بحسب تقويم المسيو براديه Prader ناموس مجلس الأمة الفرنسي في كتابه المسمى « بالمستعمرات الألمانية وقيمتها » المطبوع في سنة ١٩١٩ ، ويقول المؤلف المذكور ان في هذه المستعمرة خسة آلاف عربي . ونحو عشرة آلاف هندي ، ونحو مدر أوربي أكثرهم ألمان . وهذه البلاد من أوفر بلاد الله محاصيل وغلات ، وفيها معادن كثيرة ، وقبل الحرب بقليل صدر منها الى ألمانية ١٦ ألف بالة قطن ، ونصف مليون كيلو من البن ، وأطال الكتاب .

وقد ورد في كتاب « السلطنة الاستعارية الالمانية » ما يأتي ملخصا:

« ان البرتقاليين لما جاءوا الى هذه البلاد فى أواخر القرن الخامس عشر ، وجدوا فيها كثيرا من التجار الهنود والصينيين ، ولكن هؤلاء لم يتركوا أدنى أثر من مدنيتهم بين الأهالى السود حتى ان مايوجد من الخزف الصينى بهذه البلاد انما وجد بواسطة العرب والفرس .

يقول المؤرخ بطوليموس ان العرب في النصف الثاني من القرن الأول للسيح ، كانوا بدأوا يتجرون مع شرقي افريقية بالعاج والعبيد و يصاون الى حدود الموزامبيق . أما بعد ظهو ر الاسلام فازدادت هذه التجارة في شرقي افريقية ازدياداً عظيا حتى انقلبت في نحو القرن الثامن للسيح استعاراً حقيقياً . وتأسست في أوائل القرن العاشر «مغدشو» و «بارا كا » وفي السنة ٩٥٥ جاء فرس من شيراز وأسسوا «كيلفا» ، وتوغلوا في السواحل الى « رودسيا » طالبين الذهب ، وانتشر وا على طول الساحل الشرقي و وصلوا الى مغدشو و بارا كا وماليندي ومو نباسه وتو نغوني و زنز يبار و بمبا عند دار السلام الحالية ومافيا وغيرها . ووجدت امارات فارسية صغيرة بين الامارات العربية . ولما و رد البرتقاليون على البلاد ، وجدوا فيها المدنية الاسلامية مؤسسة مؤثلة . ولم يقتصر هؤلاء العرب والفرس على الشجارة في أعماهم هناك ، بل اشتغلوا بالزراعة وعاموا غيرهم ، وغرسوا شجر الكوكو وعدداً لا يحصى من أشجار جزيرة العرب وفارس ، مثل المانغو والرمان والاترج وقصب السكر وأدخاوا زراعة القطن والسمسم الهندي والبهارات الهندية والأرز واتوا بكثير من حيوانات بلدانهم . و بقيت المدنية الاسلامية قروناً طويلة في هذه السواحل ، بكثير من حيوانات بلدانهم . و بقيت المدنية الاسلامية قروناً طويلة في هذه السواحل ، بكثير من حيوانات بلدانهم . و بقيت المدنية الاسلامية فروناً طويلة في هذه السواحل ، بكثير من حيوانات بلدانهم . و بقيت المدنية الاسلامية فروناً طويلة في هذه السواحل ، بكثير من حيوانات بلدانهم . و بقيت المدنية الاسلامية في وناً طويلة في هذه السواحل ، بكثير من حيوانات بلدانهم . و بقيت المدنية الاسلامية في أن البرتقال ، كانوا قد

وضعوا حداً للدور الأول من مدنية العرب عند ما احتلوا زنزيبار سنة ١٥٠٣ ، وبارا كا سنة ١٥٠٤ وكليفا سنة ١٥٠٥ ، ومونباسه في السنة نفسها . وكان مقصدهم بهذا الاحتلال تأسيس قواعــد تجارية للبضائع التي تأتي من الهند، ووضع اليد على معادن الذهب في « سوفالا » و بقى البرتقال هم السادة في تلك السواحل الى أواسط القرن السابع عشر اذ قاتلهم عرب عمان قتالا شديداً ، بدأوا به في ساحل عمان نفسها سنة . ١٧٥ ، فاما جاوهم من هناك ، هاجوهم في مستعمراتهم بالهند وفي شرقي إفريقية ، وفتحوا زنزيبار ومافيا و بمبا ومونباسه في أواخر القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر. ثم ان حروبا داخلية في عمان جلت السلطان سعيداً على تحويل كرسيه الى زنزيبار ، ثم صار ماجد سلطاناً لشرقي افريقية ، و بقي السلطان تويني على كرسي مسقط. وهذا في نحو سنة ١٨٥٦ ، ثم توفي ماجد وخلفه أخوه برغش. وفي أيام هذا السلطان بدأت الحوادث ، التي انتهت بتقسم هذه السلطنة العربية . و بالجلة فالسلطنة العمانية العربية ، التي استمرت من آخر القرن السابع عشر الى آخر القرن التاسع عشر ، قد تمكنت من التوغل في داخل افريقية أكثر من جيع الدول التي قبلها ولم يكن السب في ذلك هو التحارة فسب، بل الزراعة التي كان العرب يستجلبون لها العملة من داخل البلاد. وازدادت تجارة الرقيق بإزدياد الغراس ونمو الزراعة في السواحل ، وأسس العرب في البلاد الداخلية في قسم انجامفيزي Unjamwesi المدينة المساة «طابوره» و « او دجيدشي » وغيرهما ، و وصاوا الى الكونغو الأعلى وأسسوا فيها مدنا وقرى ، وكانت لهم هناك جنود مسلحة لحاية قوافلهم ولا جرم أن العرب بحضارتهم كانوا يفيدون الأمم الزنجية السوداء. ولما ألغيت تجارة الرقيق في زمان السلطان برغش سنة ١٨٧٣ ساءت حالة الزراعة في السواحل وتقهقرت البلاد الى الوراء بسب ندورة العملة . اه .

ثم ذكر مؤلفو كتاب « السلطنة الاستعارية الألمانية » تاريخ بسط انكاترة وألمانية حايتهما على سلطنة زنجبار وملحقاتها مما لا يخرج عما تقدم ، ولكنهم قالوا: انه في ٨ ابريل سنة ١٨٨٨ استأجرت الشركة الألمانية الاستعارية من سلطان زنجبار مكوس السواحل كلها فلما أرادت وضع اليد عليها ثار العرب مع من معهم من الزنوج ثورة عظيمة لاسيا مع كراهيتهم من قبل للجنس الأوربي ، وكان مقدام هذه الثورة الشيخ أبو شيري

وسنة ، ١٨٩ فى الثلاثين من يناير (كانون الثانى) أصدر المجلس الألمانى (الرايستاغ) قراراً بتجنيد جيش من السود واخاد نار الثورة ، وعين الهرفيزمان قائداً عسكريا و واليا ، وكانت حرب شديدة صعبة المراس ، لأنه كان لا بد من ايجاد كل شي من العدم ، ولكن هذا الجيش بمساعدة الأسطول تمكن من فتح البلاد .

ثم جاء في هذا الكتاب ذكر أهالي البلاد، فقيل انهم عرب وعجم وهنود وكومور و زنوج والأمة التي يقال لها السواحليون ، وهم من أصل يقال له فانقفانا Wangvana اختلطوا مع العرب من ألف سنة ، واختلطوا مع السود سكان الداخل ومع سائر الأجناس حتى الأجناس البيضاء. وهم يزعمون كونهم من أصل شيرازي، وصورهم جيلة ، وتقاطيعهم لطيفة ، وهم أهل نظافة ينظفون أسنانهم ويغتساون دائماً ولا يستعماون الوشم مثل الزنوج و يختتنون لأنهم مسامون. ومن عادتهم لبس البياض ، و يجعلون على رؤسهم كة بيضاء ان لم يلبسوا الطربوش الأحر. ولكنهم الى اليوم لايلبسون البنطاون. ونساؤهم لا يتنقبن ، ولكنهن " يأنزرن بشي اسمه (الشقة) يغطى الجسم و يجعلون على الاكتاف شيئاً اسمه (كسونو) وهم اجالا سواء منهم سكان المدن أو القرى ، لا يشبهون في شيء سكان الداخل من الزنوج ، بل عندهم أدب وكياسة ، ومن صفاتهم حسن المعاشرة ، وقرب الألفة ، وسرعة العاطفة والبر بالاهل والحنو على الأولاد و يحبون السكني بعضهم بقرب بعض ، ومنازلهم بغاية النظافة بل الشوارع التي بين بيوتهم نظيفة ، و يبنون بيوتهم صفوفا ويغرسون أمامها صفوفا من الأشجار الكبيرة مثل الكوكو والتاماريند، وأينما وجد السواحلي اعتني بغرس الشـجر. وأكثر شغل الحقول يقوم به نساؤهم وأما الرجال فيصطادون السمك أو يتجرون بالبضائع أو يحملون الأثقال. وبالاجال فلا تعد هذه الأمة بين الأمم الموصوفة بالشجاعة ، لكن بين الأمم الموصوفة بالوداعة . ويتمال ان عندهم شيئاً من المكذب والمكسل ، وان عندهم ميلا عظما الى الطرب ، يحبون الزفن والغناء ، و يعزفون بالطبول والطنابير، و يقضون أوقاتهم بالسرر. ولغة السواحليين أكثر لغات تلك البلاد انتشاراً يقال لها « كيسواحلي » Kistaheli وأنقى هذه اللغة ما يتكلم به في بلد ( لامو ) و يسمى (كينغوزى ) وهو بمقام لغة ثقيف أو سعد بن بكر في العربية . وأردأ السواحلي ما يتكلمون به في جزيرة زنزيبار، لأنه خليط من العربي والفارسي والاوردو

والانكليزى والبرتغالى، و بعد الاحتلال الألمانى دخل فيه الألمانى أيضا. وليس للغة السواحلية كتابة ولا آداب وكانوا يكتبون بالحروف العربية، وصار وا اليوم يكتبون كثيراً بالالمانى والانكليزى، واللغة المذكورة غنية بالكلمات الدالة على العواطف والمعانى المجردة. ويوجد في لغتهم خاصة لاتوجد في غيرها، وهي ان بعض الكلمات يتغير معناها بتغير كيفية لفظها كأن تمد الحرف أو تقصره أو ترفع صوتك عند اللفظ أو تخفضه.

أما شعب جزائر الكومور أو القمر فاسمهم (انغاسيغا) أجسامهم حسنة التركيب وعقولهم جيدة ، ولكن أخلاقهم غير جيدة ، وبسبب لباقتهم وذ كائهم يستخدمهم الأوربيون في البيوت حشما وفي السفن نواتية .

أما السوماليون فكانوا يأتون الى هذه السواحل للتجارة ثم استقروا بها ، وهم طوال القامات مع دقة في العضلات .

وأما العربي العماني النبيل ، فقد بدأ يقل وجوده هناك ( ويالائسف )! وكانت له هيئة جيلة جدا في زنريبار وتلك السواحل ، وكانت على العربي سياء الشرف والسراوة ، حتى الى مابعد سقوط سلطنة العرب هناك وانقضاء دورهم السياسي والتجاري . فلم يزل الباقون منهم يعيشون معيشة الأكابر محفوفين بالحشم والعبيد ولا يعملون بأيديهم . وهم يناظرون الهنود في التجارة . وكانت منهم بيوتات غنية كثيرة ، هوت في الفقر بسقوط دولة العرب السياسية ولكنها بقيت حافظة وقارها وكرامتها ، لأن العرب في تلك البلاد هم أشراف البلاد ، لايشتغاون بأيديهم أينا وجدوا . ويرتدون ملابس بهية منها مايسمونه القفطان ، جوخ أسود مطرز مفتوح من الأمام تحته قيص أبيض طويل يسمى كانز و مم سمر الألوان ظاهر و الرصانة تجد حركاتهم كامها موزونة بدون تملق بل بشيء من الانقباض ويوجد صنف آخر من العرب اسمه « شحرى » نسبة الى الشحر من جهات حضرموت ، فهذا الصنف ليس من النمط الأول لأنهم فقراء يتجرون بالسجاد والزيت ، وليسوا بمن يقدرون على مزاحة الهنود في التجارة .

وفى سواحل زنجبار أناس من الباوج ، وهم فقراء ، قلياو العدد . وأناس من الفرس الباقين على عبادة النار ، يعرف الانسان بمجرد رؤيتهم انهم من الجنس الآرى ، ويلبسون

مثــل الأوربيين تقريبا، و يجعلون على رؤوسهم قبعات مخروطية الشكل وهم تجار، ومنهم محامون صغار لدى المحاكم

وأكثر الغرباء في تلك السواحل هم الهنود ، وهم قسمان المسامون والوثنيون ، فالمسامون أكثرهم من طائفة « الخوجه» (قسم من الاسماعيلية) وهم تجار وصناع ، منهم صاغة ، ومنهم خياطون وحـناءون وقصار ون ، ومتى أثرى الخوجه عاد الى وطنه . وأما الوثنيون فبراهمة و بوذيون ، وكلهم يتعممون كالعرب لكن بعمائم مطرزة بالقصب ، ويستحضر ون نساءهم الى تلك البلاد ، وهن جيلات يتحلين بالجواهر الكريمة ، ولكن داخل منازلهم قدر لا يعرفون النظافة ، حتى ان الشوارع التى أمام منازلهم تغلب عليها القذارة . ومن الهنود صنف اسمهم البنجان ، ضعفاء لايا كلون لحوم الحيوان ، ولا طعام لهم الا من النباتات ، ولا يقدر ون أن يقر بوا سائر الأمم ، ولا يأتون بعائلاتهم من الهند . وبلا ختصار فانهم مثقاون تحت التكاليف الدينية ، ومنذ مدة بدأ الهنود يدخلون الى الداخل و يوغلون في البلاد ، فازداد عددهم في « مو روغو رو » و « كيلوسا » و « ايرنيغا » و « طابوره » و « موانزه » و « بوكو با » واجتمع منهم طراء كثير ون .

وهناك صنف اسمهم « الغوانزه » نسبة الى « غوا » بلدة من الهند تولاها البرتقاليون مدة طويلة ، فاختلطوا بالأهالى وتناسلوا وجاء منهم هذا الصنف ، ويسمون أنفسهم بأسماء برتقالية مثل « دوسيلفا » و « دوسوزا » وما أشبه ذلك ، وهم يشتغلون بالتجارة والخياطة والطبخ وخدمة الفنادق .

وفى تلك السواحل عدة آلاف من الألمان ، ثم عدة مئات من الانكليز ، ثم جاعات من الهولاند يين والنمسو يين والسو يسريين والطليان ، وهناك أروام وسوريون ويقال لهم « الاور بيون المتوحشون » وهؤلاء يشتغلون بالزراعة والتجارة والصناعة ، و بأيديهم الفنادق ، وهم فى غاية الجد والنشاط وقد تملكوا الأملاك ، فني الثلاثمائة رجل منهم ٥٠ رجلا متملمون . اه ملخصاً وقد آلت مستعمرة شرقى افريقية الألمانية الى مستعمرات انكلترة عوجب معاهدة فرسايل .

#### مسلمو الحبشت

## لفيركبب

أما الحبشة فبلاد من شرقى افريقية يحدها من الشمال النوبة والبحر الأحر ومن الشرق بلاد الدناقيل والصومال ومن الجنوب بلاد الغاله ومن الغرب السودان المصرى وهي بلاد جبلية مرتفعة متوسط ارتفاعها ٢٠٠٠ متر وفيها قـنن يبلغ عـاوها نحو ٢٠٠٠ متر كالتي في جبل « أبا » في الشمال وأخرى يبلغ عـ اوها ٢٠٠٠ كالتي في جبل « غونة » في الجنوب ويوجد الثلج على قنن الجبال المتناهية في العلو صيفاً شتاء . وأما الهواء فهو حار في القسم الأدنى الذي هو دون ارتفاع ١٥٠٠ متر ومعتدل في الأماكن التي ارتفاعها يقع بين ١٥٠٠ متر و ٢٧٠٠ مــتر و بارد فما هو أعلى من ذلك. وفي أراضيها الحديد والذهب والصفر وفيها زراعات متنوعة ولكن اعتماد أهلها على المواشي. وفي جنوبي الحبشة بحيرة « تانا » التي يخرج منها بحر الأزرق والى الشمال من هناك يخرج نهر العطيرة الذي مصبه في النيل ومارب الذي لا ينفذ من صحاري بلاد النو بة . والأحباش أجناس مختلفة منها من السلالة السامية ومنها من البهل ومنها من الزنج وهم يفترقون عن الجنس الزنجى بالرغم من شدة سوادهم . و بين اللغة العربية واللغة الحبشية تشابه يثبت كون اللغة الحبشية هي من اللغات السامية. و بلاد الحبشة ثلاثة أقسام ففي الشمال بلاد « التيغرى أو التيجري » ومدنها عدة واكسوم . وفي الوسط « الآمباره » وعاصمتها غندار وفي الجنوب « الشوا » ومدينتها آنكو بر . والى ولاية الشوا هذه أضيفت بلاد هرر الني أخذها الأحباش من يد أمرائها المسلمين سنة ١٨٨٧.

و بلاد الحبشة من قديم الزمان هي في منازعات وحروب دائمة منها ما هو بين الأحباش النصاري والأحباش المسلمين ومنها ما هو بين رؤوس الأحباش بعضهم مع بعض. و في سنة ١٨٥٥ تنزي على عرش الحبشة قائد اسمه كاساى بعد أن قهر جميع اقرانه و تتوج ملكا لملوك الحبشة باسم تيودوروس الثالث الا أنه خاشن في معاملته دولة انكلترة فساقت عليه حلة قهرته فانتحر سنة ١٨٦٨ فحلفه في السلطنة أمير التيغري وتلقب يوحنا. وحصلت

يينه و بين المصريين حرب كانت الطائلة له فيها آخر مرة فكف الخديوى اسماعيل عن قتاله . ثم خلفه نجاشي آخر اسمه يوحنا في أيامه دبت دولة ايطالية الى هناك تبغى الاستعار فصادمها بقوة الا ان السودانيين جاعة المهدى تغلبوا عليه وقتلوه . فلفه منليك ملك شوا وصالح الطليان وامتد هؤلاء في الاريتره وأطراف التيغرى لولا أن الخلاف وقع بينهم سنة ١٨٩٥ فانتهى بواقعة «عدوه» الشهيرة التي انهزم فيها الطليان هزيمة شنيعة عدلوا من بعدها عن استعار الحبشة واكتفوا بالأريتره .

أما عدد أهالى الحبشة فجغرافيات الاور بيين تحصيه خسة ملايين. وهو من باب المتابعة والتقليد لأقوال قديمة العهد اذ مما لاشك فيه أن الحبشة اليوم فيها أكثر من ثمانية ملايين وقد ورد في جريدة الطان (عددها المؤرخ في ١٧ مايو سنة ١٩٧٤) فصل عقدته عناسبة الرأس تافاري كافل ملك الحبشة لهذا العهد وزيارته لباريز جاء فيه مايأتي:

« ان الحبشة مساحتها نحو . . ، الف كياو متر مر بع وأهلها نحو ٧ ملايين الى ٨ ملايين منهم ثلاثة ملايين ونصف مليون نصارى (على مذهب الكنيسة القبطية) وثلاثة ملايين مسامون داخلا في هذا العدد البلاد الاسلامية التي أطاعت مؤخرا . ومليون ونصف مليون ونصف مليون يهود و بعض كاثوليك و برتستانت .

« ان البلاد الواقعة في شرقى افريقية المسماة بالحبشة هي أشبه بقلعة طبيعية كبرى شوامخها مطلة على سيف البحر الأحرو بلاد الصومال الفرنسي والصومال الانكليزي والاريتره الايطالية وأرض النو بة والسودان المصرى ، ولا يدخل الى هذه القلعة الا من منافذ ضيقة تحميها قبائل عاتية .

« أما ملك الحبشة الحديثة فينتهى الى زعيم وصل بغزواته وحرو به الى أن أخذ تاج الحبشة وتلقب بتيودروس الثالث ثم غلبه الانكليز سنة ١٨٦٨ فانتحر فى مغدلة وخلفه أمير آخر تنزى على الملك وتلقب بالنجاشى الأكبر أى ملك ملوك الحبشة . واسمه يوهانس وكان فى زمانه حاكم ولاية شوا واسمه (ساهالا ماريم) قد حارب يوهانس هذا وعانده ثم صاهره وانتهى الأمر بأنه خلفه على العرش باسم منليك الثانى وذلك لأنه ادعى كونه من ذرية سليان بن داود الذى عشق الملكة سبا وجاءه منها ولد اسمه منليك كان هو النجاشى الأول . ولأجل توطيد وشائج الملك أعطى منليك ابنته (زاوديتو) الى ابن يوهانس فات

هذا بدون ذرية ولم يكن لمنليك أولاد ذكور وانما كانت له ابنة ثانية (شوارقاد) زوجها من أمير مسلم كان حاربه وتغلب عليه ثم تنصر على يده وهو المسمى بالرأس ميكائيل. وولد له من ابنته هـنه ولد اسمه ( ليج ياسو ) فعله ولى عهده فلم يرق ذلك للامبراطورة (تايتو) ولا للاهالي ولكن توج بالرغم من ذلك ياسو امبراطورا سنة ١٩١٤ وتسمى أبوه الرأس ميكائيل ملكا على ( فولو ) و ( التيغرى ) والنائب العام للملكة . وكان مولد الامبراطور الفتي سنة ١٨٩٧ فظهرت منه أفعال شاذة أغضبت الأهالي واشـتد الغضب عند ما أظهر الاسلام راجعا الى دين أهله فاجتمع الاساقفة والامراء وعظاء المملكة وعقدوا مجمعا خلعوا فيه ياسو وبايعوا زاوديتو ابنة منليك امبراطورة وجعلوا الرأس تافاري كافلا للملكة ووليا للعهد (٧٧ سبتمبر ١٩١٦) وكان الرأس تافاري متزوجاً بابنة الرأس ميكائيل أخت ياسو فعزله ياسو من ولاية هرر فزحف على رأس العساكر الحبشية لقتال حيه وابن حميه فكانت حربا ضروسا طالت واشتدت ولكنها انتهت بتغلب تافاري على حميه وجئ بهذا مصفدا بالحديد الى اديس بابا بعد ان دارت عليه الدائرة في وقعة « دبره برهام» ( ٢٧ اكتو بر ١٩١٦) وفي ٢ نو فبر استعرضت الامبراطورة الجيوش وجئ بالرأس ميكائيل أيضا مقيدا بالسلاسل امام العرش الامبراطوري فيقال ان صهره وغالبه الرأس تافاري رق لحاله أسيراً وحبس في قلعة واستوسقت الأمو ر للرأس تافاري » انتهى.

فقد ظهر لك ان الحبشة هم مسامون ونصارى وان المركز الأول في هذه المملكة المنصارى وجريدة الطان تنقل ان عدد النصارى ثلاثة ملايين ونصف مليون وعدد المسامين ثلاثة . ولكن الملحوظ ان عدد المسمين في مملكة الحبشة بعد ان توسع ملك الحبش الى جهات هر ر والصومال والغاله أصبح أكثر من عدد النصارى حتى نقل عن كافل ملك الحبشة يوم كانت الحرب واقعة مع تركية على أثر الحرب العامة انه لايريد ز وال تركية لأنها مملكة اسلاميه ولأن المسامين من رعاياه أكثر من النصارى . وقد اطلعنا على حديث أفاض به رجل من عاماء الترك أقام بالحبشة مدة طويلة وعاد الى الاستانة في العام الماضي فساله أصحاب عبلة سبيل الرشاد ان يفيدهم ماعرفه من أحوال الحبشة فذكر لهم فوائد جة وقدر عدد مسامي الحبشة بسبعة ملايين .

وقد يظن بعض القراء ان في هذا العدد مبالغة وليس هذا الظن بصحيح . فعليك بأن تقرأ ماذكره المسيو موريس فال في معجمه الجغرافي تحت اسم غاله Gallas : «شعب من افريقية منتشر في جنوبي الحبشة وفي البلدان الضاربة الى الجنوب أيضا بما يجاور اقليم البحيرات الكبر المنفصل عن البحر ببلاد الصومال . وهم أقوام جيلة الخلقة لونهم نحاسي يختلفون في الشكل عن الأقوام المجاورين لهم من جنو بيهم كما أنهم يختلفون عن الأحباش والصومال و يقدر عددهم من ٦ الى ثمانية ملايين وأكثرهم سكان مدر والغالب عليهم الزراعة ومعظمهم مسامون . وقد كانوا أكثر الأحيان مع الاحباش وأخيرا تغلب هؤلاء عليهم فقسم من قبائل الغاله يؤدون أناوة للك شوا من الحبشة »

فانت ترى انه ليس في كالرم السائح التركى أدنى مبالغة لائنه عدا القسم الخاضع من الغاله لمملكة شوا الحبشية يوجد مملكة هرر التي استلحقها الاحباش بمساعدة بعض الدول الاوربية و يوجد مسلمو نفس الحبشة الذين هم كثيرون في وسط تلك المملكة منذ وجد الاسلام.

وقد ذكر جغرافيو العرب بلاد المسلمين التي في أطراف الحبشة فقال ياقوت : زيلع مفتح أوله وسكون ثانيه وفتح اللام وآخره عين مهملة جيل من السودان في طرف أرض الحبشة وهم مسلمون . ثم ذكر غرائب من عادانهم في أمر الزواج وغيره .

ونقل صاحب صبح الاعشى جلاكثيرة عن الحبشة القسم المسيحى والقسم الاسلامى منها فنأخذ نتفا مماقال: مملكة عظيمة جليلة المقدار متسعة الارجاء فسيحة الجوانب. قال في مسالك الابصار: وأرضها صعبة المسلك لكثرة جبالها الشامخة وعظم أشجارها واشتباك بعضها ببعض حتى ان ملكها اذا أراد الخروج الى جهة من جهاتها تقدمه قوم مرصدون لاصلاح الطرق بالآت لقطع الاشجار واحراقها بالنار. قال: وهم قوم كثير عددهم ولم يملك بلادهم غيرهم من النوع الانساني لائهم اجبر بني عام واخبر بالنوغل في القتال والاقتحام طول زمنهم في الأسفار وصيد الوحوش وقتاهم انما يكون عريا من غير لامة تدفع عنهم ولاعن خيلهم. ثم وصفهم بعد ذلك بأوصاف لولا ماهم عليه من الشرك لكانوا في الرتبة العليا من مراتب بني آدم فذكر أن المشهور عنهم مع ماهم عليه من المجاعة انهم يقبلون الحسب و يصفحون عن الجرائم ومن عادتهم أن من رمي سلاحه في القتال حرم قتاله يقبلون الحسب و يصفحون عن الجرائم ومن عادتهم أن من رمي سلاحه في القتال حرم قتاله

ويكرمون الضيف ولاينقض الصديق منهم عهد صديقه واذا أحبوا أظهروا المحبة واذا أبغضوا أظهر وا البغض والغالب عليهم الذكاء والفطنة وصدق الحدس. ولهم قلم يكتبون به من اليمين الى الشمال كما في العربي حروفه ستة عشر حرفا لكل حرف منها سبعة فروع فيكون عدتها مائة واثنين وثمانين حرفا سوى حروف أخر مستقلة بذاتها لاتفتقر الى حرف من الحروف المذكورة مضبوطة بحركات نحوية متصلة بالخط لامنفصلة عنــه. ومع كونهم جنسا واحداً فلغاتهم تزيد على خسين لسانا الخ ثم ذكر في صبح الأعشى القسم الأول من الحبشة وهو بلاد النصرانية قال وهو القسم الأوفر عددا الأوسع مجالا. وهو الذي يملك ملك « أمحرا » بفتح الألم وسكون الميم وفتح الحاء والراء المهملتين والف في الآخر وهم جنس من الحبشة . ثم ذكر تقاسيم مملكة أمحرا وصفات تلك البلدان بلدا الى أن قال ان ملكهم في الزمن المتقدم كان يلقب بالنجاشي وقد ذكر المقر الشهابي ابن فضل الله في مسالك الأبصار ان الملك الأكبر الحاكم على جميع أقطارهم يسمى بلغتهم « الحطى » بفتح الحاء المهملة وتشديد الطاء المهملة المكسورة وياء مثناة تحت في الآخر ومعناه السلطان اسما موضوعا لكل من قام عليهم ملكاً كبيراً. الى أن قال: ومع ماهم عليه من سعة البلاد. وكثرة الخلق والاجناد مفتقرون الى العناية والملاحظة من صاحب مصر لأن المطران الذي. هو حاكم شريعتهم في جيع من أهل النصرانية لايقام الامن الأقباط اليعاقبة بالديار المصرية بحيث تخرج الأوامر السلطانية من مصر للبطرك المذكور بازسال مطران اليهم وذلك بعد تقدم سؤال ملك الحبشة الذي هو الحطى وارسال رسله وهداياه ، قال: وهم يدعون أنهم يحفظون مجارى النيل المنحدر الى مصر ويساعدون على اصلاح سلوكة تقربا لصاحب مصر وقد ذكر ابن العميد مؤرخ النصاري في تاريخه انه لما توقف النيل في زمن المستنصر بالله الفاطمي كان ذلك بسبب فساد مجاريه من بلادهم وان المستنصر أرسل البطرك الذي كان. في زمانه الى الحبشة حتى أصلحوه واستقامت مجاريه.

ثم ذكر القسم الاسلامي من بلاد الحبشة وقال انه البلاد المقابلة لبر اليمن على أعالى بحر القازم ( البحر الأحر) وما يتصل به من بحر الهند و يعبر عنها بالطراز الاسلامي لأنها على جانب البحر كالمراز له(١)

<sup>(</sup>١) قرأت في تاريخ نور الدين زنكمي وصلاح الدين الأيوبى ان ساحل فلسطين يقال له أيضا الطراز الأخضر

قال في مسالك الأبصار وهي البلاد التي يقال لها بمصر والشام بلاد الزيلع قال: والزيلع انما هي قرية من قراها قال الشيخ عبد المؤمن الزيلعي الفقيه: وطولها براً وبحراً خاصاً بها نحو شهرين وعرضها يمتد أكثر من ذلك لكن الغالب في عرضها انه مقفراما مقدار العمارة فهو ثلاثة وأر بعون يوماً طولا وأر بعون يوماً عرضاً. الى أن قال: ان بلادهم ليست بذات اسوار ولا لها خامة بناء ومع ذلك فلها الجوامع والمساجد وتقام بها الخطب والجع والجاعات وعند أهلها محافظة على الدين الا أنه لا تعرف عندهم مدرسة ولاخانقاه ولار باط ولا زاوية وهي بلاد شديدة الحر وألوان أهلها الى الصفاء وليست شعو رهم في غاية التفلفل كما في أهل مالي وما يليها من جنوب المغرب. وفطنهم أنبه من غيرهم من السودان وفطرهم أذكي وفيهم الزهاد والأبرار والفقهاء والعلماء ويتمذهبون بمذهب أبي حنيفة السودان وفطرهم أذكي وفيهم الزهاد والأبرار والفقهاء والعلماء ويتمذهبون بمذهب أبي حنيفة خلا « وفات » فان ملكها وغالب أهلها شافعية .

وقال انهذه البلاد تشتمل على سبع قواعد: الأولى « وفات » والعامة تقول أوفات ويقال لها أيضاً « جبرة » والنسبة اليها جبرتى وموقعها بين الاقليم الأول وخط الاستواء. وقال الشيخ عبدالله الزيامى: وطول مملكتها خسةعشر يوماً وعرضها عشر ون يوماً بالسير المعتاد وكلها عامىة آهلة بقرى متصلة وهى أقرب أخواتها الى الديار المصرية والى السواحل المسامتة لليمن وهى أوسع الممالك السبع أرضا وعسكرها خسة عشر ألفا من الفرسان ويتبعهم عشر ون ألفا فأكثر من الرجالة. والقاعدة الثانية « دوار و » وطولها خسة أيام وعرضها يومان وهى على هذا الضيق ذات عسكر جم نظير عسكر أوفات فى الفارس والراجل والثالثة «أرابيني» وطولها أربعة أيام وعرضها كذلك وعسكرها يقارب عشرة آلاف فارس أما الرجالة فكثيرة للغاية. والرابعة « هدية » بالهاء والدال المهملة والياء المثناة التحتية ثم أما الرجالة فكثيرة للغاية. والرابعة « هدية » بالهاء والدال المهملة والياء المثناة التحتية ثم مملكتها ثمانية أيام وعرضها تسعة أيام وصاحبها أقوى اخوانه من ماوك هذه الممالك السبع وأكثر خيلا ورجالا وأشد بأساً على ضيق بلاده عن مقدار اوفات ولملكها من العسكر نحو أربعين ألف فارس سوى الرجالة فانهم خلق كثير مثل الفرسان مرتين أو أكثر. والخامسة « بالى » وهى تلى شرعا المتقدمة ولكنها أكثر خصبا ذلك مرتين فأكثر. والسادسة « بالى » وهى تلى شرعا المتقدمة ولكنها أكثر خصبا

وأطيب سكنا وأبرد هواء . والسابعة « دارة » وهى تلى بالى المقدمة الذكر وطولها ثلاثة وعرضها كذلك وهى أضعف اخواتها حالا وأقلها خيلا ورجالا وعسكرها لايزيد على ألفى فارس ورجالة كذلك . انتهى ملخصاً .

ثم ذكر ان هـنه المالك السبع هي كلها خاضعة « للحطى » أو النجاشي سلطان أمحرا. وان الملك فيها في بيوت محفوظة الا بالى اليوم فان الملك فيها صار الى رجل ليس من بيت الملك تقرب الى سلطان أمحرا حتى ولاه مملكة فاستقل ملكا بها. قال نقلا عن مسالك الأبصار: وجميع ملوك هذه الممالك وان توارثوها لايستقل منهم بملك الا من أقامه سلطان أمحرا واذا مات منهم ملك ومن أهله رجال قصدوا جيعهم سلطان أمحرا وتقربوا اليه جهد الطاقة فيختار منهم رجـ لا يوليه فاذا ولاه سمع البقية له وأطاعوا فهم له كالنواب وأمرهم راجع اليه ثم كالهم متفقون على تعظيم صاحب أوفات منقادون اليه . ثم قال : وهم مع ذلك كلتهم متفرقة وذات بينهم فاسدة ثم حكى عن الشيخ عبدالله الزيلعي وغيره انه لو اتفقت هـنه الماوك السبعة واجتمعت ذات بينهم قدروا على مدافعة الحطى أو الهاسك معه ولكنهم معماهم عليه من الضعف وافتراق الكلمة بينهم تنافس. ثم قال : وقد كان الفقيه عبدالله الزيلعي قد سعى في الأبواب السلطانية بمصر عند وصول رسول سلطان أمحرا الى مصر في تنجز كتاب البطريرك اليه بكف أذيته عمن في بلاده من المسلمين وأخذ حريمهم و برزت المراسيم السلطانية للبطريرك بكتابة ذلك فكتب اليه عن نفسه كـتابا بليغاً شافياً فيه معنى الانكار لهذه الأفعال وأنه حرم هذا على من يفعله بعبارات أجاد فيها . قال : وفي هذا دلالة على الحال. قال: القلقشندي صاحب صبح الأعشى. قلت وقد كتب في أوائل الدولة الظاهرية « برقوق » كتاب عن السلطان في معنى ذلك وقرينه كتاب من البطريرك متى بطريرك الاسكندرية يومئذ وتوجه به الى الحطى سلطان الحبشة برهان الدين الدمياطي الخ ملخصاً.

ثم قال: وأهمل المقر الشهابي بن فضل الله في مسالك الابصار والتعريف عدة بلاد من ممالك الحبشة المسلمين منها جزيرة «دهلك» وهي جزيرة مشهورة عن طريق المسافرين في بحر عيذاب الى اليمن و بينها و بين بر اليمن نحو ثلاثين ميلا. وملك دهلك من الحبش المسلمين. ومنها مدينة « عوان » على ساحل بحر القلزم مقابل تهامة اليمن. واذا كان

وقت الضحى ظهر منها «الجناح» وهو جبل عالى فى البحر. ومنها مدينة مقد شوقال فى «مزيل الارتياب» وهى مدينة كبيرة بين الزنج والحبشة وهى على بحر الهند ولها نهر عظيم شبيه بنيل مصر فى زيادته بالصيف وقد ذكر أنه شقيق لنيل مصر فى مخرجه من بحيرة كورا ومصبه ببحر الهند على القرب من مقد شو. ثم قال القلقشندى: وقد أتى الحطى ملك الحبشة على معظم هذه المالك بعد الثما عائة وخربها وقتل أهلها وحرق ما بها من المصاحف وأكره الكثيرين منهم على الدخول فى دين النصرانية ولم يبق من ماوكهم سوى ابن مسهار المقابلة بلاده لجزيرة دهلك تحت طاعة الحطى ملك الحبشة وله عليه اتاوة مقررة. والسلطان سعد الدين صاحب زيلع وما معها وهو عاص له خارج عن طاعته و بينه و بينه الحروب لا تنقطع وللسلطان سعد الدين فى كثير من الأوقات النصرة عليه والغلبة والله يؤيد بنصره من يشاء اله ملخصاً.

وقد حرر كثير من مؤرخى الافرنج ورحالاتهم كتباً عن الحبشة ملائى بوقائع الحروب بين مملكة الحبشة النصارى من قهر الاسلام وأثنى في المسامين وقت وسبى وأحرق ودمي في ماوك الحبشة النصارى من قهر الاسلام وأثنى في المسامين وقت وسبى وأحرق ودمي كذلك وجد في أمراء الاسلام هناك من كال لماوك الحبشة بكيلهم وأزيد ومن أشهرهم السلطان سعد الدين هذا وأشهر منه الامام أحد بن ابراهيم الذي ألف على غزواته وفتوحانه شهاب الدين أحد بن عبد القادر الملقب بعرب فقيه كتاباً ممتعاً اسمه فتوح الحبشة نشر الجزء الأول منه بنصه العربي المستشرق الفرنسي « رينه باسه « René Basset مع فذلكة الحبنة الفرنسية فهذا الامام الغازى أحد بن ابراهيم يصح أن يقال انه صلاح الدين يوسف الحبشة فقد والى الهزائم على الحبشة النصارى مع شدة بأسهم وصعو بة مراسهم ووعورة جبالهم وكون بلادهم وملكهم من نواصيهم واستنزهم من صياصيهم حتى قال ووعورة جبالهم وكون بلادهم وملكهم من نواصيهم واستنزهم من صياصيهم حتى قال المستشرق « باسه » ان أشهر دور من أدوار تاريخ الحبشة التي بقيت أخبارها محفوظة في الحبشة و يعيدها كبين هو دور أحد جران (لقب الفاتح المذكور) الذي كاد أن يسحق نصرانية أذهان الغربيين هو دور أحد جران (لقب الفاتح المبرتقاليين في هذه المعممة هو الذي الحبشة و يعيدها كبيلاد النوبة . وقد كان دخول البرتقاليين في هذه المعممة هو الذي الحبشة و يعيدها كبيلاد النوبة . وقد كان دخول البرتقاليين البرتقاليين والطليان المبرتقاليين والطليان المبرقة المهمة الأن المبرقة ويعيدها كبيلاد النوبة . وقد كان دخول البرتقاليين البرتقاليين والطليان المبرقة المبركة والمبركة المبركة والمبركة المبركة المبركة والمبركة المبركة المب

موضحة لها فلهذا نقول: «إن هذا الدور هو أصح أدوار تلك البلاد أخباراً لتضافر الروايات على وقائعه من كل جهة فقد انضمت الى المنابع الغربية المنابع الشرقية مثل الكتاب العربى الذي نحن ناشروه الآن ( تأليف عرب فقيه ) وكتب مؤرخى الحبشة أنفسهم فيكون لدينا شهادات من جيع الأمم التى اشتركت في هذه الحرب وتجد الغالب والمغلوب مدليين بالوثائق والبينات التى يكمل بعضها بعضاً و يؤيد واحدها الآخر على أننى أذهب الى كون الموقع الأول في غزارة التفاصيل هو للتأليف العربى الذي حرره شهاب الدين أجمد عرب فقيه لا من جهة كونه أقل ميلا من غيره الى قومه بل من جهة كونه شهد بنفسه أكثر وقائع الامام غران فلهذا تجد في مؤلفه تفاصيل دقيقة موضحة لا تجدها في كتاب آخر من كتب المسيحيين على أن هؤلاء متفقون معه في الروايات عن الحوادث الواردة في كتابه ».

واغد روى عرب فقيه من خبر الامام أحد بن ابراهم ما ملخصه :

كان للسلطان سعد الدين من الأولاد أبو بكر و بدلاى فبدلاى له ولدان أحدهما محمد ابن بدلاى جد السلطان عثمان بن سلمان .

ولأبى بكر وادان أحدهما على وهو جد السلطان بركات وحبيب. فعلى له أولاد منهم أظهر الدين وهذا له محمد ومحمد له عمر دين. والواد الثانى لأبى بكر اسمه آزر وهو جد السلطان محمد ابن أبى بكر بن سعد الدين.

والولد الثانى الذى لبدلاى بن سعد الدين اسمه شمس الدين وقد انقرضت ذريته وتولى البلاد السلطان مجمد بن آزر بن أبى بكر بن سعد الدين ثلاثين سنة من القرن التاسع وخرج السلطان مجمد للجهاد فالتقى المسامون والحبشان فكانت الدائرة لهؤلاء على المسامين وقتلوا من المسامين خلقاً كثيراً. وعاد السلطان مجمد الى بلاده فقته صهره مجمد بن أبى بكر ابن محفوظ وملك البلاد بعد سنة فقتله ابراهيم بن أحمد صاحب بلاد هو بت وملك بعده ثلاثة أشهر فقتله «وسنى» مماوك الجراد محفوظ وملك البلاد ثلاثة أشهر وأسر بعد ذلك أسره منصور بن مجمد وقيده وأرسله الى زيلع وقتل فى زياع وملك البلاد بعده الأمير منصور بن محمد وقيده وأرسله الى زيلع وقتل فى زياع مع الجراد ابون سبع سنين وأقام الحق وأم بالمعروف و نهى عن المنكر واستأصل قطاع مع الجراد ابون سبع سنين وأقام الحق وأم بالمعروف و نهى عن المنكر واستأصل قطاع الطرق وأبطل الخور واللعب والرقص وعمرت فى زمانه البلاد وصلحت الأحوال . وكان

أحد بن ابراهيم (مترجم عرب فقيه) يومئذ فارساً من فرسان الجراد ابون وكان ذا عقل ورأى وشور في صغره وكبره الهاماً من الله تعالى للامر الذي أراده الله على يديه وكان الجراد ابون يحبه حباً شديداً لما رأى من شجاعته وبراعته . وكان السلطان ابو بكر بن السلطان محمد بن آزر من ذرية سعد الدين قد جع جوعاً من الصومال وغيرهم وقاتل الجراد ابون فقتل الجرادابون بن آدش وتولى السلطان أبو بكر البلاد ولكنه أساء السيرة في الرعية وظهر قطاع الطرق وحدثت أمور أوجبت انكار العلماء والفقهاء من المظالم وشرب الخور وكان الامام أحمد (الغازى) في عسكر الجراد أبون كما تقدم فرج هو وجاعـة من رفاقه واجتمعوا في محـل يسمى هو بت وكانوا نحو مائة فارس وأمرورا عليهم الجراد عمر دين فبينما هم كذلك اذ سمعوا بأن بطريقا من بطارقة الحطى ملك الحبشة من النصارى يسمى فانيل من أهـل دوار وا ومعه جاعة من البطارقة قصدوا بلاد المسلمين وأسروهم وسبوا عياهم ونهبوا مواشيهم. فسمع أحد بن ابراهيم بذلك فقصد جيش النصاري في مكان يسمى عقم وهو نهر عظيم كشير الماء فاشتبك الفريقان في قتال شديد انتهى بالدبرة على النصارى وقتل جاعة من البطارقة وغنم المسلمو غنائم كثيرة ورجعوا فرحين مستبشر بن الى محل اسمه زيفه بقرب بلد السلطان أبي بكر بن محمد . فلما سمع السلطان بخبرهم وما فعاوه من الجهاد وحاز وه من الغنائم انهزم هو ومن معه من الصومال الى بلد يسمى كداد من بلاد الصومال فقصدهم أحد ابن ابراهيم الى هناك فتلاقى الفريقان عند نهر يقال له قرن فاقتتاوا وانهزم السلطان ومن معه وقتل منهم جاعة . فانثني أحمد وأصحابه راجعين الى بلادهم هرر من برسعد الدين فلم يستقروا بالجلوس حتى جع السلطان أبو بكر جوعا من الصومال وغيرهم وجاء بخيول وجيوش لا يحسبها حاسب فاخلي أحمد بن ابراهيم هرر وسار الى بلد اسمه هو بت زبرت واعتصم بجبل عظيم فيه فقصدهم السلطان بجموعه وحصرهم وضيق عليهم فنزلوا من الجبل وناجزوا السلطان القتال فانهزموا وقتل أميرهم عمر دين ورجع أحد بن ابراهيم وأصحابه الى بيوتهم ودخل الناس واصلحوا بينهم . وما طال الصلح حتى غدر السلطان أبو بكر باجمد وجرده من خيله و رجله وقتل أميراً كبيرا اسمه عثمان بن يس ففر أحد من وجهه لاحقا ببلده زعكه وليس معه الا ثلاثة من الخيل فتلاقى مع غلام للسلطان حدوش بن محفوظ معه اربعة من الخيـل فاخذها منه وخرج الى

مكان اسمه شيح ومعه سبعة من الخيل فانضم اليه أمير يسمى جراد أبو بكر ابن اسماعيل ثم وصل اليه الامير حسين الجاتري فقصدهم السلطان بعساكره فــلم يزالوا من بلد الى بلد يغير السلطان عليهم و يغير ون عليه فحدثت بين الفريقين وقائع عديدة انتهت بظفر أحمد ابن ابراهيم ودخوله هرر فاقام الحق وأزال المنكر وصاح المنادى كل أحــــ يلزم بيته وكل على عادته ولا تخافوا ولا تحزنوا. ولكن السلطان عاد فجمع الجوع من الصومال وغيرهم وقصد أحمد للقتال فرتب هذا عساكره و زحف اليه فاعتصم السلطان بجبل اسمه حون فدخل الناس من الاشراف والفقهاء بينهم بالصلح على ان السلطان يكون سلطانا على حاله وأحد بن ابراهيم يكون من تحته ويقاب بالامام والباد بينهم بالسوية فارتضى أحد بذلك حقنا للدماء واقام ببلدة سيم وأقام السلطان بهرر. وأما وجه تسمية أحد بالامام فاشهر رواية فيها أن رجلا اسمه سعد ابن يونس العرجي رأى النبي (عَالِيُّهُ ) وعن يمينه أبو بكر الصديق وعن يساره عمر بن الخطاب و بين يديه على بن أبي طالب رضي الله عنهم و بين يدي على ابن أبي طالب أحد بن ابراهيم فقال الرائي هذه الرؤيايا رسول الله من هذا الرجل الذي بين يدى على بن أبى طالب فقال علية هذا رجل يصلح الله به بلاد الحبشة. وكانت هذه الرؤيا والامام حينئذ جندي ولم يكن الرائي يعرفه من قبل. فوصل هذا الرائي الى هرر في زمان الجرادابون فقص رؤياه على أهل البلد فقالوا له هذا الذي رأيته في منامك فقال لا فلم يزل يتولى البلاد أمير بعد أميرالي ان جاء الرائي في زمن أحمد بن ابر هيم فاما رآه عرفه وقال لاهل البلد هذا الذي رأيته في الرؤيا بين يدى على بن ابي طالب فسماه الناس الامام . وقيل ان بعض المشايخ رأى في المنام الولى الصالح أحمد بن محمد بن عبد الواحد القرشي التونسي والشريف الولى أبا بكر بن العيدر وسي وهما يقولان لاتسموه السلطان ولا الامير واكن سموه lala Ihmbari.

و بدأ من ذلك الوقت الامام أحمد بن ابراهيم يغزو الحبشة النصارى لانهم كانو في زمان سعد الدين وفي زمان من تولى بعده وفي زمان الجراد آبون يغزون بلاد المسامين وقد خربوها مرارا كشيرة وكان بعض المسلمين يؤدون لهم الخراج فلما ظهر الامام أحمد منعهم من ذلك وكان يجلس لاقامة العدل ويرفق بالمساكين ويرحم الصغير ويوقر الكبير ويعطف على الارملة واليتيم وينصف المظلوم من الظالم ولا تأخذه في الله لومة لائم.

ثم اختلف الامام مع السلطان أبي بكر وتجددت الحرب فقتل السلطان وانفرد الامام بالام وأقام عمر دمن أخا السلطان محل أخيه. وغزا النصاري بلاد المسلمين وكان عليهم بطريق كبير من الجبابرة اسمه دجلجان صهر الملك وتحته بطارقة كشيرة فوصل الى أطراف. بلاد المسلمين وخربها ونهب أموالهم وسبى حريمهم وسبى أم أميير من أمراء المسلمين اسمه الامير أبو بكر قطين. فسار الامام اليهم بعسكره فالتقي الجعان في موضع يقال له الدير (بكسر الدال) وكانت واقعة شديدة انتصر فيها المسلمون وأسروا نحو خسمائة أسير وعاد الامام الى بلده منصورا محبورا. وكان عمره مع كل ذلك يومت احدى وعشر من سنة لا غير. ثم توالت غزواته منها عزاة الفطجار وغزاة قيجي وغزاة وانباريه في داوارو وغزاة افات التي كانت فيها امرأة الامام مع زوجها . وكانت واقعة هائلة غنم فيها المسلمون ما لا يحصى وسبوا نساء كشيرة منهن بنت خالة الملك فوهبها الامام الى وزيره عدلى ففداها ملك الحبشة بخمسين أوقية من الذهب الأحر . واستولى الامام بعد هذه الواقعة على أنطوكية ودخل كنيستها العظيمة ومعه زوجته دلونبره بنت الأمير محفوظ وجم غفير من الأمراء مثل الأمير حسين الجاتري صاحب دوارو بعد الفتح والأمير على صاحب عنقوت بعد الفتح والجراد احوش وكوشم أبو بكر والشيخ الزاهد عامد ابن الزاهد الفاضل شيخ واشره ثم خرب الكنيسة وأحرقها. وقصد الامام بالدة جندبلة وهي بلدة يملكها ملك الحبشة ولكن أهلها مسلمون فتلقوا الامام بالفرح والسرور وأعانوه بعشر من أوقيـة من الذهب وقالوا له نحن نعطى هذا الذهب لزوجتك دلونبره فرفض الامام ذلك وتوسط الأمير حسين الجاترى والوزير عدلي والجرادين والأمير على صاحب عنقوت في أن يقبل الامام هذه الهدية لزوجته فأصر الامام على الرفض وقال لا يحل هـ ذا وأنفقها على الجهاد واشترى بهـا ١٠٠ سيف وشهدوا بها وقعة شيزكوره (أول رجب سنة ٣٥٥ هجرية).

وسار الامام من جندبله فى طريق حار دليله فا درى هو وجيشه الا وهم وسط شجر مشتبك أصبحوا لا يقدر ون معه أن يتقدموا فأمرهم الامام بقطع الاشهار فا زالوا يقطعون منها حتى خرجوا الى الطريق الواضحة و وصلوا الى الدير فقسم فيها الغنائم وعاد الى هرر مؤيداً منصورا. ثم استفز قبائل الصومال للجهاد فكانت أول قبيلة لبت نداءه «هبرمفدى» مع مقدمهم أحمد جرى بن حسين الصومالى فوصلوا الى هرر بعدتهم وخيوهم

وسر بهم الامام سروراً عظماً . ووصل بعدهم قبيلة جرى ومقدمهم متان بن عثمان بن خالد الصومالى فأظهروا آلاتهم وسلاحهم وتنكبوا قسيهم وركبوا جيادهم وكانت معهم أخت الامام فردوسة وهي امرأة كبيرهم . ثم طلعت قبيلة زربه ومقدمهم السلطان محمد بن عمـة الامام ومعه من الرجالة الصناديد ألف وستون رجلا وتخلفت قبيلة مريحان بعدم استقامة مقدمها حرابو فعزله الامام وأمر عليها ابن أخيه فجاء منهم نحو تمانمائة مجاهد بين فارس وراجل. و بعد ذلك تهيأ الامام المصد بلاد الحبشة وجهز الجيوش وأنفق الأموال و باع حتى حلى نسائه وأثاث بيته وخرج بجيوشه ومعه امرأته دلونبره وكانت حاملا ووصلوا الى زيفه فتلقاهم الجراد دين ابن آدم وكان رجلا صالحا فأضافهم وأكرمهم وكذلك الجراد شمعون والجرادكامل صهر الامام والامير مجاهد فأكرموا الامام اكراماً زائداً. ووضعت امرأة الامام في زيفه غلاما سماه محمداً وتأخرت بسبب الوضع عن المسير و بقيت في زيفه عند مؤنسة أخت الامام . وسار الامام قاصداً ملك الحبشة « وناج سجد » وهو في أرض بادقي فأخذ ملك الحبشة يجمع جوعه قبائل التجرى أو التيغرى وقبائل آقوا وقبائل قجام وأهل العنقوت وأهل جن وأهل قده وغيرهم وانقلبت الحبشة بأسرها وكان بطارقة التحرى أر بعة وعشرين بطريقاً كل منهم تحته جيش عظم. وكان من جلة البطاريق بطريق اسمه عثمان بن دار على كان مساما وكان أبوه مساما أسره الاحباش في زمان السلطان محمد فارتد وصار بطريقا و ولد له أولاد كثير ون نصارى ثم في آخر عمره عاد الى الاسلام وجاهد واستشهد. ثم ان ملك الحبشة ما زال يحشـد الجيوش ويستفز القبائل لملاقاة الامام و بقي ينتظره في أمحره كما أن جيوشاً أخرى كانت معباة في بادقي . وكان الامام قاصـداً كنيسة بادقى ناوياً احراقها والاحباش يقولون لا يصل الى الكنيسة حتى نقتل عن آخرنا. وقيـل ان خيل الحبشة كانت ١٦ ألفاً والرجالة كانت نحو مائتي ألف لذلك طالت الوقائع في شبركوره وكانت أيام للسلمين وأيام للنصاري وعي الامام أحد جوعه هكذا: السلطان مجد بن السلطان على ابن خالته والشيخ أنس ابن الشيخ شهاب بن عبد الوهاب وقبيلة « زمن برة » وقبيلة « برزرة » وقيلة « يقله » وقبيلة « جاسار » وقبيلة « عرب تخا » وقبيلة « التي » وغيرهم من قبائل الحرله في الميمنة . وقبيلة « جرى » وقبيلة « مريحان » وقبيلة « يبرى » وقبيلة « هرتى » وقبيلة « جران » وقبيلة « مزر » وقبيلة « برسوب » وكلهم صومال في

الميسرة وكل قبيلة بأميرها . وكان الامام في القلب ومعه أعيان الفرسان مثل الأمير حسين الجاتري والأمير زحر بوي مجد. وفرشحم على والوزير نور بن ابراهم والامير مجاهد وفرشحم السلطان وعبد الناصر والشيخ داوه وأبو بكر قطين وفرشحم دين والجراد احدوش وصبر الدين وجاسا عمر والجراد عثمان بن جوهر الخ وجع خسمائة من الابطال ممن حضروا الحروب والغزوات وأمرهم بأن يلازموه . وضم اليهم ثلاثما ئة من قبيلة هرتى من الصومال وأر بعمائة من قبيلة يبرى لشدة صلابتهم وكان الثلاثمائة من أهل السيوف والار بعمائة من أهل القسى . ثم التقي الجعان وكان المسلمون كالشامة البيضاء في جلد الثور الاسود . وقام الامام يخطب في المسلمين و يحرضهم على الجهاد وقرأ: « إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى منَ المؤْ منينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمْ الْجَنَّةَ ُيقَا تلُونَ في سَبيل الله فَيَقَتْلُون وَيُقْتُلُونَ وَعْداً عَلَيْه حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ والانجيل والقُرآن وَمَنْ أَوْفَي بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشرُوا بِبَيْءِكُمْ الذَّى بَا يَعْتُمُ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ ». فينئذ قال له المسامون دعنا نحمل عليهم. فنعهم الامام من الجلة وقال لهم اثبتوا مكانكم ولا تبدأوهم بالقتال حتى يبدأوكم به واشرعوا الرماح واستتروا بالدرق ولا تخطوا بأرجلكم خطوة واحدة الا وأنتم تذكرون الله. ثم حل الحبشة على المسامين من جهة الميمنة حلة رجل واحد فصبر المسامون لهم وجلت ميمنة الحبشة على ميسرة المسامين من الصوماليين وحلت قبائل التيجري والبطارقة على القلب الذي فيه الامام واختلط الجعان واستمر القتل فانكشفت ميسرة المسامين التي فيها الصومال وقتل الحبشة منهم ثلاثة آلاف واسر واكثيراً وانحاز من ثبت منهم الى القاب وأما ميمنة المسلمين من الحرله فتكاثر عليها الحبشة أيضا وزلزلوها فانحازت أيضا الى القلب فمل الحبشة بأجعهم على القلب ودامت الحرب من الضحى الى العصر الاخير فرد الامام الحبشة على أعقابهم وقتل منهم ألوف وامتلائت الارض من جثت القتلى وضج المسلمون بالنهليل والتكبير والصلاة على البشير النذىر وولى الحبشة الادبار والمسامون يتبعونهم يقتلون و يأسر ون فقتل من بطارقتهم البطريق روبيل من بطارقة التيجري قتله أرعدي من خدمة الامام. وقتل البطريق عقبا أخوه وكان من أبطاهم قتله الامام بنفسه طعنه بالرمح في صدره نخرج السنان يلمع من ورائه وقتل بطريق سيرى شوم قتله الجراد دين. وقتل البطريق زمنجان ابن عم البطريق وسن سجد قتله الوزير عدلى . وقتل بطريق محنطى رماه رجل من الصومال مقدم الرماة فقتله. وقتل بطريق زونجيل قتله عبد الرازق بن سوحه أخو الأمير مجاهد. وقتل بطريق شوم عجامية. وقتل بطريق النبتين وقتل بطريق عمدو قتله رجل اسمه آداموا. وكان جلة من قتل من الحبشة عشرة آلاف ومن البطارقة مائة وأر بعة عشر. وكل بطريق تحته ألف فارس أو خسمائة أو مائتان وعرقب المسامون من خيل الحبشة في المعركة سمائة فرس. وكانت جلة من قتل من المسلمين من الصومال ومن الحرله ومن اللساى ومن العرب خسة آلاف ختم الله لهم بالشهادة. وغنم المسامون غنائم لا تحصى وأسروا بطريقاً كان صهراً لللك اسمه تخلى مدحن ففدى نفسه بخمسمائة أوقية من الذهب الاحر.

و بعد هذه النصرة الطائلة أراد الامام أن يسير المسلمين الى قلب بلاد الحبشة ويجهز على الباقي من جيشها فشكاله المسلمون ماحل بهم من الجهد وطلبوا الجام فعاد الامام الى بلده واستراح شعبان و رمضان ونصفا من شوال ثم نهض غازيا الى جهة دوار و فدخلها من جهة نهر الو بي وهو نهر كبير يكثر فيه التمساح وطواهش كثيرة يسلب في البحر المالح من ناحية مقدشو وقسم الجيش الى فرقتين فرقة عليها الوزير نور بن ابراهم والفرقة الثانية قادها الامام بنفسه فوصاوا الى الجواتر وقاتلهم بطريق ادل مبرق فهزموه وأسروه ويقال ان الذي أسره كان رجلا اسمه تكية قد قطع الامام يده اليمني و رجله اليسري في حق الله تعالى فبلغ من شجاعته أن اسر البطريق وهو مقطوع اليد والرجل. وغزا الامام بلد راس بنيات فاتفق مع بطريقها على أن يقدم له الضيافة و بعض هدايا والامام لا يتعرض له . ثم تقدموا الى بلد اسمه مصيحب فر بوها وخاوها رماداً وسار وا الى بلد اسمها « مى فلح » ونهبوها وكان رجل اسمه راجح أصله مسلم تنصر وأعطاه ملك الحبشة أرضا وصار يغير على أطراف بلاد المسامين فاما قرب الامام من أرضه أرسل اليه الامام قائلا: أنت مسلم وابن مسلم ومجاهد بن مجاهد من أول الزمان وقدر الله بالذي كان فتب وارجع الى الاسلام وكن أخانا ولا تقنط من رحمة الله . فلما وصل اليه الرسول . قال : كم فعلت وقتلت ونهبت من المسلمين وأخشى اذا رجعت ان تأخذوني بما فعلته. فراجعه الامام قائلا قد عفونا عنك فارجع فارسل راجح يقول: ارسلوالي أميراً بجيوش كثيرة حتى أدلكم على أموال العدو فذهب اليه الوزير عدلى ومعه جيش فقتلوا وأسروا ونهبوا وعادوا وراجح

معهم. وحصلت بعد ذلك عدة غزوات والفريقان يبديان من ضروب الصبر وصدق اللقاء ما يندر مشله في التواريخ . وعاد الامام الى هرر ثم جع جوعه وقصد بلاد الحبشة وجع هؤلاء جوعهم وتلاقوا في محل اسمه انطاكية وكان المسلمون خسمائة فارس وعشرة آلاف راجل فاجتمع عليهم من الحبشة ستة آلاف فارس ومائة ألف راجل وكانت مع الامام مدافع وأمر الامام عشرة من شجعان رجاله وهم الأمير زحر بوى وأجد جو يتا والأمير عــلى والجراد أحد بن لاد عثمان والأمير أبو بكرقطين وتكية السابق الذكر مقطوع اليد والرجل بأن يسيروا معه الى جهة «بالى» وكان عسكرهم قد آذى المسلمين كثيرا وأمر بأن يأنوا له بمدفع وأمر مقدم المهرة من العرب بأن يضرب عليهم بالمدفع فضرب فاج بعضهم في بعض فحمل عليهم المهرة والملساى فهزموهم وذهبوا في طريق أخرى ولم يرجعوا الى بطريقهم. وكان تكية مقطوع اليدوالرجل قال للامام في بلده: ان شاء الله هـذا السوط الذي في يدى أضرب به فارسا من الكفرة وانزله عن فرسه وآخــ فرسه . وكان الأمركما قال فغي ذلك اليوم ضرب فارساً حبشيا بسوطه ورماه عن فرسه وغنم فرسه . ثم ان الحرب دارت رحاها وانتهت بفوز المسلمين وأشبهت وقعة صمير كوري في كثرة من قتل فيها من الأحابيش. واحرق السلمون كنيسة انطاكية وغنموا غنائم لاتحصى وكان ذلك في الخامس من رجب سنة ٩٣٧ هجرية. وأوغل بعدها الوزير عدلي في بلاد الحبشة واثخن فيها . وكان ممن أسره اثنان من كبار الحبشة عرضا فدية أنفسهما الواحد عائتي أوقية ذهب والآخر بمائة أوقية فرفض الوزير الفداء وقتلهما وأقام أياماً بأرض جنبه ثم سار الى أرض شرخه وتلاقى فيها مع الوزير نور واسروا وسبوا. وكان من جــلة السي امرأة البطريق ازماج وأولاده فلما علم هـنا بأسرهم دخل وأسلم فردوا عليه امرأته وأولاده وأسلم كثير غيره. و بعد ذلك وصل الامام ومعه و زيراه الى عندورة وفيها كنيسة لوسن من أعظم كنائسهم وأغناها فأحرقوها ونهبوا ماوصلت اليه أيديهم.

فمع ملك الحبشة جوعاً أخرى وأمر عليهم بطريقاً اسمه تخلى سوس وكان معه ثلاثون بطريقا من التجرى فجاء اثنان من المتنصرة أحدهما اسمه عمر والآخر اسمه سكوكانا ارتداعن الاسلام وأقطعهما ملك الحبشة بلداً يأكلان خراجه فاما وصل الامام بجيوشه الى قرب بلدهما دخلاعلى الامام وطلبا العفو ودلاه على عورات الصارى فقصدهم الامام

وتلاقوا في واد فحمل المسلمون على النصاري وكان أول من حمل منهم صبر الدين صاحب وشلة بعد الفتح ودخل وسطهم ومن بعده على الورادي وعبد الله بن ناصر الدين الجوي وآدش ابن ماحى وانضى هذا سيفه وضرب به رأس البطريق تخلى سوس ضربة ابانت رأسه عن جسده وحل سائر المسلمين فانهزم الأحباش وقتل منهم البطريق اسلامو قتله أبو بكربن جراد يماج واسر بطريق مرجاى والبطريق شوتلاى أسرهما فرشحم على ثم اسلم شوتلاى وحسن اسلامه وقتل في الجهاد وكذلك أسلم بطريق مرجاي وجاهد في صفوف المسامين. واسر في ذلك اليوم البطريق كفلي والبطريق أسير واسر البطريق جرجيس صاحب قجام وكان جلة من قتل من البطارقة الكبار مائة وثلاثون واما فرسانهم و رحالهم فقتل منهم الوف وغنم المسامون خسمائة فرس وكشيرا من الاثقال. ثم سار الامام في أثر المهز ومين الى عواش ومنها الى دل ميده ثم الى حيت وقسم الامام الغنائم وفرق الخيل والبغال على المجاهدين ثم سار الامام من حميت الى قنبورة وسوق دوارو وكان أهـل سوق دوارو مسامين يدفعون الخراج لبطريق داور و. وفي تلك الاثناء تشاور أهـل دوارو بعضهم مع بعض وقر رأيهم على مهادنة الامام وكف الحرب ولو ندبهم النجاشي لم يطيعوه وان يبقي كل منهم على ملكه ودينه ومن أراد منهم الاسلام فله ذلك فكف عنهم الامام وتقبل هداياهم وسار الى الامام فوصل الى أرض الماية ودخاوا المرزير من أرض الماية . وكان فيها كنيسة عظيمة فأحرقوها وكان نجاشي الحبشة على مسافة يومين من هناك فعلم ان الامام يقصده فزحف الامام الى أرض بادقى ظانا ان ملك الحبشة يخرج لصده فيقاتله . فأما وصل الامام الى نهر دوخم نظر وا نارا تشتعل في وسط بادقي فاستدعى الامام بطريق حيب الذي كان أسلم وصار الحريق فقال له نبيت هنا ولا نلبث أن يأتينا الخبر واذا بتحار مسامين يسكنون بادقي اخبر وا ان الملك كان في أرض جبرجي فلما علم بقرب وصول المسلمين أرسل بطريقا من بطارقته وقال له سر الى بادقى وحرق بيوتى و بيوت اخوانى قبل أن يسبقك المسامون اليها فيحرقوها ويقولوا حرقنا بيت الملك أما الكنيسة فلا تحرقها اذ لايحل لنا تحريقها في كتبنا . فلما كان الغد أرسل الامام سرية عليها فرشحم على فأحرقوا كنيسة بادقي وكان في شرار يفها ذهب ومن فوقها صليب من الذهب الأحر. وسار الامام وجيشه الى «اندوتنه»

وهي قرية الملك نفسه وكان له فيها بيت فيه تصاوير كصورة الأسد وصورة الآدمي والطيور فدخل المسلمون البيت وحرقوه وعين الملك تنظر وكان بينه و بين البيت مرحلة واحدة فأصابه من الحزن أشد مما أصابه لنحريق بيوته في بادقي و بكي وجع الجوع وعبي الجيوش وسار الى قتال المسلمين وكان نهر عواش فاصلا بين الفريقين وكان فياضا لايقدر أحد أن يقطعه فأخبرت طلائع المسلمين الامام بأن النصارى وصلوا الى نهر عواش فأرسل الامام عبد الناصر صاحب جنزو بشاره وشمعون وصبرالدين وعملي ورادى ومعهم ثلاثون فارسأ يستقصى أخبار الحبشة فوصلوا الى النهر فوجدوهم على شاطئه من الجانب الآخر ومعهم الملك بنفسه فتشاتموا بالكلام ولم يصل أحد الى الآخر. ثم رجع النصاري الى أرض «ورب» وجلسوا فيها وانبث المسلمون في الاطراف ينهبون الكنائس وكان فيها من الذهب والفضة والنفائس مالا يقع عليه احصاء فوقعت كلها في أيدى المسلمين وأحرقوا الكنائس. ثم تجاوز المسلمون عواش بعد أن قل ماؤه ووصلوا الى جبرجى وحرقوا بيت الملك فيها فانحاز الملك الى « نزارجح » من أرض الداموت و وافاه بطريق كبير اسمه « وسن سجد » كان معظها عندهم يسمونه أبا المساكين و يخافونه أكثر مما يخافون الماك فقال للبطارقة كيف ترضون أن يفعل بكم المسلمون هذه الفعائل وقد مات آباؤكم وأجدادكم وما فعل بهم أحد من المسامين مثل مافعل هذا الرجل (يعني الامام) وما هذا الا من ظامكم وجوركم فسلط الله-عليكم هؤلاء المسلمين أخربوا عليكم بالد دواروا وفطجار وبادقى وبرارة وحرقوا الكنيسة التي فيها بطرككم والتابوت الذي فيه جسد البطرك الخ فاما سمعوا كالرم. وسن سجد هــذا قالوا له مر بما شئت فنحن نقاتل المسلمين ونموت بــين يديك فقال لهم مضى ما مضى فكونوا بعد الآن رجالا ثم كتب الى الامام كتابا يقول له فيه: أما بعد انتم المسلمون ونحن النصارى وقد كنا نسير الى بلادكم ونخربها ونحرقها والآن فقد أدالكم الله علينا والنصر لا يدوم كل يوم والآن يكفيك مافعلت وارجع الى بــــلادك وأنت تقول في نفسك انك هزمت الملك في صمير كوري وتقول فعلت في انطاكية وفعلت في ازرى فلا تغتر بنفسك فان الملك صارت عنده جيوش كثيرة مارأيتها ولا سمعت بها فأرجع الى بلدك بغنيمتك وذهبك والا فالميعاد بينتا وبينك يوم السبت فانا الذي قتل أخاك الجرادابون ابن الجراد ابراهيم وهو أكبر منك وهزمت جيشه وفعلت ذلك مرارا ولا تظن اننى مثل من لقيت من البطارقة. فاما وصل هذا الكتاب الى الامام كان الامام مريضا فقال الأمراء الذين بين يديه لرسول البطريق وسن سجد: أما ماخوفتنا به من لقائنا يوم السبت فقد أعلمنا مشايخنا ان قتلك يكون يوم السبت وان القتال هو بغيتنا ومرادنا وهذه البلاد لسنا بتاركيها حتى نأخذ الحبشة بأسرها ان شاءاللة . فرجع الرسول وأخبر البطريق بما سمع فداخله الخوف والجزع وأرسل الى الامام مرة أخرى يقول: اننى ماتكامت بكلامى الأول الاخوفاً من الملك والبطارقة ولقد أعلمنى الرهبان اننى سأقع فى يدك فاذا وقعت فارحنى . فلما جاء رسوله وأخبر الامام بذلك ضحك الامام وقال له ، قل له ، اذا صرت فى أيدينا وحناك .

وفي الثالث والعشرين من رمضان سنة ٩٣٧ تعافى الامام من مرضه ونوى أن يقصد ملك الحبشة فيأرض الداموت فراوده من معه عن ذلك فلم يسمع لأحد كلاما و زحف وأول ماحط في بلدة زرارة وهي بلدة كبيرة يسكنها التجار من نصاري مصر ونصاري الشام ومن تولد منهم بأرض الحبشة يسكنها الطيب هوائها. ثم تقدم منها الى ويز وهي أيضاً مدينــة عظيمة فيها سوق ليس في الحبشة مثلها وجاءت جواسيس للامام تخبره ان الملك دخل أرض الداموت وان البطريق وسن سجد رجع الى وراء في أرض وج كأنه يتهدد بلاد المسلمين. فضى الامام يطلب الملك فاعتصم الملك بجبل مانع له طريق واحدة لاغـير وعبى جوعه في الجبل ووكل بمدخل الطريق الواحدة رجلا اسمه أو رعى عثمان بن دار على وكان مرتداً فجاء المسامون وهاجوهم وتسلق فريق منهم الجبل قاصدين الملك في مكان ظن أن لن يصلوا اليه ففر الملك وجيشه قاصدين بلاد وج والمسلمون في أثرهم ثم قصدوا بلادشوا لأخــذ خزائن الملك وأحرقوا كنيسة الد قبطن وكنيسة داردبني . وخضع للامام أهل شوى وأهل و رب وأدوا الجزية وصالحوا على بلادهم ووصل الامام الى برارة فقدم له أهلها الطاعة والضيافة . وهطلت في هاتيك المدة الأمطار الغزيرة واشتدت العواصف وكل هذا لم يثن الامام عن عزيمته في متابعة الجهاد وأرسل من أحرق كنيسة دير لبانوس على شاطئ نهر أو رمه وهي من أعظم وأقدس كنائسهم . ومازال طول هاتيك المدة يضيق على الملك وهو يفر من وجه الامام من مكان الى مكان ومعه أر بعون رجلا من الافرنج . ولكن البطريق وسن سجد علاقى مع المسلمين واشتدت الحرب وجرت عدة وقائع وتبارز البطريق وسن سجد مع فارس

من أمراء المسامين اسمه الجراد عابد فطعن البطريق الجراد عابدا بالرمح طعنة نافذة في يده اليسرى وكان عليه عدة مانعة فرج السنان من يده ومن العدة وأراد البطريق أن ينزع رمحه فانكسر في يد الجراد عابد فأراد أن يسل سيفه و يضرب الجراد عابداً فكان هذا قد ضر به في رأسه ثم ثني فأسقطه عن جواده فقال له لاتقتلني أنا وسن سجد فنادى الجراد عابد أصحابه ان وسن سجد قد سقط فنادى المسامون الأحباش ان رئيسكم وسن سجد قد مات فانهزموا وأخذ البطريق يصيح وهو في الأرض صريع: الخ بلا ، الخ بلا ، أي أنا حي ولكن الحبشة كانوا انهزموا وتبعهم المسامون يقتلون و يأسر ون وأجهز الجراد عابد على وسن سجد فعاتبه الامام فيما بعد قائلا له : لم قتلته قبل أن أنظره ? فأجابه : قلت له أريد وسن سجد فعاتبه الامام فيما بعد قائلا له : لم قتلته قبل أن أنظره ? فأجابه : قلت له أريد فقتلهم أن أوصلك الى سيدى فاضطجع الى شجرة هناك وأي وقال اقتلني في مكاني هذا وشتمني فقتلهم أن أوصلك الى سيدى فاضطجع الى شجرة هناك وأبي والبطريق قاسم وكان مساماً مرتداً ولاه منهم البطريق جان نهد الذي أسره الوزير عدلى والبطريق قاسم وكان مساماً مرتداً ولاه من أموره بين النجرى والعنقوت ، وكان من أشد البطارقة أذى للاسلام أسره رجل من الصومال من قبيلة متان ، ومنهم بطريق هنه ، ومنهم بطريق اسمه جبر اندرياس عمره من الصومال من قبيلة متان ، ومنهم بطريق هنه ، ومنهم بطريق اسمه جبر اندرياس عمره الملك وناج سجد الاتولاها .

قال شهاب الدين أحمد الملقب بعرب فقيه: فلما قتل وسن سجد افتتحت البلاد وذات جيوش الكفرة وأسلم أكثرهم كماسيأتي ذكره، ثم وصل الامام الى جان زلق فهرب أهالى البلد الى بلد شجره فأرسل الامام بعض من أسلم من الأحباش فنصحوهم فجاءوا الى الامام وأساموا. وأرسل الوزير عدلى الى « زقالة » والى « لال بلا » فسبقه الأمير مجاهد ونهبهم فأساموا. فلما وصل الوزير وجدهم مسلمين. فسار الوزير عدلى الى « عواش طبوا » فأسلم أهلها. وسار الامام الى أرض انطيط وكان هناك كنيسة لللك اسكندر مماوءة ذهبا فط المسلمون عندها وأخذوا مافيها من الذهب ثم أحرقوها. وفر أهالى جان زلق الى الجبال ولم يساموا فأرسل اليهم الامام خالداً الواردي وكان يعرف مسالك بلادهم فقال لهم: تعرفون أنني أعرف جيع بلادكم فأساموا قبل أن نقاتالكم. فتشاو ر بعضهم مع بعض وقالوا تعرفون أنني أعرف جيع بلادكم فأساموا قبل أن نقاتالكم. فتشاو ر بعضهم مع بعض وقالوا أن لم نسلم نحن وقد أسلم أكثر الحبشة يرسل الينا الامام جيشاً يأخذنا كلنا ولايفلت منا أحد

فقدموا على الامام هم وأهل قوت وأسلموا جيعاً . وأسلم من البطارقة بطريق دلو و بطريق دبلي و بطريق اسمه حيزو وحسن اسلامهم وشهدوا المشاهد التي كانت بعد . ولما أسلم أهل قوت كانوا الف فارس وأربعة آلاف راجل كان معهم بطريق اسمه ايبس لحطى أبي أن يسلم وقال أنا ماجئت لهذا ولا أفارق ديني الذي مات عليه آبائي وأجدادي فقال له الامام: أنت أحسن من هؤلاء الذين أسلموا ? . فقال البطريق : هؤلاء بدو لايعرفون دينهم ولاديمكم فاذا أسلموا لاعار عليهم أما أنا فاذا أسلمت يعيرني الناس عند الملك والرهبان. فقال له الامام لاتفعل فأنت كبير النصاري و بيننا و بينك مصاهرة . وذلك لأن جارية الامام هاجرة كانت ا بنة عمه . فبقى أسيراً ولكنه على دينه فقام البطارقة الذين أسلموا وقالوا لهأسلم والا نقتلك أفانت أحسن منا فاسلم وجلس معالامام ثلاثة أشهر فلما غزا الامام أمحرا هرب ولحق بالملك ورجع الى النصرانية ثم أمر الامام على جان زاق الجراد عثمان بن جوهر وعلى أهل قوت خالداً الورادي فسار اليهم وأسلم نساؤهم وأولادهم وحسن اسلامهم. ثم سار الامام الى بلد شجرة فتقبله الجراد نصر وقال له: بلادنا كلها أسلمت ببركة الله تعالى و ببركتك . فقال له الامام: أمرتك على الذبن أساموا وأما الذبن لم يسلموا فسر اليهم وائتني بهم فسار اليهم وقتلهم وأتى ببطريقين أسير من فقال لهما الامام: كل البلاد أسامت فالكما لاتسامان. فأبيا الاسلام. فقال الامام: حكمنا بضرب أعناقكما. فقالا: مرحبا. فتعجب الامام من كالرمهما وأمر بقتلهما.

وأمر الامام أميراً اسمه شمسو ان يسير الى افات و يفتحها فسار اليهم وقهرهم وحصرهم في الجبال فأسلموا وأحرق المسلمون كنيسة لللك المتقدم اسكندر كان فيها ذهب كثير وانجيل و رقه من الذهب لا يحمله الارجلان . وسار الامام الى ابو نه فأسلم أهلها ومعهم بطريقهم اسلامو . فاما سار الامام الى أمحرا ارتد البطريق ولحق بالملك أما عسكره فقد جلسوا على الاسلام وقاتلوا مع شمسو عامة فتوح الحبشة . وكان او رعى عثمان المرتد في افات فاما رأى جيوش الامام أقبلت وايقن ان قد احيط به قال لعساكره : أنا أقاتل المسلمين ولا يدخلون بلادى . ولكنه من جهة ثانية ارسل الى الامام سراً يقول : أنا مسلم وابن مسلم اسرنى المشركون ونصر وني وقلبي مطمئن بالايمان والآن أنا جار الله وجار رسول الله وجارك أن تقبل تو بتى ولا تؤاخذني عاعملت وهذه الجيوش التى معى أحتال عليهم حتى

يدخلوا عليك و يسلموا. فاجابه الامام: اذا فعلت هذا فقد قال الله تعالى: «قللذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف». لا تخف ولا تحزن. ويكون الميعاد بيننا و بينك ارض طو بية فانى سائر اليها. وأرسل اليه الامام مسبحته للامان وطيبة لنفسه. و بعد أيام جاء او رعى عثمان ومعه مرتدان آخران من صبيان الامام يريدان الرجوع الى الاسلام ومعهم نحو عشرين الف نسمة من الحبشة من رجال ونساء واولاد فدخل او رعى عثمان على الامام وقبل يده وطلب العفو فتقبله الامام تقبلا حسنا وقال له: لا تخف ولا تحزن وقل للعسكر السلموا. فاسلموا جيعهم من الظهر الى المغرب ومعهم نساؤهم وأولادهم وكان فرشحم على في دبر برهان فارسل اليه الامام أن يسير الى أرض « تفلت » والى وقدة والى مجر و يقاتل أهل هذه البلدان أو يسلموا ففعل فرشحم على ما امره به وسار الامام الى « جدم » فاسلم أهلها باجعهم.

أما ملك الحبشة فقطع الامل من استرجاع البلاد التي ذهبت من يده وانهزم الى بيت امحره أصل المملكة وجع حوله ما بقي من قوته: وكان هناك كنيسة أسس بناءها الملك ناود أبو الملك وناج سجد اشتغل بينائها ثلاث عشرة سنة ثم خلفه ابنه فقام يجهد في عملها أحسن مما جهد أبوه و بقي يتمم بناءها خسا وعشرين سنة. وكان طوطا مائة ذراع وعرضها مائة ذراع وعلوها مائة وخسين ذراعا وكلها بالذهب مرصعا بفصوص الجواهر واللؤلؤ والمرجان وكان قبر الملك ناود ابن ادماس بن زراقوب فيها. فلما فرق الملك جيوشه الى أبواب المدينة دخل هذه الكنيسة فنظر اليها يمينا وشهالا وقال: هؤلاء المسلمون يريدون أن يحرقوا هذه الكنيسة وهي دار ملكي ودار الملوك المتقدمة. فقال له من معه: المسلمون لا يصلون الى هنا أبداً ونحن نقاتل دونها حتى نموت.

أما الامام فارسل احد امراء جيشه «جويته نور» الى بلد كسايه من أرض جدم وكان بها كنيسة عظيمة فيها ألف راهب فنهبها وأحرقها . وأرسل أناساً الى بلد جن يدعوهم الى الاسلام فأسلم بعضهم . ثم وصل الى الامام رجل من النصارى اسمه « وسن جان » ومعه خسمائة من أهل الدرق الأبيض فأسلموا . وما زال الامام يجد في أثر ملك الحبشة حتى أدركه ودارت بينهما الوقعة المسماة بوقعة واصل فانهزم الملك ومن معه وقتل من رجاله خلق كثير وبلغ الأمر به أن فر بنفسه شريداً ماشياً على رجليه ومعه خس جنائب تقاد أمامه بألجتها

وعدتها وذلك من وعورة الطريق. وذهب الامام من طريق أخرى هو وأصحابه وقد ترجلوا من صعوبة الطريق أيضاً. ومم الجراد عثمان بن جوهر وأورعى عثمان من على مقربة من الملك وهم لا يعلمون به وهو قد اختفى فى شجرة فى تلك الأوعار الى أن مم المسلمون ففر قاصداً بلد العنبا واحتوى المسلمون على غنائم لا تحصى ووصلوا الى خيمة الملك وهى منصوبة كما هى وفيها سريره وسلاحه وفرحوا فرحاً عظيا وكانت هذه الواقعة فى ١٦ ربيع الأول سنة ٩٣٨

ودخل الامام بعدها بيت المحره في أيام برد شديد مات فيه بعض عسكره من شدة البرد وكان العسكر يطعنون الماء المتجمد بالحديد حتى يكسروه. ولما وصل الى كنيسة امحره العظيمة التي سبق الكلام عليها دخل اليها هو والمسلمون فاعترتهم الدهشة مما شاهدوا فيها من بدائع الصنعة وروائع العظمة ووفرة الكنوز ونهبوها وبات الامام بجانبها واستدعى من كان معه من العرب وسألهم هل يكون في الروم أو في الهند أو غيرها مثل هـذه الـكنيسة ? فأجابوه لا نظن في الدنيا مثلها. وكانت بجانب الكنيسة ثلاثة بيوت لللك يسكنها وكانت فيها عجائب لمن نظرها فجلس الامام في أحدها وأعطى بيتاً الى الامير احموشه والأمير أبي بكر بن قطين وجعل البيت الثالث مسجداً . وأما الوزير نور فوصل الى كنيسة اتووس مريم ووصل آخرون الى كنيسة بيت سمايات التي بنتها أم الملك وآخرون الى كنيسة دبر نقدقاد وكان الملك ادماس قد بناها وهو مدفون فيها كما أن أم الملك مدفونة في كنيسة بيت سمايات فانتهب المسلمون جيع هذه الكنائس وأخرجوا منها من أحمال الذهب والفضة والديباج والحرير ما يعجز وصف الواصفين وأحرقوا الكنائس ووجدوا في كنيسة بيت سمايات أر بعة رهبان لما شبت النار بها دخلوا اليها واحترقوا معها . ووصل عبد الناصر الى كنيسة يقال لها جنت جرجس من بناء الملك اسكندر فلم يجد فيها شيئاً لأن أهلها كانوا أخذوها معهم فحرقها . وأرسل الامام ألفين من أصحابه الى بلد « واله » فوجدوا فيها أر بع كنائس منها كنيستان مصفحتان بصفائح الذهب فجعلوا يقلعون الذهب بالقداديم. وأرسل الامام سرية الى جبل العنبا وهو جبل يسكن فيه أولاد الماوك ومن عادتهم أنه اذا ولد للملك ولد ذكر أصعدوه الى هــــذا الجبل و بقي فيــه حتى لا يكون خلاف في الدولة فاذا مات الملك أنزلوا من يريدون توليته من أبناء الملوك من هـذا الجبل وولوه الملك. وهو جبل لا يصعد

اليه الا بالسلالم فوقعت هناك مقاتلات انهزم في آخرها المسلمون وقتـل أورعي عثمان وعلى ورادى والجراد متان الصومالي وعبد الله بن ناصر الدبن الجوى وأسر الجراد احوشه . وكانت هذه الهزيمة لأر بع عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر سنة ٩٣٨ ورجع المنهزمون الى الامام وأخبروه بما جرى فحزن لا سيا على صهره متان واسترجع وبكي ولكنه أراد أن يعاقب المنهزمين فربط أكابرهم فرشحم على والجراد احدوش ومائة فارس معهم وأراد قتلهم فشفع فيهم الفقهاء والأمراء فحلوا كتافهم ولكنه قال لا بد أن تسيروا الى جب العنبا وتقاتلوا فقال الأمراء للامام أتريد أن تخلص الجيع في ذلك المكان الضيق فان كنت تريد أن تهلك الجيع فسر أنت بنفسك على أنه ان أعطاك الله النصر وفتحتها لم تجد الا أولاد الملوك اذ ليس فيها شي عير ذلك ونحن والجد لله صار عندنا مال مثل الـتراب والأولى أن نرجع الى الوراء ونجتمع مع الوزير عدلى والجيوش التي خلفناها في فطبحار . فانقاد الامام لنصيحتهم ورجع وساريريد عنقوت فط في بحر حيق وهو عذب الماء في وسطه جزيرة وفي وسط الجزيرة كنيسة و بساتين فيها ألذ الفواكه وكان الامام أرسل الأمير زحربوي محمد بن عمه والوزير مجاهداً وعبد الناصر وجيشه والجراد صديقاً وأورعي أحمد وضم اليهم ثلاثمائة فارس فتقاتلوا مع الحبشة عند كنيسة دبرازهير ونهبوها وأخذوا منها من الكنوز ما لا يحصى عدده . وكان لها من التاريخ يوم أحرقوها سبعائة وعشرون سنة . أرسل الامام الى أهل جزيرة بحرحيق يدعوهم الى الطاعة ويأمرهم بتسليم الأسير المسلم الذي عندهم.

وكان من قصة هذا الأسيرانه غزا مع السلطان مجمد فلما انهزم المسلمون في «دل ميده» وقع أسيرا فلما علم الملك انه من حشم السلطان مجمد أرسله الى تلك الجزيرة وأمرهم أن ينصر وه فتنصر و بقي عندهم ١٦ سنة وقلبه مطمئن بالايمان. فهذه المرة أرسل الامام رسولا سبح في البحر حتى وصل الى الجزيرة فرماه أهلها بالحجارة فقال لهم: لاترموني أنا رسول. فقالوا له: أنت رسول هذا الساحر أي الامام فكلمنا من بعيد. فبلغهم الرسالة فأجابوه: قل لسيدك لا نعطى الجزية ولا الطاعة ولا نفك الاسير يفعل الذي يقدر عليه عرفنا انه يطلع الجبال بالخيل والرجال أما هذا فبحر. فرجع الرسول وأخبر الامام بما وقع عمم الأشراف والعرب والمغاربة والمهرة وقال لهم: نحن مانعرف أيها العرب الا البر والجبال وأما البحر فهو شغلكم تعرفون أموره فطلب منه العرب الأخشاب والحبال فجمعوا لهم

أخشابا كثيرة ونحو عشرة آلاف حبل فشــدوا بها شيئاً يقال له الرمس (١) وأنزلوه فسار سيراً بطيئاً فقال لهم الامام لا تصاون بهذا السير الى قرب الجزيرة حتى يكونوا أهلكوكم بالحجارة والنشاب. فاحتالوا للسرعة بشي ا آخر وهو انهم وضعوا تحت الخشب قربا فسارت مثل السهم ففرح الامام وقال هذا ما كنت أريد . وأمر مقدم المهرة احد بن سلمان المهرى أن ركب البحر هو وأصحابه وأردفهم بغيرهم من الجيش وكان أهل الجزيرة قد نظروا تجربة الارماس وعاموا أن المسامين واصلون اليهم وقالوا هذا من شغل العرب ومعهم المدافع واذا خالفنا أمرهم أخذونا عنوة ، فعولوا على طلب الأمان وأرسلوا الاسير في سنبوق ليلا فأوصله رجلان منهم وعادا في الليل فاما أصبح الصباح شاهده الأمير ابسمانو رعند صلاة الصبح فقال له من أنت فقال: أنا حرب أرعد بن اروعي حبر الدين الاسير في الجزيرة. فأخبر الامام بخبره فأمر بدخوله فاما رآه الامام بكي شفقة عليه لما رآه من تغيير حاله بالاسر و بكى الاسير ثم أبلغه أن أهل الجزيرة خافوا من شغل العرب وهم يطلبون الصلح على شرط انك لا تقتلهم ولا تحرق كنيستهم فقبل الامام ذلك وقال له: ارجع اليهم وقل هم يكون ذلك . فرجع الاسير وأخبرهم وأشار عليهم بأن برسلوا الأبون الذي عندهم (الرئيس الديني) و يعقد لهم الامان. فركب الابون سنبوقه وجاء الى الامام وأراد أن يقبل الارض فنعه الامام وقال له: ياخسيس لاتسجد للناس. ثم قال له: تكلم حاجتك. فقال: جميع الرهبان بريدون أن تعطيهم الامان على أنفسهم وكنيستهم. فقال الامام بشرط أن لا تخفوا المال فقال: السمع والطاعة أنا أذهب الى الجزيرة وأجئ بالمال. فقال الامام: لا نأمن لكم ولابد أن يذهب أصحابي الى الجزيرة ويأتوا بالمال. فقال الابون: اذا كان لابد من دخول أصحابك فأوصهم بأن لا يغير وا على كنيستنا ولا ينقضوا عهدك. فقال له الامام: اذا أعطيتك الأمان أنا فلا أحد يقدر أن ينقض عهدى. فأمر الامام زحربوى مجمداً بأن يذهب ومعه رجال من العرب والمهرة والمغار بة وأوصاه بائن لا يفعل شيئاً سوى نقل المال. فكان من الدُّهب والفضة حل مائة رجل وأصابكل رجل من المسلمين ثلاثمائة أوقية ذهب وفضة وأرساوا الى الامام الارمسة ثلاث مرات مشحونات وليس في الواحد منها أكثر من خسة رجال مع انها يسع الواحد منها ١٥٠ رجلا. فرأى الامام أموالا هالنه وقسمها فسهم

<sup>(</sup>١) ارتمس في الماء انغمس فيه

أعطاه للعرب وسهم أعطاه لزحر بوى ولعسكر بحر والسهمان الباقيان فرقهما على جيوش السامين . ثم سار الامام الى بيت امحره وذلك لأنه كان بتى فيها كنيستان فائراد أن يحرقها احداهما مكان مريم والاخرى دبتره مريم فوصل الى امحره وأحرقهما . وذهب منها الى حنبو رة حيث جلس لمرض الشريف أحمد القديمي الذي كان معه فبقى معه الى أن مات رحه الله وصلى الامام عليه . وأرسل الامام الوزير عدلى الى دوار و فوصاوا الى نهر عواش فوجدوه ملان وفي جانبه جيش الحبش فجعلوا يرمون المسامين بالسهام في الليل فقام من أبطال المسامين الجراد شمعون وقال نحمل في الماء وخيولنا تسبح فيه وحل هو وخيله في الماء وحمل المسامون من و رائه والحبشة يرمونهم بالنشاشيب الى أن خرجوا الى الجانب الآخر . فدخل الجراد شمعون وسط صفوفهم وهو يجندل أبطاهم وحل معه أصحابه فانهزم الاحباش وقتل منهم ثلاثمائة وخسون . ثم جاءتهم من الاحباش كرة أخرى فتقاتلوا قتالا شديداً وانهزم هؤلاء وقتل منهم شعو ١٥٠ رجلا ثم أعادوا الكرة ثالثة فانهزموا وقتل منهم شديداً وانهزم هؤلاء وقتل منهم نحو ١٥٠ رجلا ثم أعادوا الكرة ثالثة فانهزموا وقتل منهم شديداً وانهزم هركاد .

ثم سار الجراد شمعون الى « دبر برهان » فصادفه البطريق جرجيس فاقتتلوا قتالا شديداً وقتل من الحبشة ألوف . أما الامام فكان سار الى بلد ملك الحبشة وهزمه هو و بطارقته وسبى نساءهم وفر الملك برأسه . وعاد الامام بالغنائم الى معسكر الوزير عدلى . وكان هذا سار الى دبر برهان فاما وصل الامام أحب الوزير عدلى أن يعرض أمامه الجيوش لا تنهم كانوا في وسط بلاد الحبشة وعليهم جواسيس للعدو فاستحسن الامام رأيه وجاء الوزير عدلى بخمسين راية وكل راية بمقدمها من الجرادات والامراء فكان عدد خيل الوزير يومئذ ثلاثة آلاف فارس لابس وثلاثة آلاف فارس غير لابس وكان عدد أصحاب التروس البيض عشرين ألف تراس وكان عدد أهل القسى مثلهم وكان مع الامام خسة آلاف فارس كلهم لا بسون بتجافيف الهاسيح والقطيفة المثقلة بالذهب لا تظهر منهم الا احداق عيونهم من الدروع . ودخل أصحاب عدلى في الصف الاول من الصومال مع مقدميهم والتقوا مع الامام وساموا عليه ودار وا ناحية الى جنب الحطة . ودخل الصف الثاني من أهل الفطبحار والماية وأهل شوا ومن دخل في الاسلام وساموا على الامام ودار وا ناحية جنب الصف الأول . وجاء الصف الثائث وفيه الوزير عدلى والأمير حسين والأمير شمعون واورعى نو ر

وكانوا خسين أميراً في عدد عديد وزرد نضيد فعلهم صفا بعد صف لكثرة جيوشهم فتواجهوا مع الامام وساموا عليه وجلسوا وتحدثوا فبكى الامام بكاء السرور. وكان من يوم فارقهم الامام الى اليوم الذي واجههم فيه سبعة أشهر وأخرج الأمام الغنائم من الذهب والفضة والحرير وفرقها وكثر الذهب بين أيدى الناس حتى صار البغل يباع بأر بعين أوقية من الذهب لكثرة الذهب وابتذاله وكان الرجل يعطى صاحبه مائتي أوقية من الفضة فلا من يها.

ولما رجع الامام الى دىر برهان ارسل ملك الحبشة البطريق راس بنيات وكان من أعاظم البطارقة وأمره بكبس افات والقبض على او رعى ابون الذي كان فيها. وكان الامام أرسل الى افات الوزير عباس مع نجدة فتلاقى الفريقان في كساية وانهزم البطريق ومن معه . ثم شاور الامام أصحابه فما يصنع فقال بعضهم ان السلاد ما أسامت من نهر عواش الى نهر وبي وكذلك أرض بالى والجنز والوج فالرأى أن نسير اليها. فقال هم الامام: أن أهل افات وجدم وشجره اسلموا فاذا سرنا عنهم وتركناهم بلا عسكر فقد يرتدون. فقالوا له: المهم هو البلاد التي نقصدها لا التي نحن فيها. فوافقهم الامام وسار وا الى أرض الماية و بعد قتال شديد في الجبال والاوعار قاتل فيه الحبشة بالسهام المسمومة فلم تنفعهم وتغلب عليهم المسلمون فأسلموا وأرسل فرشحم على الذي كان قائد الحلة في جهة الماية بكتاب الى الامام يقول فيه ان أهل «مايه» أسلموا وكذلك أرض «زقاله» و بلاد «جتوا» و «ارحتاو» و « شجن » أسلموا جيعهم ففرح الامام فرحا شديد . وكذلك كان أرسل عبد الناصر الى «جنز » وقال له قاتلهم أو يسلموا أو يعطوا الجزية . وأرسل الوزير مجاهدا الى أرض «وج» والى « جبرجي » وقال له : قاتل وأنا سائر من و رائك . فاهـل و ج وجبرجي أعطوا الطاعة وأدوا الجزية واما بطريقهم «اسلام دحر» والبطريق الآخر «وينداب» صهر الملك فأبيا أن يسلما. فاما و ينداب فسار بمائة وخسين فارساً لاحقا ببــلاد الداموت وأما اسلام دحر فأرسل الى الامام ولده و بطريقا اسمه عسبو ليتكلما مع الامام في الصلح وكان عسبو فصيحا لبيبا فقال للامام: هذا ولد البطريق اسلام دحر وأنا صهره جئناك على أن لاتخرب بلادنا ولا تحرق كنائسنا ونؤدى الجزية ونبقى على ديننا . فرضى الامام بهذا منهما فأظهرا رغبتهما في الاسلام بعد ذلك فقال لهما الامام: قولوا نشهد ان لااله الا الله وان مجدا رسول الله . فأما البطريق فقالها وحسن اسلامه . وأما ولد البطريق اسلام دحر فقال انا لاأسلم حتى تحلف لى انك تتخذى ولدا فضحك الامام من قوله وقال له : أسلم انا أفعل لك ماأردت كله . فقال لا اله الاالله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم انه كان معهما ثلاثون فارساً فأسلموا جيعا . واما «تسفو » مقدم بلاد المايه فارسل الى الامام قائلا : لا تخرب بلادى فانى أسلمت على يد فرشحم دين . فأمنه الامام وقدم عليه هو والني راجل من الرماة فأكرمهم الامام وأقر تسفو على امارته . وجاء الوزير مجاهد مع أهل وج الذين أسلموا و وصل فرشحم دين بعد الوزير مجاهد ومعه من أسلم على يده وهم أهل ستة بلدان بفرسانها وبطارقتها وكانوا الوفا فسجد الامام لله شكرا ودعا لفرشحم دين . وأما عبد الناصر فاقر الجزية على الذين فتح بلادهم و بعضهم تحصنوا بالجبال فسار الى «كنبات» وقاتلهم وقتل منهم خلقا كثيرا الى ان اقر الجزية و رجع الى «جيطو » من أطراف بلاد هديه فقاتلوه فقاتلهم الى ان اقر الجزية .

اما الامام فكان في أرض وج صام فيها رمضان وأفطر في «جراجي» وأرسل جيشا فيه عدة امراء تحت قيادة الأمير حسين الى دوار و فدخلوا أرض زرى ثم أرض وطمات. وكان هناك سافو ابن البطريق وسن سجد وغيره من البطارقة فانهزموا من وجه المسلمين. ودخل سافو أرض «جان زجرة» فتعقبوه اليها فانهزم الى عنقوت لاحقا بالملك وأخبره بما فعل المسلمون فزن جداً. أما الأمير أبو بكر فانه دخل جان زجرة وخر بها وأحرق كنائسها ثم سار الى أرض «جراو رارى» وحط فوق نهر «بور» فدخل عليه بطريق جراو رارى والبطريق « روبيل » والبطريق « وسن جش » والبطريق « تيدروس » وأسلموا جيعا وحسن اسلامهم . وكذلك أسلم الجراد هنو وتحصن خسة من البطارقة في الجبال فقاتلهم الأمير أبو بكر وأسرهم هم ونساءهم وأولادهم .

وأما الأمير حسين والوزير عدلى فدخلا أرض جاتر فجاء أهل « ادل مبرق » اليهما وأسلموا جيعا . وكذلك أهل « اواولده » و « وتن » و « أجيت » و «ارقوى » كل هذه من أرض دوار و فأسلموا جيعا .

اما الامام فسار من جراجی مسیره یومین وحط فوق بحر زوای وهو بحر ماؤه عذب تسیر فیه سنابیقهم مسیرة ثلاثة أیام وفیه ثلاث جزائر کل جزیرة فیها ثلاث کنائس فأراد

الامام غزو هذه الجزر فقال له المسامون دع البحر الآن وسر الى أرض هديه فجاء صاحب هديه وهو مسلم من الأصل وكان يؤدى جزية لملك الحبشة وكان يقدم كل سنة بنتا من أبكارهم جيلة لللك يأخذها وينصرها . فلما دخل صاحب هديه عملي الامام مع جنده قال أنا مسلم وأنتم مسامون فأكرمه الامام وخلع عليه وهو وأهل بلده أضافوا العسكر فساعمم الامام بصنعهم الذي كانوا يصنعونه وهو أن يصطفواكل سنة بنتا لحسنها وجالها ويقدموها لملك النصاري. فقالوا له: انه حكم على آبائنا الأولين وحكم علينا أن لانلبس عدة الحرب ولا عملك السيف ولا نركب الخيل بالسروج وحكم أن نعطيه البنت فكنا نعطيه مخافة أن يقتلنا و يخرب مساجدنا وكنا متى جاءنا الذى يريد أخـــذ البنت غسلناها وكفناها بثوب وحسبنا أنها ميتة وأعطيناه اياها فانا وجدنا آباءنا يفعلون ذلك ففعلنا فالآن اتانا الله بكم وقد هزمتم الذي يحكم علينا وقتلتم جيوشه فنحن نجاهد معكم . فسار الامام الى أرض « أي فرس» ومعه صاحب هديه وأرسل «أحمد جويتا» الى «شرخه» فا سلم أهلها وسار الامام الى جاتر فأسلم أهلجاتر . وأهل «جانجي» وهمخلق كثير . وأسلم عثمان بن تخلي وكان أبوه مساماً فارتد في أيام السلطان محمد فعاد هذه المرة الى الاسلام هو وأخوه خالد ومعهما عدد عديد جدا من الفرسان والرجالة فولى الامام أرض جاتر شهابا وولى الأمير عمر ارض «استرجاتر» وفرق خسين أميرا على البلاد التي فتحها . وجلس الامام في «عندوره» وأرسل عبد الناصر الى «جينه» وقال له: لا يسعك غيرها لأن معك جيوشاً كثيرة . و بينها الامام في عندورة أرسل اليه البطريقان « سيمو » و « صبرو » انهما معه لامع أهلهما و يطلبان منه جيوشا حتى يقاتلا فيها فارسل الامام الى الوزير عدلى والأمير حسين بالمجئ بجيوش كافية فخصرا اليه فبلغه ان الاحباش خربوا بلاد هديه و بلاد جنز فاعاد عبد الناصر الى جنز وجعل صهره في هديه وأسلم البطريق صبرو على يد الامام وأرسل الامام و زيره عدلى الى بالى وولاه عليها فسار اليها ومعه من أبطال المسلمين الوزير عباس ابن أخى الامام والجراد أحمد جويتا واورعى قاط عمر والجراد أحمد وش بن محفوظ وفرشحم سطوت وفرشحم عملي واورعي أحد بن هرجاى محمد وحامد بن سوحه . ثم لما بلغ الامام أن صاحب بالى فى قوة عظيمة أرسل عبد الناصر صاحب الجنز والجراد صديق صاحب شرخه وصاحب هديه مدداً للوزير عدلى وكان دليلهم البطريق صبر و الذي أسلم وكان فارسا مشهورا ووافاهم البطريق سيمو واسلم أيضا.

فأرساوا الى بطريق بالى ينصحونهأن يخضع لئلا يندم ويخوفونه بكثرة جيوش الاسلام فاجاب بانه لايسلم ولا يؤدى الجزية وانه حاضر للقتال وأمر صاحب بالى جوعه أن يخرجوا للحرب ومعهم نساؤهم وأولادهم وتلاقى الجعان في بلدة زلة وأما المسلمون فكان على ميمنتهم الوزير عباس والجراد عثمان وعلى الميسرة عبد الناصر وأصحابه وفي القلب الوزير عدلي وأصحابه وفي المقدمة ابسها نو روصبر الدين البطل المشهور. وأما صاحب بالى فصف التروس قدام الخيول و ركب فرسه وقام في وسط القلب كائنه برج من حديد وجعل نساءه وراءه وعليهن زينتهن وفعل سائر البطاريق مثل فعله. ولما اختلط الجعان حمل فرشحم عِلى على بطريق بالى حتى اقتلعه من سرج فرسه وضرب به الارض وسقطا معا فنهض فرشحم على واستل خنجرا كان معه وقطع رأس البطريق فلما رأى الحبشة زعيمهم قد قتل ولوا الادبار وتبعهم المسامون يقتلون ويأسرون فقتل من الحبشة عدة الوف وكانت نساء المسلمين حلن أيضا وراء رجالهن وهن على بغالهم فكانت المرأة منهن تقول بعد الوقعة اسرت اربع نسوة وتلك تقول خسا وتلك تقول ستا أو سبعا . وكان جلة البطارقة الذبن قتلوا مائة بطريق منهم البطريق اسحق قتله ابسمانور. وابيب بطريق حاتر وكانشيطانا شجاعا قتله البطريق سيمو الذي اسلم. و بطريق ليمو صاحب شرخة قتله الجراد احدوش بن محفوظ. والبطريق غفاني قتله حبشي أسلم. وقتل زمنكر ابن بطريق بالى قتله تماش ابون. والبطريق مجن قتله البطريق صبرو الذي اسلم مع سيمو. واسر نحو مائتي بطريق منهم « ازاج زخره » وكان من خواص الملك . ومنهم البطريق نقدية وكان مسلما مرتداً . ومنهم البطريق جرجيس ومنهم ابن دحر جويته . وقتل من الرجالة والفرسان ممن لم تعرف اسهاؤهم ثلاثة آلاف. وملك الله المسامين خيولهم ومتاعهم ونساءهم واولادهم وما ملكوا جيعاً . وحط الوزير عدلى في بيت البطريق عدلو في زله وسأل هل بقي من البطارقة أحد فقالوا نعم وعدوا له خسة بطارقة. قال الآن ابن يونون. قال البطريق سيمو: ما يقصدون الا ارض «قاقمة» . عند البطريق ايدبس فارسل الوزير البطريق سيمو ومعه أربعون فارسا فلقيهم مختفين في الاشجار فاسر وهم وأخذوا معهم خسين فارسا . وكان الوزير عدلي لما سار الى بالى أرسل الامام الجراد « جوشو » ابا بشاره الى باب دارة وقال له الذي يخرج من بالى لا يفلت منك لأنه لا طريق الا من هذا الباب فكان ما توقع وهو ان خسة بطارقة

ومعهم ستون فارسا قصدوا العبو روهم منهزمون فاشعروا الا والسامون عند الباب فاسروهم وضر بوا أعناقهم وقطع الجراد جوشو رأس البطريق « حجه » وأرسل به الى الامام لان الامام كان يتحرق عليه غضبا اذ كان ارسل الى الامام يقول له اريد أن أسلم فارسل اليـه الامام رسولا فقتله ولحق بارض بالى فلما وقع هـنه المرة في يد الجراد جوشو قتله وأرسل برأسه الى الامام ففرح به . ولم يكن وصل اليه خبر انتصار الوزير عدلى في بالى فلما رأى الامام الراس قال للرسول: من أبن لقيتم صاحب هـذا الراس. فقال الرسول: أما جاءكم الخبر من الوزير عدلى بما جرى . فقال الامام : وما ذا جرى . فاخبره الرسول بالنصر العظيم الذي من "الله به . فصلى الامام ركعتين شكرا وخلع على البشير خلعة تامة وجلس في الفلاة وأمر بضرب النقارات والطبول. ثم وصل بشير الوزير عدلى بتفصيل خبر المعركة وهو يسأله كيف يفعل بالاساري ونساء البطارقة وأولادهم فاجابه : أما البطارقة ونساؤهم وأولادهم والخيول التي عنمتموها فأخرج خسه وفرق الباقي على المجاهدين . وأما امرأة البطريق عدلو خذها لك ومن أسلم من البطارقة يكون معك ومن لم يسلم فاقتله . وأما نقديه المرتد فاشنقه بباب البلد زله. وأما خارج وازاج زخره وجرجيس وابن دحر جويته فارسلهم الى". ثم ارسل الامام الى البطريق سيمو سيفا من الذهب الاحر فيه ٢٠ اوقية على مقبضه وذلك لما فعل من الجيل وكونه لم يغدر. فانفذ الوزير أمر مولاه وفرق الاموال ونساء البطارقة واخذ امرأة البطريق عدلو لنفسه. وارسل الى الامام الاسارى الذبن طلبهم فامر بضرب أعناقهم . وأما خارج المرتد فشفع به المسلمون وقالوا للامام : هذا قد تر بي في بيتك وهو صغير وقد تاب. فعفا الامام عنه. أما أهل بالى فاسلموا باجعهم بعد هذه الواقعة. وكانت واقعة بالى يوم الجعة يوم الحج الاكبر سنة ٩٣٨ .

ثم ارسل الامام الوزير مجاهدا الى أرض وج فقاتله بطريقها «اسلام دحر» صهر الملك اسكندر ومعه ثلاثون بطريقا بجنودهم فهزمهم. وقتل اسلام دحر ومن معه من البطارقة واطاعت وج سهلها وجبلها وارسل الوزير مجاهد بخبر الفتح الى الامام وهو فى جراجى . وكان ملك الحبشة أرسل بطريقا اسمه «أيكر» ومعه جيش الى بلاد جنز فقصده عبد الناصر من أرض هديه وهزمه وأسر عسكره ولم يفلت الا البطريق وحده واسلم العسكر الذين وقعوا فى يد عبد الناصر وحسن اسلامهم وشهدوا فما بعد عامة الوقائع. وارسل

الامام قائدا اسمه يعقيم الى ارض ورب فاجتمع الحبشة تحت قيادة بطريق اسمه اكليل وقاتلوا يعقيم فهزمهم وقتل منهم الف رجل وكتب الى الامام بالفتح وسأله ماذا يفعل فاجابه بأن يأخذ من أهل ورب جزية سنوية مقدارها ١٥ الف حل من الحنطة والف اوقية ذهب والف كدوجة من العسل والسمن . فاطاعوا على ذلك وجلس يعقيم في بلادهم .

فبعد فتح الامام لبلاد دوار و وبالى وهدية وجنز ووج وورب وفطبحار وافات وما حولها لم يبق خارجا عن طاعته الا قدر ثلث الحبشة فارسل الامام الى بر سعد الدين بطلب امرائه وأمر المجاهدين بان يطلبوا نساءهم و يسكنوا ببلاد الحبشة ففعاوا و بعث الوزير عدلى الى بلاد الداموت ففتحها وهزم بطارقتها وفتح بلاد جافات وغنم غنائم لا تحصى . ثم جع الامام الامراء فى دبر برهان ، وقال لهم : قد انفتحت بلاد الحبشة ولم يبق الا بلاد التيجرى ومدر والقوجام فاما أن نسير اليها واما أن نجلس فى هذه البلاد سنة حتى نقررها . فاشار بعضهم بالجلوس سنة واحدة حتى تتقر ر الاحوال وقال الآخر ون مثل الوزير عدلى وعبد الناصر والوزير مجاهد وزحر بوى مجد لابل الاحزم أن نقصد ملك الحبشة من الآن لاننا فى قوة ومنعة . فقبل الامام رأيهم وسار بجيوشه من عدة طرق وجرت معه وقعة بقرب بيت امحره أخذ فيها أر بعة آلاف مع بطريقهم ابن دجلحان فعرض عليهم الاسلام فاسلموا ولبثوا مع الامام الا ان ابن دجلحان فر فما بعد .

ثم سار الامام الى جبل العنبا الذى تقدم ذكره وهو الذى يحفظون فيه أولاد الماوك ولا يمكن الصعود اليه الابالسلالم وكان المسلمون عجزوا عنه أول مرة فحط الامام على هذا الجبل وأمر ملك الحبشة جيع جيوش التيجرى أن تقاتل الامام دون هذا الجبل فقاتلهم الامام نحو شهرين وما زال حتى فتح الحصن الأول والصخور والحجارة من فوق المسلمين مثل البرد تقع عليهم . وكان مع النصارى وأهل التيجرى مدافع و بنادق وكان يضرب لهم بالمدافع رجلان من المسلمين أحدها عربى اسمه حسن البصرى والآخر عبد أصفر تركى كان عند الامام ثم تنصر ولحق بالحبشة . ولكن الامام كان أرسل الى زيلع فاشترى مدفعا كبيراً من نحاس ومدفعين صغيرين من حديد وجيء بها على الجال الى جندبله ثم حلتها الرجال الى محلة الأوعار وكان مع المدافع مهتاران من الهنود فضر با بالمدافع واشتد القتال وكان حسن البصرى يضرب بالمدافع على مهتاران من الهنود فضر با بالمدافع واشتد القتال وكان حسن البصرى يضرب بالمدافع على

المسامين فلما رأى الامام أن لا سبيل الى أخذ الحصن الثاني أمر بالرحيل وقصد بلاد التيجري وم بكنيسة اسمها « لالبلا » وهي كلها منقورة في الصخر وأعمدتها من الصخر وفيها صهريج ماء منقور في الصخر وليس في هذه الكنيسة خشب سوى الماثيل والتوابيت فأحرق الامام ما فيها من الماثيل. وسارت طلائع المسلمين مع مقدمها شمسو مع مسيرة يومين حتى بلغت نهر حرار وكان الأحباش عبروه وتركوا أثقالهم ومعها بنت أخت ملك الحبشة فوصل المسامون وأخذوا الأثقال وبنت أخت الملك وعادوا بها الى الامام فتسرى الامام بنت أخت الملك وولدت له . ثم قدم الامام القائد شمسو فسار يومين فتلاقي مع الأحباش وهم في عدة عظيمة ومن جلة ما معهم حبال كثيرة هيأوها لربط المسامين فهزمهم شمسو وقتل منهم ثلاثة آلاف وربط كثيراً منهم بحبالهم . وزحف الامام الى الأمام واستشهد معه زحر بوی محمد بحر به مسمومه فزن علیه حزنا شدیداً وهزم العدو وحط عند كنيسة مارية . وولدت له زوجته هناك واراً أسماه أحمد النجاشي وكان أول ولد في التيجري ثم سار فط في « قرقاره » وهي كثيرة البر والعسل فأقام الامام بها وسرح جيوشه تغزو البلاد فتلاقى المسلمون مع العدو في أرض التنبين فهزمهم وقتل منهم ثلاثة آلاف وساريريد مدينة أكسوم فط في أرض « ارعدة » ودخل عليه أناس من مسلمي بلاد التيجرى من قبيلة باو وقالوا له: ان الأحباش اجتمعوا بجبل هناك فقسم جيشه قسمين وقصدهم وأفنى منهم أكثر من عشرة آلاف حتى امتلاء السهل والوعر بجيف القتلي ونهبوا من مواشيهم ما لا يقع تحت حصر . ووصل الخبر الى ملك الحبشة أن المسلمين دخاوا الى التيجري وأخربوها فبكي وحزن حزنا شديداً وجع جيع بطارقته وجيوشه وسارالي ا كسوم وأخرج الصنم الكبير من كنيسة اكسوم وهو حجر أبيض مرصع بالذهب ومن كبره لم يمكن اخراجه من الباب بل نقبوا من الكنيسة على قدره وأخرجوه وحمله أر بعمائة رجل وذهبوا به الى حصن اسمه تابر . وسار الامام قاصداً اكسوم فمر بثلاثة حصون صالحه على الجزية أهل حصنين منها فخلاهم ، وقاتله أهل الحصن الثالث فقهرهم وقتلهم عن آخرهم وفر ملك الحبشة الى « مزجة » وسلطانها مسلم اسمه مكتر. فأرسل هذا الى الامام يستصرخه قائلا: أدركني قبل أن يقتلوني فد الامام في السير حتى ينقذ مسلمي مزجة ومر بكنيسة الاسامئيل وكان فيها خسائة راهب فقتلهم جيعاً وصادف جعاً من الحبشة مقبلين لنحدة

الملك فاستأصلهم. ووصل اليـه من السلطان مكتر رسول يخبره بأن النصارى ضيقوا عليه وقتاوا كشيراً من رجاله وثلاثة من أولاد أخته وهو ينتظر وصول الامام فأرسل اليه الامام أنه قادم اليه ففرح فرحاً لا مزيد عليــه وخرج وهو مريض وركب فرسه ولبس درعه وسار يلاقى الامام ومعه خمية عشر ألف مقاتل من النوبة. فنزل الامام بجيشه عند السلطان مكتر فأضافهم عشرة أيام. و بلغملك الحبشة أن الامام صار الى هناك فانهزم بجيشه الى أرض قجام وسار الامام وراء، فبعد مسيره بثلاثة أيام مات السلطان مكتر فأخفت أخته « جعوة » خبر موته عن العساكر وأرسلت تخبر الامام بموته فولى الامام ابنه نافع مكانه وهو صغير بكفالة عمته وكانت تدبر الأمور في حياة أخيها . ثم تقدم الامام الى أرض الدنيه وسأل عن ملك الحبشة فقالوا له فاتك من ثمانيــة أيام . فسار الامام وحط عند كنيسة انفراز وأحرقها وقام يتبع الملك ففي الطريق أدركوا فارساً من النصارى فأسروه فاذا هو أبون أخو الوزير مجاهد وكان قد ارتد ولحق بملك الحبشة فسأله الامام عن الملك قائلا: اما نلحقه اذا سرنا وراءه . فقال لا لأنه قطع بلداناً كثيرة. ثم أمر الامام بضرب أبون المرتد هذا وعفا عنه فلم يقتله. و بقى الامام مجداً في السير فصادف خيام الملك ومطابخه قد رموها في أرضها ثم لتى صناديقهم مرمية قد تركوها حتى لا يتأخروا بسببها . وأدرك الامام ساقة جيش النصارى وفتك بهم ولم يدرك الملك وهذا نزل على نهر « اباو بن » الذي يتصل بنيل مصر وكان الامام في طليعة جيشه اختلط بعسكر النصاري ولم يشعر الا وهو في وسطهم فكانوا يتكلمون بكلام النصاري حتى لا يعرفوهم . ولما لم يدرك الملك وقف حتى وصل اليه جيشه . وأسر في تلك النو بة أحد صبيانه واسمه أنس كان ارتد ولحق بابن البطريق دجلحان فأمر الامام بقطع يديه وأسروا البطريق اقابسات الذي هو قاضي الحبشة وهو عندهم ثانى البطرك فقتله الأمرير ابسمانور وأسروا أخت ملك الحبشة وكان اسمهـا « امتى دنقل » . ودخل الامام بلاد التيجري وقد اشتد بها الغلاء والجوع فبلغ ثمن كل ثلاثة آصع مثقالين من الذهب وصارت الأحباش تسرق بغال المسلمين . وكانوا لما دخلوا أرض التيجري كل واحد منهم معه خسون بغلا فا خرج منها الواحد الا ببغل أو بغلين . وكان الوزير عباس ذهب الى أرض السراوى ثم تبعه الوزير عدلى وأهلها مسلمون ومنهم نصارى فأسلموا. وقاتل البطريق «تسفولولو» في مكان حرج مشتبك الأشجار وهناك طريق ضيقة لا يقدر أن عمر بها الفارس الا وحده يتبعه الفارس. فأراد الوزير عدلى أن يتقدم الجيع في هذه الطريق فاما توسط الطريق رماه النصارى بالحراب والمزاريق فأثخنوه بالجراحات فسقط فتقدم من المسامين رجل اسمه بربرى فحمله على ظهره و به حشاشة علىأن يهرب به والسهام عليهما مثل المطر فقال الوزير عدلى لبربرى ارمنى عن ظهرك فيا بقيت بى روح . فتقدم فارس من صبيان الوزير عدلى يسمى كبير مجمد فقتلوه فتقدم آخر اسمه الجراد هيجو من أهل بالى فاستشهد . فاما وأى المسامون أن لا سبيل للرور رجعوا الى الوراء وحطوا في مكان فسيح وقطع النصارى وأس الوزير عدلى وأرسلوا به الى ملك الحبشة ولما وصل خبر موت الوزير الى الامام جع الجيوش وكان أكثرهم من الذين أساموا جديداً فأمر منادياً ينادى ان عبداً من عبيد الامام مات ويقوم واحد مكانه وهو الوزير عدلى فينئذ ارتجت المحطة بالبكاء والنحيب وحزن المسامون حزناً شديداً . أما النصارى فلما وصل رأس الوزير عدلى الى الملك جلسوا عانية أيام يضر بون طبوطم ونقيرهم و يظهرون زينتهم و يشر بون خورهم .

وجعل الامام الوزير عباساً مكان الوزير عدلى وأرسله الى أرض السراوى فقصده البطريق « تسفولولو » وأسرع بالمسير آملا الظفر وأمام جيشه راهب على حاريقول للحبشة اليوم لكم النصر على الوزير عباس فتلاحم الفريقان وحل رجل من المسامين على البطريق تسفولولو فندله صريعا فاما رأى الأحباش بطريقهم قتيلا ولوا الأدبار فتبعهم المسامون فلم يفلت منهم أحد وقتل الراهب وهو على حاره ، وقتل أولاد البطريق وأخذ الوزير عدلى وأرسل برأس البطريق ورؤوس أولاده الى الامام ففرح بالنصر وأخذ الثأر.

وجلس المسامون فی بلاد التیغری سنة واحدة حتی فرغ زادهم وأضر بهم الجاوس فات منهم أناس کثیر ون فی أرض السراوی بالطاعون مات أو رعی أبو بکر ومات أحد النجاشی ولد الامام وماتت طاوسی امرأة الوزیر عدلی ومات الجراد عبد الناصر وامرأته بلقیسة وارتد بعض المسامین ومنهم أخو فرشحم سلطان مع کثیر ممن کانوا أساموا وذلك من الجهد الذی جری للسامین . ولم یبق لهم ظهر ولا حار یحماون علیه ف كان کثیر منهم یحمل دبشه علی ظهره . فاما رأی الامام ماحل بالمسامین فی أرض تیغری سار بهم قاصداً أرض « بقی مدر » لکثرة خیراتها و ولی ولاة من قبله علی بلاد السراوی و بحر نجاش أرض « بقی مدر » لکثرة خیراتها و ولی ولاة من قبله علی بلاد السراوی و بحر نجاش

والجاسين وعزل الشريف بو را عن ذخنو و ولى مكانه السلطان أحد بن اسماعيل الدهلكي ومن الامام بارض مزجة التي أهلها مسلمون وصام عندهم رمضان سنة ١٤١ ثم سار الى بقي مدر فكمن له الأحابيش في الطريق وكان عليهم بطريق بقي مدر ومعه ثلاثة بطاريق فهزمهم وأسرهم. وفر منهم بطريق ساول الى بلاد سمين ، وهي جبال لايوجد أعصى منها في جيع الحبشة وأهلها من يهود الحبشة ويقال لهم بلغتهم فلاشة يقرون بوحدانية الله ولا يعرفون غـير ذلك من الايمان . وكان أهـل « بحر عنبا » استعبدوهم أر بعين سـنة يحرثون لهم و يستخدمونهم فاما انتصر الامام على الحبشة جاءوا اليه من كهوف جبالهم وخدموه وصار وا حراثين للسلمين ثم استفتح الامام بقي مدر وصار أهلها فلاحين للسلمين واستفتح « وقرة» و بني فيها مساجد و ولى عليها الجراد صبر الدبن واستولى على بلاد « درجه » من بقي مدر و ولى عليها فرشحم عليا و بني فيها المساجد وصار أهلها فلاحين للسلمين. وأخذ بلاد الوفلة وكنفات الى أرض واق وجعل فيها الأمير أبا بكر قطين مع جيشه و بني فيها المدن والمساجد ودخل بلاد الدنبيه وهي كثيرة الخيرات و بندر الذهب فاتخذها مسكنا وأصلحها و بني فيها المساجد وصار أهلها فلاحين للسلمين. وأعطى بلاد « تاكه » وهي ثغر بلاد الهمج الى الوزير عباس واستراح المسامون وسار الامام الى بلاد قجام فأخربها وتلاقي فيها مع الأمير شمعون وكان لما تركه الامام في جدم قصده ملك الحبشة بجموعه فهزمه شمعون وأخذكل مامعه . وكان في الدنبيه بحر عذب مسيرة أر بعة أيام في وسطه ثلاثون جزيرة مملوءة فواكه و رياحين وكان كل من لم يطع المسلمين من الأحباش التجأ الى هذه الجزائر فغزاهم الامام بالسنابيق الى جزائرهم . انتهى

هذه خلاصة الجزء الأول من كتاب عرب فقيه ولم يعثر المستشرقون على الجزء الثانى وانما مجمل الأخبار التي في هذا الكتاب مؤيد بكتب الحبشة وتواريخ الافرنج. وقد ظهرهنا أن بلاداً كثيرة مما عده صاحب مسالك الأبصار من ممالك المسامين في الحبشة ونقله عنه صاحب صبح الأعشى كانت في أيام الامام أحد بن ابراهيم من بعض ولايات الحبشة مثل أوفات ودوار و وهديه وشرخه و بالى وان الامام الغازى أحد انما فتح البلدان التي كان أصلها للسامين. وأغرب من هذا وذاك المبالغة التي حصلت في احصاء أجناد تلك الممالك الاسلامية وان هذه فرسانها أر بعون ألفاً وهذه عشر ون الفاً الى غير ذلك مما لا يمكن أن

يكون بدليل أن جميع فرسان الامام الذي هو أكبر غاز في الحبشة عند ماعرض الجيش الوزير عدلي كانوا أحد عشر ألف فارس وأر بعين ألف راجل وهو الجيش الذي يمثل قوة مساءي الحبشة بأجعها ثم ان صاحب « هدية » الذي قال عنه انه أقوى اخوانه وأكثرهم مساءي الحبشة بأجعها ثم ان صاحب « هدية » انه كان يقدم كل سنة لمليك الحبشة بنتا مسامة هوهو الذي ذكر صاحب « فتوح الحبشة » انه كان يقدم كل سنة لمليك الحبشة بنتا مسامة يتسراها و ينصرها وانه لما و بخهم الامام الغازي أحد بن ابراهيم على قبول ذلك قالوا له : كان هذا الملك مستبداً بنا ضار با علينا الذلة والمسكنة محظو را علينامسك السيوف وركوب الخيل بالسروج فكنا نقدم له الطاعة والمال والبنت هذه فداء عن أنفسنا ومساجدنا . فكيف تخاط هذه القصة التي تاريخها في القرن العاشر للهجرة ( ٩٣٠ ) مع قصة الأر بعين أف راجل التي يجب أن يكون تاريخها قبل ذلك بقرنين أوقرنين ونصف قرن ولايظهر من حال هاتيك البلاد بحسبوصف عرب فقيه انها تحتمل هذه القوى الهائلة كلها لاسيا ما كان منها مثل مملكة هديه ضيق الرقعة قليل المادة . ولاشك ان عرب فقيه الذي كان في البلاد نفسها ادرى من الشهابي بن فضل الله ومن القلقشندي ومن المقريزي الذين نقل بعض عن بعض .

لقد خصنا فتوحات الامام أحمد جران وفتكه بالجبشان النصارى وحمله اياهم على الاسلام وليس ذلك الا جزءا بما كان يفعله الحبشة النصارى بالحبشة المسامين والصومال والنو بة قبل ظهور السلطان سعد الدين والامام أحد و بعدهما وبما كانوا لايزالون يفعلونه الى عهد قريب وهاك ملخصا تعريب ماجاء فى الانسيكلو بيدية الاسلامية الفرنسية تحت اسم الحبشة ، فبعد أن ذكر فيها ان جغرافي العرب الأولين والمتوسطين مشل ابن خرداذبه والمقدسي والمسعودي والادريسي وأبا الفدا والدمشقي وابن الوردي والحراني لميذكر واشيئا طائلا عن الحبشة جاء فيها ان المؤلف الوحيد الذي تكلم بالتفصيل عن تاريخ الحبشة فى الأعصر الأخيرة وأخبار ممالك الاسلام فيها هو المقريزي في رسالته « الاعلام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الاسلام).

فالمقريزى يتكام عن اقليم من الحبشة يسمى زيلع يشتمل على سبع امارات: أوفات ودوار و وارابابني وشرخه و بالى وداره ومملكة هدية القوية. فكل من هذه الممالك

كان عليها أمير مستقل بها لكنهم جيعا كانوا تحت سيادة الحطى سلطان أمحره وفي القرنين الثالث عشر والرابع عشر دخل مسلمون كثيرون في أرض شوا و وصاوا الى بقي مدر (١) وأول من أساء معاملة المسلمين من ماوك الحبشة يقال انه الملك يقونوا ملاك (١٢٨٠-١٢٨٥) فجر هذا الاضطهاد الى حروب و وقائع مستمرة اشتهرت كثيراً لاسيا في أيام الملك عمدسيون الذي انتصر على ملوك عدال صبر الدين وجال الدين الخ ( ١٣١٤ – ١٣٤٤) واستمرت هذه الحروب في أيام خلفاء عمدسيون مثل نوايا كريستوس ( ١٣١٤ – ١٣٧٧) ودافيت ( ١٣٨٠ – ١٤١١) ويسحق ( ١٤١٤ – ١٤٢٩) وزارا يعقوب ( ١٣٨٤ – ١٤٦٨) ودافيت و بيدام مريم ( ١٤٦٨ – ١٤٦٨) واسكندر ( ١٤٧٨ – ١٤٩٤) الخ وقد أخضع بيدام مريم وبيدام الفيل الذي القرن السادس عشر ( أي منذ نيف وثلثائة ) كان الاسلام في هاتيك الأصقاع في ذل عظيم .

وكانت تلك الحروب كلها مدة قرنين كاملين خارج الحبشة الأصلية ولكن سنة ١٥٧١ نقل سلطان «عدال» أبو بكر بن مجمد كرسيه الى هر ر فازداد الاحتكاك بينه و بين شوا والحبشة ثم لم يلبث ان ظهر أحمد بن مجمد جران القائد الصومالي (٢) الذي عاونه المترك بالمدافع والجنود (٣) فشن الغارات على الحبشة حتى بلغ أقصى شماليها ونهبها مراراً واحرق كنيسة اكسوم . وكتاب هذه الفتوحات الذي ألف عرب فقيه (١٥٤٣) هو التأليف العربي الوحيد الذي يذكر كثيراً أقاليم الحبشة . وسنة ١٥٤٤ انتصر الملك غلاد بوس على جران هذا وقتله ولكن نو ر الدين خلف جران أخذ بثأره فغلب غلاديوس وقتله سنة محران هذا وقتله ولكن نو ر الدين خلف جران أخذ بثأره فغلب غلاديوس وقتله سنة عدة مدن من جلتها «دبار وه» وثار هذا الأمير واسمه يسحق على الملك «سارسا دنقل» وظاهره الترك « قداورت » بقرب اركيكو وقتله .

و بسبب هذه الطوائل وغيرها مما احرزه الملك سارسا دنقل على محمد الرابع سلطان

<sup>(</sup>١) نقدم ذكرها في فتوحات الامام

<sup>(</sup>٢) الذي نعرفه أنه أحمد بن ابراهيم

<sup>(</sup>٣) على كل حال في الوقائع التي لخصناها عن صاحب تاريخ فتوح الحبشة لا يوجد أثر للترك

عدال و بمساعدة البرتقاليين للحبشة ضعف المسامون في الجنوب والشمال ولم يبق منهم خطر. ثم فتح الملك سوسنيوس مملكة سنار ( ١٦٠٧ – ١٦٣٧) وسنة ١٦٣٧ استنفر المسامون ثم فتح الملك سوسنيوس مملكة سنحار لم يقدروا على ملوك الحبشة مع اعتدائهم أحياناً على كانوا أسسوا سنة ١٦٥٠ مملكة سنحار لم يقدروا على ملوك الحبشة مع اعتدائهم أحياناً على الحدود واضطر النائب موسى بسبب نهب أمتعة تخص الملك ياسو الأول أن يذهب الى السوم و يطلب العفو . وسنة ١٦٩٧ تغلب الحبشان على أمير البحة وسنة ١٧٦٩ ثار البحة على ملك الحبشة فدوخ الراس ميكائيل بلادهم على أن غزوات الاسلام لا سيا فتوحات جران فتحت أبواب الحبشة للاسلام وقد فهمنا من كتاب عرب فقيه ان مغازى وشيدت فيها مساجد مما يحمل على الاعتقاد بأن الدخول في الاسلام لم يقع على حدود وشيدت فيها مساجد مما يحمل على الاعتقاد بأن الدخول في الاسلام لم يقع على حدود بقرب غندار مدينة أهلها كلهم مسامون وشاهدوا في بلاد اندرته ( سبق ذكرها ) مسامين شافعية ، وكان في نفس غندار حارات للسامين . وسنة ١٦٩٨ عقد الملك يوهانس مجمعا قرر منع المسامين من السكني مع النصارى ثم تجدد هذا الأمر سنة ١٦٩٨ مما يدل على كثرة المسامين الذين كانوا بين النصارى .

وفى القرن الثامن عشر انتشر الاسلام فى أمة الغاله الذين الى الجنوب الشرق من الحبشة والى الشمال من شوا و يقال ان أمة الفولو هداهم الى الاسلام عربى اسمه دبلو. وقد حقق رو بل Rüppel انه سنة ١٨٣٠ كان الاسلام ينمو فى الحبشة وبالفعل ظهر ان أنما من التيجرى كانوا فى أوائل القرن التاسع عشر نصارى هم اليوم جيعاً مسامون مشل الحباب والتاماريان والتاكل الخ وان انما أسلم بعضهم مثل المنسا وغيرهم.

ولا يجوز أن نغفل أن التجارة قد أفادت الاسلام في الحبشة كثيراً فان التجار لأجل الوصول الى هناك كان عليهم أن يمروا ببلاد المسلمين فانحصرت التجارة في أيدى هؤلاء وازداد عددهم ونفوذهم . وكان الراس على من الغاله الذي نفذت كلته كثيراً من سنة ١٨٥٠ الى سنة ١٨٥٥ مع تظاهره بالنصرانية يساعد المسلمين كثيراً مما أوجب حصول رد فعل في أيام الملك تيودوروس عدو الاسلام الاكبر. وازدادت هذه

العداوة عند احتلال المصريين بعض أقاليم الشمال من الحبشة (١٨٣٠ — ١٨٤٠) فأرسل الخديوى جيشاً الى مصوع فاستأصله يوهانس (١٧ نوفبر ١٨٧٥) وسنة ١٨٨٠ أصدر هذا الملك أمراً بموجبه ينبغى فيه للسلمين أن يتنصر وا أو يهاجر وا من الحبشة . فهاجر كثير منهم الى القلابات وخلت غندار منهم تماماً . وأما مسلمو سراك وهمازن وغيرها فنالوا الاذن بأن يسكنوا في بلدين خاصين بهم لسكن هذه الاوامر لم يطل بها العمل . وكان المسلمون قبل تيودو رس و يوهانس متفرقين بدون نسبة في العدد فكانوا قلائل في قوجان (تقدم ذكرها) وكانوا نصف أهالي الفولو وادجو والي اليوم تجد المسلمين كثيرين جداً في بلاد كوالا حال كون المسيحيين كثيرين في الداقا . أما في الشوا فالمسلمون كثيرون جداً ولكنهم ليسوا كثيرين في دنبيه مثلا . أما مستعمرة الاريتره الإيطالية ففيها مائنا ألف مسلم أي ثلثا أهل المستعمرة ولهم أر بعة قضاة في المدن الار بع مصوع وكرن واقو ردا واسهاره وهناك امامة المحباب متوارثة في بيت امارة من قبيلة الدركي

وما عدا أهل مصوع فسامو الاريتره أربع فرق: الأولى السوحو واتباعهم الى الجنوب الشرقى من الاريتره وكان قسم منهم قد أسلم فى القرن التاسع عشر. والثانية مسامو الساحل والانسبا الأوسط واسلامهم حديث العهد ولكنهم شديدو التمسك به. الثالثة البحة والحبشان الذين أساموا من قديم ونشر وا الدين المحمدى بين قبائل القيدن والباريا فهؤلاء منذ ٥٠ سنة فقط دخلوا فى الاسلام. الرابعة مسامو البلاد التيجرية من الاريتره.

على ان اسلام الحبشة المنتشر بين الغاله والسحو والبجة ليس له من القوة والشدة ماله فى البلاد الأخرى فليس ثمة مدارس دينية مربوطة بالمساجد وان وجد بعض افراد من مصوع يحبون أن يتفقهوا فى الدين ذهبوا الى الأزهر بمصر وفى الغالب لا يرجعون الى أوطانهم كما أن الطرق الصوفية التى هى من أعظم أسباب قوة الاسلام فى هذا العصر مجهولة فى الحبشة . انتهى .

وذكرت الانسيكلوبيدية الاسلامية الفرنسية هرر فقالت ما محصله:

ان هر ر مركز تجارى عظيم في شرقي افريقية هي الآن داخلة في ملك الحبشة وقاعدة ولاية اسمها ولاية هر ر . موقعها بين ٢٤ و ٢٤ و ٣٣ من الطول الشرقي و ٩ و٣٣

من العرض الشمالي وعدد سكانها . ٥ ألفاً منهم الثلث فقط هر ربون في الأصل والباقون صومال وغاله وحبشان وهنود وسور بون وأرمن وأر وام وأور بيون وأشهر مساجدها مسجد الشيخ أبي ذر ومسجد عمر الدين . ويقال ان الأول هو الذي أدخل الاسلام في هرر ونشره في ذلك الأصقاع أما الثاني فكان سلطانا على هرر في أيام أحمد جران (١) وهررهي مركز الدعاية الاسلامية في شرقي افريقية ومنها يذهب دعاة الاسلام الى بلاد الوثنيين من الغاله وعلاقاتها كشرة ببلاد العرب ومصر. وقد سقطت هذه الأهمية وخفت هذه الحركة الدينية بعد استيلاء الحبشة النصارى عليها ولكن أهالي هرر لا بزالون متعصبين للدين . وألوان أهالي هرر شديدة السواد لكن ما مال منها الى الصومالي كان أميل الى الصفاء ولما كان الحبشان في القديم استولوا على هر ر فاللغة الامحرية معروفة فيها وان كان دخلها كـثير من الصومالي والغالي ولا سما من العربي . ولا يوجد وثائق تاريخية عن فتح الحبشة الأول لهرر والمظنون أنه كان في القرن الحادي عشر والذي يليه ثم الذي يليه. أما في القرن الرابع عشر فقد تدفق السيل الاسلامي الي الغرب حتى وصل الي الحبشة نفسها وطمى عليها في القرن السادس عشر. وأول ما ذكرت هر ر في تاريخ الحبشة هو في زمان الملك عمداسيون لأن أمراء هرر تألبوا عليه مع غيرهم فكانت يومئذ هرر قاعدة بلاد الزيلع وأول أمير عرف من أمراء هرر هو عمر ولا شما الذي يظن أنه تولاها سنة ١١٥٠ ثم ان الأمير أبا بكر جعل كرسيه فيها سنة ١٥٢١ ولا شك أن السبب في ذلك هو قدوم الترك في زمان سلم الاول اذ استولوا على اليمن وجميع سواحل افريقية الشرقية الى رأس غواردافي فاشتبكوا في الحرب مع البرتقال. ثم ظهر أحد جران ومُعنى جران الاعسر وكانت ولادته سنة ١٥٠٥ وخدم فارسا في عسكر الامير ثم دبر مكيدة وعصى سيده وما زال حتى استقل واجبر الصومال أن ينضموا الى عسكره ولا بزال الى بومنا هـذا اسمه عظما في الحبشة ولم يتخذ لقب سلطان ولا أمير بل اتخذ لقب امام ومنذ عام ١٥٢٦ لم رزل والى الغارات على مملكة الحبشة حتى دوخها كلها وأحرق الكنائس والاديرة والكتب ونهبها وسي النساء والاولاد واسترقهم فدخل كثير ون من النصاري في الاسلام بحيث انهم فما بعد التزموا في الكنيسة الحبشية أن يوجدوا هيئة خاصة لاعادة الذين أسلموا الى النصرانية.

<sup>(</sup>١) تقدم ان جران جعله سلطاناً بعد قتل أخيه

وقتل جران سنة ١٥٤٣ فى حربه مع الحبشان والبرتقال وقد كان الملك غلوديوس بمن الشتهروا فى قتال أمراء الاسلام ولكنه قتل هو فى حرب مع الامير نو ر صاحب هرر. ثم نزلت هرر عن مقامها الاول و بقيت تضعف الى سنة ١٨٧٥ اذ افتتحها القائد المصرى رؤ وف باشا بينها كان الامير حسن باشا ابن الخديوى اسهاعيل يقاتل الحبشة من الشهال فاما حلات حسن باشا فقد فشلت وأما رؤ وف باشا فقد تمكن فى هرر و زيلع وسنة ١٨٨٨عزل رؤ وف باشاوتو الى على هر ر عدة ولاة مصريين الى أن قر روا اخلاءها سنة ١٨٨٨ وساموها الى الأمير عبدالله فزحف اليها منليك الثانى من شوا واستولى عليها فى ٢٦ نو فبرسنة ١٨٨٨ فازها الحبشة النصارى بعد ٢٠٠٠ أو ٢٠٠٠ سنة من فتحهم الأول. انتهى.

أما بلاد الصومال فهى الممتدة من مرسى تاجورة الى راس غواردافى ومن راس غواردافى على البحر الهندى الى نهر جوبا. وفيها سلسلة جبال تعلو الى نحو . . . ٧ متر عند بربرة وهواؤها حار والامطار فيها غزيرة لا سيا فى السواحل و زراعتهم قليلة وأكثر اعتمادهم انما هو على المواشى والخيل والجال. وعدد الصوماليين مليون نسمة أصلهم مختلط من الغاله والسودان والعرب وكلهم مسلمون وهم أشداء البأس أعزة . وشمالى بلادهم داخل فى مستعمرة أو بوك الفرنسوية وباقى هذا الساحل مع زيلع و بربرة يخص انكلترة وادارته فى عدن وأما الساحل الشرقى من راس الخيل الى نهر جوبا مع مراسى او بيا ومقدشو ومركا فهو تحت الجاية الإيطالية

## الاسلام في مان اغسكر

وجزائر القومور

## لفتركيب

اشرنا في غير هذا المكان الى كون الغرض الذي توخيناه في هذه الشروح ، هو التعريف ببلاد الاسلام النائية ، ومطارحه القاصية ، والمواضيع التي تحتاج منه الى ايضاح ، دون البلدان المعروفة ، والمواضيع المطروقة . ولما كان من جلة هذه المواضيع مبحث الاسلام في ماداغسكر ، وجزائر القومو ر ، فقد لخصنا منه ما يأتي معتمدين في أكثره على كتاب « المسلمون في ماداغسكر وجزائر القومور » للسيو غابريال فر"ان الفرنسي كتاب « المسلمون في ماداغسكر وجزائر القيم من قبل فرنسا في ماداغسكر ومن أعضاء الجعية الآسيوية بباريز .

قال في مقدمة كتابه هذا ما مؤداه:

ان تاريخ الاسلام ونموه في بلاد خط الاستواء الافريقية ، والجزر المجاورة لها ، لا يجود لنا الا بكلهات قلائل على الأشخاص والاشياء في بحر الهند. فاداغسكر وجزائر القومور الأربع ، وسائر الجزر التي في الشهال الغربي من ماداغسكر ، لا تكادتذكر في جغرافيات العرب ولا رحلاتهم الا نادراً (١) وقد أثبتنا نقصان معلومات الشرقيين عن هذه الأماكن في نشر تذكراتنا على الصومال ونحو اللغة الصومالية سنة ١٨٨٨ و ١٨٨٨ و يعرف ساحل افريقية الشرقي الا منذ سنين معدودات ، ومن عرف الشعوب التي تأهله اليوم وقدر حالتهم الاجتماعية علم لماذا أسلافهم لم يلعبوا دوراً خطيراً في التاريخ السياسي والديني.

<sup>(</sup>۱) قلت جاء فى معجم البلدان لياقوت قوله: والقمر بالضم ثمالسكون جمع أقمر، وهو الأبيض الشديد البياض، ومنه سمى القمرى من الطير؟ وقمر بلد بمصر الى أن قال: والقمر أيضاً جزيرة في وسط بحر الزنج ليس فى ذلك البحر جزيرة أكبر منها، فيها عدة مدن وملوك كل واحد يخالف الآخر؟ ويوجد فى سواحلها العنبر وورق القمارى الخ. وأكثر ما تذكر العرب هذه الجزائر فبكامات قصار كهذه.

فيا مضى من الاعصر، لأن أقواما تتقوت بحفنة من الارز، وتكتفى من كل اللباس بقطعة من القماش، وتتحلى بحلقة من النحاس فى الاصبع، لم تكن لتشاطر غيرها المعارك الحيوية الكبرى، فلهذا تجدها معتزلة بقية الناس جاهلة غيرها بل جاهلة نفسها، راغبة فى أن تبقى مجهولة. وهذا هو اكثر السبب فى سكوت مؤلنى العرب عن الكلام عليها أما عن ماداغسكر فان معلوماتهم كانت عدما، فان اكبر شعب فيها وهو «الهوفا» لم يعرف الكتابة الامذرمن قصير وقد كانت قبيلة «الانتيمور ونا» استعملت الخط العربى قبل الهوفا بكثير، وصار عندهم بعد دخوهم فى الاسلام شى من الادب اللغوى، فترجة بعض كتبهم تهدينا الى معرفة أصول القبائل التى تسكن ماداغسكر ان لم يكن كلها.

وأما جزر القومور الثلاث « نجزيجة » و « انجوان » و « موحلى » فالمكتوب عنها نزر جدا . حرر « المستركوست » بعض مقالات عن لغة سكان هذه الجزر . ونقل الربان البحرى « جوان » فى كتابة حررها على القومور عن كتاب عربى مخطوط فى مايوت (١) وذكر المسيو غفراى Gevrey فى بحشه عن القومور ما معناه ان مهاجرة الساميين الى تلك الجزائر هى من عهد سلما بن داود .

وفى « ماجونقه » (٢) جالية قومو رية عظيمة من المسلمين السنيين وجيعهم يكتبون لغتهم بالاحرف العربية ، و بعضهم يتكلمون بالعربية جيدا وقد قضت علينا ضرورات الخدمة بان تكون لنا علاقات حبية مع مسلمى ماجونقة اثناء اقامتنا مدة سنتين بهذه البلدة ، فاتيح لنا أن ندرس أحوالهم وأخلاقهم وان نستفيد منهم حصة مما يتعلق بتاريخ هذه الجزر ، واطلعنا عندهم على كتاب مخطوط بلغة نجزيجه ، مع ترجة عربية له ، يذكر شيئا على وجه الاختصار عن أهالي جزيرة القومور الكبرى قبل الاسلام . ولقد ذكر «فون در ديكن» : «ان هجات القومور ان هي الا هجات سواحلية الاصل ، تغيرت عن أصلها باختلاف اللفظ ، و باختلاط القومور مع الماداغسكريين . فان هؤلاء منذ احقاب متطاولة في صلة مستمرة مع القوموريين ، ومنهم من تقلد عندهم مناصب عالية ، فان

<sup>(</sup>۱) مايوت هذه جزيرة من القومور في المنف الشمالي من قناة الموازمبيق بين ۱۲ و ۳۹ و ۱۲ و ۹ و ۱۲ و ۹ من العرض الجنوبي و ۲۶ و ۶ و ۴۶ و ۲ من الطول الشرقي مساحتها ۳۶۶ كياو مترا مربعا وسكانها تسعة آلاف نسمة عرب وماداغسكريون وسواحليون وهنود وفيها ۲۰۰ فرنسي (۲) ثغر من ثغور جزيرة ماداغسكر

الامير سولى صار سلطا نا على جزيرة مايوت ، وهو الذى نزل عنها لفرنسا . وعندنا ان حرسا مدققا فى نفس الجزر المذكورة ياتى بمعلومات ذات بالعن لغات القوموريين وآدابهم . وقد اكدوا لنا ان من استقرى هذه الجزر ، وجد كتبا مخطوطة ، منها ما هو عربى ومنها ما هو قومورى ، يؤخذ منها تاريخ القومور السياسى والدينى » .

ثم قال فران « ان تأليفنا هذا ثلاثة أقسام أولها يتكلم عن مسامى ماداغسكر وجزائر القومور ، والثانى عن القبائل الاسلامية الساكنة فى الساحل الشمالى الغربى من ماداغسكر وفى الجزر الاربع نجزيجة وموحلى وانجوان ومايوت الصغيرة . والقسم الثالث موضوعه نشر بعض مخطوطات قومورية وضبط كلات من لغات القومور مع مقا بلتها باصلها من السواحلى أو العربى ونضم الى ذلك متن لغة من كلام ماداغسكر الخاص بالمسامين الذين فيها مع ذكر ما هو منها من أصل سواحلى أو عربى » .

ثم ذكر من القبائل الماداغسكرية الكبيرة التانالا Sakalava والانتانكارانا ، Antsihanaka والانتسيهاناكا Antankarana والساكالافا Sakalava والبتسميزاراكا Antaimorona والهوفا والانتا ، ورونا Antaimorona وقال انها مع اختلاف اصولها معتشابهة بعضها مع بعض تشابها شديدا تمثل امة واحدة من كل وجه تقريبا . ولا شك ان الذين دخاوا ماداغسكر من الطراء ، سواء كانوا بمن جاءوها جرد العصا ، مثل امة الهوفا أو عن قدموا اليها زرافات ووحدانا مثل العرب ، قد أدخاوا فيها عاداتهم وعقائدهم . ولكن لم يطل الامر حتى امتزجوا بالاهالي الاصليين ولم يبق من عقائدهم ومنازعهم الا الشئ اليسير يحفظه الافراد لا الجاعات فالهوفا الفاتحون تلقوا ديانة الماداغسكريين وعبدوا اليسير يحفظه الافراد لا الجاعات فالهوفا العرب فلم يظهر تأثيرهم الا في قبيلة الانتا مورونا ، التي اسلمت ولكن اسلاما ضعيفا . واناس منها رجعوا الي كثير من عقائدهم الاصلية التي من القبائل متمسكة بها و يجد الانسان آثارها حتى بين المتنصرين من الاهالي .

ثم تكلم المسيو فران على قبيلة الانتا مورونا الاسلامية ، فقال انها تسكن في الساحل الجنوبي الشرقي من ماداغسكر بين مصب نهر « المانانجاراه » ومدينة « مازيندرانو » أي على طول ٢٢٥ كيلو متراً . ويسكن الى الشمال من هذه القبيلة قبيلة

البتسيميزاراكا ، والى الشمالي الغربي قبيلة البتسيليو ، والى الجنوب الغربي قبيلة تانالا ، والى الجنوب أقوام متفرقة. وعاصمه الانتا مورونا هي مدينة ماتيتانانا على ضفة النهر المسمى باسمها . ويوجد فروع كشيرة من الانتا مورونا مستقلة بعضها عن بعض لكنها خاضعة من الوجهة الدينية والحكومية لقبيلة الاناكارا والاناكارا هؤلاء فيهم بيت الملك ولهم التقدم على الجميع ولا يتزوج بعضهم الا من بعض فكاء نهم قريش الانتامو رونا ، ومنهم ماوك القبيلة كلها. وهم أمناء الديانة وفي أيديهم ادارة الجوامع التي يفرضون لاجل نفقاتها ضريبة غـير زهيدة على أبناء ملتهم . ويزعم الانتا مورونا ان أصلهم من مكة و يحفظون كـتبا خطية عربية متناهية في القدم ، والوانهم نحاسية ، وأبصارهم حادة ، وشعورهم جعدة وهم أشد الماداغسكريين اعتقادا بالخرافات، ولكنهم هموحدهم الذين سبقوا سائر الماداغسكريين الى تعليم أولادهم ، كما قرر ذلك المسيو دسكامب والدليل على ذلك كثرة الكتاتيب التي عندهم والقانون الذي هم ملتزموه من ان كل انسان منهم يجب عليه أن يقرأ ويكتب العربي ليكون أهلا لتقلد منصب أو للزواج. والى الزمن الذي أدخل فيه مبشرو الانكليز استعمال الحروف اللاتينية في تاناناريث (عاصمة ماداغسكر) كانت جيع الكتابات الرسمية في قصور ماوك الهوفا يكتبها امناء السر من الانتا مورونا باللغة العربية. والانتا مورونا مشهورون بالاعتناء باولادهم ، وعندهم عادة أن يحلقوا شعور أولادهم ما داموا في حجور آبائهم ، فلا يؤذن للولد بارسال شعره الا بعد الزواج .

وهم رجالا ونساء لا يختلفون في ازيائهم عن سائر أهالي ماداغسكر وبالرغم من دعواهم شدة التمسك بالاسلام يشربون المسكرات ، ويصنعون هم بانفسهم المسكر المسمى « الروم » من عصير قصب السكر مع اضافة قشر شجر يسمى آمبولوا يعجل في تخمير قصب السكر .

والخصومات والامور العامة يفصل فيها محتس معين من قبل الملك. وعندهم مجموعة قواعد في العقو بات أشبه بقانون جزاء فالسرقة مثلا يعاقب عليها بالحبس والتكبيل بالحديد من سنتين الى عشر سنوات بحسب درجة الجريمة وأما سرقة المواشى فيعاقب عليها بالقتل لأن اقتناء المواشى ذات القرون هو عندهم في غاية الاهمية وأما القتل فيجزى بمثله ولا يتحرجون من التعذيب في القتل ولا ينفذ حكم القتل الا بارادة الملك الذي

عنده أعوان يتولون أمر القتل ، وهؤلاء الجلادون يقومون بايصال البرد الملوكية وهم عند ملوك الانتا مورونا أشبه بطبقة يقال لها « تسياندو » لدى ملوك الهوفا . واذا قتل الرجل ابنه وكان الولد في سن الجس عشرة سنة فا فوق ، عوقب الوالد بالقتل . وان كان الولد دون تلك السن حصروا الوالد في غلاف من قصب « البامبو » يمنعه من كل حركة ، وبقي محصو را هكذا الى أن يموت . و يقال ان مثلهذا العقاب معروف عند الجبشة وأمة الغاله الذين يظن بعض المؤرخين ان أصل الأمة الماداغ سكرية منهم . واذا أنكر المتهم الجرم امتحنوه بعدة أمور ليثبت براءته فيسقونه كأس ماء بارد وضعوا فيها قطعة ذهب ، وقرأوا على هذه القطعة نصيبا من العزائم ، فان لم يصبه بعد شربها شي عد بريئا . وقد يكلفونه أن يقطع نهر الماتيتانا سباحة ، فان وصل الى الضفة الاخرى سالما من أذى التماسيح الكثيرة التي في ذلك النهر فهو برى أو يشيرون اليه باجتياز حقل من الارز ، فان لم تتعرض في طريقه أفعي ، ولا طار فوق رأسه طائر ، ولا حصل حادث غير معتاد أثناء اجتيازه هذا ،

واذا أراد الانتا مورونى الزواج ، تذكب قوسه وجلترسه على ذراعه ، وذهب مساء الى من يكون خطب ابنته فيقول له: ادخل . فيدخل ، فيفاجئه بضربة حربة يجب عليه أن يتقيها بلباقة ، وبدون أن يحدث للضارب أذى ، فاذا وفق لذلك جلس بين العائلة وأخذ الفتاة ، والا فان أصيب أو لم يحسن اتقاء الضربة خرج متعثرا باذيال الحياء . والانتامورونا بحسب قول الأب لافسيار La Vaissiere أصحاب أخلاق فاضلة وطهارة وآداب ، يبالغون في مراعاتها ، وهم يتزوجون بأكثر من واحدة ، وتسمى المرأة الأولى « فاديب » ومعناه الذوحة الكبرى .

وكان الانتا مورونا في جاهليتهم، قبل أن دانوا بالاسلام في أدنى درجات الجهل، وكان عندهم كهنة يحفظون بعض مبادئ أصلية، ويقدمون قرابين دينية، ويحتجنون ذلك لأنفسهم دون أن يطلعوا عليه العامة، ويسمون الخالق « زاناهارى » وليس فى ماداغسكر تواريخ عن أصل الأهالى، وما كانوا عليه في القدم تتجاوز القرن السادس عشر، فتاريخ تلك الجزيرة مظلم جدا الا ماكان عند الانتا مورونا بسبب وجود الكتابة العربية عندهم، والذي قدرنا أن نفهمه من هذه الكتابات ان القبيلة الماداغسكرية، التي باختلاطها

بالعرب نشأ منها الانتا مورونا ، كانت قبل دخولها في الاسلام تعتقد باله واحد ، أزلى ، أبدى ، خالق الكون كله بيده كل شيء ، لكن كانوا يتصورون لهذا الاله جسما وصورة على منتهى الجال والحكال بحيث لا يمكن تشبيه تلك الصورة بصور الآدميين . وكانوا يقولون بوجود آلهة صغار حول ذلك الاله الأعظم ، هم الشفعاء لديه وكل منهم له وظيفة خاصة به ، واليهم يلجأ الناس في حاجاتهم ، لان الاله الأكبر هو أعلى من أن تصل اليه مطالب العباد ، فكان لابد ثمة من الوسطاء (١) فكان أصل تلك العقيدة توحيداً انقلب بسبب هؤلاء الشفعاء والوسطاء شركا . واقبلت العامة على عبادة أولئك الآلهة الصغار و بالغوا في الأم حتى انقسمت تلك الامة الى قسمين أحدهما الروساء والعامة والارقاء ، وهم حزب الوسطاء الذين جعلوهم للة أنداداً ، وانتهى الامر بأن رفضوا الاعتقاد بالاله الأعظم . والثانى والتصرف فوقعت بين الحز بين منازعات تغلب فيها المشركون على الموحدين والتزم هؤلاء أن يتظاهر و ابعبادة الانداد الا أنهم كانوا يعبدون الله الواحد سراً .

وفى تلك الاثناء جاء العرب بتوحيدهم فانتصر بهم حزب الكهنة الموحدين ، لأن العقيدة العربية جاءت مؤيدة لما بين أيديهم فلما أسلم الجيع عاد هؤلاء الى مقامهم الاول بل ازدادوا سناء و رفعة . أما الزمان الذى وقع فيه اهتداء الانتا مورونا ويقال الانتا مورو والانتا مورو والانتا مورو والانتا مورو والانتا مورو والانتا مورو الى الاسلام فغير معلوم ، وأما يرجح كون هذا التحول لم يصادف معارضة شديدة ، بل تلق هؤلاء القوم الدين الجديد بالفرح والنشاط ، ثم لم يطل الأمرحى عادوا الى كثير من عقائدهم الاولى فصار اسلامهم مختلطا بالوثنية (كذا) وهم مشل العرب يستعملون غالبا جلا عربية ، هى دائما على شفاه المسلمين مثل: ان شاء الله . مكتوب الله ويبدأون جيع كتاباتهم بجملة : الجدللة وحده . ويكتبون : بسم الله الرحن الرحيم . لااله الا الله محد رسول الله . ولايبدأون بعمل الا بعد تلاوة هذه الجلة .

وهم يحافظون على الصاوات ، و يمتنعون عن أكل الحيوانات النجسة ، و يختنون أطفاهم . ومن العادات الاسلامية عند الاناكارا الذين فيهم بيت الملك ، أنهم يقرأون أمام

<sup>(</sup>١) عبارة ما كان عليه العرب في جاهليتهم بعينها جعلوا لأنفسهم آلهـــة صغارا تحتوا لهم أصناما ، وقالوا « مانعيدهم الاليقربونا الى الله زلفي »

كل عمل صلاة تناسبه مثلا اذا أرادوا ذبح حيوان قالوا اللهم اجعل لجه صالحا ، اللهم اجعل أجسادنا تنعم بهوما أشبه ذلك . واذا مات الانسان جعلوا على جبينه و بطنه وعنقه أو راقا كتبوا عليها أدعية وقال أحدهم: هذه عادة قديمة جداً عندنا جاءتنا من مكة والمدينة . ويقولون للدينة أحيانا «مدينازى» وأحيانا «مديناتى» ويقولون لمكة والمدينة «المدينتين» ويدعى الانكارا انهم من ذرية على .

و بالاختصار فالانتا مور اجتازوا عدة أدوار دينية . الأول في الجاهلية قبل الاسلام ، وهو قسمان : دور توحيد ، ودور شرك . والثاني بعد الاسلام ، وهو أيضا قسمان : اسلام صرف واسلام مشوب بوثنية . فالآلهة الصغار الذين يعتقدون بهم بعد الاسلام هم ستة « جو بوريلينا » و «مینکالو» ، وسیرافیلو » ، و «زار بزلو » ، و « ببزیلو » ، و «شیرا کیزیلو » و باللغات السامية يقال جبريل ، وميكائيل ، واسرافيل ، وعز رائيل . فجرائيل هو المكلف بالوحي الى الأنبياء وميكائيل هو المكلف بالطبائع والغيم والمطر. وعزرائيل هو ملك الموت. واسرافيل هو الذي ينفخ بالصور في آخر الزمان . فأنما المسلمون الماداغسكريون فيجعلون لهؤلاء مقامات بائنة عن البارى تعالى ، وهي سبع طبقات منفصلة بعضها عن بعض بجدران غليظة بينها أبواب من حديد فالطبقة الاولى منها هي مكان الجزاء الآلهي من الناس من تكون آثامه فظيعة فيخلد في عذاب النار . ومنهم من تكون آثامه خفيفة ، فيعذب الى أجل مسمى ثم بعد ان يتطهر يدخل الى النعيم المعد للصالحين . وهذه عقيدة تشابه تماما ماعند النصارى. والطبقة الثانية هي التي فيها «شيراكيزياو» الموكل بالزرع والأشجار وهو الذي يلتمس منه تزكية الزروع والطبقة الثالثة مقر «بيزيلو» وهو الموكل بالمواشي . وفي شهر يناير يقدمون له القرابين من النعاج . ثم ان « زريزلو » هو اله الأنهار والبحيرات ، و « سرافيلو » هو اله الحوادث السماوية والأرضية. ومينكالو هو اله الكواكب والشمس والقمر. وأكبرهم جو بو ريلنا، وهو ذو المقاوم الاول، ولكنه دون الله، وهو المبلغ ارادة الباري تعالى الى البشر سواء رأساأو بواسطة سائر الآلهة (١)

<sup>(</sup>١) الذى نرجحه ان الذين ساهم المؤلف هنا آلهة ، وزعم أن مسلمى ماداغسكر اتخذوهم آلهة ، ان هم الاملائكة لكل منهم وظيفة كما هو فى سائر الأديان السامية ولكن قد تكون خيالات الماداغسكريين أوسعت هذه الوظائف وزادت عليها .

ويعتقد الانتا مو ربخلود النفس ، ولكن اعتقادا يخالف اعتقاد الهوفا . فان الهوفا يقولون ان النفس يمكنها أن تترك الجسد مدة بدون أن تفنى بذلك شخصية الانسان أما الانتا مور فيقولون انه بمجرد انقطاع نفس الانسان تصعد نفسه الى السماء ، وتتمثل أمام جو بوريلينا الذي يعين لها مثوى بحسب استحقاقها . وان النفس عند تمثلها في الملكوت تتخذ غلافا شبيها بالجسد الذي تكون فارقته في هذه الدنيا ، وهذا القالب يشاطر تلك النفس أقدارها كلها من لذة أو ألم في الدار الآخرة (١) ولاشك ان الانتا مور بسبب معرفتهم للخط العربي تفوقوا على سائر سكان جزيرة مادا غسكر ، وهؤلاء بجهلهم اعتقدوا أن هذا النوع من من ترجة الضائر بالاشارات على الورق لا يمكن أن يكون الاسحراً ، وفشا عندهم الرأى بأن الانتا مو ربائيديهم أقفال الغيب وأنهم مطلعون على كل شئ .

وعندهم الممنوع أو النجس اسمه « فادى » وقبيلة الساكالاف تقول « فالى » لعله محرف عن الفال العربي كان المقدس يقال له « اودى » ومن اشتهر بالتقوى من المسلمين ولم يعهدوا عليه طول حياته سوءاً يصير بينهم موضوع تقديس حتى في حال حياته و يذهبون الى تأثير شفاعته لدى البارى تعالى ، و يستشير ونه في المعضلات ، و يأخذون رقاعاً مكتو بة بيده يتقون بها المصائب .

والكتاب المقدس عند الانتامور يسمى بلسانهم «سوراب» ومعناه الكتابة الكبرى روى المبشر الانكليزى هوكت Huckett الذي كان قاطنا «فيانارانتسوا» قال: ضربنا الى الشمال على طول الساحل فزرنا مدن «نوسيكالى» و « اندرينامي» و « آمبوهاب» و « آمبوهينو» وصرنا بين قوم يقال لهم « تيمورو» أو « نتيمورو» يظن أنهم جالية عربية . ومما لاشك فيه أن أسلاف هؤلاء الناس من جهة الذكور عرب ، قنف بهم البحر الى هذا الساحل وعندهم « السوراب» أى الكتابة المعظمة ، وهى نسخة من القرآن مع التفسير ، وتراهم مفتخرين بأصلهم ومتمسكين جداً بكتابهم . فني المصائب والأحزان والأمراض يرجعون الى هذا الكتاب و يأخذون منه ماهو في الموضوع و ينسخونه على ورقة من شجر «الرافنيالا» ثم ينقعون الورقة في الماء ثم يشرب المصاب

<sup>(</sup>۱)هذه النظرية تخلص من مشكل بعث الاجساديوم الحساب بعد أن تكون بليت ودخلت أجزاؤها في تراكيب أجسام أخرى

هـ ذا الماء أما المسيو فران فيقول ان السوراب هو كتاب غير القرآن أتاهم به أسلافهم العرب ، وليس بذى فصول ولا أبواب وقد زيد عليه بتداول أيدى المشايخ له . وفيه تاريخ القبيلة و وقائعها المهمة وتجد فيه آيات كريمة من القرآن وكلاماً على المغيبات ، وأحرفا وطلاسم ، ممايستعمل في دفع النوائب ومعالجة الأوصاب الى غير ذلك .

وكان جغرافيو العرب ماعلى مايظهر يجعاون جزيرة ماداغسكر من جلة جزائر القمر ويرونها كبرى هذه الجزائر ، كما ان الأوربيين يسمون « نجزيجه » بجزيرة القمر الكبرى ، حال كون المسلمين الذين يأخذون و يعطون على الساحل الغربى من ماداغسكر لايسمونها الانجزيجه وان الحكومة الفرنسية عند ماضر بت النقود لحساب سلطان جزيرة القومور الكبرى، كتبت عليها هذه العبارة: «سيد على بن سيد عمر سلطان نجزيجه حفظه الله تعالى ».

أما ماداغسكر عند أهل عمان العرب فتسمى جزيرة القمر ، كما كان الجغرافيون الأولون يظنون . وأما باللغة السواحلية فيقال لها « بوكينى » وهى مركبة من « بوكى » التي معناها « غريب » و « نى » وهى حرف بمعنى « فى » أى « فى بلاد الغريب ».

ولقد ذكر الجغرافي العربي ابن سعيد تفاصيل كشيرة على جزيرة القمر تطابق حال ماداغسكر مثل كونها طويلة عريضة طولها مسيرة أربعة أشهر وعرضها مسيرة ٢٠ يوماً ومن مدنها مدينة ليران زارها ابن فاطمة . وقال انها هي وماغداشو تحت حكم المسلمين ولكن أهلها أوشاب من جيع الأجناس وهي مرسي يرفأ اليه ويقلع منه الخ . وقد ذكر شمس الدين أبو عبدالله محمد الدمشقي في فصل على بحر الزنج جزائر عديدة يظن أن منها ماداغسكر وهي جزيرة قنباو التي فيها الأبنوس ومعادن الذهب والبحيرات . وجزيرة طايسان التي فيها جبال نار تقذف بالجم فلايستطيع أحد أن يسكنها بسبب حرارة البراكين وجزيرة بربرة وجزيرة القطربية فيها مدينتان للزنج . وجزيرة زنجه . وجزيرة المحترق .

وكان البرتقاليون يعرفون أيضا ماداغسكر باسم جزيرة القمر ، وآخرون من البرتقاليين والطليان كانوا يطلقون على ماداغسكر اسم جزيرة سان لورانت St. Laurent انظر الى ماقاله السائح « اندريا كورساله » الذي كان في خليج موازمبيق سنة ١٥١٤:

«عند ما كنا في موازمبيق وجدنا سفينتين برتقاليتين قادمتين من جزيرة سان لورانت الواقعة في عرض البحر بازاء موازمبيق ، وهي من أعظم الجزائر التي اكتشفت في أيامنا هـنه » و بعد أن وصف مافيها من الحيوانات والحاصلات والمعادن قال: « ان أهلها لا يكادون يفقهون حديثا وانهم يتكلمون بلغة غير لغة الموازمبيق ، وانهم ليسوا بشديدي السواد ، ولكنهم في جعودة شعرهم كسائر أهل تلك السواحل ، وان المورو (أى المسامين) هم الذين بأيديهم مراسي هذه الجزيرة يشترون محاصيل البلاد بما يا تون به من القطن ومتاجر الهند ».

وقال « ادوارد و بار بو زا » في نحو سنة ١٥١٦ ما يا تي : « بازاء هذه الأرض على مسافة . ٦ مرحلة من راس «كوريانت » توجد جزيرة عظيمة جدا اسمها سان لورانت ، يسكنها الوثنيون وفيها بعض مدن للورو . وفيها ملوك كـثيرون من الوثنيين والمورو معاً الخ » وسنة ١٥٢٩ كان اسم ماداغسكر قد صار معروفا ، وقد أشار « بارمانتيه » Parmentier الى وجود مو ر و بيض في هذه الجزيرة. وذكر « جان دوس سانتوس» في تاريخ اتيو بية الشرقية: « ان مورو جزيرة سان لورانت ثاروا على البرتقال ، وان هذه الجزيرة قد اكتشفت في سنة ٢٥٠٦ ، وصل اليها القبطان « تريستان دا كونيا » أثناء سفره الى الهند وسميت سان لورانت اكونهم وطئوا أرضها في عيد سان لورانت مع ان اسمها الأصلى ماداغسكر ». الى أن قال : « وفي أيام ولاية « جو رج دومنيس » في موازمبيق ثار المورو على البرتقاليين ، وحاولوا منعهم من دخول المراسي ، زاعمين انهم يعارضونهم في جع الحبوب. والحقيقة انه كان تعللا مقصدهم به اخراج المسيحيين الذبن كانوا يضمر ون لهم أشد العداوة . فأرسل جو رج دومنيس بارجة حربية معلنا الحرب على المورو فيما لواستمروا على المعارضة ، فلما وصلت البارجة مال المورو الى السلم وادعوا انهم لاينو ون شرا ، ولكن البرتقاليين لم يأمنوا شرهم ، ولم ينزلوا الى البر الاراهبا منهم اسمه الأب « دوسان توما » ورجعت البارجة الى موازمبيق بمن فيها . واكن وردت اذ ذاك بارجة من مكة (كذا) فيها مورو، فلما علموا بما وقع أرادوا الانتقام وسمموا الراهب المذكور، فات، فانتقم البرتقال عن ذلك في السنة التالية، وخربوا البلاد و رجعوا الى موازمبيق وصادف أن مركباً آخر للورو جاء من مكة فغرق ، فنهبوه وتمبذلك الفوز » .

ومن نكات الأوربيين في معاوماتهم عن المسامين لا سيا في الأعصر الماضية ما ذكره رجل اسمه « جواو دو باروس » قال:

« أول من سكن زنجبار عصائب من بلاد العرب دخلت فى الاسلام يقال لها « امو زيدى » بحسب تاريخ وجد عن مملكة «كياوا » كانوا نفوهم الى هناك لأنهم اتبعوا مذهب رجل مورو اسمه زيد هو ابن أخى الحسين بن على ، الذى هو ابن عم محمد ، وزوج ابنته عائشة ، فزيد هذا كانت له آراء مخالفة للقرآن . ومن تبعه يقال لهم « اموزيدى » .

يريد أن يقول ان أول من سكن بلاد زنجبار هم أناس من الزيدية ، نفوا الى هناك بحسب اختلاف مذهبهم ، وانهم ينتسبون الى زيد بن على بن الحسين بن على ابن عم الرسول والته وزوج ابنته فاطمة الزهراء وليس فى مذهب الزيدية شئ يخالف القرآن ولكن معلومات الأربيين عن الاسلام لا سيما بذلك العصر كانت ملائى بمثل هذا الخلط والى هذا اليوم مع تغلب روح التدقيق عليهم لا تخاو من الخلط والخبط أيضاً.

اتفق المؤرخون على جعل مدينة « ماتاتان » أو « ماتيتانانا » هي البلدة الأولى التي نزلتها الجالية العربية . وهي التي صارت عاصمة للقبائل الماداغسكرية التي اتبعت الاسلام ولا تزال الى هذه الساعة المركز السياسي والأدبى للسامين الماداغسكريين في الساحل الشرقي من الجزيرة ، وبها يقيم أشهر المتعامين والمتأدبين من الانتا مور .

وممن أشار الى وجود الاسلام بماداغسكر ، السائح الشهير ماركو بولو الايطالى البندق وفي أواسط القرن السابع عشر ذكر الانتآمور المسلمين هؤلاء رجل فرنسى اسمه « فرانسواغوش » خلط في أخباره عنهم على طريقة قومه فى ذلك الوقت ومما قال : « ان الديانة المحمدية التي يدين بها أهالى السواحل المقابلة لماداغسكر لا شك أنها وصلت الى أهالى ماداغسكر ، فأنهم يختتنون ولا يشتغلون يوم الجعة (١) ولا يأ كلون لحم الحنزير وكذلك أهالى جزر القومور القريبة منهم ، أكثرهم عرب وفرس تا بعون لدين مجمد ما التي ويكتبون بالعربية ، ولا يأ كلون الحيوان الا اذا كان مذبوحاً ، فلا يأكلون المحتنقة ، ولا يجلسون بلوم بعين على السجاد أو على الحصير على عادة الترك ، ولا يعملون شيئا من الشعائر بدون أن يغتساوا » انتهى .

<sup>(</sup>١) لا حرج في الشغل يوم الجمعة الأوقت الصلاة

وفى نحو سنة ١٦٥٨ ذكر المؤرخ « فلاكور » Flacourt أن أهالى مقاطعة ماتيتانانا يستعملون الحروف العربية التي كانت معروفة عندهم منذ قرنين ، ولكن الماداغسكريين بدلوا بعض صور التلفظ فيجعلون الياء زايا والثاء تاء.

وقال الكونت « دومانداف » De Mandave الذي عرف ماداغسكر سنة ١٧٩٨ ان جالية عربية وصلت الى ماداغسكر في أوائل القرن السادس . ومما قاله : ان الروهاندريان حكام بلاد « آنوسي » هم غرباء مثلنا أصلهم عرب جاءوا الى الجزيرة منذ مائتين وخسين سنة ، وعندهم معرفة بالكتابة يستعملون الحروف العربية والورق يصنعونه في وادي امبول و بدلا من القلم يستعملون البامبو . على أن العربية غير منتشرة في الجزيرة ما عدا الشمال الغربي . ثم قال : معلوم ان العرب أمسوا ممالك عظيمة على ساحل افريقية المقابل العربي ما ستولوا على جزائر القومور و يتجرون في مسقط وعدن وسواحل اليمن ، لماداغسكر ثم استولوا على جزائر القومور و يتجرون في مسقط وعدن وسواحل اليمن ، ولكن أكثر تردد مما كبهم الى ماداغسكر ثم ذكر دومانداف وجود كتب عربية ماداغسكرية ، وقال هو وغيره انه يرجى بواسطة المخطوطات العربية الاطلاع على تاريخ ماداغسكرية .

ثم ذكر المسيو فران نفسه أنه حصل على بعض مخطوطات عربية بواسطة رجل اسمه راماز ينورو ( رمضان ) هو ابن ملك الانا كارا وشرح مضمونها وتكلم عن الكتب العربية الماداغسكرية التي في المكتبة الوطنية في باريز وفي غيرها ثم ذكر عناية الماداغسكريين بعلم الفلك والنجوم والحروف ومعرفة المغيبات وأطال في ذلك وتكلم على لغة ماداغسكر وامتزاجها بالعربية ثم قال:

« ان قبائل الاسلام في الجنوب الشرقي من ماداغسكر تزعم أنها سلائل أناس هاجروا الى ماداغسكر من مكة » الى أن يقول « وهذه القصص التي نجدها عند كثير من الأمم التي دخلت في الاسلام مؤداها أن الانتامورونا قد أسلموا في زمان النبي عَلَيْكُ نفسه. قال التي دخلت في الاسلام مؤداها أن الانتامورونا قد أسلموا في زمان النبي عَلَيْكُ نفسه. قال السيو رينيه باسه Basset يجب الحذر من تصديق هذه الأقاويل فن هذا القبيل أن المسيو رينيه باسه عشر في الحبشة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، فكانت أسرة مالكة كانت تلي هرر في الحبشة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، فكانت تزعم أن أول من قدم هرر هو عقيل بن على (١) مع أن عقيلا ما وطيء تلك الأرض .

<sup>(</sup>١) الذي نعرفه أن عقيلا هو أخو على

وأن مسامى كانتون فى الصين يزعمون أن الذى بنى مسجد كنتونهو وهب ابن أبى كبشة خال الرسول ما يخصه لم يذكروا شيئا من هذا » .

قال المسيو فران ان دعوى الانتساب الى آل البيت فاشية عند مسامى السواحل الجنو بية الشرقية والشمالية الغربية من ماداغسكر، ولكنه مما لاينبغى أن يوثق به كثيراً. ثم ذكر باللغة الماداغسكرية وبالحروف العربية كتابات على سبيل المثال ، اخترنا منها القصة الآتية ننشرها بحروفها وحركاتها ونردفها بترجتها: -

## طَطَرَ طَمِينِ اعَلَى نُحَمَدُ ا

ططر طَمِين اعلى عَمَدُ . نيه مّن ركّي امين أنكر أي بُواهَنَي . امَكَ امْد ينا أمد يناتي نيي دي طمْين أفي رَوْني رَوَاً أَعَلَى مُعَمَدُ بَوْنيا طَتّي بُوْ اطَوّ لُوْرٌ . أنكر . آطى و ارتى كي و الهواكن . نيل أرك طمِين عي الأهاطي ع مك امد ينا امد ينا امد ينا ات . طُوْدي طَيْ و الله هاطي ع مَك الله الله ينا الله ينا الله ين مؤطو على مَهُورُو الله ايُوْني اطَلَى الله وري انه يبر كي طو انكر زادي هاني ع تى مؤطو المويطنا . طي مها تر . ناشي طاكل ع أطي تي مي طبُوْ . طُوفُو طين طاو الوها اطي تي المينطؤ . ني شي طاكي . طع بطو ناشي طبكي . آطي اتي ميطبؤ اك هي رني يواوطؤ مشين آنكراني أي إياهي طرنكي أعلى مُحمدُ تي طِي طا إنين مي فن دا

## الترجمة

تاريخ على ومحمد الى أن جاءا الى الانا كارا. جاءا من مكة والمدينة. وتقاتلاهما الاثنان مع فاراونى ( فرعون ) وابحرا مع الانتا لوترا ، والانا كارا . والانتا فاندريكى ، شعوب كانت تصحبهما من مكة والمدينة . فوصلوا الى ماهورى ، وميازومبى . أما الانتا لوترا فلم ثوا هناك وأما الانا كارا فاوغلوا فى الجنوب الى ماتيتانانا . ففى ماهاتزارا طردهم الانتا سياتو . لأن هؤلاء كانوا أصحاب الارض قبلا فذهبوا الى آمباتو . فطردهم الانتا سياتو ثانية . فأقاموا أخيراً بفاتو مازينا حيث هم الى الآن . فنحن ذرية على ومجمد هذه ليست بلادنا انما جئنا من وراء البحر . الله أكبر الله أكب

ثم ذكر المسيو فران في الجزء الثاني من تأليفه قبائل سبعا هن « الزافيندارامينا » و «الانتامباهوا كا» و «الاونجانسي» والآنتا يوني و «الزافيكاز عامبو » و «الانتا فاندريكا» و « الساهاتني » وقال انهم يسكنون بين قرى « مانانجارى » و « فارافانغانا » بين ٢٠و٣٢ من العرض الجنوبي . فهؤلاء عقائدهم وأطوارهم تشابه عقائد الانتا مو رونا وأطوارهم قال و يزعمون انهم يرجعون الى أصلين أحدهما : خنى رامينيا . وهم الزافيندارا مينيا والانتامباهوا كا والثاني : أبناء الذين هاجروا من مكة الى ماداغسكر وهم القبائل الجس الباقية . وذكر المؤلف ما يحيط بهذه المهاجرة من الحكايات والخرافات التي فيها من الخلط ما تقدمت له أمثلة ، ولكن القوم معتقدون بها . و يظهر ان رامينيا محرف من رحن أو عبد الرحن ، و يقولون من جلة خرافاتهم ان هذا الرجل كان صهرا للرسول علي وأنه هاجر مع امرأته الى ماداغسكر على أثر المظالم التي وقعت على آل البيت .

وقد اشتهر الاونجاتسي، والانا كارا، والزافيكاز عبامبو، والزافيتسياتو، بالسحر والطلسمات واجراء الخوارق، ويقول بعضهم ان أجدادهم رافقوا رامينيا جد الانتامباهواكا في هجرته من مكة وهؤلاء جلودهم مائلة الى الجرة وشعورهم سبطة وذكر الاب رشون أنهم أهل شجاعة وبصائر بالحرب على أنه من نسبة عند قبيلة الانتامباهراكا الى الاسلام سوى ما يدعونه من كونهم من ذرية رامينيا الذي قدم من مكة. فانهم تركوا حتى بقية العبادات الاسلامية التي لا تزال عند الانتا مورونا، وكذلكهم يجهلون الخطالعربي، وإنما يحترمون التعاويذ والرقى.

وعلى بعض الروايات، أصل الذين هاجروا من مكة خسة أمراء « راما كارارو » و « راجو زوفا » و « آندر يا عبوا زيريبه » و « راجو زوفا » و « آندريامار وهالا » و « راليفوازيرى » و « آندريا عبوا زيريبه » جلوا من هناك بسبب ثورة أسقطت الأول منهم عن عرشه. وثلاثة من هذه الأسماء أصلها عربى ظاهر وهي راجو زوفا محرف عن يوسف . و راليفوازيرى يظن أنها محرفة عن على الوزير واندريا عبوازيريب يحللونها بأنها من اندريانا وهي بالماداغسكرى الأمير ، ثم الوزير ، ثم البه ومعناه الكبير أي الأمير الصدر الأعظم .

وذكر المسيو فران رحلة لأحد البرتقاليين الى مداغسكر سنة ١٦١٣ جاء فيها: «ان أهالى هذه الجزيرة يزعمون أن أصلهم من مانغالور ومن مكة ، جاءوا من جهة الهند و وطئوا

شاطئ الجزيرة الشمالي ثم انتشر وا الى الجنوب ، وكانوا ينسبون قبائلهم الى أصلها ، منها ماعرفوا منها الى حد ١٧ بطنا وهم مورو اوسوليا(١) عندهم القرآن مكتوب بالعربي ، ولهم مشايخ يعلمونهم القرءة والكتابة وهم يختتنون و يصومون رمضان ولا يأ كلون لحم الخنزير ، ومنهم من يتزوج "با كثر من واحدة ، وألوانهم كالوان مسلمي الهند والجاوي ومن أعجب العجب محافظتهم على أصل عقيدتهم ونسبتهم مع تقطع ما بينهم و بين المسلمين في سائر الأقطار اه

وذكر الأب روشون الانكليزي الذي ساح الى ماداغسكر سنة ١٧٩٧ أحوال أهالي هذه الجزيرة فقال « ان السود منهم أربع قبائل : « القوادزيري » و « اللوهافوهتيز » و «الاونتزوا» و « الاونديفا » وأعلاهم درجة القوادزيري الذين يقال انهم سلائل ماوك البلاد ، وعندهم كثير من العبيد والمواشي ، وللواحد منهم الحق بأن يملك أكثر من قرية واحدة ، أما اللوها فوهتيز ، فليسوا بدرجة أولئك ولا حق للواحد منهم بائن يملك أكثر من قرية ، و يجوز لهم الاستكثار من الماشية ، ومن العادات المعروفة انهم لا يقدرون على ذبح الحيوان الا بيد واحد من قبيلة الروهاندريان ، أو الانا كاندريان (المنسوبين الى العرب) أما الفوادر برى ، فيقدر ون أن يذبحوا الحيوان بأيديهم الا اذا وجد واحد من هؤلاء ، فتكون الأولية له في ذلك ، و بعد اللوافوهيتزياتي الأونتزوا وليس لهم شيء من المكانة . أما الاونديفا ، فهم عبيد منذ ولادتهم . وأما البيض ، فأنهم يسكنون مقاطعة أنوسي ، ومقاطعة كاركانوسي ، و يزعمون انهم أنسباء محمد ماليه ويسمون «زافراهيمبني» وأما البيض الذين في «فولبوانت» و «نوسي ابراهم» وخليج آنتونجيل ، فيقال ان أصل بعضهم قرصان ، وأن الآخرين من أصل يهودي لذلك لقبوهم زافي ابرهيم أي أولاد ابرهيم وهناك طبقة أخرى من البيض يروى أنهم أرساوا من مكة لأجل هداية أهل ماداغسكر الى الاسلام. فاستولى هؤلاء على ماتاتانا ويقال لهم زافي كاز يمامبو ومهنتهم تعليم اللغة العربية و يعتقد الزافراهيميني ان أجدادهم قدموا من مكة وهم ثلاثة أقسام: الروهاندريان ، والانكادريان ، والاونتزاتسي . وأعلاهم درجة الروهاندريان ولهم الحق في ذبح الحيوان ، ومنهم ينتخب الماوك. وأما الانكادريان، فاصلهم من الروهاندريان من جهـة الأب،

<sup>(</sup>١) اليوم مسامو الساحل الغربي من ماداغسكر يقال لهم سوليا ويظن أنها محرفة من اسلام

ولكن أمهم كانت أدلى نسبا فلذلك انحطت درجتهم عن الروهاندريان. أما الانزاتسي، فانهم عسكر لا مزية لهم سوى الحرب » اه

أما مسامو الساحل الغربي من ماداغسكر فانهم خس فرق: الانتانكارانا الذين يسكنون في أعالى راس العنبر من شرقيـه ومن غربيـه. وقبائل الايبوانا الذين عاصمتهم موجانغا أو ماجونغا : والسا كالافا أصحاب بلاد الآبونغو الذين من أشهر رؤسائهم الملكة « باره رافونی » صاحبة خليج « مارامبيتسي » والملكتان « سافيتامو » و « سافيامبالا» صاحبتا « بالى » و « سوالالا » ثم السا كالافا الذين في « ميناب » الشمالية حول مدينة « مانتيرانو » وما عدا بعض فصائل من الانتانكارانا والساكالافا الذين هم في علاقات دائمة مع مؤسساتنا في «دييغو سوارس» و « نوسي به » و بعض فرق من سا كالافا خليج « بو مبيتوك » الذين معاشرة الأوربيين هـذبتهم شيئاً ، فالأهالي الذين يسكنون بين أعالى رأس العنبر ونهر مو روندافا ، كلهم في حالة الهمجية ، والماوك الذين عندهم سلطتهم اسمية تقريبا ، واذا شهر واحر با فلابد لهم من استشارة رعاياهم فيها ، وأكثر الساكالافا رحل يعيشون في وسط الغابات، والحضر منهم الذين في السواحل على جون « ناريندري » و « ماهاجاما » وجنو في موجانغا يزرعون الأرز والبطاطة ، وعندهم بعض المواشي ولكن أراضيهم المزروعة عالية دائما عن البحر، ولا يقطنون قراهم البحرية الامن شهر ديسمبر الى شهر مايو حينها تبدأ سفن الهند ، ومسقط ، و زنز يبار بالتردد على سواحلهم . ولم يكن الانزر من هـنـه القبائل خاضعاً لماوك الانتمارينا الذين في تانا ناريف ، حتى انه لما دخل الفرنسيس تاناناريف، وخضعت لهم الملكة رانافالونا، الثالثة ، وأبلغ الفرنسيس الملكة باره رافوني الله لم يبق المامها الا الخضوع أجابت بكل اباء: «الني أنالم أكن خاضعة هؤلاء « الآمبوالامبو » (١) حتى بمجرد خضوعهم أخضع لكم ، وأن عسا كرهم لم تدخل بلادى الا أسرى ، فانتصاركم عليهم لا يمسنى أنا ، فأنا باقية على استقلالى » وباره رافونى هذه ملكة مسامة كسائر رؤساء الساحل الممتد من رأس العنبر الى مو روندافا .

ويقول المسيو فران: « ان الجغرافي العربي المسعودي أشار الى كون العرب فتحوا جزيرة قبلو، التي يترجح أنها هي انجوان الحاضرة، من أرخبيل القمر في أواخر

<sup>(</sup>١) لفظة تحقير معناها الكلب الخنزير

أيام بنى أمية أى فى نحو . ٧٥ سنة لليلاد ، فلا يبعد أن يكون فاتحو القمر أو القومو رقد وصلوا الى ماداغسكر لمصاقبتها للقمر ، فيكون مضى على العرب أحد عشر قرنا وهم ينشرون عقيدتهم وتجارتهم فى هذه الأرض . ومن هذا يفهم الانسان الموقع الرفيع الذى نالوه فى جزيرة ماداغسكر لا سما بين الساكالافا .

وهؤلاء نظير الانتا مورونا لم يتعلموا من الاسلام الا ما وافق عاداتهم وأذواقهم ، وتراهم يكتفون بحفظ الشهادتين: « لاإله الا الله محمد رسول الله ». و بجمل مثل بسم الله الرحن الرحيم ، وان شاء الله . و بعضهم يقرأ القرآن ، ولكنهم يجهلون العربية و بعضهم لا يأكل الخنزير ، لكنهم يحبون الأشر بة المتخمرة و يصنعونها بأيديهم .

ويوجد في مدينة موجو نغا جوامع ومدارس اسلامية ، والأذان مسموع عندهم في. الأوقات الجسة ، وأبنية البلدة الحجرية التي على شاطئ البحر تخطر في البال المدن العربية التي على ساحل الأوقيانوس الهندي أو البحر الأحر. ولكن المسامين الهنود يصلون في مستجد الشيعة ، والمسلمين العمانيين والزنز يباريين والقومو ريين يصلون في مسجد أهل السنة . وأما الأولاد الذين يقرأون في المدارس ، فجميعهم أبناء المسلمين الغرباء أو أبناء الذين هم متز وجون ببنات ماداغسكريات. ولم يعهد أن أحداً من الساكالافا أرسل ابنه الى هذه المدارس ، وقد زرت بعض قرى هؤلاءمثل انداموتى ، وسوالالا ، وبالى، وهي القرى التي بزورها العرب والبانتو المسلمون فلم أشاهد فيها مسجداً ولا مدرسة ، ولا رأيتهم يقيمون الصلاة ، ومن الغريب انهم يحتفلون برمضان بدون أن يصوموه ، بل تراهم في هذا الشهر يقومون قبل طاوع الشمس و يجتمعون في ساحات قراهم و يشر بون و رقصون. وهم على شكل حلقات ، و يعملون بايديهم وأرجلهم حركات موافقة لأغاني النساء اللائي. بجانبهم يغنين ويصفقن بالأيدى ، ويدور في وسط الحلقة السحرة يتولون ادارة الحلقة و تسمع الراقصين يهتفون معا بكلمة « الله أكبر » واذا ختنوا أولادهم تضرعوا في وقت واحد الى الله والرسول محمد طلله ، والى زاناهارى اله الخير والى انغاترا اله الشر. والغالب على الأمة الماغسكرية انها ولو دخلت في دين جديد لا تترك عقائدها الأولى. وتجـد أعاظم رجالهم مثل « رآنيليار يفوني » الصدر الأعظم الذي كان عند الملكة رانافالونا الثالثة ، يستشير ون العرافين و يستمعون لهم ، وفي ثورة ١٨٩٥ ثبت أن السحرة والعرافين ، هم الذين

دفعوا الشعب الى الرجوع الى عبادة «الصامبي» أى الصنم والى قتل الأوربيين. وفي غربى مقاطعة آمبوديرانو ثاروا ونهبوا بيوت المتنصرين والمبشرين، وقتلوا أسرة مبشر انكليزى، فساقت السلطة الفرنسية عليهم تابورا من الجند، فقاوموه أشد مقاومة، لأن السحرة كانوا و زعوا عليهم تعاويذ اعتقدوا أنها واقيتهم من النار، فيا زالوا يقاتلون حتى ماتوا عن آخرهم.

وقد وصف بعضهم قبائل الساحل الغربي بالتعصب الاسلامي وليس ذلك بصحيح ، وانما الساكالافا هم لم يزالوا في الهمجية ، أما القبائل الاسلامية الأخرى مثل الانتا مور الانتا مباهوا كا ، فقد تلطفت طباعهم كشيراً وصار الأبيض يسافر بين قراهم بدون وجل بل يكون له قبول حسن بخلاف القبائل الوثنية مثل « الانتازاكا » (١) وجاعة «مانامبوندور» وجاعة « اتفيبولا » وجاعة « مانانتينا » الخ ، فان الغريب بينهم لايأمن على نفسه وهم لا يحبون الضيف. وكانت البعثة النور فجية أرسلت الى ملك «الاندرياباكارا» تلتمس منه رخصة في فتح مدرسة لتعلم أولادهم ، فاعجابها الملك: « ان اندريا با كارا لا حاجة لهم بمدرسة لتعليمهم زراعة الأرز والبطاطة واجتناء الكاوتشوك ونحن لانحتاج الا الى هذه الأشياء الثلاثة » فبذلوا كل ما يمكن وقدموا له هدايا ليسمح طم بتأسيس المدرسة ، فاصر على المنع وصرف المبشر بن من بلاده ، وكذلك السا كالافا ، المسلم منهم والوثني يكرهون الغريب وكل أبيض يصادفونه بينهم يظنونه جاسوسا لملكة تاناناريف ، التي تكره استقلال قبائل الساحل الغربي ، وحصل اعتداء في «مانتيرانو » عاصمة ميناب على بعض الأوربيين. فهذه البلدة هي من أهم المراكز الاسلامية وأهلها برفضون قبول الأجانب، وليس هذا الأمر بحديث العهد، بل منذ القرن السابع عشر وقعت الحرب بين. قبيلة الساكالافا هذه والبرتقاليين الذين كانوا يغزونهم من موزامبيق ، ولـكن كانت الطائلة أكثر الأحيان للماداغسكريين الذين كان يقودهم العرب من القمر أو زنزيبار ، مما يدل على أن عدد العرب كان يومئذ كشيراً في تلك الديار

و بالاجمال فان مسلمي الساحل الجنوبي الشرقي ائتلفوا مع الأوربيين وأصبحوا لا ينفرون منهم بخلاف أهالي الساحل الغربي الذين منهم الساكالافا، والانتيبوانا المسلمون.

<sup>(</sup>١) كلمة انتا معناها جماعة فاذا قيل الانتازا كا فالمعنى جماعة زاكا

المستقاون ، والميناب والمازيكو رو ، والماهافالي الوثنيون المستقاون فانهم يكرهون الأوربيين ولا يطيقون وجودهم بينهم . ومن هنا يقدر الانسان أن يقول ان دخول بعض هذه الأقوام في الاسلام لم يزدهم بغضا للاور بيين . قال المسيو فران : « ولا أريد هنا الدفاع عن الاسلام ، بل المسلمون خلقوا أعداء لكل من ليس بمسلم وما ليس من القرآن ، وان عدم تسامحهم لا حدله . ولكن اسلام الوثنيين في افريقية كان مرحلة لهم في طريق المدنية . نعم هذه المرحلة يقفون عندها ولا يترقون عنها » . وأفاض المؤلف هنا في شرح هذه النظرية التي كثيرا مانقرأها في كتب الاور بيين وهو كون الاسود يترقى بدون شك متى أسلم عماكان عليه وهو وثني . ولكن ترقيا محدود المخلاف مالودان بدين الافرنج فان رقيه لا حدله . والجواب على هذا ، ان ليس هناك رقى محدود ورقى غير محدود ، بل الرقى كله غير محدود وان كانوا يرون رقى الذين اساموا من الزنج محدودا ، فالسبب فيه ليس طبيعة الاسلام بل التأخر والجود اللذان بلي بهما الاسلام في الأزمنة المتأخرة مما ليس هنا محل شرحه ، والأشبه أن يكون السب فيه قلة العمل بمبادئ الاسلام الحقيقية من أن يكون العمل بها .

ثم قال ما يأتى بحرفه: يكون مخالفاً للسياسة أن نعضد الدعاية الإسلامية في مستعمرتنا الحديدة (ماداغسكر) أو أن نترك في ساحلها الغربي أقل نفوذ للبيبي (١). نعم ان مسامي الساحل الجنوبي الشرقي لا يحتاجون الى هذه المراقبة الشديدة و يمكن أن يتمتعوا بحقوق « البتسيميزارا كا ». ولكن الندابير الاستثنائية الشديدة لا بد منها في معاملة الجاعات الاسلامية في الساحل الغربي » اه

ثم قال: «أما المسامون الغرباء في الساحل الغربي الذين أصلهم من زنز يبار والجزائر القمر الاربع نجزيجة ، ومحلي ، وانجوان ، ومايوت ، ومن عمان ، ومن صور (غربي مسقط) ، ومن المكلا وحضرموت ، فان عددهم قليل ، وهم يجيؤن ويرجعون . وأكثر من يهاجر الى ماداغسكر القوم المسمون بالبانتو من زنزيبار والقومور ، فهؤلاء يظهرون بمظهر عظيم من الصلاح ويلازمون المساجد ، ويحملون المسابح ، ويكحلون أعينهم ، ويخضبون أيديهم وأرجلهم بالحناء ويلبسون الجبب الواسعة ويطوفون في الأسواق ، ويحثون الناس

<sup>(</sup>١) البيبي هو المسلم القوموري أو الزنر يباري الذي يتز وج بملكة من الساكالافا

على العبادات ، ويذكرون بالثواب والعقاب ، وأخيراً تصير لهم الكلمة العليا عند الساكالافا الذين يأخذون منهم التعاويذ والهائم ، و بسبب معرفتهم الكتابة يتفوقون بالبداهة على السحرة الماداغسكر يين وقد يصلون الى أن يتزوجوا بينات زعماء البلاد وأحيانا بالملكات. فتصير لهم الكلمة النافذة و يأخذون من العوائد والمكوس ، وأحياناً يصيرون هم الو زراء عند ملوك الساكالافا ، وأهل الحل والعقد . »

ولكن مع كون الاسلام معروفا منف عشرة قرون من تلك الديار ولا يزال القوموريون والزنزيباريون ، يدعون اليه و يعلمون عقائده ، فلا يبرح في ماداغسكر تأثيره سطحياً ، فإن الساكالافا والانتا مور والانتامباهواكا قد تقبلوا الاسلام بدون أن يتركوا عقائدهم الاولى ، ولا تجد جوامع الافي موجانغا ومانتيرانو ، والذين بنوها هم العرب والهنود .

والحقيقة ان الماداغسكرى لا يقدر أن يغير عقيدته ، فالقبائل الماداغسكرية كلها ، التي هي الانتيارينا والبتسيليو في وسط الجزيرة ، والبتسيميزارا كا والسيهانا كا في الشرق ، والانتامورونا والانتامباهوا كا في الجنوب الشرق ، والانتيبوانا والسا كالافا في الغرب والشمال الغربي ، والبارا في الجنوب ، والمازيكورو والماهافالي والابتاندروي والانتانوسي والانتازاكا في الجنوب والجنوب والجنوب والشرق ، كلهم غير قابلين للاهتداء .

فالمسامون يعامونهم الاسلام مناذ قرون . ومن سنة . ١٨٢ وصلت اليهم جاعات المبشرين من جعية لندن ، ثم وصل الجزويت واخوان العقيدة المسيحية ، وراهبات ماريوسف وراهبات التبشير بالانجيل ، والمبشرون النورفيجيون والأميركيون والعازريون الفرنسويون ، وأخيراً مبشر و البروتستانت الفرنسيين . وكل هذه الجعياب حصلت على انباع ، ورؤساء الانتيارينا يهذبون أولادهم فيها ، وحركة التنصير ماشية بدون انقطاع منذ ثلاثة أرباع قرن و بحاسة فائقة . وقد تعلم كثير من الماداغسكريين القراءة والكتابة ، وتعاموا كثيراً من الحرف ، ومن اللغات كالانجليزى ، والفرنسوى ، ولكن الإيمان لم يدخل في قلوبهم . واذا ذهبوا الى الكنائس وأبطاوا العمل يوم الأحد ، فذلك اطاعة يدخر هي الحدة و خوفا من العقاب الصارم لأن المبشرين حاوا الحكومة على سن قانون يجبرهم على الصلاة وغشيان الكنائس ، ومن لم يفعل يعاقب بشدة . وأما سريرة

الماداغسكريين ، فهى الاعتقاد بزاناهارى وانغاترا ، والاستاع للعرافين والسحرة لا غير . والآداب المسيحية لم يحصل لهم نصيب منها بل هى عندهم كالاسلام مما لا يطيقون حمل تكاليفه . فانهم شعب عائش تحت قانون الطبيعة . وأما الفضائل الاخلاقية ونقاء العرض والطهارة ، فامور لا يعرفونها ، فالمرأة في ماداغسكر ، من الملكه الى الأمة ، لا تمنع نفسها من شهوة ولا تجد النساء في ذلك سوى استعال وظيفة طبعية . فالرجل والمرأة عندهم وجد كل منهما للا خر . ولذلك لا يقدرون أن يتصوروا النبتل والرهبانية ، بل يجدونهما خالفين للطهارة . وهم لا يجدون اثما كبيرا في الكذب والسرقة والسكر وسائر الرذائل ، خالفين للطهارة . وهم لا يجدون اثما كبيرا في الكذب والسرقة والسكر وسائر الرذائل ، وفي هذا لا يختلفون عن سائر الأمم الماليزية والبولينيزية ، التي هم واياها من أصل واحد ، ويسمون الذهاب الى الكنائس « فانومبوانا » أى سخرة قهرية ، لأنهم يذهبون اليها بالرغم من أنوفهم . وهم يتساءلون . « أيتها هي الديانة الحقيقية من جميع هذه الديانات التي جاءتنا من وراء البحر ? اهي الكاثوليكية أم البروتستانتية ؟ وأيتها من النحل البروتستانتية أم البروتستانتية أم الموثيرية الأميركية ، أم النورفيجية أم اللوثيرية الأميركية ، أم البرتستانتية الفرنسية ؟ أم اللام ؟

وكان واعظ كاثوليكي في كنيسة « فينارانتسوا » يتكلم يوم الأحد على جهاد سيمون دومونتفوره في أصحاب البدعة الالبيجية Albigeois وكيف أن هذا المجاهد الكاثوليكي صدع بأمر البابا اينوشنسيوس الثالث واستأصل تلك الفئة الخارجة. وفي الأحد الذي يليه ، قام المبشر الانكليزي وتكلم في المسئلة نفسها وقال ، ان سيمون المذكور لم يكن الاسفاحاً ، قام يستأصل الألبيجيين لكونهم تمسكوا بالحق وتركوا الضلال . ففهم الماداغسكريون من ذلك أن الفرنسيس الكاثوليك كانوا قاتلوا الانكليز البروتستانت ، وان تذكار هذه المنازعات لا يزال حياً . وكذلك سمع الماداغسكريون مبشري الكاثوليك والبروتستانت يطعنون أفحش الطعن في المسلمين ، وهؤلاء يسمون اولئك كفارا . فتجد الماداغسكريين يذهبون الى كهنتهم و يسألونهم عما ير ون . فيجاوبهم هؤلاء : « لا تصدقوا الماداغسكريان يذهبون الأجانب أترى الانسان قادرا أن ينزل اللة في قطعة من الخبز أو قطرات من الخر! أ يكون شخص واحد ثلاثة! أيكون الابن مساويا لأبيه! هذه أضاحيك . والحقيقة ان زاناهاري (اله الخير) وانغاترا (اله الشر) هما المحركان الهند الماديات والمعاديات والغيقة ان زاناهاري (اله الخير) وانغاترا (اله الشر) هما المحركان المناد

الكون قد عرفهما آباؤنا فاقتدوا بهم و باحترامهما تكونون احترمتم آباءكم . » نعم ان الأصنام الرسمية قد أحرقت سنة ١٨٦٨ عندما دخلت الملكة رانافالونا الثانية في البروتستانتية ، ولكن العقيدة الأصلية لم تتغير .

وكذلك العمل بأوام القرآن ونو اهيه شاق عليهم ، لاسيا منع الخر والميسر والانصاب والسحر فهي امور يحبونها حباً جاً . وأما الصلاة ، والزكاة ، والحج ، والصوم ، والعفة ، فلا يعملون منها شيئا ، ويجدون آلهة ماداغسكر أقل تكاليف من اله النصارى واله المسلمين . فالقبائل الانتانكارانا ، والانيتبوانا ، والانتانبونغو ، والميناب يسمون أنفسهم «سيلامو» أى مسلمين وليس فيهم من الاسلام سوى الاسم .

والخلاصة التي استخلصها المسيو فر"ان من المباحث التي أجراها بنفسه ومن الكتب والرحلات التي قرأها عن ماداغسكر ، والكتابات العربية الماداغسكرية التي اطلع عليها ، ان الاسلام دخل الى السواحل الشهالية الغربية والجنوبية الشرقية من ماداغسكر بواسطة العرب أو المسلمين المتكلمين بالعربية ، مما يستدل عليه من الكلمات العربية التي يجدها الانسان في لغة ماداغسكر . فلا شك أن العرب الذين كانوا في الساحل الشرقي من افريقية منذ القرن السابع لليلاد ، نشروا دعوة الاسلام في بحر الزنج منذ القرن الثامن . فزيرة قنبالو التي ذكر المسعودي ان العرب فتحوها سنة . ٢٥ ليست الا على مسيرة . ٢ ميلا من مايوت و . ٢٥ ميلا من خليج بومباتوك في ماداغسكر ، وهي هي انجوان الحالية . ممان العرب نرلوا موجانقا ، ووصاوا إلى ماتيتانانا ، ومن هناك أحاط بقصص مجيئهم الى هناك من الخرافات والخيالات ومن خلط قصة باخرى ماتقدم لك مثاله . انتهى .

ونحن نرى أن العرب نزلوا بتلك الجزيرة منذ القرن الثانى والثالث للهجرة ، وان تلك الحكايات التي يروونها دائما من كون مسلمي ماداغسكر أصلهم من مكة هي من جلة الافتخار بالاصل العربي ولم يكفهم ان يكونوا عرباحتي جعاوا أنفسهم قرشيين ، بل من آل البيت على انه لايوجد مانع من أن يكون أناسمن قريش ، أو من الطالبيين وصاوا الى هناك . فاما بقاء المسامين في ماداغسكر على ماهم عليه من الجهل ، لا يمتازون عن سائر أبناء وطنهم الا قليلا فله سببان أحدهما ، شدة تمسك أهالى ماداغسكر بعقائدهم القديمة ، بحيث أنه لا الاسلام ولا النصرانية أمكنهما قلع تلك العقائد من رؤوسهم تماما ،

الثانى قصور المسلمين في ماداغسكر كما في سائر الأقطار من جهة التشكيلات اللازمة للدعاية ، ولو كانت لهم هناك مدارس ومكاتب وطرق منتشرة ، لكان الاسلام أرسخ وأنقى مما هو الآن في ماداغسكر بدون شبهة .

# جزائر القومور أو القُمر

العرب الأولون يسمون هذه الجزائر بالقمر بضم القاف وسكون الميم وقد تحرك الميع فتلفظ قر بضمتين ، ومنها قول الافرنج « قومور » ، وقد ذكر المسعودى فى مروج الذهب ان قنبالو أو انجوان فتحت سنة ٨٢٤ ( بالحساب المسيحى ) على أيدى الازد الاباضيين . و بحسب قول كارتى Carthy فى كتابه « جزر افريقية فى بحر الهند والجزر العربية » المطبوع فى باريز سنة ١٨٨٥ ليس تاريخ هذا الفتح معلوما ، وانما ثبت أن رجلا عربيا امتاز بالبسالة والاقدام جعل نفسه سلطانا على جزيرة القمر الكبرى ولكن بسلطة محدودة . ولا شك ان أعقاب هذا الرجل ، هم الذين اشتبكوا فى الحرب مع البرتقاليين عندما طرأوا على هانيك البحار . ثم انه بعد ذلك طرأت بالية عديدة من شيراز العجم ، فنزات بساحل الزنج . وكان لهم زعيم اسمه مجد بن عيسى ، فاستولى على جزيرة القمر الكبرى ، وعلى جزيرتى هنجوان ومحلى ، وجعل فيهما ابنتيه ملكتين ، ثم جاء فزار جزيرة مايوت فأحسنوا استقباله ، فاستحبها على هنجوان ، وتزوج ببنت سلطان ما يوت .

ثم نقل المسيوكارتي عبارة حروهاكاتب عربي ، اسمه الشيخ يوسف ابن المعلم موسى ، لسائح فرنسوى ، اسمه فيكتور نو يل وهي هذه :

« ان جزيرة مايوت كانت تابعة لامراء جزيرة انجوان بحسبقول هؤلاء ، ولك المايوتيين لم يكونوا يذكرون اسم أمير أنجوان فى خطبة الجعة الا فى بعض فترات . ولما آل الأمر فى انجوان الى السلطان أحد الذى ملك من سنة ١٧٦٠ الى ١٧٨٥ ، جرت حوادث من غارات الساكالافا ومن الفتن الأهلية زعزعت ملك الانجوانيين ، فاضطرب حبل الامن فيها ، وكانت أسرة عربية أصلها من عمان أقامت ببلدة « تشينغونى » حاضرة خزيرة انجوان القديمة ، وكانت ذات ثروة طائلة من تجارتها ، وقد أحسنت استعمال المال فى وجوه الخير والبر ، وتزوج واحدمن هذه العائلة واسمه صالح بن مجمد بن بشير بن المنظارى

العانى ، وكان شاباً ماضيا فى الأمور عظيم الجاه بابنة سلطان مايوت . وسنة . ١٧٩ مات سلطان مايوت ، خلفه صهره صالح بن مجمد بن بشير وتحول عن مذهب الاباضية الذى عليه أهل عمان ، الى مذهب الشافعية أهل السنة والجاعة الذى عليه أهل جزائر القمر الخ » وقال المسيو غافراى : Gevrey ان أصل سكان القومور يهود أو ايدوميون ، جاءوا من البحر الأجر بعد عهد سليان ، وجاء اليها فى الوقت نفسه زنوج من زنجبار ، وكانت تختلف اليها الأجر بعد عهد سليان ، وباء اليها فى الوقت نفسه زنوج من زنجبار ، وكانت تختلف اليها كثيراً سفن العرب ، ولكن هؤلاء لم يتوطنوا فيها الا فى القرن الخامس للهجرة . ثم فى القرن السادس عشر لليلاد جاء البرتقاليون وفتحوها ، ولكنهم مروا عليها كعابرى سبيل ، و بعد انصرافهم من هناك جاءت طارئة من الشيراز بين ، فنزلت بها تحت قيادة مجمد بن عيسى أما تاريخ جزيرة «محلى » فلا يعلم عنه شئ كثير ، وغاية ما يعلم أن أول من سكنها زنوج جاءوا من افريقية ، ثم جاءها العرب والماداغسكريون ، وفى سنة ٢٠٥٠ جاءها طائفة من الشيراز بين تحت قيادة أحد أولاد مجمد بن عيسى . وأما جزيرة انجوان أو انزوان فقد عمرت نظير ماعمرت محلى ، وفى العهدنفسه فقد جاءها أولا الزنج ثم العربثم الماداغسكريون ولما وصل مجمد بن عيسى الى جزيرة القمر الكبرى أرسل ابنه حسن بن مجمد ، فاحتل انجوان ولما وصل محمد بن عيسى الى جزيرة القمر الكبرى أرسل ابنه حسن بن محمد ، فاحتل انجوان ولما وصل محمد بن عيسى الى جزيرة القمر الكبرى أرسل ابنه حسن بن محمد ، فاحتل انجوان به بن عيسى الى جزيرة القمر الكبرى أرسل ابنه حسن بن محمد ، فاحتل انجوان بشردة من الشيرازيين » .

# نجزيجة أو جزيرة القُمر الكبرى

نأخذ زبدة معلوماتنا عنها من رسالة للدكتو نيقولا دو بلانتيه Du Plantier رئيس الاطباء في جيش المستعمرات الفرنسي ، مطبوعة بباريز سنة ١٩٠٤ اسمها « القومور الكبري » La Grande Comore

قال: «ان ارخبیل القومور مؤلف من أربع جزائر: مایوت وانجوان و محلی و الجزیرة الکبری ، کلها و اقعة فی مضیق موازمبیق طو ها نحو ۲۶۰ کیلو مترا ، مع انحراف من الجنوب الشرقی الی الشمال الغربی . فالقومور الکبری هی بین ۶۰ ر ۵۰ و ۶۱ ر ۱۲ من الطول الشرقی و ۱۱ ر ۱۳ من العرض الجنوبی ، و بینها و بین شاطئ افریقیة ۱۳۰ میلا ، ومنها الی محلی ۲۸ میلا ، والی انجوان ۵۰ میلا ، والی مایوت ۱۳۹ . وطول هذه الجزیرة ومنها الی محلی ۲۸ میلا ، وأکبر مراسیها «مرونی » فی الغرب ، و «میتسامیولی » فی

الشهال الغربي ، « وشينديني » في الجنوب الشرقي ، و «سالياني» في الجنوب الغربي . وهي جزيزه م تفعة فيها جبل يقال له «الكاراتالا » عاوه ٢٥٠٠ مـتر وفي رأسه حطمة نار . وتكثر في هذه الجزير الحراج ، و يبتدئ القيظ فيها بشهر مايو و ينتهى باكتوبر . وتكثر في الشتاء العواصف والزوابع ، و يغزر المطر ، ومع هذا فليس في هذه الجزيرة مياه جارية كما في اخوانها الجزر الأخرى . وكل مافيها من العيون عينان نضاختان احداهما ، في مقاطعة بادغيني والأخرى في مقاطعة ميتساميولي . واعتماد الناس انما هو على الحياض التي تجتمع فيها مياه المطر ، وأهل سيف البحر يحفرون على الشاطئ ، فيستنبطون مايشر بون . وبالرغم من قلة المياه فأراضي الجزيرة خصبة جدا ، ومناخها من أجود مايكون يناسب الغريب ، والحيات المالارية غير معروفة فيها ، والصحة العمومية فيها جيدة جدا . ومن قصد الفرار من الحريجد في الأماكن المرتفعة غير البعيدة عن الشاطئ مايرضيه ، وأجسام قصد الفرار من الحريجد في الأماكن المرتفعة غير البعيدة عن الشاطئ مايرضيه ، وأجسام أهالي هذه الجزيرة في غاية القوة والنشاط وهم يحبون النظافة كثيرا .

وعدد أهالى القومور الكبرى خسون ألف نسمة ، لكن النساء أكثر جدا من الرجال حتى انهم حسبوا بازاء كل رجل ثلاث نسوة ، وسبب نقصان عدد الرجال عن النساء ، هو الحروب التي كانت قد وقعت فيها بين سلاطينها ، مع كثرة المهاجرة الى زنر يبار . اذ انتقل منهم سنة ١٨٩٩ ، نحو ١٥ ألف رجل الى تلك الجزيرة . ويقال ان العرب نزلوا في القرن العاشر بهذه الجزيرة قادمين من مسقط وغيرها ، ومعهم عبيد كثير ون . و وجدوا فيها زنوجا من أمة « الكافر » لم يعلم عهد مجيئهم . فباختلاط هذه الأجناس من السلالة السامية الخالصة الى الملادغسكرية ، الى البانتو ، تكون الجنس القومورى الحالى وكذلك جاء فيما بعد هنود وعرب . والقومو رى طويل القامة ، غليظ الشفتين بدون برطمة ، عالى الجبهة ، أقنى الانف ، أسود العينين ، قليل شعر اللحية . أما المرأة القومو رية فهى صغيرة ، أظافرهم بالحناء والنساء يستعملن الوشم والرجال الاعتياء يلبسون القميص الطويل من الجوخ الأسود أو الحرير المزركش وعلى رؤسهم الكوفية المطرزة بالقصب ، و يحملون الجوخ الأسود أو الحرير المزركش وعلى رؤسهم الكوفية المطرزة بالقصب ، و يحملون في أوساطهم خناجر معقوفة بقبضات من ذهب أو فضة , أما النساء فيلبسن الحرير ضافيا ويجعلن على أكتافهن ورؤوسهن منديلا من الحرير ، ويرخين أحيانا نقابا مزركشا

مفتوحاً عند العينين، ويتحلين با نواع الحلى من عقود اللؤلؤ، والاساور والخلاخيل، المذهب منها والفضة، ويتطيبن با نواع الطيوب، وفي النهار تجلس المرأة من هؤلاء في منزلها محاطة بجواريها، أو تتنزه على سطح البيت، فاذا غابت الشمس كان لها ان تخرج من منزلها وتتنزة في الشوارع متنقبة جيدا. فاما الفقيرات، فيظهرن في الاسواق و يشتغلن ويلبسن ثو با واحدا من القطن وينتطقن عليه.

أما المساكن فبنية بالحجر والجير، وأكثرها ذات طبقة واحدة وسطوحها مستوية، وسقوفها ودو رها بالخشب، والابواب والنوافذ مصنوعة بالخشب المنقوش المخرم. وعندهم مقاعد من خشب ذوات أرجل أربع مغطاة بالطنافس والمساند. ويشربون بالنارجيلة، ويحبون الراحة، ويقضون جانبا من أوقاتهم إما في الجوامع أوفي ساحات البلدة مستأنسين للاحاديث، وكل واحد سبحته في يده. وهم قوم متوكلون، لكنهم كسالي لاينشطون للعمل الا قليلا، ويميلون الى اللذة والرقص والغناء، والى الاسراف في النققة، فقد وجد منهم من يرهن عقاراته بمبلغ من المال ويشترى عدة رؤوس من البقر ويتصدق بلحمها على فقراء بلده أو يشترى ثيابا مزركشه بالذهب، أو يتز وج امرأة جديدة. وللزواج عندهم أفراح طويلة عريضة تستمر أياما، وقد يكون ذلك شهرا، وتقدم الهدايا النفيسة الى العروس، وتذبح الذبائح العديدة، وتولم الولائم طول مدة الفرح لجيع الاهالي بين الزفن والغناء والطبل والزمى.

والطلاق معروف فى القومور، ولكن الولد فى هذه الحالة يبقى عند أمه ويتبع حالتها، فهو أمير اذا كانت فقيرة، وللرأة حق التصرف المطلق بأملاكها.

و يحتفاون أيضا بالختان ، فاذا ختن أحد الاكابر ولده ، عمل عيداً اشتركت فيه وجيع أهالى المدينة . والما تم عندهم لها شأن كبير أيضاً .

وجيع القومو ريين ، أهل الطبقة العالية ، شديدو النمسك بدينهم الاسلامى ، وأهل الطبقات الدنيا يميلون الى الخرافات . والجوامع كثيرة فى المدن والقرى ففى « مرونى» مقر الطبقات الدنيا يميلون الى الخرافات . والجوامع كثيرة فى المدن والقرى ففى « مرونى» مقر المقيم الفرنسى ١٩ مسجد، مع أن أهل هذه البلدة لايزيدون على ١٠٠٠ نسمة والمشايخ يعلمون المولاد القراءة والكتابة ، والجيع يراعون الشريعة أنم المراعاة ويوجد مدارس فى كل المدن الولاد القراءة والكتابة ، والجيع يراعون الشريعة أنم المراعاة وم ١٠٠ ـ ثالث »

والقرى ، أمالغتهم ، فهى نوع من اللغة السواحلية الزنزيبارية وتكتب بالأحرف العربية ، أما لغة دواوين السلطان ، فهى العربية الفصحى .

ولما جاءت فرنسا و بسطت يد جايتها على القومور الكبرى كان فيها ١٢ مقاطعة ، لكل منها سلطان وأكبرهم اسمه «سلطان تيبه » يخضع له جيعهم . وقد كان السلطان السيد عمر صاحب هذا المقام ، وأبوه السيد عمر كان سلطانا على جزيرة انجوان ، وقد قام بخدمات جزيلة لفرنسا ، وذهب على في صغره الى مايوت وتعلم الفرنسية ، وكان السلطان تيبه في القو مو ر الكبرى عمه السلطان أحمد ، فقبلما توفي أوصى بأن يكون هو خلفه ، فلما مات أحمد وجاء على يتسلم الملك ، اعترض بقية السلطين وقالوا انه غريب ، واعصو صبوا حول الامير موسى فومو ، سلطان مقاطعة ايتساندرا ، الذي طمع أن يكون السلطان تيبه . فوقعت الحرب ودارت الدائرة على الامير موسى بسبب معاونة سلاطين انجوان ومحلى ، وسكان مقاطعة بادغيني الكبيرة للسلطان على . و بعد ذلك جاء مركب من قبل سلطان زنزيبار ، عليه قنصل انكلترة يعرض على . و بعد ذلك جاء الانكليز ، فرفض على جاية انكلترة ، وأرسل الى قائد مايوت يعرض دخوله تحت حاية فرنسا (۱) فلم يحصل يومئذ على جواب ، لكن بعد ذلك بثلاثة أشهر ، جاء المسيو همبلو فرنسا (۱) فلم يحصل يومئذ على جواب ، لكن بعد ذلك بثلاثة أشهر ، جاء المسيو همبلو على موصله ، وشاهد المسيو همبلو خصب الاراضي ، فول مأمور يته من عامية الى سياسية .

وكان الأمير موسى فومو قد رضى بحماية انكاترة ، وأرسل له الانكليز ذخيرة وأسلحة ، فتهافت السلطان على على طلب حاية فرنسا ثانية ، فرجع المسيو همبلو الى فرنسا وأدى الرسالة . وفى ٦ يناير (ك٢) سنة ١٨٨٦ ، عقدت فرنسا مع سلطان القومور الكبرى معاهدة تتضمن أن يكون لفرنسا الموقع الأول دون سائر الأجانب فى جزيرة القومور الكبرى ، وان السلطان لاينزل عن شئ من الأراضى لدولة أجنبية ، ولا يعقد مع دولة من الدول معاهدة الابرضى فرنسا . و رضى السلطان بابقاء خس مقاطعات وهى ، بامبلو وايتساندرا ، وميتساميولى ، و بودى ، و بادغينى ، كل مقاطعة منها يليها سلطان تابع للسلطان على الذي يلى مقاطعة بامباو رأسا ، جاعلا مركزها بلدة مرونى . وان السلطان

<sup>(</sup>١) هذه رواية المؤلف الفرنسوى

لا يعزل أحداً من أولئك السلاطين ، ولا يعلن حربا الابرضي الحكومة الفرنسوية . وعند موت السلطان يكون لفرنسا وحدها الحق في تعيين الخلف ، أو تعيين شكل ادارة البلاد . وقد تعهد السلطان على باقرار الاعطيات التي أعطاها الفرنسيس من أراضي الجزيرة ، و بتسهيل اعطاء غيرها لهم . وفي السنة المذكورة جاء المسيو ويبر معتمداً من قبل الدولة الفرنسية مقما بالجزيرة .

فأثارت هذه المعاهدة ثائر القومو ريين الذين اتهموا السلطان عليا بأنه ، أتى هم بالفرنسيس الى الجزيرة و باعها من المسيو همبلو ، وخرب ديارهم وصيرهم عبيدا . وكانت الثورة بدأت سنة ١٨٨٩ فى مقاطعة بادغينى ، وتولاها أمير اسمه آشيمون ، فأرسلت فرنسا قوة وأخدت نارها ، وقتل آشيمون فى أثنائها ، ولكن أهالى الجزيرة بأجعهم بقوا ناقين (١٠ بحيث اضطر السيد على أن يفر ليلا الى محلى ( ٢٣ فبراير ١٨٩١ ) فجاء القائد الفرنسوى من مايوت الى محلى ، وأخذ السيد عليا معه على ظهر بارجة حربية الى القومو ر الكبرى ، وحاول اقناع الأهالى بكون السيد على لايزال سلطاناً وان فرنسا لاتزال معترفة بسلطنة القومور ، فلم يقبلوا كلامه فاعاده معه الى مايوت وازدادت الثورة ، فارسلت فرنسا قوة ضئيلة قعت الثورة . وفى ٦ يناير سنة ١٨٩٧ ، عقدت مع السيد على اتفاقا الغت عوجبه السلطنات الجس وقسمت الجزيرة الى ١٢ مقاطعة ، وجعلت الحكم فى كل مقاطعة عوجبه السلطنات الجس وقسمت الجزيرة الى ١٢ مقاطعة ، وجعلت الحكم فى كل مقاطعة الذى ينعقد بحضو ر معتمد فرنسا المقيم ، وفرض على كل مكلف من الأهالى من سن ١٢ الى سن ٢٠ سنة دفع ر و بيتين ونصف ر و بية سنويا .

ولكن بعد ذلك جرى اعتداء على بعض الفرنسيس ، وقصد أناس من الأهالى اغتيال المسيو همباو ، فجرح وجرح صهره المسيو لوغر و ، فاتهم السلطان على انه هو مدبر هذه المؤامرات ، فنفى الى دياغو سوارس ثم الى بو ربون ، وخلعته فرنسا<sup>(۲)</sup> وصار الأمر الى المعتمد المقيم وهو المسيو همباو ، فبقى الى سنة ١٨٩٦ ، ثم خلفه المسيودوكاز De Cazes ثم المسيو بو بيغوين Pobeguin ، ثم خلفه المسيو بلانتيه (الذى ننقل عنه هذا التاريخ)

<sup>(</sup>١) ولا نراهم مخطئين

<sup>(</sup>٢) كما خلعت عبدالحفيظ سلطان الغرب مع انه هو الذي أدخلها الى مملكته وكل منهما لتي جزاءه

وتوالى من بعده المقيمون الى اليوم.

وليس لجزائر القومور حق فى ارسال مبعوثين فى البرلمان الفرنساوى (كما ليس لجزائر الغرب) ، وانما يوجد لها ممثل خاص فى مجلس المستعمرات الأعلى ، ويكون فرنسيا من أصحاب الأملاك المستعمرين فى تلك الجزائر .

وأما الادارة الوطنية في الجزيرة ، فهى في أيدى ثمانية قضاة ، و ١٤١ شيخ قرية . فالقاضى يفصل الدعاوى و ينفذها و يصدق العقود ، وفي حال استئناف الدعاوى يوجد مجلس مركب من كل القضاة . وأما شيخ القرية فيجبى الأموال ، و يقوم بالضبط والربط في القرية وله أعوان في مهمته . واذا وقعت دعاوى مدنية بين الأهالي والفرنسيس ، فالفيصل فيها المعتمد المقيم . أما في الدعاوى الجزائية فالمرجع هو محكمة مختلطة يرأسها المقيم ، ويكون فيها اثنان من القضاة الوطنيين واثنان من الفرنسيس . وفي قصبة مروني مدرسة فرنسوية يتعلم فيها الاحداث ، و يحضر در وسها كثير من الرجال البالغين ، وفي القومورى ذكاء مفرط واستعداد عظيم للتعلم والتمدن .

وميزانية الجزيرة المالية هي ١٥٠ الف فرنك ، يؤدى منها سنويا خسة آلاف الى السيد على في منفاه ، و وي الفا الى شركة المسيو همبلو عن فائض الدين الذي كان لها عند السيد المشار اليه ، فلايبتي لادارة الجزيرة كلها سوى مائة الف فرنك .

#### جزيرة انجوان

هذه الجزيرة هي أيضا من أرخبيل القومور، وكان لها سلطان مستقل بها نلخص أخبارها من كتاب اسمه « سلطنة انجوان » تأليف المسيو جول ر بليكه Repliquet من كبار مأموري المستعمرات الفرنسية قال: « انها بين ٤١، ٥١، ٢١، ٥١، من الطول الشرق و ٢١، ٣٠، ٣٠ و ٢١، ٢٠، ٣٠ من العرض الجنوبي على ٢٠ مرحلة شمالي مايوت الى الغرب و ٩ مراحل عن محلي الى الشرق، و ١٥ مرحلة عن القومور الكبري. ومساحة انجوان ٢٠٨٨ كيلو مترا مربعاً ، وأعلى قة فيها ارتفاعها ١٥٧٨ مترا. وهي جزيرة بديعة كثيرة الأشجار، غنية بالنباتات، لاسيم المقاطعة المسماة منها بوموني: والقسم الفاصل منها هو القسم الغربي، والى الشمال الغربي منها جزيرة صغيرة مغطاة والقسم الفربي ، والى الشمال الغربي منها جزيرة صغيرة مغطاة

بالشجر، اسمها جزيرة السرج. وفى أكثر جزيرة انجوان تجد مياها جارية تفيض من بين الأودية، وتسقى الأراضى الى الساحل سائلة من شلال الى شلال ، وكان الأهالى لجهلهم يسرفون فى قطع الأشجار، فأصدر السلطان عبد الله برأى المعتمد الفرنسى المقيم المسيو أورميير أمراً يمنع فيه استئصال الشجر.

ومن جداول انجوان التى تسيل صيفاً وشتاء اكيبانى ، وبو زينى ، وشيكونى ، والباجى الذى لهمصب فى جون ترفأ اليه السفن ، ومو رويا مجينى ، وباتسى عوانى ، وهده الجداول تجدها من الغرب الى الشرق . وأما فى الشرق فدول يقال له التاتنغا مجرورة مياهه الى مزارع القصب والجيجى . ثم الى الجنوب جومانى . وأنهار وسواق أخرى أقل بالا من تلك تدلك كلها على غزارة المياه الجارية فى هذه الجزيرة الصغيرة البديعة . وفى جهتها الشرقية ، بحيرة صغيرة مساحتها عشرة آلاف متر متناهية فى العمق وصفاء الماء و برودته يظن أنها خزان الجداول الشرقية .

وفى انجوان مراس جيلة للسفن مثل فرضة انجوان ، ومرسى فومبانى ، ومرفأ بوزينى و باجى و باتسى ، وهى فى الشمال . ومراسى آجو ، و بومباو ، وغيرها فى الشرق . و بمينى وسيامسا نغانى فى الغرب . ومرفأ بومونى فى الغرب ، يصلح لايواء البوارج الكيار .

وهواء انجوان معتدل الحرارة ، ففي الصيف متوسط درجة ميزان الحرارة هو ٣٧ في الظل ، والمناخ في الجزيرة جيد ، والحيات قليلة مع وفرة المياه والاصطياف في أعالى الجزيرة يفيد الصحة جداً .

وتنقسم الجزيرة الى نواح ، فنها فى الشمال الشرقى موتسامودو ، وعوانى ، وباندانى وفى الغرب شيزيوانى . وفى الشرق دومونى . وفى الجنوب بومونى ونيوما كيلى . وفى الوسط يوجد بامباو متونى وكونى . والعاصمة هى موتسامودو ، تنسب الى رجل زنجى كان اسمه موسى مودو أى موسى الاسود ، كان يرعى مواشيه حول جون انجوان ثم استقر هناك ، وكان أول من بنى هناك بيتا ، ثم جاء الآخرون و بنوا بجانبه . وكانت لمدينة موتسامود أيام سعيدة لعهد سلاطين الجزيرة الذين سوروها بجدران عالية وحصنوها بقلعة . أما الآن فكل

هذه الأسوار متداع الى الخراب. وفى الحارة المسهاة « آمومبو » (١) التى هى محلة الاشراف تجد قصر سمو السلطان ، والمحكمة المختلطة ، ودار الخزانة القديمة ، و بعض الدور القديمة الباقية على جالها. وبالقرب من هناك « موكيره جيموى » أى الجامع الأعظم بمنارته السوداء ذات المصابيح وفى الخارج من السور على طول نهر موروجا مجينى الضواحى المسهاة بانداماجى ، فيها أكواخ الفقراء

أما القلعة ، فهى شاهقة مبنية على صخرة سينيجو ، لها برجان عاليان مربعان و برج آخر يرتفع عليه العلم السلطاني الأبيض والأجر في الأعياد ، ومن القلعة الى المدينة سلم عدة درجه ٢٨٠ ولكن هذه القلعة تنهار يوماً فيوماً بإنهيار السلطنة العربية التي كانت شيدتها . وقد كان آخر عهدها بالقوة سنة ١٨٩١ يوم اطلقت مدافعها النار على البوارج الفرنسوية . والى اليوم في هذه القلعة . ١ مدافع قديمة بالية .

وعلى مسافة أربعة كياو مترات من موتسامودو ، تظهر بلدة عوانى بمنارتها وسورها ومنازلها . وهناك عاصمة ثانية للجزيرة ، اسمها دومونى واقعة فى شبه جزيرة . وهى نظير أختها موتسومودو متداعية الى الخراب . وكانت قبلا كرسى السلاطين . ونظرا لمنعة موقعها ، كان أهلها اذا هاجهم الماداغسكريون من البحر قرعوا طبول الحرب ، فهرع الأهالى من الجوار ودخل رعاة المواشى وآووا الى جدرانها بقطعانهم . فلم يبق اليوم من سابق عظمة دومونى سوى بعض جوامع ، و بعض منازل للاشراف . وفى أحد هذه الجوامع صومعة منحوتة فى الحجر ، داخلها مزخرف بالنقوش العربية . وهو أثر معارى يستحق الذكر . والى جنوبى الجزيرة فى نيوماكيلى مدينة صغيرة اسمها « مويا » وفى الجزيرة كلها . ٨ قرية أكثر أهلها من جنس الماكوا الزنوج . وأما مبانى الادارة الفرنسية فهى على ارتفاع . ٢٠٠ متر بمحل يقال له « هومبو » يشرف على موتسامودو وقلعتها . وتجد جميع الدوائر الرسمية والمستشفى والسجن مختفية تحت أشجار المانغا وغيرها من الأدواح الكبيرة وتحت اكة هومبو مقبرة الجنود الفرنسيس ، الذين قتلوا فى حوادث سنة الأدواح الكبيرة وتحت اكة هومبو مقبرة الجنود الفرنسيس ، الذين قتلوا فى حوادث سنة

<sup>(</sup>۱) ان العرب من عادتهم أن لا يلفظوا الباء بعد الميم أبداً بل لا يسبق الميم عندهم الاالنون مثل تنبكتو مثلا ، ولكن الافرنج يجعلون أبداً محل هذه النون ميا فيقولون تمبكتوا Tomboucto ولما كنا ننقل عن كتب الافرنج حافظنا في الأسماء على كيفية نطقهم بها مع علمنا بأن الاصطلاح العربي هو لفظ مثل هذه الكامات بنون بعدها باء كما حقق ذلك العلامة اللغوي ، الأب أنستاس الكرملي

١٨٩١ (يوم استولوا على الجزيرة).

وجيع سكان هذه الجزيرة ١٥ الف نسمة ، يرجعون الى ثلاثة أجناس ، من العرب والبوزمن والماكوا . ويقال ان أول من عمر هذه الجزيرة هم البوزمن ، ثم جاء العرب ومعهم الماكوا . والبوزمن هم من أصل مالى بولينيزى كاهل ماداغسكر . وهم أقوياء شجعان يحبون الحرية أسلموا في القرن السادس عشر ، ولكنهم لم يقبلوا الرق وذهبوا من وجه العرب الى الجبال أما من جهة التمسك بالاسلام ، فانهم في الدرجة القصوى يعملون بالأوام والنواهي القرآنية بحرفها ، ولا يؤ ولونها بحسب أهوائهم مثل العرب (كذا) .

أما العرب ، فأصلهم من سواحل خليج فارس أو سواحل البحر الأجر ، وعليهم سحنة أهل اليمن ، وفي نسائهم جال بدقة النقاطيع ، وتدوير الوجه ، وملاسة الشعر ، وسواد العينين ونفوذ اللحظ. وأكثر العرب كسالى أهل مكر ودعوى (كذا) وكلهم تقريبا يدعون الشرف وكونهم من ذرية الرسول عليه وأكثر أوقاتهم يقضونها مضطجعين في داخل بيوتهم بين نسائهم ، حتى اذا أزف الغروب ذهبوا الى الجامع للصلاة ، ومن هناك يفيضون بالأحاديث التي فيها يكثر لعن الكافر الأبيض (١) وهم شديدو البغضاء لنا لاننا نصارى ، ولأننا نحب الشغل و بحركتنا ونشاطنا صار لنا التفوق عليهم. وقد فهموا أنهم كانوا هم المغاو بين ، اكنهم لا يريدون أن يجعاوا كسلهم هو المسؤ ول عن ذلك وهم مهما تقربوا الينا يكذبون ولا يوثق بظاهر محبتهم (كذا) . أما الماكوا فاصلهم عبيد من الموزامبيق ومن سواحل شرقى افريقية ، أتى بهم العرب ليعملوا في أراضيهم فكانوا هم الحراثين لهم وصاروا الآن الحراثين في أراضي المستعمر من الأور بيين ، وهم أهـل مودة ومعرفة للحميل. ولا تخاو انجوان من الهنود البانيان ومن الماداغسكريين. أما لغات انجوان مع صغر حجمها فهبي أربع العربية ، ثم السواحلية ، ثم الانجوانية ، ثم الماكوية فالعربية « لاتينية الشرق » هي لغة الديوان والدس ، وبها تصدر الأوامر السلطانية ومضابط القضاة الى هذا اليوم. وأما السواحلية فهي لغة التجارة ، وكثيرا ما تكتب بها أوراق رسمية. وأما الانجوانية فهي خليط ، من العربي والسواحلي والماكوي والبرتقالي

<sup>(</sup>١) الذي لا يقدرون أن يحبوه لأنه استولى على الجزيرة وسلبهم ملكهم

<sup>(</sup>٢) يقال له في حبل لبنان الباكور أو البعكور

والفرنساوى والانكليزى ويتكامون بها فى كل الجزيرة . وأما الماكوية فهى لغة الزنوج، وهى تتلاشى أمام اللغات الأخرى

وذكر المؤلف عن ملابس أهل انجوان ما يقرب مما تقدم عن ملابس القومور الكبرى وهي في الحقيقة ملابس العرب الضافية مع الكوفية على الرأس، والخنجر في الوسط، وذكر أن الشبان يحملون بايديهم عصيا يسمى واحدها « البانكوره » من الخشب الصلب (۱) ، وقال ان العرب رجالا ونساء يتطيبون ، ويرشون على ثيابهم ماء الورد والمسك ، ويكحلون عيونهم ، و يخضبون أظافرهم بالحناء .

والانجوانيون يتبعون الشريعة الاسلامية بجميع أوامرها ونواهيها ، ولكن عندهم عادات غلبت عليهم ولولم توافق الشرع ، مثلا ، المرأة هي دائما صاحبة البيت الذي تسكن فيه مع بعلها فاذا وقع الطلاق ، وجب على الرجل أن يفارق البيت .

وكذلك الانجوانيون لا يعتبرون رقبة الملك للسلطان، بليرون أن تملكهم للا راضي هو من الله تعالى . وحكم القضاة هو بمذهب الامام الشافعي ، والكتب التي يعتمدون عليها من المذهب هي منهاج الطالبين ، والفتح القريب . ولم يبق في الجزيرة سوى قاض واحد في موتسامودو . وكان السلطان في الماضي يبلغ الحكم بمجلس مشهود من الأعيان والقضاة ، أما الآن فلم يبق للسلطان الا اعطاء بعض النصائح لا غير .

ثم تكلم المؤلف عن العادات المألوفة في انجوان ، في الولادة والختان والزواج والجنازة مما لا يخرج عما تقدم في الكلام على القومور الكبرى ، ومما هو معهود في البلاد العربية مع بعض الزيادات. ولكنه قال ان الخاطب اذا خطب البنت من أهلها وارتضاه والداها ، زوجاه بدون معرفة الفتاة ، اذ الشريعة المحمدية لاتشترط رضى المخطوبة في الزواج وهذا خطأ فظيع هو من جلة خلط الأوربيين ، الذين يلقفون كل ما يسمعون وأحيانا ما لا يسمعون ، بل ما يتصورون بمجرد خيالاتهم ، فيقررونه وقائع ثابتة . فانه مما لا ينكر وهي تطيعهما حرمة وتأدبا معهما . ولكن القول أن هذا هو من الشريعة الاسلامية خطأ فاحش ، فإن البنت البالغ لابد من رضاها في الزواج ، واذا عقد العقد قبل الباوغ و بلغت المعقود عليها ، كان لها الحق أن تفسخه .

<sup>(</sup>١) يقال له في جبل لبنان البا كور أو البعكور

ثم ذكر ما عند الانجوانيين من حب الرقص والغناء ، والضرب بالمعازف وآلات الطرب وما عندهم من سرعة الخاطر في ارتجال الأزجال العامية الرقيقة ، التي يطرب لهاكل من يسمعها ، وقال انهم يضر بون بالطمطام (نوع من الدر بكة) ، والقابوسي (نوع من العود) وقال انهم مغرمون أيضاً بلعب الورق والشطرنج ، ويحبون المصارعة ولعب السيف والترس وغير ذلك مما هو من أوضاع العرب

وفي السادسة من العمر برساون أولادهم الى الكتاب ذكورا واناثا ولا يفصاون. بعضهم عن بعض الا في سن الباوغ ، والمعلم يعلمهم القراءة والكتابة والحساب والتقوم والعقائد ، ويكتب لهم على ألواح بيضاء بقلم من قصب الكامو ، وحبر يقال له نيونغو (١) آيات من القرآن لا بد للاولاد أن يحفظوها . و نواظب أهالي انجوان على الصلوات الجس ويوم الجعة يخرج السلطان الى صلاة الجعة وامامه اثنان يحملان العمم السلطاني والمظلة السلطانية ذات العذبات الخضر ، ومن العادات القديمة أن أهالي قرية مير ونسى يؤلفون. موكب السلطان في ذهابه الى صلاه الجعة. وجميع الأهالي يصومون رمضان ، حتى الذين ليسوا مسلمين من الزنوج يصومون. وتقل في انجوان الأوقاف لكن يوجد منها ما هو مربوط بالجوامع ، ومنها ما يقفه الانسان على جهة بر و يجعل نظارته في ذريته حفظا لمروة البيت بعدم امكان بيع الوقف. وأما حجاب النساء فهو شديد في انجوان حتى الذبن ليسوا معر وفين بشدة العقيدة ، ومن يشرب الخر سراً ، لا يتسامحون في أمر الحجاب. وتسود الخرافات عند البوزمن والزنوج في انجوان حتى ان العرب قلدوهم فيها ، فانهم يمتحنون السارق ، مثلا ، بأن يجبروه على مضغ حفنة من الأرز غير المسلوق وهم يقرأون عليه سورة يس ، فن لم يمكنه أكلها ثبت أنه سارق (٢) أما الصناعات في انجوان فهي قليلة ، يعملون الفخار البسيط، وينسجون الحصر والزنابيل، وعندهم مطاحن على الهواء، و يستخرجون عصير السكر ، وكان السلطان عبد الله قد أسس معمل سكر في بامباو ، وغيره من الأهالي صنعوا السكر وتجحوا فيه. وأما الزراعة فهي في حال التأخر، والفضل

<sup>(</sup>١) مركب من البخار المتلبد محولا بالماء

<sup>(</sup>٢) الغالب على الأوربيين انهم اذا اطلعوا على حادثة أو حادثتين جعلوا ذلك قاعدة فلذلك تقل الثقـة في مروياتهم

في المحاصيل انما هو خصب الاراضي . وللعرب في الاودية مزارع لطيفة من قصب السكر والكوكو ، وكان عندهم كثير من شجر البن . أما التجارة فلهم فيها نفاذ عظيم ، فقد ولدوا من بطون أمهاتهم نواتيه وتجارا . ومنذ القرن السابع عشر ، كان الا بجوانيون ينقلون بضائع ماداغسكر وساحل شرقي افريقية الى خليج فارس ومسقط ، أما تجارة الرقيق فقد بطلت منذ سنة ١٨٤١ ، عند ما استولت فرنسا على جزيرة مايوت ، و بعد الغاء هذه التجارة سقطت تجارة انجوان عن درجتها الاولى ، أما سفنهم فهى قوارب ذات قلع واحد وهم في غاية المهارة في البحر سواء في ادارة السفن الشراعية أو ذات المقذاف

أما تاريخ انجوان فهو تابع لتاريخ سائر القومور ، وكان استولى البرتقاليون مدة على هانيك الجزر ، ثم ثار الاهالى بهم فاخلوها ، وجاء محمد بن عيسى من شيراز مع جاعته ونشر فيها الاسلام واستقر ابنه حسن بن مجمد في أنجوان ، فتلقاه الاهالي برأ وترحيباً ، و بني جوامع في جيع القرى ، وأسس هو سلطنة انجوان اذ كان زعم بلدة موتساموندوا المسمى فانى على قـد أعطاه ابنته ، فتزوجها وتلقب بالسلطان ثم خلفه ابنه محمـد فتزوج بأمينة ابنة ماسيلاحا ، رئيس جزيرة مايوت ، فألحق بهذه الواسطة مايوت بانجوان ، ثم استضاف محلى واطاعته ملوك القومور الكبرى ، ولكن هذه الطاعة لم تطل كثيراً حتى انقلبت الى طاعة اسمية في أيام عيسى ابن محمد ، ثم مات عيسى وعهد بالامارة الى امرأته موللانه ، فانتقض أهالى مابوت عليها ولولا حزم «موانيه فأنى » زعيم موتسامودو لكانت نجحت ثورتهم ، الا أن موانيه فاني هذا استأثر بالامر وفرت الملكة موللانه الي مدينة دوموني ، وهناك زارها ربان البارجة الهولاندية « ناسو » وتكلم أحد ضباطها فان دن بروك في رحلة كتبها عن اكرام هذه الملكة لهم ، ثم مات موانيه فاني وخلفته امرأته فاتنة في الملك فصارت ملكة في دموني وملكة في موتسامودو. و بقيت الاحوال مختلفة الى زمان « عالمة » التي بنت الجامع الكبير في موتسامودو ( ١٦٧٠ ) و بعد ذلك شن الماداغسكريون الغارة على انجوان واكتسحوها ، وأحرقوا قراها واستباحوا حرمها ، وأسروا رجالها، وقتلوا اسراها فقام في وجوههم أحدى حفيد عالمة ودفع غارات الماداغسكريين ثم خلفه الشيخ سلم وملك الى سنة ١٧٩٧ ، فات و بو يع ابنه أحد وهو دون البلوغ ، فقام عمه علوى وأحدث ثورة ليستأثر هو بالملك ، ففشل أول من والتجا الى زنز يبار ، ثم

عاد بعد سنتين وخلع أحمد وتولى مكانه ، و بقي في الملك الى سنة . ١٨٢ و بعد موته خلفه عبد الله الاول ، وقضى معظم ملكه في قتال الزعم الماداغسكري « راماناتيكا » وهذا الرجل كان أبن عم « راداما » ملك الهوفا ، فبعد موت الملك نفي مع جاعته من ماداغسكر فالتجأ الى أنجوان لماكان اشتهر به عبد الله من حسن الوفادة ونجدة الملهوف فتلقاهم عبد الله بالا كرام وأنزهم أحسن منزل. ولكن رامانا تيكا كان كنودا للنعمة كسائر الهوفا، فلم يلبث أن أخــ نـ يحرك الثورة على مضيفه ، وأخيراً عالنه الحرب ، فدارت الدوائر على الباغي ، وفر هذا من انجوان الى محلى واستولى عليها . فأخذ عبد الله يجهز قوة لاسترداد محلى . وكان في هذه الجزيرة أمير من الساكالافا ، اسمه سولي ، أبي أن ينقاد الى راماناتيكا ، ولم يلبث عبد الله أن هاجم الضيف الخائن في مايوت. وطرده منها ، فنصب سولى السكالافي أميراً كما كان وجاء يطارد العدو في محلى ( ١٨٣٦ ) فصادفه اعصار شديد فرق مراكبه وقذف بالسفينة التي كان فيها الى الشاطئ ، فوقع في يد راماناتيكا ، فقتل جاعته صـبراً وأمر بوضعه في السجن ، ومنع عنه الطعام الى أن مات . فجمع الأمير سولى فل الجند الذي كان لعبد الله وجاء بهم الى انجوان و بايعوا علوى بن عبد الله مكان أبيه بالرغم من دسائس عمه سالم الذي طمع في الامارة. ثم اشتعلت الفتنة بين العم وابن أخيه ، فزحف سالم برجاله ، وحصر عاوى في موتسامودو، فكان سولى أمير مايوت ينجد علوى برجاله ، فثبت هذا في وجه عمه نحو أر بع سنوات. ولكن سالما أثار ثورة في نفس مايوت حالت دون ارسال النجدات الى عاوى ، ثم تعاهد مع رماناتيكا الذي كان متوليا أمر محلى وهاجت جنودها موتسامودو، فتسلقوا جدران قلعتها ليلا وانسل علوى خفية الى البلدة ورك قار با أخذه الى القومور الكبرى ومنها ذهب الى موزامبيق ، ثم أخذه الانكليز الى كاكتا ، ثم جعاوا اقامته بجزيرة موريس حيث مات سنة ١٨٤٧ فانفرد سالم بالامارة . ودفعه الانكليز لمقاومة احتلال فرنسا لمايوت باعتبار أنها تابعة السلطنة انجوان ، فلما نزل الأمير سولى عن مايوت الفرنسا احتج على ذلك بشدة ، فلم تبال وزارة غيزو باحتجاجه واستضافت فرنسا هـذه الجزيرة إلى مستعمر أتها.

و بعد موت سالم خلفه ابنه عبد الله الملقب في بلده بالكبير. وكان صديقا للانكليز وقد امضى معهم معاهدة رضى فيها بابطال الرق ، وكان يحب تنظيم ادارة بلاده على الطريقة

العصرية الاوربية واتخذ لنفسه مستشاراً طبيبا اميركيا اسمه ويلسون. وفي سنة ١٨٥٤ حاول علوى حسيني اغتياله ليملك مكانه ، فدخل عليه في القصر فأة بشردمة من رحاله ، ولكن جاعة عبدالله استهاتوا من دونه وقبضوا على المعتدى وصلب. وسنة ١٨٨٧ عندما امضى عبد الله معاهدة ابطال الرق ، ثار عليه أخوه الأمير محمد واعصوصب حوله جاعة وهاجم أخاه مرتين ، فهزمه السلطان في كل منهما ، وعفا عنه فما بعد . ولكن تلك الحرب الأهلية مع علوسن عبد الله أوهنت قواه وفتت في عضده ، فطلب حاية فرنسا . وفي ١٥ اكتوبر سنة ١٨٨٧ أصدر أمراً بقبول نظام الجاية، وأرسل الفرنسيس معتمداً مقما عنده اسمه المسيو ترويل. فكانت مذ ذاك الوقت سياسة المقيمين في أنجوان اقامة النفوذ الفرنساوي مكان النفوذ العربي باسقاط سلطة السلطان تدريجا. ولكن لم تكن هذه الطريقة لتتم بدون صعوبة اذ قدم المقيم للسلطان مرة صورة أمر طلب منه امضاءه ، وهو يقضي بأن تـكون الادارة الداخليـة في يد معتمد فرنسا ، فأبي السلطان امضاءه ، وثار العرب وهجموا على مقام المقيم ، وأهانوا العلم الفرنسي وأنزلوه فانسل المقيم المسيو اورميير الى مايوت ليأتى بسفينة حربية وفي هذه الأثناء مات السلطان عبد الله قيل مسموما وقيل مخنوقاً. فبايع الماكويون (الزنوج) السيد عثمان أخا عبد الله ، وبايع أهل موتسامودو السيد سالما بن عبد الله ، فهجم الزنوج على البلدة واضطروا سالما والعرب الذين معه أن ينهزموا الى دومونى فسار عثمان خلفهم الى دومونى ونهبها ، وقتل كشيراً من أعيانها ، وقبض على سالم ورهطه وجاء بهم الى موتسامودو. وكان الفرنسيس في تلك الأثناء أتوا باسطولهم وأنزلوا عساكرهم الى البر، وسلم سالم الأمر اليهم، أما عثمان فبتى يقاومهم نحو شهرين الى أن فرغ كل ماعنده فاستسلم اليهم أيضا . فنفي عثمان ونفي سالم معا الى كليدونية الجديدة (١) وأخـنت الأسلحة من أيدى الأهالي وجيُّ بالسيد عمر ، وهو أمير من امراء انجوان خدم سياسة فرنساكثيرا في القومور ، وجعل سلطانا في يوم مشهود سنة ١٨٩١ ، واتحد العلم المثلث الألوان مع علم الهلال والنجمة الانجواني ، وسنة ١٨٩٧ امضي قبول الجاية تأكيداً لما كان سبق من السلطان عبد الله ، ومات في تلك السنة وخلفه ابنه السيد محد ، وفي مدته جعل لسلطنة (!) انجوان وسام اسمه « نجمة أنجوان » وجعلت طوابع بريدية خاصة بانجوان . اه .

<sup>(</sup>١) جزيرة في البحر الحيط من الجزر البولينيزية تنفي اليها فرنسا المجرمين السياسيين

وأما جزيرة محلى فهى مع انجوان أخصب القومور ، وأما مايوت فأرضها بركانية وقد سبق الكلام عليها .

ور بما يقال لماذا أطلنا البحث عن جزر صغيرة كهذه ، سكان أكبرها . و الفا ، و سكان الأخرى و الفا . و ما هي الفائدة من ذلك ? والجواب ، ان الذي حدانا الى اطالة البحث عنها أعا هو صغرها مع الأدوار التي مرت بها والحكومات التي تأسست فيها ، والسلاطين الذين لم يمنع ضيق بلادهم وقلة عدد رعاياهم من أن يكونوا مستقلين ذوى شأن وأن تكون هم جنود وقلاع ومدافع ، مما يدلك على ماتبلغه هذه الأمة العربية ، من النفاذ والمضاء ومعالى الهمم في الصغير من البلدان فضلا عن كبيرها . هذا اذا سامت من الشقاق والنفاق اللذين هما آفة عزها وسلطانها .

# تصحیح و توضیح بقلم عالم حضرمی

نحن عندما نقلنا مانقلناه عن ماداغسكر وجزائر القمر الها اعتمدنا على كتب الاور بيين . وهؤلاء كما لايخفي يخبطون كثيراً عندما يخوضون في المباحث المتعلقة بالشرقيين ولا يأمن الانسان العثار في النقل عنهم غير انه مما لامرية فيه ان للاور بيين مزية طرق المواضيع الشرقية التي يستجلب طرقها النظر فاذا جاء الموضوع ناقصاً تداولته الناس الواحد بعد الآخر الى أن يسمل . وهذا مالانراه عند الشرقيين الذين يهملون الاماندر ذكر مايعامون عن أحوال بلادهم

غير ان من الشرقيين من يشد عن قاعدة الاهمال هذه . فانه لما انتشركتابنا حاضر العالم الاسلامي ووصل الى بلاد الجاوي اطلع عليه العلمة المؤرخ المدقق السيد مجمد بن عبد الرجن بن شهاب العلوي الحضري في بتاوي فوجد فيما أثرناه عن الافرنج بشأن ماداغسكر وجزائر القمر مايقتضي التصحيح أو التوضيح ونشر في جريدة «حضرموت» الصادرة في سورابايا سلسلة مقالات في غاية الافادة والاجادة اشتملت على معلومات نفيسة عن تلك الجزائر ومن استعمرها من العرب وعن ما شر السادة العلوية الحضارم وراء تلك الأبحر الخضارم وخاض في تقاسيم فروع تلك الشجرة الزكية وسلسل أنسابها على الوجه الذي يشفى الغليل والذي يدل على سعة اطلاع لا يضطلع بها الا القليل فهو كاتب نقادمدقق مالك لموضوعه الغليل والذي يدل على سعة اطلاع لا يضطلع بها الا القليل فهو كاتب نقادمدقق مالك لموضوعه

ممتاز بدقة النقل مع سداد المنطق ورجاحة العقل قد سرنا جداً استدراكه على هذا المقام عا استدرك به ووعدنا القراء بإضافة مقالاته هذه الى الطبعة الثانية من حاضر العالم الاسلامى وهانحن أولاء منجزون للوعد قال:

طالعت كتاب حاضر العالم الاسلامي وما عليه من التعاليق للا مير الكبير والبحاثة النقاد الشهير، والبليغ المصقع النحرير شكيب أرسلان، فرأيت فيه فوائد عزيزة، وابحاثا نفيسة، فنقدم لذلك الأمير وفير الشكر وعاطر الثناء، ولا ننسي فضل مترجم الكتاب عجاج الناهض، فقد قدم لأهل الشرق آراء أهل الغرب فيهم وذلك أمر تهم معرفته، وقد رأيت في مواضع من تعاليق الأمير حفظه الله أموراً جديرة بالعناية والتنبيه فأحببت نشرها في جريدة حضرموت الغراء فأرجو أن تسارع الى نشرها فلعل أن يطلع على ما أكتبه الأمير شكيب فيجد فيه فائدة يحسن السكوت عليها.

# من هم الفاتحون لجزيرة مدغسكر وجزائر القمر

جاءت أساء هذه الجزائر عند الأمير شكيب هكذا ( انجزيجه ، انجوان ، او انزوان، مهلى ) وهي في شجرات الانساب عندنا وعلى ألسنة العرب بافريقية الشرقية هكذا ( جزائر القمر وهنزوان ، وانقيزجه ومولاى ) وقد نقل الأمير عافاه الله في تاريخ هذه الجزائر كلاماً طويلا عن مؤرخي الافرنج من صفحة ٢٣٩٩ الى صفحة ٢٩٩٩ من الجزء الأول بالحرف الصغير وتكرر فيما نقله عنهم ذكر الأشراف وأسهاء بعض سلاطينها ، وأصل تلك العائلة التي فتحتها ونشرت الاسلام فيها ، فرة يقولون انه مجمد بن عيسى من شيراز ، ومرة يقولون انه أحد أولاد مجمد بن عيسى وانه بعد استيلائه على جزيرة القمر الكبرى أرسل ولده حسن بن مجمد فاحتل بشرذمة من الشيرازيين مواضع أخرى ، وجاء في كلامهم ذكر السلطان السيد على ابن السلطان السيد عمر ، وأبوه السيد عمر ، كان سلطانا على زنجبار والسلطان مجمد بن عبد الله وعبد الله الأول ، وعلوى بن عبد الله وعبد الله بن سالم الملقب بالكبير ، وعلوى حسيني الى غير ذلك مع خبط وظنون لا يتحصل وعبد الله بن سالم الملقب بالكبير ، وعلوى حسيني الى غير ذلك مع خبط وظنون لا يتحصل المطالع منها على حقيقة ، مما يدل على أن أولئك المؤرخين قد أخذوا ما كتبوه عمن يجهل انساب أولئك السلاطين وأصوهم كل الجهل .

وقد يدهش المطلع منا اذا رأى ذلك وهو يعلم أن أولئك السلاطين الفاتحين انما كانوا

من السادة العلويين الحسينيين الحضرميين المعروفة انسابهم وأسماؤهم وأخبارهم وأنباؤهم والمتضمنة شجرات أنساب السادة العلويين لأسائهم فرداً فرداً. ويعجب كيف يستحيل التاريخ وتنطمس الحقائق اذا أهملها أهلها وأغفلها وعاتها ودراتها وشوهها نقلتها ورواتها . أما الأمير شكيب فهو مشكور ومعذور والأفبأي وسيلة يتأتى له الحصول على الحقيقة من أخبار تلك الأطراف النائية والأقطار الشاسعة وليس لهـا تواريخ منشورة ، ولا آثار مأثورة ، ومن أبن يمكنه الاطلاع على تواريخ السادة العلويين الحضرميين وتنقلاتهم وهم من أقصى حجر باليمن بالبلاد الحضرمية التي يرحل منها ولا يرحل اليها ، والتي عرف أهلها بإضاعة أخبار اوليهم ومناقب أهليهم وتعفية آثارهم ونسيان ديارهم ، وكيف لا نعذره على عدم اطلاعه على أخبار أهل هـذا القطر البعيد وقد شكى انقطاع أخبار أهله أبو الفرج الاصبهاني على شدة تنقيبه عن أخبار العلويين وميله اليهم. فانه قال في كتابه مقاتل الطالبيين « على أنا لا ننفي أن يكون الشي من أخب ار المتأخرين منهم فاتنا ولم يقع علينا لتفرقهم في أقاصي المشرق والمغرب، وحلولهم في نائي الأطراف وشاسع المحال، التي يتعذر استعلام أخبارهم فيهما ومعرفة قصصهم لاستيطانهم إياها سيما مع قصور زماننا وأهله وخلوه واياهم من مدون لخبر أو ناقل لأثر ، كما كان المتقدمون قبلهم يدونون و يصنفون و ينظمون و يرصفون » وقال في آخر كتابه أيضاً « على أن بنواحي اليمن في هـذا الوقت و بنواحي طبرستان جاعة من آل أبي طالب (ع) قد ملكوها وغلبوا عليها الا أن أخبارهم منقطعة عنا لقلة من ينقلها الينا بل لعدمهم وفقدانهم وما ننفي من أن يكون لهم أخبار قد فانتنا ولم نقدر على عامها » اه فهذا قول أبي الفرج في زمانه فكيف بزماننا وكيف لا يعذر الأمير شكيب أرسلان وعذره أوضح وأوضح.

## ذكر البطون العلوية المستوطنة بإفريقية

#### الشرقية والجزائر القمرية

أقدم قبل بسط القول فى ذلك تعديد البطون العاوية الحسينية الحضرمية الساكنة بتلك الديار ومنها كان سلاطين القمر مع الاشارة الى مراجع أنسابها فأقول: يوجد بتلك الجهات منهم ثلاثة عشر بطناً وان شئت قلت غذاً.

الفخد الأول يرجع نسبه الى أبى بكر بن احد بن الحسين بن الشيخ أبى بكر بن سالم العاوى الحسيني بافريقية الشرقية .

الفخذ الثاني يرجع نسبه الى محمد بن سالم المهاجر بن احد بن الحسين الخ ما تقدم بيته من جزائر القمر.

الفخذ الثالث يرجع نسبه الى صالح بن احمد بن الحسين الخ ما تقدم بهنزوان و بته . الفخذ الرابع يرجع نسبه الى مجمد المجذوب ابن الشيخ على بن أبى بكر السكران العاوى الحسيني ببته وسيوى وزنجبار ، وسلاطين سيع من أرض الملايو أبناء عمهم يرجع نسبهم الى حسن بن عمر بن حسن ابن الشيخ على المذكور .

الفخذ الخامس يرجع نسبه الى عبد الرجن بن ابراهيم ابن الامام عبد الرحن السقاف العلوى الحسيني بالقمر بهنزوان .

الفخذ السادس يرجع نسبه الى شيخان بن الحسين بن الشيخ أبى بكر بن سالم العاوى الحسيني بافريقية الشرقية

الفخد السابع يرجع نسبه الى محمد بن علوى بن عبد الله بن على بن عبد الله باعلوى الحسيني وهم الفخد المعروفون با ل المسيلة بافريقية الشرقة ببته ومولاي (مهلي).

الفخذ النامن يرجع نسبه الى عبد الرجن بن احد بن عبد الله ابن الشيخ محمد الشهير بحمل الليل باحسن العلوى الحسيني المتوفى سنة ١٨٥٠ بافريقية الشرقية وبالقمر وفي (آشي) أبناء عمهم يرجع نسبهم الى حسن بن احد بن عبد الله بن الشيخ محمد المذكور

الفخذ التاسع يرجع نسبه الى أحمد بن عبد الله باحسن بن محمد بن سالم بن احد ابن عبد الرحن بن على بن محمد جل الليل بافريقية الشرقية و بملاكة (ملقا) من أرض الملايو ، أبناء عمهم المعروفون بالل القدرى ذرية محمد القدرى ابن سالم بن عبد الله باحسن الملاكور.

الفخد العاشر يرجع نسبه الى مجد جد آل باحسن الحديلي بن حسن الطويل بن محمد بن عبد الله بن احد بن عبد الرحن بن علوى عم الفقيه بالقمر .

الفخذ الحادى عشر يرجع نسبه الى حسين بن عبد الله الأعين النساخ بافقيه بن محمد عيديد بن على صاحب الحوطة بن محمد بن عبد الله بن احمد المذ كور بالقمر ، بمولاى

(مهلى). \_ الفخذ الثانى عشر يرجع نسبه الى عبد الله بن على بن مجمد عيديد بن على صاحب الحوطة الخ ما تقدم فى نسب الفخذ الذى قبله بافريقية الشرقية.

الفخذ الثالث عشر يرجع نسبه الى محمد سميط بن على الشنهزى بن عبد الرحن بن الحد بن علوى عم الفقيه بزنجبار .

فهذه ثلاثة عشر بطناً يرجع نسب أر بعة بطون منها الى عم الفقيه وبقيتها الى الفقيه محمد بن على . وها أعنى الفقيه وعمه مرجعا جيع أخاذ السادة العاويين وقد بلغ عددها مائة وتسعة وتسعين خذاً فسكان البادية منهم الذين يعانون حل السلاح يبلغون ثمانية عشر خذاً أو يزيدون ، والباقون متحضرون ، ويجتمع نسب الكل على سيدنا محمد صاحب مرباط ابن على خالع قسم بن علوى بن محمد بن علوى بن عبيد الله بن المهاجر الى الله احد (١) ابن عيسى بن محمد النقيب بن على العريض بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين السبط بن على الوصى المرتضى أخو رسول الله وابن عمه صاوات الله عليهم أجعين .

#### عتاب موجع

لاباس أن يقف قامى برهة قبل انجاز الكلام على سلاطين جزائر القمر لعتاب اخواننا العلويين اذ يقول القائل لماذا لم تنشر مناقب أولئك الأبطال الذين فتحوا تلك الجزائر البعيدة ونشروا فيها الاسلام وشادوا فيها المساجد و بنوا المعاقل و بسطوا لأهلها بسط العدل ?

فنقول له ولماذا لم تنشر آثار بقية أفادهم التي انتشرت في الشرق فان فائذ السادة العلويين كما سبق قد بلغت في وقتما مائة وتسعة وتسعين فذا وقد أحصى عددهم منذ يحو خسمائة سنة فكان عشرة آلاف نفس ، وقد أضاع اخلافهم آثار اسلافهم. فان أنكرت قولي هذا أيها القارئ واستكبرته وعددته شينا وعيبا . فارني أي شي نشر من أخبار وآثار من نزل منهم الديار الهندية في سالف الدهر كالذين نزلوا

<sup>(</sup>١) أول من هاجر من البصرة الى حضرموت

أجد اباد ، وسورت ، وبروج ، حيدراباد الدكن ، وبيجافور ، وكنور وقزرات ودلى وبرودة ومان كيسر وكاليكوت و بلقام و بنقراباد ومليبار و بنقاله ، ألم تعلم ان أول داخل منهم الى البلاد الهندية دخلها سنة ١٩٠٧ . فاما ذا لم تنشر أخبارهم مع ملوك الهند العظام و و زرائها الكبار ، وما كان لهم من الجاه والمنزلة عندهم وماهم من الآثار والنفع العام ، ومن أصهر اليهم من السلاطين كالسلطان شاه جهان والسلطان ابراهيم عادل شاه وابنه السلطان محود بن السلطان ابراهيم عادل شاه والسلطان حبش خان والسلطان فتح خان ، والسلطان برهان نظام شاه ، وكيف حاوا السلطان ابراهيم عادل شاه على أن يلبس لباس العرب . ومن اتصاوا به من الوزراء كالوزير عنبر قبل أن يصير ملكا وبعد تملكه ، ووزير أحد اباد الأعظم عماد الملك وغيرهما .

ولماذا لم تنشر أخبار أول من دخل آشى منهم فى خلال القرن التاسع اعنى منذ أربعة قرون تقريبا فاكرمته سلطانة آشى فى ذلك الحين وزوجه بعض وزرائها ابنته فاقام هناك واعقب بها . وهو السيد أحمد بن مجمد بن أبى بكر الشلى ، بل لعلهم دخلوها قبل ذلك ، وكالسيد أبى بكر بن حسين المتوفى بها سنة الالف وكالسيد مجمد بن أحمد بن مجمد بن عمر بن علوى الشاطرى الذي أزال ما انتشر باشى على عهده من القول بالتشبيه دخلها فى أوائل القرن الحادى عشر، وفى ذلك التاريخ دخل جاوى السيد على بن عمر بن على باعمر فنشر بها الدعوة الدينية والعلم الاسلامى ، ولو نشر مثل هذا لما كنا نرى تخبط المتخبطين من مؤرخى الأفرنج فى أول من دخل البلاد الجاوية واسلم أهلها على يديه .

فهل تحسب ان السيد ابراهيم المقبور بقرسى والذي أسلم على يديه أهل جاوى كان من غير العاويين ? كلا .

لو نشرت لنا الاصول الأولى من شجرات انساب العاويين لا ستد للنا منها على شي كثير، ولكن مما يؤسف له انهم اكتفوا في الشجرات المتداولة بالنقول عن تلك الاصول ولم يعبأوا بذكر من لم تتصل بهم أخباره من النائين في الأقطار البعيدة، فاين اصل شجرة النسب التي الفها أبو الحسن على بن أبي بكر بن الشيخ السقاف المسماة بالجواهر السنية في نسبة العترة الحسينية والتي جعها ونقحها من بعده السيد على بن أجد بن على بن حسن نسبة العترة الحسينية والتي جعها ونقحها من بعده السيد على بن أحد بن على بن حسن

أبو جبهات والتي جعها وحررها وهذبها تاج العارفين زين العابدين العيدروس ، نعم ان الشجرة التي حررها من قبلهما سيدنا شيخ بن عبد الله العيدروس كان يظن انها مفقودة . وللن قد ظفر الشهم الغيور السيد عبد الرحن بن شيخ الكاف منها بنسخة ثمينة وجدها في خزائن السادة العيدروسيين العلويين بالهند ، وفيها ذكر لكثير ممن انتقل عن الجهة الحضرمية من السادة وتدير غيرها من البلدان .

ألم تعلم أن بطناً عظيما منهم قد انتشر في البلاد الهندية منف سبعة قرون فلم تحتو الشجرات المتعددة على تفصيل أفاذهم وتسلسل ذريتهم لقدم رحلتهم عن البلاد الحضرمية وانقطاع أخبارهم وهم بنو عبد الملك بن علوى بن عم الفقيه المتوفي سنة ١١٣ وغاية ما حفظته لنا الشجرات عن ذرية عبد الملك هذا قولها ان لها عقباً منتشراً بالهند يعرفون بال عظمت خان معروفين بالشجاعة ، ميالين الى التجند والعسكرية فلم لا يكون السيد ابراهيم منهم

ان أسلافنا قد تفننوا في ضبط أنسابهم حتى جعلوا للائلقاب شجرة خاصة ، وللامهات شجرة خاصة ، وهكذا ولكنهم ما كانوا يميلون الى التنويه بما لهم من الأعمال في البلاد التي يرحلون اليها و ينشرون الدعوة الاسلامية بها ، ميلا منهم الى التواضع وكسر النفس وعدم الرضا عنها ولكنا قد احتجنا اليوم الى ذكرها ونشرها لما يعلم المنصف الخبير ، ولو ترك القطا ليلا لنام .

فن المطالب والمخاطب بنشر ما بق بأيدينا من المناقب والاعمال العظيمة ونسخ ما غفلت عنه أيدى الضياع من تواريخهم وطبقاتهم وتحريره وطبعه ونشره ?

المطالب بذلك أغنياؤنا ولكن أين هم ?! ان الاهمال والاضاعة قد بلغ عندنا مبلغا يفوق حد التصديق فان للسيد أحد بن عبد الله الشهير بشنبل تاريخا مفيداً في بابه ألفه في حدود التسعائة فهل تحس منه من خبر أو تسمع له ركزاً.

وللسيد عمر بن محمد باشيبان تاريخ لعل أكثر خزائن اخواننا خلية منه ولكنه موجود بخزانة لندن قد نقلته أيدى الاهمال والضياع الى تلك البقاع .

وللوجيه الشيخ عبد الرجن بن على بن حسان ثلاثة تواريخ أكبر وأوسط وأصغر فاسأل عنها ان أردت أن تتحقق أين بلغت السنّة والنوم من اخواننا .

وأين تاريخ باعيسى وتاريخ باز رعه وتاريخ أبى شكيل المسعودى . وتاريخ الطيب بافقيه وتاريخ الطيب بامخرمه الى آخر ما يطول عده منها الخاص بالعاويين الحضرميين ، ومنها العام وفيه من ذكرهم الكثير الطيب فهل اعتنى بها أحد منا أو استنسخها أو لخصها كلا .

انما يفتخر أغنياؤنا اليوم باوتومبيل يقتنيها أحدهم و يبدل الألوف فيها . قد أفنى فيها عمره وجعلها فخره ، أو ببيت يشيده أو ملهى يشهده ، أو امرأة يتزوجها وهم يفتخرون بالمنع والبخل كما يفتخر الكرام بالعطاء والبدل .

فان قال قائل ان هذه التواريخ النافعة كانت موجودة ولكن جاءتها الكارثة العظمى وهو دخول الوهابيين الى تريم سنة ١٢٢٧ فقد جاءوا الى خزائنها المشحونة بنفائس كتب التفسير والسنة والفقه والتاريخ فطموا بها الآبار جفاء وغلظة وبداوة وغباوة ولقد أتلفوا من بيت واحد اثنتي عشرة خزانة ومن آخر ست خزائن الى غيرذلك مما يطول عده كما فعلوا ذلك باليمن حينما دخلوها ، قلنا هذا صحيح ولكن هل تداركنا ما فاتنا واستنسخنا ما فقد منها من أيدينا وهو لا يزال في أقطار أخرى كخزائن العيدر وسيين بسورة وبيجافور وغيرها وكالموجود باليمن وعدن ? كلا .

لقد أراد بعض اخواننا استنساخ تاريخ القاضى أبى شكيل المسعودى فوجده بصنعاء فاستنسخه من هناك في رايك في تاريخ حضرمي لا يوجد بحضرموت.

دع هذا وارجع بى الى العلويين الموجودين اليوم فى الاقطار المتباعدة ألا يحسن أن يكون بينهم نوع ارتباط وتعاون ومساعدة ، فهل فكر وسعى فى ذلك أحد من عامائنا أو وجهائنا وأغنيائنا ، وما هى المعلومات التى بأيدينا عن اخواننا المتفرقين فى قطر اليمن وهو أقرب الأقطار الينا كالموجودين منهم بحوطة الفقيه على ، ويبعث ، وحبان ، ويشبم وأحور ، وعياذ وانصاب ومرخة ، وحورة ، وردمان ، والسوادية و بلاد الرصاص ، والبيضاء ويافع وبيحان ورداع وابين والحرا وتعز والمكله (۱) والحديدة و بيت الفقيه و بلاد الدريهمى و زبيد والحجرية ونخلة وأبى عريش وحيس والليث والقنفذة ورباط اليمن ورباط الصفا وخنفرا بين ودثينة وغير ذلك مما لا يتسع له هذا المحل .

<sup>(</sup>١) من أرض اليمن وهي غير المكلا المشهورة

سبحان الله ! لماذا نذهب الى اليمن وهنا أمر أقرب من ذلك ، هؤلاء اخواننا أهل البادية حال السلاح والمعروفون بالشجاعة والجاسة والذين لن نستغنى عنهم يوما ما . فهل أرسلنا اليهم عالما أو مذكراً أو واعظاً وهل عقدنا بينهم عقداً أو جددنا عهداً أو أسسنا وداً ، وهل واسيناهم ولو مرة واحدة بشيء من الاموال التي تذهب جزافا فيما يرضى النساء والسفهاء . و يغضب جبار السماء وماذا نعرف من حال انفاذهم و رجاهم واعدادهم ?

منهم بيت سهل و بيت حودة و بيت مشائخ و بيت قرموص و بيت الكهالى و بيت عقيل و بيت الخشش و بيت محسن و بيت الاخسف و بيت كدحوم وآل البحرى و بيت مسامة وآل الحكم ، و بيت رزينة و بيت هبارين و بيت الدحه و بيت الهادى .

وماذا نعرف من اخواننا بحول ، وعياذ ، وخورة ، ومرخة ، وهم الشجعان الذين فاقوا أسود خفا وعثر وزادوا على من يليهم شجاعة وفتوة وانوف حية .

ذكر الامير شكيب عافاه الله في صفحة ٢٤٣ من الجزء الاول من حاضر العالم الاسلامي فصلا طويلا عن مسامي الحبشة والجهاد الذي قام به الامام المجاهد الغازي أجد بن ابراهيم مما تقرش به العيون ، حاء فيه انه منقول عن تاريخ عرب فقيه (٢) وتردد فيه ذكر الاشراف والمهرة من الغزاة وهم من العلويين لا محالة ، فأين الذي بيدنا من أخبارهم وماذا نعرف عن اخواننا القاطنين بالحبشة وسواحلها كزيلع وغيرها ومن بهر روكيلاد وقلب وبوش .

\* \* \*

ذكر عافاه الله في صفحة ٣٤٣ ج ا دخول الأشراف في الصلح بين السلطان أبي بكر ابن مجمد من آل سعد الدين الغزاة المجاهدين و بين الغازى المجاهد الامام أحمد بن ابراهيم جران ، وذكر في صفحة ٣٥٣ منه ان الامام أحمد الغازى جع الأشراف والعرب والمغاربة ، وذكر في صفحة ٤٥٣ جلوسه لمرض الشريف أحمد القديمي وفي صفحة ٣٩١ منه انه عزل الشريف نو رعن ذخنو الحكم انه ذكر الشريف أبا بكر العيدر وس في صفحة ٣٤٣ منه . فهذا كله يدل على مشاركة السادة العلويين و بني عمهم من بني قديم في ذلك الجهاد . وعلى انتشارهم في تلك النواحي في ذلك العهد وقد أضيعت أعمالهم وأهمل ذكرها كما أضيع

<sup>(</sup>٢) لعله بافقيه السيد الطيب أو غيره

غيرها وان كان يوجد في شجرات أنسابهم ذكر عدد ليس بالقليل بمن كانوا بها أو استشهدوا هناك ، وهاك من ذلك ماتيسر ، ذكر وا منهم السيد أبا بكر بن علوى خردتوفي بالحبشة سنة ٥٨٥ والسيد على بن عبدالرجن المنفر وكان سيدا جليلا سريا ناسكا صالحا توفي بدوار من أرض الحبشة سنة ٥١٥ وقبر بجانب المجاهد مجد مرز وق وقبره بها مشهور ، والسيد عمر بن أحمد بن علوى من آل عبدالله بن علوى قتل شهيداً ببر سعد الدين ، وأحد بابر يك العلوى توفى بزيلع في الطاعون ، وابنه أحمد وعمه عبدالرجن بن على ، وممن كان بهر رفى ذلك العصر نو ربن عقيل بن علوى بن على من آل عبدالله باعلوى وقالوا فى جده على انه كان وليا صالحا فاضلا له الجاه الواسع ، والصيت الشاسع . وانه توفى بهرر سنة ١٠٢٧ والسيد أبا بكر بن عقيل من آل الشلى قتل شهيداً باوسه وأخاه الساعيل أيضاً وأخاهما عبد والسيد أبا بكر بن عقيل من آل الشلى قتل شهيداً باوسه وأخاه الساعيل أيضاً وأخاهما عبد حسن بر وم العلوى توفيا بالطاعون الكبير في الحبشة الذي مات فيه عشرة آلاف ومن السادة عشر ون رجلا ، وكان ذلك سنة ١٩٥ وهو غير الطاعون الصغير الكائن في حدود سنة ٤٠٥ .

وهذا ذكره الأميرشكيب في صفحة ٢٩٣١ من الجزء الأول ، وقد ترجم للسيد عبد الرحن المذكور في السنا الباهر تاريخ أهل القرن العاشر ، والسيد مجمد بن عمر الشاطرى العلوى توفي بزيلع سنة ٤٧٤ وعمن كان من آل الشاطرى بها على عهده أبو بكر بن مجمد الشاطرى وأخوه على العلويان والسيد المجاهد مجمد بن أجمد بن أبي بكر بن عبد الله السقاف العلوى و والده أحمد توفي بالحبشة سنة ٢١٦ واعقب بها وحفيده المجاهد أبو بكر بن علوى ابن أحمد المذكور توفي بعده سنة ٥٥٥ وأخواه عمر وعثمان بالحبشة ، ومن هذه العائلة أيضاً عن كان بالحبشة في ذلك الوقت السيد عبد الوهاب بن عبدالله السقاف و بنوه عبدالله ومجمد ونور واعقب منهم مجمد بها ، والسيد عبد الرحمن بن عبد الله بن حسين توفي بقلب بالحبشة سنة . ٤٥ وله عقب هناك ، والسيد مجمد بن عبد الله بن حسن بن عبد الله السقاف العلوى و بنوه عبدالرحمن وعامر وحسن وعبدالله وقد توفي أخوهم الخامس على بن مجمد بتريم سنة و بنوه عبد الرحمن وعبد الرحمن وعبد الله وأخوه السيد عقيل بن حسن توفي بقلب بالحبشة وعقبه بها وكان من الأسخياء والسيد الله وأخوه السيد عقيل بن حسن توفي بقلب بالحبشة وعقبه بها وكان من الأسخياء والسيد والسيد والسيد عقيل بن عبد الله وأخوه السيد عقيل بن حسن توفي بقلب بالحبشة وعقبه بها وكان من الأسخياء والسيد والسيد والسيد والله وأخوه السيد عقيل بن حسن و بنوه عمر وعبد الرحن وعبد الله وأخوه السيد عقيل بن حسن و بنوه عمر وعبد الرحن وعبد الله وأخوه السيد عقيل بن حسن و بنوه عمر الله والسيد والله وأخوه السيد عقيل بن حسن و بنوه عمر وعبد الرحن وعبد الله وأخوه السيد عبد الله وأخوه السيد عبد الله وأله والله وأله والسيد عبد الله وأله والسيد عبد الله وأله والسيد والله والسيد والله والسيد والله والسيد والله والل

عبدالرجن القارى وأخوه أجد أبناء ابراهيم بن عبدالله السقاف العلوى والأول منهما توفى ببالى بالحبشة سنة ٢٤٩ ، ومن عائلة آل شيخ بن عبدالله المثنى بن عبد الله بن السقاف العلوى السادة محمد وشيخ وخلف بنوعلى بن شيخ بن عبدالله المثنى وجدهم شيخ المذكور ومن عائلة آل عبدالله بن مجمد بن مولى الدويلة العلوى السيد سالم بن على بن عبد الله توفى بهر سنة ١٩٧٩ ، وعائلة آل حسن الورع بن مجمد مولى الدويلة العلوى عبدالله بن مجمد بن عبدالله وجده السيد عبدالله بن عمر الهندوان توفى ببر سعد الدين بقلب سنة ٢٩٩ ، ومن عائلة آل باعبود مولى الدويلة العلوى أبو بكر ومحمد وشيخ وأبوهم عبد الرحمن توفى شهيدا عائلة آل باعبود مولى الدويلة العلوى أبو بكر بن عبدالرحمن باعبود العلوى توفى ببر سعد بالطاعون بها سنة ١٩٥ والسيد على بن أبى بكر بن عبدالرحمن باعبود العلوى توفى ببر سعد الدين سنة ٢٤٩ ه ومن عائلة آل السيخ بن السقاف العلوى عدة منهم أبو بكر بن ابراهيم بن أبى بكر البيتي كانت وفاة جده أبى بكر سنة ٥٠ ه ، ومن عائلة آل حسين بن السقاف السادة حسين وعلوى ابنى أحد بن حسين بن السقاف العلوى عبد مسين بن محمد توفى سنة ١٨٥ وحسن بن عمر قتل بها سنة ١٨٥ وعبد الله بن سلمان و بنوه حسن وسلمان وعلى ونو ر وحفدته وهم عدة ، ومن عائلة آل مجمد بن السقاف العلوى عبد الرحن وسلمان وعلى وأبوه على بن عبدالرحن وبالجلة فعير هؤلاء كثير ون يضيق بهم نطاق التعديد.

فهل حفظ أحد منا تاريخ هؤلاء الأبطال ? دع ذا وقل لى هل حفظناهم فى أعقابهم فعرفناهم بنا و بأنفسهم وحفظنا أنسابهم كلا وحاشا ، انما يقوم بذلك أهل الغيرة والجية وقد فقد أهلها اليوم ، ولو رحل أحد من هؤلاء المتفرقين فى الأقطار البعيدة وساعدته الفرص فوصل الى (تريم) هل تظن أنه يقدر على اثبات نسبه ? لا . لأن الحفظة على الشجرات لايقبلون كلامه حتى يأتى بجملة من أهل بلده يشهدون له ويأتى بقرائن تثبت مدعاه ، ومتى يتيسر ذلك له فلا هو يقدر على ما يطالبونه به ولاهم يحيدون عن القواعد التي هم ملتزموها ، وانى يتيسر ذلك لأهل القمر وهنزوان تلك الجزائر النازحة فلا غرو أن تندرس أنسابهم وتضيع أعقابهم .

وماظنك بهذه الجنود المجندة المتفرقين فى جزائر الشرق فى سيليبس وبرنيو وسومترا وجاوى وملقا (ملاكه) وآشى وقد دخل بعضهم منذ أر بعة قرون ، ومنهم من لم يكتب اسمه ولا اسم أبيه ولاجده فى الشجرات الى اليوم.

وانى لأعرف قبيلة مشهورة فيها بيت ذوثر وة عظيمة وهم لايزالون متصلين ببلادهم الحضرمية لم تكتب أسماؤهم ولااسم أبيهم فى الشجرات الى اليوم . ولوعلموا ذلك لانزعجوا ولكنهم لا يعلمون بل يوجد كثير ممن بالبلدان الحضرمية التى تبعد عن تريم بثلاثة أيام أو أربعة لم يكتبوا واذا دام الحال لا يبعد أن يتعذر تقييد أنسابهم فيما بعد فلابد من المبادرة مادام العهد قريباً والشواهد بينة .

والعبرة ظاهرة فيما وقع منذ وس سنة أو نحوها في مسئلة آل ابن ناصر وابن شيخان والضوضاء التي قامت حول ميراث بعض المنقرضين منهم بمكة .

ولاحيلة لضبط ذلك الا انتداب جاعة من أذ كياء السادة للرحلة والطواف في سائر البلاد الجاوية والهندية وافريقية واليمن وغيرها لهذا الأمر المهم ولتلافيه قبل فوات وقته و بهده المناسبة أقول ان من أعظم الناس منة على السادة العلويين الحضرميين سلطان المغرب الأقصى الادريسي اذ أرسل في أواخر القرن الحادي عشر مائة ألف ريال لتقسم بينهم بالسوية والحق بها الشريف سرور أمير مكة ستين الفا فانتدب السيد الغيور الهمام الرحالة على بن شيخ بن شهاب الدين فجاب الأقطار واحتمل الاخطار ليقيد أسماءهم و يحفظ أنسابهم ففعل جزاه الله خير الجزاء فكانت هذه الصلة المادية سببا لتلك الفائدة الأدبية الكبرى.

فهل تظن أن الأغنياء من اخواننا العلويين التي تعد ثر وتهم بالملايين ومئات الألوف ينتدبون فيفعلوا كما فعل سلطان المغرب ? لك أن تظن بهم أيها القارئ ماشئت أما أنا فلا أظن وهم أضعف أخلاقا وأقل توفيقاً من أن يحظوا بهذه المكرمة الجليلة .

### العود الى الكلام على سلاطين القمر وهنزوان

نقدم اشارة لطيفة الى الحالة العامة في ذلك القرن الذي كان فيه رحيل تلك العائلة العائلة العلوية الحضرمية الى تلك الأقطار والقرن الذي قبله .

الحضرى حِلْفُ اسفار وركاب اخطار وأبعد الناس منتوى وأقصاهم رحلة وقد كان ذلك شأن الحضارمة من قبل التاريخ حتى لقد ظن كثير من المؤرخين كالمؤرخ (جس هنرى بريستيد) ان سكان مصرالقدماء ومؤسسى الحضارة فيها و بعض أهل افريقية الشمالية انما جاءوا من تلك البلاد وما جاورها ، ومن نظر في الفتوحات الاسلامية رأى انهم كانوا

في مقدمة النازحين الى الفتوحات البعيدة عن بلادهم فكان سدس الجيش الذي فتح الاسكندرية من المهرة وفيه كثير من التجيبيين والصدفيين كما انه قد دخل الأندلس كثير منهم بَكْمُهُ من تديّر العراق والشام، فهم أشهر من أن يشار اليهم، فلما نزل السادة العلويون بنو أحد بن عيسى المهاجر بين ظهرانيهم أخذوا إخذهم بل انار وا لهم السبل في غرباتهم و وطأوا لهم المسالك الوعرة وسبقوهم في ذلك سبقاً بينا وقد ساعدهم على ذلك أمو ر منها ما يحصل لهم في كل بلاد وطئوها من الجاه والاجلال لمكان أهلهم وسلفهم الطاهر ومنها كثرة العلماء منهم بالعلوم الاسلامية فيثما وقعوا نفعوا ، ومنها تفوقهم في سبيل الدعوة الى الله والى دينه ومنها لطف اخلاقهم وغلبة آداب التصوف عليهم فهم الين أخلاقاً واسمى تربية ، واذا نظرت الى قديمهم رأيت ان قريشاً عامة كانوا ذوى رحلة وأسفار وقد قص الله ذلك علينا وامتن به في القرآن العزيز، وكان هاشم بن عبد مناف هو الذي أخــ الايلاف أي العهد والأمان لقريش وكان رجلاكثير الأسفار ، قال عبدالله بن عباس رضى الله عنهما والله لقد عامت قريش أن أول من أخذ الايلاف وأجاز لها العيرات لهاشم والله ما شدت قريش رحالا ولا حبلا بسفر ولا أناخت بعيرا لحضر الا بهاشم ، والله ان أول من سقى بمكة ما عنا وجعل باب الكعبة ذهبا لعبد المطلب ، فاجتمع لهؤلاء السادة ما ورثوه من آبائهم وما أخذوه من جيرانهم وقد مضي لهم اليوم منذ سكنوا البلاد الحضرمية مايزيد على أحد عشر قرنا ولا نعلم أحدا من القبائل الموجودة اليوم بحضرموت أقدم سكني بها منهم الانحو أربع أو خس قبائل ، وانك لتجد من بعض ذوى الطيش والنزق من الحضارمة من يظن أنه أقدم استيطانا بها منهم ويبني على ذلك مالانحب ذكره ، ولو حقق تاريخه لرأى انه هو الطارئ الدخيل ولا نحب أن غمل لذلك في جريدة سيارة ولكن التاريخ لاينسي .

وقد كان أكثر الحضارمة في أول ماقدم سيدنا المهاجر الى الله أحد بن عيسى منعزلين عن العالم الاسلامي لمكان مذهبهم الشاذ الا قليلامنهم والحضرمي لابد له من رحلة وسفر فكان أهل الجاعة منهم يرحلون الى اليمن والعراق والشام ومصر ومنهم آل التنعى الذين اوعبوا كلهم الى البصرة وكان الآخرون يرحلون الى جهات افريقية الشمالية والى برقة وقابس وبود ان منهم جع غفير وكانت لهم قرية تسمى بوصى ، فلما اتحد المذهب الحضرمي وذهب الخلاف عادوا يرحلون الى العالم الاسلامي الى الهند وافريقية الشرقية

والجزائر الملايوية والجاوية وكان السادة الحضارمة في مقدمتهم .

وقد كان في أوائل القرن العاشر زمن حرب وسلب وأمور كثيرة تقتضى نزوح الحضرى عن بلاده متلبسا لباس المكافحة والمناضلة . وكانت الروح الحربية شائعة فيهم اذ ذاك وكانت البلاد الحضرمية منقسمة قسمين يتنازع السلطان فيها قبيلان مشهوران وكانت المهاجات بينهما مستمرة وكان أحد القبيلين يتلقى المدد من الأمير التركى بتهامة ، والثانى منهما يتلقاه من امام اليمن ، وانقسمت قبائل حضرموت الى فرقتين فرقة تشايع هذا وفرقة تشايع ذاك ودامت الحال كذلك نحو مائة وعشرين سنة وانتهت بخروج جيش امام اليمن سنة وانتهت بخروج جيش امام اليمن سنة وانتهت بخروج جيش امام اليمن سنة وانتهت بخروج حيث امام اليمن سنة وانتهت بخروج حيث امام اليمن سنة وانتهت بخروج على ملكه.

وكان البرتغال قد أخذوا يهاجون السواحل الحضرمية في أوائل القرن العاشر وكانت أساطيلهم تمخر البحر من سواحل الهند الى سواحل افريقية الى ساحل حضرموت. وهذا البحر هو مضطرب الحضرى فكانت سفن الحضارمة والمهرة كثيراً ماتصادفها سفن البرتغال و يقوم بينهم القتال الشديد فتمرن الحضارمة على قتال البحر واذا انذر أهل الشحر (ساحل حضرموت) بأساطيل البرتغال أرسلوا الصريخ الى داخلية البلاد فكان أهل الفقه والعلم يتسابقون للقيام بفريضة الجهاد وتتبعهم العامة فتجتمع منهم الجموع هناك ترابط حتى تنصرف أساطيل العدو.

وفى شجرات أنساب العلويين ذكر عدد منهم ممن أسرهم الافرنج أو قتاوهم فى الله والمرتبه الشهادة العلية .

وقد زاد فى حية الحضارمة القتال القائم ببر سعد الدين والحبشة وفيه كثير منهم ، وكانت أخباره ترد تباعا الى حضرموت حتى كان السيد مجمد بن الطيب بافقيه العلوى الشحرى يأتى بها مشروحة يوما فيوما في تاريخه .

وقد زاد فى ضيق خناقهم القحط الواقع فى سنة ٩٤٥ حتى أكلوا الجاود. والسيول العظيمة التى وقعت سنة ٩٣٥ فانها اتلفت نخيلهم وأرضهم حتى لم يبق منها الا القليل واضرت عاجهات الجنو بية الغربية من حضرموت ضرراً بليغاً.

فزادت هذه الحوادث الحضري اذ ذاك محبة في الرحلة والضرب في البلاد و بغضا في البرتغال الذين يقطعون عليه طريقه فعزم على مناوأتهم ومطاردتهم فكان لايسمع بمناوع لهم

الا وانضم اليه ولا يحل ببلاد الا وشحنها بغضا لهم ، وقد كان للعانيين في ذاك القدح المعلى ولكن كان عملهم في افريقية الشرقية متأخرا عن عمل الحضارمة بنحو ثمانين سنة فلما ابتدأوا في العمل كان من جلة جنودهم كثير من أهل حضرموت.

وكان عدد العرب بافريقية لذلك العهد كثيراً وكانوا تجاراً قلما يتعرضون للامور السياسية حتى أهاجهم البرتغاليون بعسفهم وظامهم ، وكان العرب على اتصال ببلادهم وأخبارها ترد اليهم في سفنهم الأنباء بأفعال البرتغال في بحر العرب فكان ذلك مما يزيد في نقمتهم عليهم وتسبب عن ذلك قيام أهالي زنجبار عليهم سنة ١١١٠ فطردوهم منها وهاجت عليهم افريقية الشرقية وجزائر القمر واتصلت بينهم حروب زعزعوا بها مركزهم فلم يستقروا الا بسفالة وما والاها . وكان العرب هناك في مقدمة الثائرين بل كأنوا كثيراً مايتولون قيادتهم .

أما العمانيون فقد تولوا زنجبار سنة ١١٩٩

\* \* \*

ما فاتنى التنبيه علمه امتياز العائلة المعروفة بال ابن حسن من السادة العلويين ببعد الهمة ونفاذ العزمة ، والاستشراف الى تنفيذ الشرع الاسلامي وجع الناس عليه ، والتوسل اليه بايجاد القوة المنفذة وأعنى بهم المنتسبين الى سيدنا حسن بن الشيخ على بن أبى بكر فان بنى مجمد المجذوب بن حسنهم أكثر الانفاذ الموجودة بجزائر القمر يبته وسيوى و بزنجار أيضا ، وقد ذكرناهم و بنى أعمامهم بنى عمر بن حسن هم الذين قد دخلت سومطره سيطرتهم وهم سلاطين سيك وهم المعرفون الآن بال شهاب الدين (سيع) الى اليوم وان منهم دو يلة صغيرة في (فرليس) في حاية سيام ، وان ملوك فنتيانق (فنتيانه) من وقد ذكرنا اخوانهم بافريقية ، ومنهم خذ باشي وآخر بمقدشوه ، ومن سلاطين فنتيانق وقد ذكرنا اخوانهم بافريقية ، ومنهم خذ باشي وآخر بمقدشوه ، ومن سلاطين فنتيانق (فنتيانه) من آل القدرى المتوفى بتريم سنة ١٨٧٩ وقد تقدم بقية نسبهم ، وأما ابنه أبو بكر حسين بن مجمد القدرى المتوفى بتريم سنة ١٨٧٩ وقد تقدم بقية نسبهم ، وأما ابنه أبو بكر غقوفى بفنتيانق سنة ١٨٧٧ وفى تاك السنة أيضا توفى أخوه عثمان بن عبد الرحن وهما عقب وقد بلغ عدد آل القدرى بفنتيانق آلافاً وانقطعت الآن صلاتهم أو كادت ببلادهم عقب وقد بلغ عدد آل القدرى بفنتيانق آلافاً وانقطعت الآن صلاتهم أو كادت ببلادهم

واخوانهم ، وأكثرهم يجهل حقيقة نسبه وتبعة ذلك واقعة على كواهل أغنيائنا وسرواتنا ، أما سلطان سولوك سندكان فلفاين فهو من آل العيدروس .

ويما ينبغى الاشارة اليه ان العائلة التى ظننا انها أول عائلة من العلويين دخلت الى القمر هى العائلة التى اشتهر كثير من أفرادها بالبطولة والشجاعة فى حرب المسامين مع الحبشة فان السيد الجد خطيب بته بجزائر القمر بن علوى بن مجمد بن احمد مرزق بن عبد الله وطب المتقدم ذكره قد اشتهر جده السيد مجمد بن احمد بالجهاد كاتقدم ، وأخو جده عبدالله ابن احمد فلا يبعد أن يكون السيد علوى ابن السيد المجاهد مجمد بن احمد قد كان مع والده بالحبشة ثم نزع الى القمر مجاهداً وناشراً للاسلام ، وهذه العائلة وعائلة آل ابن حسن آل سيوى و بته هم أول من دخل القمر يقتضيه السبر بخلاف الانفاذ المنتسبة الى الشيخ أي بكر بن سالم فانما جاءوا بعدهم ولعل أول رحيلهم اليها كان بعد جهاد الشحر والنفير العام الذي نودى به في حضرموت سنة ٧٩٠١ فقد نفر له كثير من المجاهدين من السادة العلويين وغيرهم من الحضارمة وقد منجهم الله النصر فهزموا البرتقال بعد أن احتل الشحر ابن مجمد بن المعلم عبد الرحن بن مجمد المتوفى سنة س١٨٨ ابن على (المتوفى سنة ١٨٨٠) بن سيدنا عبد الرحن السقاف العلوى الحسيني، وكانت حضرموت لاتزال لذلك العهد حية معمورة .

قالوا وقد خرج من نواحی هیتن فقط ستائه فارس فذهبوا مع النفیر العام ور بما یستغرب بعض اخواننا ها و یقول کیف تسع هیتن لهذا القدر ومن أین یجدون لها الحشیش والعلف وها کلام من یجهل التاریخ و یجهل کیف کانت حضرموت وماکانت علیه من العمارة ، ولیس لأهلها فی تلك الاوقات من الاتصال بجهات المعمور وانتشار التجارة والغنی فیهم عشر مالهم الیوم ولکنهم کانوا ذوی محبة لاوطانهم واقتصاد فی شؤونهم وکان همهم موجها الی عمارة بلادهم ولم یکونوا کخلفهم الیوم لاهم لهم الا تدمیر بلادهم ولا هم لأغنیائهم الا جع المال جعا قار ونیا أو بذله لاثارة الفتن وقطع السبل أو للترهات والعوائد والموائد والقصف والترف ، وقد کانت ظفار مثابتهم ومتردد تجارهم ومرعی خیلهم ، وکان لهم ضراوة باقتناء الخیل حتی لقد کان لسیدنا الحسین ابن أبی بکر بن سالم

وحده سبعون رأسا من الخيل ، وقد زار نبي الله هود عليه السلام مرة فزار معه من أبنائه وأحفاده أر بعون فارساً ( وكان معمرا ) .

و يكفيك شاهداً على ما ذكرناه انه لما أسر السلطان بدر بن عبد الله بن جعفر أبو طريوق محمد بن على بن فارس في سنة ١٩٨٨ غضب له نهد فلما أصعد السلطان يريد دوعن اعترضه من السور (١) مائة وستون فارساً من نهد غضبا لصاحبهم ولكن تم الأمر بينهم على اطلاقه وكانوا يستعملون الآلات الحربية القوية في حروبهم فان ثابت بن على فارس النهدى استولى على القرين (٢) سنة ١٤٠ باستعال الرمى بحجر العرادة (٣) ولوجئت اليوم الى بلاد نهد كلها لم تجد فيها فرسا واحداً وأكبر داهية حلت بحضرموت حتى خرب خرابا لا يتصوره العقل هي الداهية التي حلت به سنة ١١١٧ فانها داهية هلكت بها العباد والبلاد و بقيت الى حدود سنة ١١٢٧ ، وجاء في أثناء ذلك الوهابية سنة ١٢٧٠ الى سنة ١٢٢٠ تقريباً فكان مجيئهم ضغثا على ابالة وأعنى بتلك الداهية المتغلبين من يافع على السلطان عمر بن جعفر بن جعفر بن على وكان الذى جلبهم هو السلطان بدر ابن محمد بن بدر أبو طويرق خرج بهم من هناك سنة ١١١٦ وتم استيلاؤه على حضرموت بهم سنة ١١١٧ وقد غلوا يد ولده السلطان محمد بن بدر ثم استقلوا بالأم وجرت أمور يطول شرحها.

ومن عجائب ما يراه الناظر في تاريخ حضرموت ان الأباضية قد جلبوا على حضرموت من المصائب والبلايا والحروب والقتل ما يطول شرحه ولكن لم يؤثر ذلك في خراب حضرموت خرابا عائل ماوقع في الزمن الأخير فانهم باحتلاهم حضرموت واستغوائهم أهلها ورميهم بهم في تلك النحلة قد جعلوا العالم الاسلامي الباً عليهم فصارت حضرموت ميدانا هجمات جنود الاسلام اذ ذاك وأعظم واقعة مشهورة كانت سنة ١٤٠ فان معن بن زائدة الشيباني الجواد المشهور وكان أميراً على اليمن للنصور العباسي غزا حضرموت بجيش جرار فقتل رئيس الأباضية عبد الله بن يحيى وقتل معه من الخوارج خسة عشر ألفاً حتى رجز بذلك الرجاز وأشاد بذكره الشعراء فقال الاعرابي:

<sup>(</sup>۱) بلد من بلدان نهد قد خرب (۲) بلد بدوعن

<sup>(</sup>٣) العرادة آلة أصغر من المنجنيق برمى بها الحصون والأسوار

يا معن من شيبان أنت انتا عامت أهل حضرموت الموتا وقال شاعره مروان بن أبى حفصة فى قصيدة يمدحه بها أولها: أرى القلب أمسى بالأوانس مولعاً وإن كان من عهد الصبا قد تودعا

الى أن قال:

لقد أصبحت فى كل شرق ومغرب بسيفك أعناق المريبين خضعا وطئت خدود الحضرميين وطأة لها هد ركن منهم فتضعضعا فاقعوا على الأذناب اقعاء معشر يرون لزوم السلم أبقى وأودعا فلو مدت الأيدى الى الحرب كلها لكفوا ومامدوا الى الحرب أصبعا

ثم توالت الأمراء على اليمن وحضرموت من ناحية العباسيين فبلغوا الى سنة ٣٩٧ زهاء نيف وخسين عاملا أعنى الى ولاية المعتمد بن أحد المتوكل وكان العامل على عهده مجد بن جعفر فامتنع عليه أهل حضرموت فغزاهم وأخضعهم ، ومعن بن زائدة هو أول من ألزم أهل حضرموت واليمن لبس السواد شعار العباسيين فصار زينتهم الى اليوم ، ولما جاء سادتنا العلويون لبسوا البياض واقتدى بهم وذلك شعارهم وهذا هو السرفى انكار جهور العلويين على من لبس السواد من اخوانهم والتزامهم لبسه الى اليوم .

\* \* \*

ومما وقع فيه مؤرخو الأفرنج من الخبط والخلط ما نقله الأمير شكيب عن المسيو فزان والمسيو رينيه باسه في الجزء الأول من كتاب حاضر العالم الاسلامي في الصفحة ٢٧٤ فننقل ما يتعلق به الغرض مما قالاه ثم نتعقبه ، قال عن المسيو فزان: ان قبائل الاسلام في الجنوب الشرقي من ماداغسكر تزعم أنها سلائل أناس هاجروا الى ماداغسكر من مكة \_ الى أن قال قال المسيو رينيه باسه: يجب الحذر من تصديق هذه الأقاويل فن هذا القبيل أن أسرة مالكة كانت تلى هرر في الحبشة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر فكانت تزعم أن أول من قدم هرر هو عقيل بن على (١) مع أن عقيلا ما وطئ تلك الأرض \_ الى أن قال عن المسيو فزان: ان دعوى الانتساب الى أهل البيت فاشية عند مسلمي السواحل الجنو بية الشرقية والشمالية الغربية من ماداغسكر ولكنه مما لا ينبغي أن يوثق به كشيراً اه ونقول

<sup>(</sup>١) الذي نمرفه أن عقيلا هو أخو على

ان المسيورينيه قد استعجل أمراً كان له فيمه أناة ، وقد كان الواجب عليه أن يعرف المسمى عقيلا بن على وأن يتفطن اكون عقيل بن على لا بد أن يكون غير عقيل بن أبي طالب أخي على عليهما السلام ، وكثيراً ما يؤتي المؤرخ من العجلة و ترك البحث كم يؤتى من الغرض وسوء القصد . وذلك أن هناك عقيلا آخر غير من ظنه وهو عقيل ابن علوى بن على بن مجد بن حدون بن علوى المتوفى سنة ١٤٥ ترجه في المشرع والسنا الباهر ابن محمد المترجم في المشرع أيضاً ابن على الملقب بجحدب بن عبد الرحن المتوفي سنة ٨١٦ بن محمد المترجم في الجوهر والمشرع والمتوفى سنة ٧٤٣ بن سيدنا عبد الله باعلوي المترجم في الجوهر والغرر والمشرع والترياق وشرح العينية المتوفي سنة ٧٣١ وهو ابن علوي. ابن الفقيه المقدم محمد بن على الى آخر النسب المتقدم في المقالات السابقة ، وقد كان السيد على بن محمد جد عقيل المذكور قد قطن هرر من بلاد الحبشة وكان فاضلا وصار له بها جاه واسع وصيت عظم ونفوذ مذ كور مشهور ، وقد توفي ضحوة يوم الثلاثاء سنة ١٠٠٧ وأعقب هناك والعقب منه في ابنه علوى ، وأعقب علوى من عقيل المشار اليه وعثمان. وحميـ دون وكلهم لهم عقب هناك والعدد في ذرية عقيل أكثر من أخويه . ولسنا بصدد التفصيل فأنما المراد التنبيه والاشارة. وقد سبق أن السادة العلويين قد ترددوا الى الحبشة ودمثوها بخطاهم للتحارة والدعوة وكان دخول أول داخل منهم اليها سنة ٨٣٧ - أي منذ ٥٦٧ سنة وكانت تجارتها من بندر زيلع فكان للسادة العلويين بها مقام سام مالى وأدبى . ومن هـذا القبيل تخبط مؤرخي الافرنج في الدعاة الذين أسلم على يدهم الجاويون فتارة يقولون انهم كجراتيون(١) وتارة يقولون انهم فارسيون ولهم في هذا الباب جولات لا تخاو عن تجاهل.

وقد يعتذر عنهم بأنهم رأوا هؤلاء الدعاة يأتون من ناحية تلك البلاد ولا يعرفون حقيقتهم وقد كان العرب الحضارمة وفى مقدمتهم السادة العاويون لهم ترددات الى مليبار وكجرات وكاليكوت وغيرها من البلاد الهندية ولهم بها مراكز تجارية ودينية ، وقد كان لكثير من العاويين رباطات مفتوحة لطالبي العلم وكانت السفن تذهب من ساحل حضرموت قاصدة الى مليبار ثم تأخذ شرقاً على السواحل الهندية ومنها الى سومطرا و بلاد آشى منها

<sup>(</sup>١) أي من كجرات من الهند

وفليمباغ ( فولو امباغ ) فجاوى ، وقد ترجم فى المشرع لبعض عاماء السادة العاويين الذين دخلوا جاوى قبل وصول الهولنديين اليها بمدة طويلة الى آشى منذ ثلاثة قرون ونصف قرن ولا يزال اسم السيد هاشم يدور على ألسنة سكان آشى الى اليوم لأنه كان العامل الأكبر فى الحرب المعروفة بحرب البوقيس قبل أن يطأ بلاد جاوى هولندى ولا غيره ، وآل هاشم هم من السادة العلويين آل عم الفقيه وهم ذوو عدد بينجر ( برنيو ) و بسيلان يرجع نسبهم الى السيد هاشم بن أحد بن علوى بن احد بن عبد الرحن بن علوى المشهور بعم الفقيه الح النسب المتقدم ، وهناك من هو أقدم منهم دخولا الى آشى وهو السيد هاشم ابن مجد المتوفى سنة ٨٧٨ بن عبد الله بن مبارك بن عبد الله المتوفى سنة ٨٨٨ وهو المعروف بوطب ، وهو بن مجمد بن سيدنا عبد الله باعلوى فان السيد هاشما قد دخل آشى ومكث بها حتى توفى وفى آشى مقابر محتوية على كشير من السادة العلويين وقد تولى منهم عدة سلاطين فى تلك الجزيرة وهو أمم معروف عند الأهالى وان تعامى عنه المتعامون

ولا يزال أهل آشى يطلقون على كل عربى لفظة حبيب وهذه الكلمة هى اللقب الذى يدعى به كل سيد علوى ولم نرفيا قرأناه مما كتبه الافرنج انصافا الا فى مقالة نشرتها مجلة فانحى فستاكا التى تصدر من ويلتفريدن فى عددها الخامس عشر الصادر فى ٣٣ فبراير سنة ١٩٢٦ فانها ذكرت تعاهد الحبيب حسين القدرى جد سلاطين فنتيانق فبراير سنة ١٩٢٦ فانها ذكرت تعاهد الحبيب حسين القدرى جد سلاطين فنتيانق (فنتيانه) هو وثلاثة من اخوانه من العلويين وهم السيد أبو بكر العيدروس والسيد عثمان باحسين السقاف (۱) والسيد أحد الكوريس (۲) واتفق هؤلاء الاربعة بعد الحصول على الاذن لهم من شيخهم بمليبار (۳) على التوجه الى الشرق للدعوة الى دين الاسلام فاقام السيد أبو بكر العيدروس باشى وأما باحسين (٤) فاقام في سيك (سيع) واقام السيد محمد فى ترنقانو (٥) ثم ساقت المجلة ترجة الحبيب حسين القدرى وتولى ولده عبد الرحن بن حسين ترنقانو (٥) ثم ساقت المجلة ترجة الحبيب حسين القدرى وتولى ولده عبد الرحن بن حسين

<sup>(</sup>۱) الصواب عثمان بن عبد الرحمن بنحسن وهو أول سلطان بسيك ( سيع ) بسومطرا من هذه العائلة (۲) لعل الصواب الكريشة تصغير كرش فيكون هو السيد احمد بن علوى بن بركات بن محمد كريشة العلوي ، وقد توفى بالهند وله عقب بجزائر القمر بهنزوان

<sup>(</sup>٣) كذا قالت ولعله سيدنا شيخ بن علوى الجفرى مؤلف كنز البراهين وغيره المتوفى سنة ١١٧٢

<sup>(</sup>٤) الصواب بنحسن ويعرفون الآن في سيع بال شهاب

<sup>(</sup>ه) هكذا قالت ولم يتقدم لمحمد ذكر وقد اشتهر بترنقانو آل محمد وزين ابني حسين بن مصطفى العيدروس المترجم في مراءة الشموس فان لهم بترنقانو ذرية مباركة فيهم علماء نفعوا كثيراً ، وكان السيد محمد بن زين ابن حسين اماماً كاملا وعالما عاملا له صيت كبير يحضر درسه نحو ألف نفر فليحرر

سلطنة فنتيانق الخ ما فيها فليراجعه من اراده ، وقد كان بجزيرة سمبه (سومبه) من جزائر التيمو رسلطان من آل القدرى الى زمن دخول هولندة اليها وله ذرية هناك معروفون ، والمقصود انه من المحتمل أن يكون من تكام فى هذا الموضوع من الافرنج انما جاءه الوهم من جهة أن اولئك الدعاة انماجاءوا من طريق الهند وهذا صحيح فانه ما كان أحد يلج من حضرموت الى جاوى بل كانوا يسير ون اليها من الهند كما تقدم وكانت الهند مثابتهم بل قد تأسست بها دول كان من العوامل فى تأسيسها بعض السادة العلويين كملكة الملك عنبر فقد كان من العوامل الكبرى فى تأسيسها ارشادات الحبيب على بن علوى بن محمد الحداد العلوى ، ولذلك قصة غريبة ذكرها فى عقد الجواهر والدرر ونقاها عنه صاحب خلاصة الأثر فلتراجع ، وما كان الامير جوهر سحرتى الا تلمية الشيخ الامام شيخ بن عبداللة العيدروس العلوى ولذلك لما توفى اعتنى بهالسادة وجهزوه وكان له مشهد عظيم ودفنوه فى مقبرة السادة والعرب تحت مدينة بيجافور ، ترجه فى عقد الجواهر والدرر ونقله عنه صاحب خلاصة الاثر ، ولا يحتمل المقام بسط عالهم هناك وتعديد من دخل من الخاذهم الى علماء فارس وفى كارمهم توهمات وظنون لا تخفى على المتأمل .

ولايزال اناس ممن دخل جاوى منذ قرون ينتسبون الى آل باشيبان أحد أفاذ السادة العلويين و يصلون أنسابهم بالدعاة المغار بة (۱) أعنى الموجودة قبو رهم بموجو أقونغ ودونك مثالا واحدا من الانساب التى بايديهم فنهم الآن كياهى (أى العالم) منصو ر بن طه بن مجد باقر بن مجاهد بن على اصغر بن على اكبر بن سلمان المقبور فى بلد موجو أقونغ بن عبد الرحن بن عمر بن مجد بن أجد بن أبى بكر الشيباني العلوى وآل باشيبان منهم عدد كشير بشر بون وف كالونقان (باكانقان) وغيرهما وعبد الرحن الذى ارجعوا انسابهم اليه توفى سنة ۱۷۴ وابنه عبد الله توفى باشى وله عقب بالهند ببلقام والدكن وله ابن يسمى شهاب الدين قد خفى حاله ولم يذكر وافى الشجرات أعقب أم لا ، ولم يذكر واسلمان هذا فلا بد من بحث وتنقيب فان المواصلات كانت قليلة بين حضرموت وجاوى ولا سما فى القرن العاشر بسبب حروب البرتقال وغيرها فينبغي أن يبحث عن تاريخ عبد الرحن هذا والبلاد

<sup>(</sup>۱) لعلهم أطلقوا عليهم المغاربة لأنهم جاءوا من غرب جاوى وكل جزيرة العرب غرب بالنسبة الى جاوى « م ۱۲ ـ ثالث »

التى رحل اليها وتروج بها ولنا عودة الى هذا الموضوع ان شاء الله ، أما عدد الآباء فى نسبهم الى أمير المؤمنين على عليه السلام فيبلغون على ما حكيناه عنهم اثنين وثلاثين أبا على أن عدد الآباء فى نسب الطبقة الحاضرة من العلويين يتراوح بين ٣٤ و ٣٥ و ٣٦ أبا ، أما السيد عبد الرحمن صاحب المقام بشربون وفاتح بلاد السوندا جيعها وناشر الاسلام فيها وماحى آثار الشرك بها وابنه بصرى (١) المتملك بشربون وابنه حسن المتملك ببانتن من بلاد السوندا بجاوى فقد أقر مؤرخو الافرنج بأنهم لا يعلمون أصله من أى قوم وكانت وفاة السيد آبى بكر باشيبان جد آل باشيبان بعد الثما عائة ووفاة ولده أحد سنة ١٠٨٠ ، وقد كان السيد عمر بن عبد الله بن عبد الرحمن باشيبان العلوى المتوفى سنة ١٠٦١ ببلقام من بلاد الهند عمن تصدر للنفع والقيام بنفقة الطلبة وكان الملك عادل شاه قد سوغ له خراج جرام موضع قرب بلقام وكان ذلك بعد أن أقام مدة بجوار الملك عنبر ملك الدكن وقد قلنا ان أباه عبد الله توفى باشي فهل يكون السيد عبد الرحن فاتح السوندا من أحد انسبائه ينبغي اعام البحث في هذا الموضوع ولنا اليه عودة ان شاء الله تعالى .

أما الكلام في بقية أفاذ السادة العلويين المنتشرة في سومطرا و برنيو وجاوى وملاكا (ملقا) وجزائر التيمور فيطول ولا تزال غالب انسابهم محفوظة وان كنا نخاف الآن ضياع أنسابهم وآدابهم وعوائدهم وسائر مميزاتهم اذا طال نومهم ولا سيا وقد سرت العجمة الى أكثرهم ودب داء التفرنج العضال الى كثير منهم ولا قوة الابالله .

\* \* \*

وقد أهدت الى جريدة حضرموت الغراء ما جاد به اخوانا العلامة عمر بن أحمد ابن سميط العلوى قاضى زنجبار الآن عن بيان نسب السادة المعروفين با آل بتة قال حفظه الله : من أولاد شيخان بن حسين بن الشيخ أبى بكر بن سالم عدد بلامو وممباسه و زنجبار ويدعون با آل بتة ، من الموجودين الآن منهم بلامو سالم بن عبد الرحن بن أبى بكر وهذا هو الملقب ببتة لكونه ولد بها وهو ابن أحد بن عبد الرحن بن أبى بكر بن أجد بن أبى بكر وهذا بكر وهذا هو أول من طلع من حضرموت وهو ابن عبد الله بن شيخان .

ومن أولاد شيخان بن حسين بن الشيخ أبي بكر بن سالم عدد بلامو وزنجبًار

<sup>(</sup>١) يحرفه الجاويون فيقولون بصريان

لا ينسبون الى أبى بكر بتة ، من الموجودين منهم الآن محمد بن عبد الرحن بن أبى بكر بن عبد الرحن بن أبى بكر بن عبد الرحن يجتمع مع أبى بكر بتة فى عبد الرحن بن أبى بكر بن أحد بن أبى بكر بن عبد الله بن شيخان بن حسين بن الشيخ أبى بكر بن سالم .

وأما أولاد على بن أبى بكر السكران فنهم عدد بلامو وسيوى و يدعون هناك با آل السقاف ، ومن الموجودين منهم الآن بلامو عمر بن محمد بن عمر بنتهى نسبه الى عبد الله ابن عيدروس بن عبد الله بن عيدروس بن حسين بن الشيخ على بن أبى بكر السكران ، ومما تقرر يعلم ان آل بته هم من ذرية شيخان بن حسين بن الشيخ أبى بكر بن سالم لا من ذرية على بن أبى بكر السكران كما تبادر الى الذهن ، و بته هى من البلدان الجنو بية ( بافريقية الشرقية ) الواقعة فى عرض ٢ ر ٢ وطول ٤٠ ر ٣٧ كانت فى الزمن الغابر معمو رة بالعلوم والعلماء وأما اليوم فليس بها أحد عمن يشار اليه اه فنقدم شكرنا لأخينا السيد عمر وترجوه أن يمن علينا بشى من وقته الثمين و يطالع ما جاء فى الجزء الاول من حاضر العالم الاسلامي صفحات ٣٩٣ و ٣٩٨ و ٣٩٨ و ٥٠٣ وما بعدها من أسهاء سلاطين هنزوان وانقيزيه وترتيبهم وسلسلة أنسابهم فانه أقدر الناس على حفظ ذلك والبحث عنه أبقاه الله ذخيرة للسامين والاسلام .

وقد آن لذا أن نذكر معاومات مهمة عن شاهد عيان خبير تردد الى ماداغسكر وجزائر القمر منذ خسين سنة وهو الشيخ محمد الكلالى الشهير فقد أبلغنى بعض اخوانى انه لتى الشيخ محمد المذكور ليلة فى بتاوى فى احدى ليالى شعبان سنة ١٣٤٤ مع جاعة من الاخوان وتحادث معه فى المقالات التى نشرتها جريدة حضرموت الغراء فافضى اليه بلعاومات الآتية وقد كتبها عنه ذلك الاخ واستأذنه فى نشرها فاذن له قال: (مداغسكر) جزيرة كبيرة عظيمة كثيرة الخيرات والغلال يسكنها شعبان عظمان من شعوب البشر أحدهما يعرف بالسكلافا (بفتح السين والكاف) وهم على سواحل الجزيرة وأطرافها وسحنتهم أشبه شئ بسحنة العرب وكانوا قبل احتلال فرنسا لمداغسكر يكتبون بالحروف العربية والغة العربية ويزعمون أنهم عرب ، ولكنهم ليسوا بمسامين ، ثانيهما البلامبو ويقال لهم أيضا الهوته (بضم الهاء) وهم أشبه الناس بالملايو ولغتهم محرفة عن لغة الملايو وأعدادهم مركبة من أعداد الجاوى والسوندا والملايو وهى ريكي . ديوا . تياو . ايفت .

ديمي شيتو. فيتو. والو. سيوى. فولو. ويسمون الشراع لاي. والصدر. دا. والتمساح وى ، فهذا كله محرف عن شبهه من لغة الجاويين والسونداويين والملايو وهو سيجى . دوا. تلو. اوفت. ليمو. فيتو ( صحيحة غير محرفة ) أولو. سغو (١) سفوله دادا. لايا. بوايا وكانوا رجال حرب شجعانا وتتجند نساؤهم للحرب ويقاتلن بشجاعة وبسالة نادرتين قال وقد رأيت جنداً من نسائهم يقاتلن الفرنسيس متوشحات ومتمنطقات بمناطق رصاص البنادق قال: ولفد كنا مرة في مرسى مجنقا (بكسر أوله وفتح ثانيه) في سفننا وقد كومت غلال الارز والذرة على الساحل كأنها الجبال أعدوها لمجيئ التجار وقيام السوق فلم نشعر الا بمركب حرى فرنساوي قد وصل الى المرسى وأمرنا بالخروج منه فخرجت السفن كلها فدنا من البلدة وضربها بالمدافع فأحرقها وأحرق غلاها حتى اذا تركها جحما تتسعر عاد ادراجه والنار تأ كلهم وتأكل بيوتهم وغلاهم . أما الجزر الاربع فهذا ترتيبها من الشمال الى الجنوب. انقيزجه موالى ( بضم المم وفتح الواو بعدها ألف ولام مكسورة ) هنزوان. ميوتا ( بميم مكسورة فياء مشددة مفتوحة فتحا غير محقق فتاء بعدها ألف) أما انقيزجه فقد أدرك بها سلطانا من آل الشيخ أبي بكر بن سالم العلوى خرجته فرنسا بعد ان وقع في حبائلها بعــد سنة ١٢٩٩ تقريبا فسار منها الى ميوتا وأقام مها حينا فلم تطب له فانتقل الى مداغسكر الى بلديقال له سلالا ( بفتح السين ) فلم تطب له أيضا فسار عنها الى زنجبار ومنها الى المكلا ساحل حضرموت. ثم خرج الى سيوون من وادى حضرموت ونزل عند الحبيب العارف بالله على بن مجد الحبشي العلوى وقرأ عليه مدة في العلوم النافعة ثم بعد مدة احتاجت اليه فرنسا فارسلت مركبا حربيا الى المكلا وطلبته من هناك وأعادته الى انقيزجه ملكا كما كان . ومن كبار ذوى النفوذ سيد من آل الشيخ أبي بكر العلوى في شيله ( بفتح أوله وثالثه وسكون الياء ) وكان يسمى مكه بريكي، قال وهؤلاء هم الذين يعرفون بال بتة لأنهم نزلوا أول دخولهم الى افريقية الشرقية ببلد بتة وهي بساحلها الجنوبي وهم يدعونه ( بانا مكه بريكي ) ومعني بانا سيدي .

<sup>(</sup>١) الغين على هذه الصورة تلفظ فى لغة الملايو والسوندا غينا مشوبة بغنة واضحة وتنقط بثلاث نقط يدلا من نقطة واحدة وهكذا ما تقدم من أسماء البلدان الملايوية والجاوية مثل فكولوغن فحقيقة رسمها فكولونغن فليقس على ماذكرناه مالم نذكره

وأما موالى فسلاطينها السادة آل القدري (١) فنتيانق (٢)

قال: وأما هنز وان فاردك بها سلطانا من العلويين يسمى السيد عبد الله وكان أعمى وكان عنده عدد من فبريكات السكر ودخلت فرنسا هنز وان على عهده وقد احتلتها في حدود سنة . ١٣٠٠ ثم تولى بعد السيد عبدالله الأعمى صاحب هنزوان السيد علوى و يسمونه منيو علاوى (٣)

وأما ميوتا فهى من أغرب الجزائر وذلك أن الله قد أعاطها وسورها بسور حجرى خلقي يفصله عن الجزيرة خليج مستدير بها فكائها قد تسورت بسوارين من فضة وزبرجد أو كأنها دارت بها دائرتان من ماء فحجر ثم و راء ذلك البحر وليس لهذا السور الطبيعي الخلقي الا منفذان متقابلان و يوجد فيها قصب السكر مثل هنزوان ، وقد أدرك بها السيد عمر من الل الشيخ أبى بكر وكان عالما فاضلا قال دخلت عليه فوجدته محاطا بكتبه العامية من كل ناحية وهو في قسم الجزيرة المسمى مسفيرا ( بكسر الميم وفتح السين والفاء المشدة) والقسمان الآخران في نزى ( بفتح فألف فنون سا كنة ) ومميو ( بميمين مفتوحتين و ياء مشددة مضمومة ) و يوجد بانقيزجه كثير من بني يعرب و بني نبهان أهل عمان قد سكنوها وهم من ذوى الثراء بها ، وكان لبني نبهان بها بلد تسمى مويرا ( بضم ففتح فسكون ) وكانت ولادة السيد العلامة المحقق الشاعر الناثر قاضي زنجبار أحد بن أبى بكر بن سميط العلوى المتوفي أوائل العام الماضي بانقيزجه .

وقد ذكر الشيخ محمد الكلالى من أحكام فرنسا الجبروتية ما يعرفه كل أحد وان تجاهله المستأجرون الذين يصفونها بناصرة الأمم الضعيفة والام الحنون! اه فنشكر الشيخ محمد على ما أفادنا به من ذلك وقد ضبط موالى كما تقدم وهي في كتب الانساب عندنا مولاي وكذلك ذكرها في نهاية الارب للنويري فانه ذكر جزيرة القمر قال وتسمى

<sup>(</sup>١) قد علم القارى أنهم أبناء عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله بن محمد الشهير بجمل الليل وآل القدرى سلاطين

<sup>(</sup>٢) فنتيانه هكذا ينطق بها العرب وهو الصواب فان قاعدة الملايو أن يكتبوا الهاء والهمزة المتطرفة في لعتهم قافاً وينطقوا بها همزة فلما عانى لغتهمالأوربيون قرأوها قافا فوقع من أجل ذلك خبط فى الأسماء واللغة الملايوية طويل الذيل، تقدم ذكرهم هم أبناء عمهم يجتمعون معهم في محمد جمل الليل

<sup>(</sup>٣) منيو بلغتهم هو السيد وعلاوي محرف عن علوي

جزيرة ملاى وذكر من بلدانها كيدانه وملاى وغيرها راجع الجزء الاول صفحة ٧٤٧ منه فلعل اسمها تحرف على طول الزمان .

وقد استدرك علينا الشيخ الكلالى اهمالنا آل النضير من الخاذ السادة العاويين عقد مقد صدق في ذلك وظهر لنا اننا أغفلنا غيرهم أيضاً كالل بافرج وآل على لالا وآل الحداد وآل البار وغيرهم .

فأما آل النضر فهم من آل عم الفقيه ومنهم بمقدشوه عدد ليس بالقليل وعدد بسورت من بلاد الهند وهم بنو مجمد النضير بن عبدالله بن عمر المعروف بابن الصنهجية (۱) وهذا هو الملقب أجر العيون أيضاً ابن عبدالرجن المعروف بصاحب مسجد بابطينة (۲) ابن أجد بن علوى بن أجد المتوفى سنة ۲۱۳ وهو عم الفقيه المقدم ويكنى به فيقال عم الفقيه بن مجمد صاحب مرباط الخ النسب المعروف ويجتمعون هم و بنو عمهم آل هاشم في أجد بن علوى المذكور وآل باهاشم منهم عدد بينجر (برنيو) وسيلان وقد دخلت العجمة في بعض أساء آل النضير بمقدشوه فانك تجد وني موجود . منيا . مباني . مقالو . ودخول العجمة في الأسماء آخر حلقة تنقطع بها صلتهم بماضيهم و يتم معها اندغامهم في غيرهم وامحاء رسومهم ، وأما آل الحداد فنهم بمقدشوه ما عبدالله بن عمر بن مجمد بن عمر بن عمر بن عمر بن عمر بن عمر بن عمر بن عمد بن عبد الله بن أحد بن عبدالله بن عمر بن عمد بن عمد بن عبد الله بن أحد بن عبد الله بن عمد بن علوى علوى الفقيه .

وأما آل على لالا فهم من آل عم الفقيه أيضاً ومنهم هناك آل أبى بكر بن علوش ابن نور بن أحد بن على لالا وهو ابن أبد بن على ين لالا ومنهم آل خلف بن نور بن أحد بن على لالا وهو ابن أحد بن حسن الطويل بن محمد بن عبد الله بن أحد بن عبد الرحن بن علوى عم الفقيه ، وأما آل بافرج فيرجع نسبهم الى فرج المتوفى سنة ٢٧٨ بن أحد بن محمد بن عبدالله بن وأما آل بافرج فيرجع نسبهم الى فرج المتوفى سنة ٢٧٨ بن أحد بن محمد بن عبدالله بن

<sup>(</sup>١) أمه من الصناهجة قبيله من حمير بحضرموت كانت لهم قارة الصناهجة المعروفة هناك وكان يضرب بها المثل في العظم فيقال أعظم من صنهاجة

<sup>(</sup>۲) اسم مسجد مشهور بتریم هو الذی بناه

أحد بن عبد الرحن بن علوى عم الفقيه ومنهم هناك نور ومجد وأحد بنو عثمان بن مجد بن أبي بكر بن نور صادق بن أحد بن صادق بن أحد بن نور بن سعد الدين بن مجد بن أبي بكر بن نور بن عثمان بن أحد بن صادق بن أحد بن ابراهيم بن مجد بن عبدالله بن حسن بن أحد بن عبدالله بن مجد بن عبدالله وهدله ومقدشوه و بها أناس من آل البار وغيرهم فلا نطيل بذكرهم.

ومماذكرناه يظهر ان آل النضير وآل بافرج من أقدم من رحل الى افريقية من العلويين الذين تدير وها فان لهم هناك ماينيف على ثلاثة قرون ، أما من تردد اليها ولم يتديرها فنذ مايناهز سبعة قرون ، وأما سلطان انقيزجه الذي ذكر الشيخ مجمد الكلالى خروجه الى حضرموت فقد ذكرناه سابقا وهو أبو بكر بن عبد الرحمن بن أبى بكر ذكره في كتاب شمس الظهيرة وفي شرح الصدور.

ثم ان لنا الى ذكر حاضر العلويين ومستقبلهم لعودة بعد عودة كلما سنحت الفرصة ان شاء الله تعالى .

وانى لأشكر من صميم فؤادى جناب الأمير الشهير والعلم الساطع المنير على ما أظهره من العناية بمقالاتى الملفقة وأسأل الله له عمرا مديداً وخيراً مزيداً وتأييداً على ماوقف نفسه عليه من النفع العام للسامين والاسلام والتمس منه أن لايضن على إخوانه المسامين في مشارق الأرض ومغاربها بأمثال تلك البينات الواضحة والهدايات الصريحة وان يزيدنا من ذلك ما وجد الى الزيارة سبيلا فلقد بين لنا من تاريخ حاضر الاسلام وحال أهله في مختلف الأقاليم ما كشف به عن أبصارنا الغشاوة وأزاح به عن عقولنا حجب الجهالة فجزاه الله عن الاسلام وأهله خير الجزاء.

ثم انى أحث اخوانى المسلمين على اقتناء ذلك الكتاب أعنى كتاب حاضر العالم الاسلامى والاطلاع على مافيه ممالا يستغنى عن معرفته من يهمه مستقبل المسلمين والله الموفق والمعين .

محد بن عبد الرحن

بتاوى:

## الامير عيل بن عبد الكريم

## زعيم الريف

## لفيركب

لا نبالغ اذا قلنا ان الأمير محمد بن عبد الكريم ، متولى كبر الثورة على الأسبانيول في شمالى سلطنة المغرب ، هو في التوة الحاضرة ، بطل الاسلام ، وأسده الضرغام ، والعلم المفرد الذي سار بذكره القاصي والداني والخاص والعام ، لا بل اذا نظر الناس بعين الانصاف يجدونه بطل العصر الحاضر بين جيع الأمم لا بين المسلمين وحدهم .

وذلك أن العبقرية لا يجب أن تحدد على نسبة الأعمال التي يقوم بها الانسان من حيث الأهمية بل على نسبة الأعمال من حيث الوسائل التي يملكها عند العمل . فاذا نظرنا الى رجل عظيم قام فى دولة عظيمة ، و بسط يده الى ما حوله ، فامتلأت بالوسائل والأسباب الكافلة بحصول المرام ، الواقعة على طرف الثهام ، ففاز بالغلبة على العدو ، أو بالمام مقصد من المقاصد العالية ، فليس فى ذلك من دواعى الاعجاب ، ما فى عمل رجل عظيم ، اذا بسط يده وجدها خلاء من كل شئ ، سوى بعض المواهب الفطرية ، واذا نظر فيا حوله ، لم يجد من جيع أسباب القوة سوى قوة الارادة . لهذا لا نجد فى شخصية « المارشال فوش » قائد جيوش دول الحلفاء ، الذى حاز الغلبة القاطعة فى أعظم حرب عرفها التساريخ ، ولا فى شخصية « المساريخ ، ولا فى شخصية « المساريات ، ولا فى شخصية الغازى مصطفى كال ، الذى أحيى الدولة التركية بعد أن أرادت انكاترة أن تطويها طي السجل للكتاب ، ولا فى شخصية لنين ، الذى ثل عرش أعظم قيصرية فى العالم وحل محلها بحكومة صعاليك مفاليس لم يسبق لها مثيل على وجه الكرة ، ما نجده من حقيقة الرجولية ، والبطولة ، وجد الفضل ، والخصل ، التى فى شخصية محد بن عبد الكريم الريفى الذى تغلب على دولة اسبانية وأجبرها على الجلاء عن شخصية عمد بن عبد الكريم الريفى الذى تغلب على دولة اسبانية وأجبرها على الجلاء عن الريف .

فان « فوش » عندما انتصر على جيوش الألمان ، كانت تحت قيادته نحو خسة عشر مليون جندي تامة العدد والاعتاد ، وراءها سبعة وعشرون دولة هن " أكثر سكان المعمور وأوفرهم ثروة . وان هندنبورغ عند ما تواقف مع هذه السبع والعشر بن دولة مجتمعة ظهرة واحدة على دول أربع لا يساوين ربعها ولا خسها ، انما كان على رأس الجيش الألماني الشهير أحسن جيوش العالم در به ونظاماً واتقان عدة . وان مصطفى كال نهض بأمة قديمة العهد بالاستقلال ، حديثة العهد باتساع السلطنة والبسطة ، مفطورة على حب الغزو والقتال ، مالكة لكثير من أسباب الدفاع ، قد أراد لويد جورج أن يحرمها كيانها السياسي دفعة واحدة ، وأن ينزلها من السنام الأمجيد الى الخضيض الأوهد ، ورماها بدولة صغيرة كالدولة اليونانية ليست بكفء للترك في قوة ولا منعة ولا عدد ولا نخوة ، فتمكن مصطفى كمال ورفاقه بحسن قيادتهم واستبسال أمتهم التي عرض عليها الموت صلحاً ، فا ترت الموت حربلًا و بتراخى ميادين القتال على جيش نظير الجيش اليوناني مدة سنوات متوالية أنقضت ظهره وأوهت صبره ، فقهر مصطفى كمال العدو وأخرجه من الأناضول ، وأخذه أخذاً عزيزاً ، وأعاد لتركية وجودها السياسي الذي لم يكن من السهل نزعه منها. وان لنين كان يمثل ألوفاً ومئات ألوف من الصعاليك الذين كانت لهم جعيات واشجة العروق في جيع البلاد ، على حين قد ضرست الروسية الحرب الكبرى تضريساً أتى فيها على الحرث والنسل ، وانشب فيها أنياب الجوع ، فتهيأت فيها الفرصة لثل أعظم عرش بنيت قوائمه على الظلم والغشم ، وامتهان الشورى ، وتقديس ارادة الفرد ، والعمل باهواء اللذات والمودات ، والعبث بحقوق الشعب، فكان أعظم عامل للانقلاب الهائل هو رد الفعل، وأقوى نصير للنين على تأسيس الحكومة الشيوعية هو ما ينشأ من تجاوز الحد من تحول الأمر الى الضد ، سنة الله في الخلق وما لسنة الله من مرد.

أما محمد بن عبد الكريم ، فانه قد تغلب على اسبانية ، وهزم جيوشها عن الريف ، وهو بالقياس الى اسبانية بمثابة واحد الى أر بعين فى العدد ، وأقل من ذلك فى العتاد . وهم ناقياس الى اسبانية بمثابة واحد الى أر بعين فى العدد ، وأقل من ذلك فى العتاد . وهم ناقيا تقدير قد يكون فيه نقص أو زيادة ، ولكنه على كل حال لا يخرج منطقة الريف بحملتها عن هذه النسبة . فقد قيل ان عدد سكان الريف الذى تدعى اسبانية « حايته » هو نصف مليون نسمة ، وقيل انه ستمائة ألف ، وقيل انه سبعائة ألف وقيل بل هو لا يزيد

على أر بعمائة ألف. وليس للريف احصاء محرر، ولا لسلطنة المغرب كامها احصاء وثيق، وانما الذي نسمعه أن الريف هو سبع السلطنة المغربية ، فاذا كان المغرب سبعة ملايين فيكون الريف مليوناً ، اللهم الا إذا قيل ان رقعة الريف أقل سكاناً من سائر المغرب بالنسبة الى المساحة. فلهذا لم يكن في الريف مليون نسمة. أما منجهة الثروة فلا ثروة في هذه المنطقة وَفَى الحقيقة لاريف في الريف (١) وسفوح جبال الريف لا تجرى فيها الأنهار كما في سفوح الجبال الأخرى كالأطلس مثلا. وأعظم مدن الريف هي سبتة ، ومليلا ، وهما من المدن الاسبانية من القديم ، ومنها تطاون ، والعرائش ، وكلها لاأهمية لها في جانب مدن المغرب. فلهذه الأحـوال والظروف كان بدعا لاينظر في التاريخ، وسراً تحيرت فيـه العقول، ان يتمكن ابن عبد الكريم من طرد الاسبانيول بعد حرب ضروس استمرت عدة سنوات ، وان يخرج من هذه الهيجاء ظافرا ، في عصر لم تتعود فيه أو ربا أن تجد أمة اسلامية غالبة على أمة مسيحية ، ولا أن ترى أمة متبدية أو غير متمدنة ظاهرة على أمة متمدنة راقية . لاسما وهوة الفرق بينهما عميقة جداً في العدد والعدد. فإن مملكة اسبانية عدد سكانها ٢٧ مليوناً ، وهي مجهزة مجميع أدوات الحضارة العصرية ، وجيشها معدود من الجيوش المنظمة التي لاتقل عن سائر الجيوش الأوربية دربة ونظاماً ، وجودة سلاح ، وتفنن ضباط. وقد ساقت اسبانية الى ميدان حرب الريف فيالق جرارة . كانت تبلغ مائة ألف جندي أحيانا و ١٥٠ ألفا الى ٢٠٠ ألف . وقرأت ساعة تحرير هـنه السطور في جريدة « الجورنال » الباريزية ، رسالة لمكاتب هذه الجريدة في الريف ، يصف بها « الخزامي » مركز الأمير مجد بن عبدالكريم ، ويذكر فيها ملاقاته معه . وقد ورد فيها في موضع الدهشة من أمر هذا الرجل « انه هو الذي قهر جيشا عصريا عدده مائة وخسة وسبعون ألف جندي اسبانيولي ». فكيف كانت الحال فرب الريف هذه ، وظهو ر الريفيين فيها ، هما من بواهر الآيات وخوارق العادات، ومحمد بن عبدالكريم رجل أخذ مكانه من التاريخ وأخجل هزة بأو وعجب ، فتذكر عظمة عمل ابن عبد الكريم ، مع فقدان جيع الوسائل التي لا يتأتي

<sup>(</sup>١) الريف في اللغة هو ما قارب الماء من الأرض ولذلك يطلق أحياناً على الساحل وعلى المكان الذي فيه المياه والحضرة . والريف هو أيضاً الحصب والسعة

الظفر بدونها ، رأى نفسه غير عظيم بجانب ذلك العبقري الكبير. ولا جرم أن حرب الريف ومقاومة السنوسيين في طرابلس ، قد رفعت من شأن الاسلام ، وحدت أو ربا على أن تحسب له حسابا ، ولا تسترسل في الاغترار الى قوتها ، والاحتقار للامم الاسلامية التي كانت تحسبها بتجردها من السلاح الحديث ، انما قد انطوى بساطها . فاور با اليوم . ولا سما دول الحلفاء « انكاترة وفرنسا وايطالية » صارفة جد اهتمامها الى منع السلاح عن الأمم الاسلامية بجميع الطرق ، ومراقبة سواحل افريقية ، وآسية وأمضاء المعاهدات والمواثيق الدولية بعدم بيع الاسلحة الى الأمم التي « مدنيتها من الدرجة الثانية » تريد أن تعبر بذلك عن الأمم الاسلامية ولم يذهب قلق هذه الدول بمجرد منع الآلات والاعتاد الحربية عن هذه الأمم ، حتى قام رجال سياستها يتشاورون ويدوكون في عمل ما يسمونه « جبهة » بازاء الاسلام ، على أثر تسحب الجيش الاسبانيولى مدحوراً عن الريف ، وثبوت استقلال الحكومة الريفية تحت امارة ابن عبد الكريم. ففرنسا قامت وقعدت ولم تكتم جرائدها كونها لا تطيق استقلالا اسلاميا بجانب المغرب، والجزائر، وتونس، وعلى ساحل البحر المتوسط. وانكلترة ، خشيب مغبة ظفر الريف في استئساد الاسلام شرقاً وغرباً ، وصيرورة قصة الريف مثالا يحتذى عليه ، فتهيج له الخواطر في مصر ، و بلاد العرب ، الى الهند . وايطالية ، واقعة مع طرابلس في حيص بيص ، فلا تزيد أخبار الريف عزائم الطرابلسيين الا ثباتا.

وقال الكابتن سينسر برايز على أثر عودته من زيارة الأمير ابن عبد الكريم في حديث له مع مكاتب جريدة منشستر غارديان:

« ذهبنا براً من طنجة متنكرين بملابس عربية فاجترنا المناطق الجبلية وأول ما أدركناه هو أن بلاد الريف وعرة المسالك ، كثيرة الأودية والمرتفعات الشاهقة ، وهي شقة من الارض يبلغ طولها نحو ثلاثما ئة ميل ، وعرضها نحو سبعين ميلا الى الشرق من طنجة ، وهي أوعر الأقطار التي رأيتها في حياتي . وليس في داخليتها طريق معبدة ما ، اللهم الا طريقان ينشئهما اسرى الاسبانيين الآن قرب اجدير ، وقد أ شأ الاسبانيون طريقا عسكريا من تطوان الى ششوان ولكن لا يمتد من هذه الطريق فروع الى أماكن أخرى .

« أما نحن فاننا ذهبنا الى أجدير على ظهور البغال ، وكان يرافقنا خسون خيالا من العرب وقضينا عشرة أيام فى السير من طنجة الى اجدير . وعند عودتنا ، ساءت المسالك فى سبيلنا لأن الأمطار هطلت والأودية فاضت بالأنهر ، فصرنا نتر بص فى السير ريما يهدأ ثو ران الطبيعة .

« ومما لحظناه ، أنه على الرغم من الخللف الذي كان متأصلا بين القبائل ، تمكن عبد الكريم من توحيد نزعاتها ، وجع شتاتها ، وضم أطرافها ، فأصبحت كتلة واحدة تأتمر بأمره وتحارب الاسبانيين الى جانبه .

« وقد ذهبنا الى سنادة ، حيث مركز الاسرة الشريفة ، فاستقبلنا سيدى هنيدو الوزانى رئيس هذه الاسرة ، وأدبت لنا الما دب الشائقة حسب عادات القوم ، حتى ضقنا ذرعا بكرم الوفادة ، وحسن الضيافة . وزرنا أماكن لم يزرها أوربى بعد ، مع أنها لا تبعد عن جبل طارق سوى ٣٠٠ ميل .

«أما ما قيل عن ان الريفيين يسيئون معاملة اسرى الحرب ، فقد عرفنا بالاختبار أنه كذب صراح . فالاسرى يعاملون معاملة حسنة ، و يستخدمون في انشاء الطرق . ولا صحة أيضاً لما يقال عن ان الاسبانيين يكثرون من استعال الغاز الخانق ، فهم رجال قتال ملوءون شهامة . ولا شك أنهم لا يجدون بداً من القاء القذائف والقنابل على القرى ، لأنه لا يمكن التفريق بين جنود الجيش الريني وأفراد الأهالي ، ويذهب كل فرد من الأهالي الانضام للجيش والمقاتلة تحت لوائه عند ماياتيه الدور .

« وأما ما يقال عن المركز العسكرى ، فان الاسبانيين قد عملوا بانسحابهم عملا باهراً ، كان معرضاً لكثير من المصاعب والمشقات. فقد انسحبوا من عدد من المراكز المتفرقة انسحاباً منظا ، وعسكروا على خط تطوان \_ فندق الحصين. فاذا أراد الريفيون مواصلة القتال فانهم سيصطدمون بهذا المركز المنيع ، وهم غير مسلحين بغير البنادق والمدافع التي أخذوها من الجيش الاسباني ، ومعظمها من بنادق موزر ومدافع شنيدر التي تجرها البغال.

« والريفيون في حاجة عظيمة الى المساعدة الطبية. نعم انهم لم يصابوا بخسائر جسيمة ، وليس فيا بينهم أمراض وافدة عمومية ، ولكن جميع رجالهم يذهبون الى الحرب

بالدور ، حتى ان البلاد كلها تحارب. وليس فى الريف كله طبيب ما ، ولا عقاقير صحية ما عدا القليل الذى أخذناه نحن معنا ، مرسلا من جعية الهلال الأجر البريطانية ، فالحاجة عظيمة جداً الى المساعدة الطبية .

« والريفيون شعب من الزراع والرعاة ، وهم يعيشون في قرى تبني منازلها باغصان الأشجار و بالطين .

« و يعزى معظم نجاح عبد الكريم الى مقدرته على بسط سلطته على جميع القبائل. فاستطاع بذلك أن يزيل من بينها الضغائن والخصومات. والريفيون يجيدون الرماية والخطط التي يسلكونها في مقاتلة الاسبانيين هي مهاجة المراكز المنفردة ، حتى يتعذر على الاسبانيين أن يحتفظوا بها. أما الآن فقد تبدل الموقف أمامهم بعد انسحاب الاسبانيين التام من تلك المراكز ومرابطتهم على خط واحد. » اه.

والحاصل ان المستعمرات هي سلسلة آخذ بعضها برقاب بعض ، فلا تجد قطراتحت استعار أمة أوربية قامت فيه ثورة ، الا وضعت جيع الدول الاستعارية أيديها على قلوبها الواجفة ، ترجو أن ينتهى الخطب بظفر الدولة المستعمرة ، حتى لا تدب الثورة الى المستعمرات الأخرى و يتبع بعضها اثر بعض . والاسلام في نظر أهل أوربا أمة واحدة ، مهما تفككت اجزاؤه ، وتباعدت أقطاره ، وقد شبهه المارشال ليوتى معتمد فرنسا في المغرب « بصندوق رنبان » أى اذا ضر بت عليه برأسه بن الى كعبه . فسياسة الدول المستعمرة هي سياسة من يعلم شدة ارتباط الاسلام بعضه ببعض ، ومن يأخذ أخذه لمنع هذا الارتباط بقدر الامكان ، فان لم يتأت منع هذا الارتباط تماماً — وكيف يتأتى وهو مع الضغط الأوربي والعسف الاستعارى لا يزداد الا شدة — فعلى الأقل العمل على أن لا تظهر له نتأج فعلية . ولقد أصيب المسامون في هذه السلسلة الاستعارية باشد مما أصيبوا به في كل المواقف ، فانك اذا طالبت المسامون في هذه السلسلة الاستعارية باشد مما أصيبوا به في كل المواقف ، فانك اذا طالبت عنه يزة ، خشية عدوى الاستقلال المصرى لسائر المستعمرات . ومثل ذلك سورية ، ومثل الدك تونس ، ومثل ذلك العراق . ومن شواهده أن (الوفد السوري) الذي محرر هذه ناسطور من أعضائه كان يراجع البعثة الاسبانيولية في جعية الأمم بمدينة جنيف ، في أمم السطور من أعضائه كان يراجع البعثة الاسبانيولية في جعية الأمم بمدينة جنيف ، في أمم السطور من أعضائه كان يراجع البعثة الاسبانيولية في جعية الأمم بمدينة جنيف ، في أمم

استقلال سورية ، فكان جواب المندوب الاسبانيولي لزملائي الذين لم أكن معهم في ذلك اليوم: «ان اسبانية لاتقدر أن تروج هذا المبدأ الأنه مخالف لمصلحتها ، وعندها من داهية الريف ما يكفيها ». فانتترى ان الشام والريف حلقتان من سلسلة . لا بل مصر ، وفلسطين، والعراق ، والهند ، وزنجبار ، والسودان ، والجزائر ، وتونس ، وطراً بلس الح كاما . حلقات من نفس السلسلة. وما اجتهدت دول الحلفاء أن تقضى على الدولة العثمانية التي كانت تحمل الخلافة الاسلامية ، الا على خوف انها قد تكون السبب في فك هـذه السلسلة . فاولت الدول المذكورة أن تجعلها من جلة تلك الحلقات، وتضمها للسلسلة، توثيقا لسلكها، حتى كان ذلك هو السبب الأعظم في الغاء الأتراك اسم الدولة العثمانية ، والاكتفاء باسم « تركيا » وابطال الخلافة الاسلامية من عندهم ، فراراً من الوقوع في هـنه السلسلة. ولقد بلغ التضامن الاور بي الاستعاري بازاء الاسلام ، ان صارت حكوماتهم تخاطب بعضها بعضا في المسائل الاستعمارية كانها امور مشتركة بينها . ومنذ أيام جعني القدر بأحد رجال الحكومة الاسبانيولية ، فتجاذبنا أهداب القضية الريفية ، ولما كنت أنصح لهم بالصلح مع زعم الريف على قاعدة استقلال هذه المنطقة ، أقسم لى أن اسبانية تود من أعماق قلبها مصالحة هذه الأمة والاعتراف باستقلال الريف رسمياً . ولكن فرنسا وانكلترة تمنعانها من هذا الاعتراف ، وتستظهران عليها بالمعاهدات المشتركة . فترى اسبانية من هذه الجهة متحيرة في أمرها. فهي قد أخلت الريف إلى الساحل، ولكنها كما لاتقدر على امضاء صلح رسمي مع عبد الكريم لاتقدر أن تستمر على محاربته . ومما لامشاحة فيه ، أنه لولا خشية فرنسا مغبة حرب الريف بأنها تفتح عليها باب ثورة في المغرب يتعذر عليها سده ، وتبتلع من النفقات الباهظة ما لا قبل لها به مع ماهي عليه من الارتباك في أحوالها المالية ، لكانت في هذه الحزة الحرب مشتعلة بينها و بين الريف ، وكانت طيارات الجيش الفرنسي الآن تمطر قرى الريف وابلا من الكرات المجشوة بالمواد السامة \_ لأن الدول تعاهدت على منع استعمال المواد السامة ، والغاز المخنق في الحروب الاوربية ، واستثنين من هـذا القيد المستعمرات التي تجيز فيها اور با « المتمدنة » طرق الحرب الوحشية . كما أن الاسبانيول رموا قرى الريف بالغازات السامة ، وقتلوا بهاكثيراً من الأطفال والنساء والضعفاء \_\_ ولكن فرنسا اجتزأت عن اجتياح الريف كله بانتقاص بعض أطرافه ، وتحصين المراكز

التي على الحدود بين المنطقتين ، والتربص بعبد الكريم الدوائر ، عاملة على اثارة الريفيين بعضهم على بعض ، وفصم عروة وحدتهم ، مما هو أحد وأمضى أسلحة الاستعار الاوربى في قتال الأمم الاسلامية .

فقضية الريف حين تحرير هذه الاسطر هي بالمركز الآتي لك تحديده: \_

أما فرنسا ، فانها تحصن الحدود التي بين المنطقتين ، وتبنى المسالح والمعاقل ، حيطة وراء الحرب التي تنوى اصلاءها الريفيين في أول فرصة ، وهي مع ذلك لاتهمل شيئا من الوسائل السياسية لاسقاط سلطة عبد الكريم ، ومنع تأسيس استقلال اسلامي في الريف ، يكون بحسب زعمها « بؤرة » للجامعة الاسلامية في افريقية .

وأما انكاترة ، فهى في حيرة عظيمة من أمر الريف ، لأنها من جهة ترى اسبانية عاجزة عن المضى في مصارعة أهل الريف ، فلا مندوحة لها من الانكهاش في جوار مليلا وسبتة في منطقة ضيقة . ومن جهة أخرى تخشى أن فرنسا تفتح الريف في يوم من الأيام فتصير بازاء جبل طارق ، وفي ذلك من الخطر مافيه ، فتود لو استعصى الريف على فرنسا . ولكنها توجس في فوز الريف خيفة نشاط ينبعث في العالم الاسلامي من أقصاه الى أقصاه ، وذلك عندها هو الهلاك الأكبر . وقد عولت أخيراً على منع اسبانية من عقد صلح رسمى مع الريف الى أن تكون ازدادت الحوادث جلاء .

وأما اسبانية ، فانها مخطت الريف من أنفها ورفعته من ذهنها ، بعد تجارب استمرت سنوات عديدة ، فلم تعد عليها الا بالخسارة . وقصارى ماتنو يه هو الاحتفاظ بمنطقة ضيقة حول مليلا وسبتة ، ومنع الريفيين عن الاتصال بالبحر ، أملا بأن ينقادوا للحكومة الاسبانية تحت تضييق الحصر ، وأن تلعب بينهم أيدى الشقاق ، فتنال اسبانية بحوادث الدهر ، مالم تنله بوسائل القهر . ولذلك تعلن أن منطقة ابن عبد الكريم لم تبرح تحت «حايتها » (۱) .

<sup>(</sup>۱) نشرت ( مجلة المجلات ) الانكليزية بعددها الصادر في يناير \_ فبراير ١٩٢٥ ، ترجمة نداء بليغ لأحد أعاظم الكتاب الاسبان ، السنيور ايبانيز ، أذاعه هذا في بني قومه في نوفمبر ١٩٢٤ ، يبين لهم فيه فضائح الملك الفونس الثالث عشر والحاكم بأمره الجنرال بريمودي ريفيرا ، في سياسة الدولة وفي حرب الريف ، ويدعو هذا الكاتب امته لاسقاط الملكية واستبدال الجهورية بها . ومما جاء في هذا النداء المقيم المعقد الذي كانت طيارتان مستأجرتان تجوبان آفاق اسبانية وترميان الناس به كراديس ، انه لما قام

وأما ايطالية ، فتزعم انه لا حق لفرنسا فيا لو أخلى الاسبانيول الريف أن تجرد زحوفها عليه ، وتبت أمره بدون مشورة الدول . ومرادها بذلك ليس أن تأخذ حصة من الريف الذي لو عرضت جرته على ايطاليا لاعتذرت عن مد يدها اليها ، وأنما هي مساومة تقصد بها الحصول على التعويض في مكان اتخر .

. وأما العالم الاسلامي ، فقد تخلي بأجعه عن الريف ، ولم يفكر في معاضدته بشي وذلك اللاسباب الآتية : —

الأول: انصراف كل من الأقطار الاسلامية الى هم نفسه ، والاشتغال بقضيته الوطنية الداخلية . فا كان منها مستقلا عام الاستقلال مثل تركيا ، وفارس ، والحجاز ، ونجد ، واليمن ، وافغانستان ، تجده مشغولا بلم شعث نفسه ، عن اغاثة الريف ولو بما يبل الصدى . وما كان استقلاله لما يتم ، مثل مصر والشام ، والعراق أو كان باقيا رهن الاستعار مثل الهند تجده مشغولا عن النظر الى الريف بمسئلة استكال استقلاله أو الحصول على الاستقلال الداخلي .

الثانى: الازمة الاقتصادية التي ولدتها الحرب العامة ، ولا تزال تفعل مفعولها شرقا وغربا

الثالث: فشو الاعتقاد في تركيا ، ومصر ، وقسم من بلاد العرب ، بأن سياسة الاتحاد الاسلامي شيء مضر بالمسامين ، حافز لأور با على التألب عليهم ، ومنعها استقلال ما يرجى استقلاله منهم ، حال كون الشعوب الاسلامية لوقامت بصائحة وطنية أو قومية خالية من صبغة الدين ، لما وجدت أور با باساً من اعطائها استقلالها. فاما شعور أور با بكون الاسلام في وجهها متماسكا بعضه مع بعض ، فانه نما يزيد تصميمها على سدكل طريق

ملك أسبانية والجنرال بريمودى ريفيرا، منذ عدة أشهر، بزيارة البابا فى الواتيكان، ألتى الملك الاسبانى خطابا لدى البابا، ملؤه الغيرة الشديدة على الكثلكة خاصة والنصرانية عامة . ومما جاء فى هذا الخطاب، قول الملك : —

«ان اسبانية أيضاً قد تجندت لحرب المسامين في افريقية حربا لا تنفك عنها حتى تفوز بغرس الصليب في ديار المسلمين ، وجعلت اتباع محمد يخنعون له قهراً » وهذا الخطاب لم يرتجله الملك ارتجالا ، بل سبق له فأعده في مدريد قبل أن أتى رومية ، وكان الأب توريس الجزويتي الشهير بمدريد هو الذي أنشأ وأعد هذا الخطاب للملك .

فرج في وجه أبنائه. وقد زاد هذه العقيدة رواجا في تركيا ، فشو الدعوة التو رانية التي معناها ان الأتراك ينبغي أن يكونوا تركا في الأول ثم مسلمين في التالي ، بل يذهب الغلاة من التورانية الى محاربة الاسلام بكل الوسائل، لأجل قلع نفوذه لمحو الصبغة العربية من بين الأتراك . كما زاد ذلك رواجا بمصر مراعاة جانب القبط الذين رأى بعض كبار الزعماء ان ادماجهم الحقيق في الكتلة الوطنية المصرية ، متوقف على نفض اليد من الجامعة الاسلامية فكانت خطة هؤلاء الزعماء مؤثرة في سياسة الشعب ، لا سما مع غاو الشعب المصرى في متابعة ذوى الزعامة فيه. ولا تخلو هذه النزعة من البلاد العربية أيضا، لا سما بين الحزب الذي انتقض على الاتراك أيام الحرب العامة ، والذي تحالف مع الانكليز وتمني فو زهم في الحرب، بحجة ان الذي ينبغي أن يكون نصب نظر العرب هو القومية العربية ، لا الجامعة الاسلامية ، وان هذه الجامعة توجب نفور انكلترة التي كانت عند هذه الفئة مناط المال العرب... بخلاف ما لو كانت النزعة عربية قومية ، فإن انكلترة ترحب مها ترحيبا (!) ولقد خاب ظن هذا الخزب ، وتناقص عدده جداً ، ولكنه ما زال يفر من الجامعة الاسلامية مراعاة لانكاترة ، أما في الماضي فثقة واعتقاداً ، وأما في الحاضر فخوفا ورئاء. ولقد كان لهذا الحزب العربي المناوي للجامعة الاسلامية ، اليد الطولى في حل الاتراك على نبذها ، لأن التورانيين احتجوا بأنه ان كان العرب الذين ظهر الاسلام بهم وظهروا به ، بدأوا بمعا كسة أوامره ونواهيه ، وأخذوا بالسياسة القومية ، ومالأوا الانكليز على الترك ، فالترك الذين لم يكن الاسلام الا دخيلا فيهم ، أولى بترك ما تركه العرب من جهته والخلاصة أن شيوع هذه المبادئ في الآونة الحاضرة كان مما صرف الانظار عن مساعدة الريف.

الرابع: ان الاعتقاد بكون نجاح الريفيين موقتا ، وانه لا بد من أن تكون الطائلة الاخيرة لاسبانية . لان المسلمين ، لا سيا المفكرين أو الذين يقال انهم مفكرون منهم ، قد عمهم التشاؤم وفقدوا كل ثقة فى الاسلام ، وصاروا ينظرون الى كل مقاومة اسلامية لسلطة أو ربية من قبيل حركة المذبوح تحت السكين . و يقولون ان أو ربا نائلة منهم كل مرادها لا محالة ، الى غير ذلك من العقائد السياسية التى زادت الاسلام وهنا على وهن ، والتى كان هؤلاء المفكرون يتبارون فيها اظهاراً لدرجة تعقلهم . و بعد أفكارهم عن الخيالات . . . . الا ان مصطفى كمال وعبد الكريم كذبا هذه المبادئ التي كانت سائدة

بينهم وان انهزام الاسبانيول عن الريف غير متعمدين الكرة عليه آخر مرة ، قد انعش المال المسلمين ، وأثبت لهم عدم استحالة المقاومة الاسلامية للسلطة الأوربية ، بعد ان كان القول بها عنوان التعقل ودليل بعد النظر. وان ظفر عبد الكريم القاطع ، فت في عضد التشاؤم ، وجذب بضبع التفاؤل ، وصار وا يفكر ون بمقتضى قول شاعر الحاسة :

قاتلى القوم يا خزاع ولا يلحقكم من قتالهم وهل القوم أمثالكم لهم شعر في الحرب لاينشرون ان قتاوا

نعم انهم لا يزالون خائفين على عبد الكريم من فرنسا ولكنهم أيقنوا بأنه يتأتى للسلم اذا ترجل وقام بالواجب عليه ، أن يصارع الأوربي ويصرعه . فلهجت الألسن لاسيا في بلاد العرب والهند ، بذكر محمد بن عبد الكريم وأجع الناس على أنه أحق انسان بلقب « بطل الاسلام » ونشرت أخباره الجرائد الشرقية بالاعجاب ، والجرائد الأوربية بالعجب العجب العجاب ، والجرائد الفرنسوية خاصة بالتشاؤم والارتياب . وظهرت عند الحزب التوراني من الترك غيرة ونفاسة من عظمة عمل محمد بن عبد الكريم مع قلة وسائله ، فتسلوا على ذلك بزعمهم أنه بربري غير عربي ، وان أهل الريف هم من جنس البربر . ولكن لخظنا أن الأمير محمد بن عبد الكريم يقال له الخطابي وهذا دليل على نسبته العربية ، وسنشرع الآن في ترجمة حاله اذ أن كتابا في حاضر العالم الاسلامي ، لا يجوز أن يخلو من ترجمة الامير محمد بن عبد الكريم فنقول : —

لا شك أنه ستنشر فيا بعد سيرة الأمير مجمد بن عبد الكريم الريني وتؤلف كتب على وقائعه ، ومنشأه ، وأصله وفصله ، ويستفيض خبره عند الخاص والعام ، ولا يبقي شي من أمره مجهولا . أما الآن فاننا لا نعرف من خبر نسبه شيئاً ثبتا ، و بلغني أنه قد أخرج من أمره مجهولا . فما الآن فاننا لا نعرف من خبر نسبه شيئاً ثبتا ، و بلغني أنه قد أخرج أحد الفلسطينيين في ترجة الأمير المشار اليه كتابا اطلعت على وصفه في جريدة «الشوري» التي ظهرت حديثا بمصر ، ولكني لم أقرأ فيا قرأته نقلا عن هذا الكتاب في «الشوري» الا نعته « بالخطابي » ولم أعلم ما وجهه فيجو ز أن يكون شريفا فاطميا ، و يجو ز أن يكون قرشيا ، ولكن لا بد للتحقق من الاطلاع . فاما ماعندي من المعلومات عنه ، فهو خلاصة أخذتها من فم رجل شريف ادريسي ، يقال له السيد أحمد بن مجد الثمثان من أشراف فاس وله علاقة ببلاد الريف ، وقد وجدت رواية عن وقائع الحرب تطابق أخبار الجرائد

الأوربية والجوائب الطارئة علينا من تلك البلاد.

قال لى ان السيد محمد بن عبد الكريم الذي هو أمير الريف اليوم هو من بني و رياغل من تاجدرت. و بنو ورياغل هؤلاء هم من القبائل الريفية العاتبة على الاسبانيول، ومعهم بنو تمثامن ، و بنو ولیشك ، و بنو تافركسیث ، و بنو تو زین ، و بنو سعید ، (۱) ويضم اليهم قسم من بني الطف، و بني بقيوه، و بني زرقط، وهؤلاء هم القائمون بجهاد الريف، وأكثرهم بربر ومنهم عرب، ويوجد بجانبهم قبائل مثل قلعية ، والمطالسة ، والعبابدة ، وكبذانة (٢)، قال: وعدد الجيش الدائم الذي يقاتل الاسبانيول هو ٣٠ ألفاً ، وانما المقاتلة فيــه تحضر بالمناو به ، كل ثلاثة أيام النو به على قسم . وكثيراً ما قرأت في الجـرائد الأوربية أن الجيش الريني لا يتجاوز ٣٠ ألفاً ، مع أنه يناوئ من ١٥٠ الى ٢٠٠ ألف جندى منظم من الاسبانيول. والأمير هو في نحو الثالثة والار بعين من العمر ، كان قاضيا عند الاسبانيول في مليلا ، وكان تحصيله للعلم بمادريد ، وكان الاسبانيول يحبونه جداً ، ولكن وقعت له واقعة في مليلا تحامل عليه بها الاسبانيول، فاصمهم ، فالقوا به في السجن، ففر منه بان رمى بنفسه من النافذة ، فانكسرت فذه واحتمله الاسبانيول الى المستشفى حيث بقى الى أن انجبر كسره ، فلاطفه الاسبانيول وحلوه على البقاء في منصبه ، ولكنه كان في نفسه قد آلىأن يفارقهم و يلحق بقومه . ومما هو متواتر أن سبب خصامه مع الاسبانيول، بعد أن تربى ونشأ وتولى القضاء عندهم ، هو ما كان يراه من عسفهم بابناء قومه ، واحتقارهم للسامين ، ومعاملتهم اياهم بما يعامل به السيد عبده أو بما يعامل به سائر المستعمرين الأور بيين أهالى مستعمراتهم . وقد اطلعت في جريدة « الأومانيته » الاشتراكية الفرنسية ، على فصل لكاتب اشتراكي اسبانيولي ، بعثت به الى جريدة « السياسة » بمصر فعر بته ونشرته ، فان صح جزء من الأخبار الواردة فيه من طغيان الاسبانيول وتعديهم على حقوق المسلمي ، وخبطهم اياهم بعصا القهر الى تجاوزهم على أعراض النساء ، كان كافيا لأشعال هذه الثورة عند شعب مثل هذا الشعب الباسل ،

قال لى الشريف الذي روى لى خبر محمد بن عبد الكريم: وكان الاسبانيول يومئذ

<sup>(</sup>١) وسلف هؤلاء من الاندلس

<sup>(</sup>٢) هؤلاء كانوافي البداية مذبذبين

في حرب مع أهالي الريف ، على حسب العادة باستمرار الحروب بين الفريقين . وكانت هذه يقدر مغربي على الخروج من مليلا الا باجازة من الحكومة الاسبانية . وكانت هذه الحكومة قد عهدت باعطاء الاجازات ووضع الاشارات على التذاكر الى ابن عبد الكريم نفسه . فاستأذنهم في الخروج من مليلا ، فلم يأذنوا له ، ففر من مليلا خفية الى تاجدرت من طريق البحر . والمسافة بينهما في البحر أربع ساعات . وقبل فراره كان عنده في البنك ١٧ ألف ريال فسحبها منه ، وقطع علاقته مع مليلا ، ووطن نفسه على قتال الاسبان .

وكان هؤلاء قد بنوا . ٢٦ معقلا وثكنة للرجناد، وشحنوها بالمقاتلة والعتاد، وكانت كل قبيلة تقاتل في أرضها منفردة بدون نظام يجمع بينها . ولا علم يوحد حركاتها . فبمجرد وصول ابن عبد الكريم أبرم بينها اتفاقا أكيداً على الحركة البا واحدا في وقت واحد فصرت القبائل جميع هذه الشكن وهذه الحصون، وقطعوا عنها الماء فكاد يهلك الجنود الذين فيها عطشا فصارت اسبانيا تبعث اليهم بالجد والثلج بالطيارات لتبل من ظمأهم . ولكن لم يطل الأمرحتي اضطروا الى التسليم بعد ستة أيام من وقوع الحصار. وكان في كل ثكنة مئات من العساكر ، فاخذهم المغاربة وقتلوا منهم عدداً كبيراً ، واستحيوا الضباط وكانوا ٥٧٠ ضابطا فارسل الاسبان الى ابن عبد الكريم يلتمسون منه ارسال الضباط، و يقولون له ان أرسلت الضباط نخل لك مليلا. فاجابهم : لا نريدان تخلوا مليلا، ولكن ارساوا بمؤونة الضباط والاماتوا جوعا . فارساوا اليه بمل ً باخرة ارزاقا ، ومعها مبلغ عظيم من المال. وقد هدم الريفيون جيع هاتيك الشكن والنقاط العسكرية ، وأخذكل ما فيها من سلاح وكراع ومتاع ، فكانت جلة الغنائم ١٦٠ مدفعاً ، و ١٥٠ رشاشا ، و بنادق لا تحصى ، . وأمتعة لا يقع عليها حصر . وضيق المغار به على مليلا ، وأحرقوا قطر السكة الحديدية والمحاط، وفركثيرون من الاسبانيول في البحر الى بلادهم . قال لى الراوى: ورشي الاسبانيول قبيلة « قلعية » و « بو يحي » بواسطة رجل يقال له عبد القادر س شلال ، فانحازوا الى الاسبانيول ، ولولا خيانة غمارة و بو يحي وقلعية والعبابدة لم يبق من الاسبانيول أحد في تلك الديار . قال : و بعد أن فاز الريفيون هذا الفوز اجتمعوا في محل يقال له « انوال » وانتخبت كل قبيلة قوداها ، ورتبوا ما يلزم للحرب ، وبدأوا بحفر

الخنادق ، وجعلوا جزاء على كل من يتخلف في النوبة عن الرباط، وجزاء على كل من يترك الصلاة، واتفقوا على قتل القاتل، ورجم الزاني، وقطع السارق. وهذه الحادثة وقعت من نحو ثلاث سنوات. اه

وسالت الشريف المذكور عن الرسولي وما شأنه ، وما هي نسبته ، وما هي خطته في الريف فقال لي : ان الرسولي هو من ذرية سيدنا عبد السلام بن مشيش الولي الكبير الحسني الادريسي شيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنهما . وله مقام بجبل العلم (محركة) على مسيرة ستة أيام من فاس وثلاثة أيام من الريف . ومسكن الرسولي في الريف هو بجوار غمارة ، والجاس ، ووادرس ، وهي قبائل كثيرة يسكتها الرسولي بأموال يأخذها من الاسبانيول . اه .

والظاهر أن الشريف الذي روى لى هـنه الأخبار يشير بما تقدم إلى الواقعـة التي جرت سنة ١٩٢١ في شهر يوليو واستأصل الريفيون فيها ٢٥ الف مقاتل، وقيل بل أكثر من ذلك جداً ، وغنموا ١٧٠ مدفعا على رواية الجرائد الأوربية ، و ١٠ طيارات و ٧٠ الف بندقية ، ومقدارا لا يقع عليه الاحصاء من القرطاس المحشو ، وارزاقا في غاية السعة ، وفي الحقيقة أن الريفيين يحاربون اليوم باسلحة الاسبانيول وعددهم وعتادهم . وقد هجع الاسبان بعد هذه الواقعة نحو سنة ، ثم جهز وا بعوثا جديدة نحو مائة وستين الف مقاتل ، فصادمها الريفيون بقلوب من حديد ، وردوها على أعقابها بخسائر فادحة . ثم لما آل الأمر الى الجنرال دوريفيرا ، الحاكم بأمره اليوم في اسبانية ، وكان مذهبه ترك الريف، أراد أن يطبق برنامجه هذا من التسحب الى ساحل البحر، فثارت عليه الضباط والقواد، ورأوا في التقهقر الى الوراء امام قبائل بربرية وقوة غير منظمة ، ذلة ومهانة لا تليقان بدولة أوربية ، فالتزم مجاراة رجال العسكرية ، وذهب بنفسه الى مليلا ، وتولى القيادة ، وظن أنه آخذ قريباً بناصية عبد الكريم ، وصرح بذلك على الملاء. فلما بدأ القتال ، صلى من نار الريف بنار لم يقو على أوارها ، و بعد وقائع متوالية ذهب فيها من الاسبانيول أكثر من ٢٠ الف مقاتل عاد الجنرال المنذكور الى رأيه الأول ، وأخرست عظمة الخسائر الاسبانيولية بالمال والرجال أفواه أولئك الذين كانوا يرعدون ويبرقون ، بل صاروا راضين من الغنيمة بالاياب. فسحب الجنرال الجيوش الى الوراء، واختط خطا في جوار سبتة

ومليلا ، يدور على منطقة صغيرة لا نعلم مقدار سكانها ، لكن يرجح أنه لا يكون أكثر من ٨٠ أو . ٩ الف نسمة . وقد كان الاسبانيول أثناء اخلائهم المراكز الريفية ، ونكوصهم على الأعقاب، عرضة لمهاجات الريفيين الذين كانو الا يمهلونهم فواقا، فاما دخل الأسبانيول المنطقة التي اختطوها لأنفسهم ، عدواذلك فوزاً عظما ، أي حسبوا ظفراً كونهم لم يهلكوا جيعاً . وعاد الجنرال ريفيرا الى مادريد ، بعد أن باء بالفشل وأصيبت جيوشه بالرزايا الوجيعة ، ولكنه قو بل في عاصمة الاسبان مقابلة فاتح آب من الحرب بفتوحات عذراء وتلقى الأسبانيول خبر الانكماش الى سيف البحر والاكتفاء بمنطقة ضيقة جداً ، كبشرى فرحوا وتهللوا بها. هذا بعد أن كانوا ينزلون صواعق النقم بمن تحدثه نفسه بترك شبر أرض من الريف أو صلح مع عبد الكريم.

والنفس راغبة إذارغبتها واذا ترد الى قليل تقنع

وصدق من قال : السيف وجهه أبيض . ولى في هذا المعنى من قصيدة :

فداً لجانا كل من يمنع الجي ومن ليس يرضي حوضه متهدما فيا العيش الاأن نموت أعزة وما الموت الاأن نعيش ونساما سوى الصارم البتار للسلم سلما تأملت في صرف الزمان فلم أجد تأخر يعتبد السلامة مغنها ولم أر أنأى عن سلام من الذي وما ابيض الا وهو أحر بالدما يقولون وجهالسيف أبيض دائما فازال دفع الشر بالشر أحزما فان كان دفع الشر بالرأى حازما اذالم يحي فيها الحسام مترجا تجاهل أهل الغرب كل قضية ألاعمه الانسان أعمى من العمى وكابر قوم ينظرون بأعين

وقضية الريف هـنـه هي أيضاً من القضايا التي تجاهلتها أوربا، ولم تفهم فيها أدني نغية ، حتى جاء فيها الحسام ترجمانا فصيحا فأصغى اليه الجيع. وأتذكر اننا لماكنا في لندرة في يولير سنة ١٩٢٧ لأجل الاحتجاج على مجلس عصبة الأمم عند ما قرر مايسمونه « بالانتداب » الفرنسي على سورية و « الانتداب » البريطاني على فلسطين ، تلاقينا في عاصمة انكاترة باثنين من جاعة الأمير مجد بن عبد الكريم ، أحدهما السيد عبد الكريم ابن الحاج على ، والناني السيد محمد بن مجمدي صهر الأمير ، وكانا موفدين من قبله الى الدولة

الانكايزية لأجل طلب وساطتها في الصلح ، فدارت بيني و بينهما أحاديث طويلة ، وكانا لم يحصلا على جواب شاف من انكاترة على ما التمسا ، فقلت لهما : « لا أظن أن انكاترة تقبل هذه الوساطة وهذا محافظة منها على رضى دولة اسبانية أولاً (۱) ، ولما تعتقده من كون الاسبانيول لابد من أن تكون الغلبة الأخيرة لهم ثانيا . والذي أشير عليكم به هو أن قطلبوا الوساطة ، لكن بدون تهافت يشعر بالضعف ، لأن انكاترة لاتحب ضعيفاً . وانني على يقين بأن الانكليز إذا رأوكم قد ثبتم في مواقفكم الى الآخر يعودون فيستمعون لكم » وهكذا حصل فبعد أن كانت الجرائد الانكليزية مثل التيمس ونحوها تعرض عن الريف والريفيين ، وتصد عن كل كلة صلح بينهم و بين الاسبان ، صارت تشير على هؤلاء بحسم والريفيين ، وتصد عن كل كلة صلح بينهم و بين الاسبان ، صارت تشير على هؤلاء بحسم هذه الحرب وضر رها باسبانية ، وحسبك ان من جلة من والريفيين ، وتصد عن كل كلة صلح بينهم و بين الاسبان ، صارت تشير على هؤلاء بحسم هذه الحرب وضر رها باسبانية ، وحسبك ان من جلة من والريفيين ، وتصد عن كل كلة صلح بينهم و بين الاسبان ، صارت تشير على هؤلاء بحسم هذه الحرب وضر رها باسبانية ، وحسبك ان من جلة من والريفيين ، في مقالة حررها بهذه السبة ولم يكن السبب في ذلك سوى ماشاهده الانكليز من ثبات الريفين مع النجاح .

وهذا لا يمنع من كون انكاترة تهوى هذا الصلح بشرط أن لا تتأسس في الريف دولة السلامية مستقلة ، يكون شأنها مثالا لغيرها ، وتمتد شرارتها الى سائر المستعمرات ، لأن البلاد الاسلامية مهما تناءت بعضها عن بعض سريعة التأثر بعامل واحد . على أن الجرائد الانكليزية تشبه سياسة النكوص الاسباني عن الريف بحركة الانكليز في الهند الشمالية الغربية (٢) اذعول الانكليز هناك على التخلية بعد الدخول، وقد ردت عليها بعض الجرائد الاسبانية بأن الفرق عظيم بين المكانين ، لأن بلدان الهند الشمالية الغربية خارجة عن الاسبانية بأن الفرق عظيم بين المكانين ، لأن بلدان الهند الشمالية الغربية خارجة عن

<sup>(</sup>۱) وهذا هو تصریح مستر تشمبرلین وزیر الخارجیة یؤکد هذا الرضی والعطف. فقد نشرت جریدة « الاهرام » فی ۱۷ فبرایر ۱۹۲۵ ، برقیة لمراسلها الحاص فی لندن تحت عنوان ( موقف انکلترا تجاه حرب الریف ) مایلی : —

تكام مستر تشميراين في مجلس النواب البريطاني اليوم . ومما قاله عن حرب الريف مايأتي : «يسرني أن أغتنم هذه الفرصة لأنكر صراحة جميع الأنباء التي ذاعت في طنجة عن حصول الريفيين على عطف الحكومة البريطانية ومساعدتها في حملتهم على اسبانيا . فالحكومة البريطانية تعطف على الحكومة الإسبانية في المصاعب التي أمامها في مراكش وقد رفضت في كل حين وما زالت ترفض اظهار أي رضى عن علاقات أو مخاطبات بين بعض الرعايا البريطانيين وعبد الكريم» . (المعرب)

الطرق العامة العالمية ، بخلاف الريف و « الجباله » الواقعة على مضيق جب ل طارق ، وقد حثت هذه الصحف الاسبانية على اتحاد الدول الأوربية في وجه الاسلام واعتبرت تقهقر الاسبان الحالى أمراً موقتا .

وقد اطلعنا على بعض مقالات واردة فى الصحف الأوربية لمشاهدى عيان ذهبوا بأنفسهم الى الريف وتحادثوا مع الأمير، وسبروا غور الأمور الريفية، فنها رسالة للكابتن سبنسر برايز والكابتن غوردون كانتج ظهر تعريبها فى جريدة الاهرام بتاريخ ٣١ديسمبر سنة ١٩٧٤ نقلا عن جريدة «مانشستر غارديان» وهى التى تقدمت فى هذا الكتاب وفيها فوائد شافية.

وجاء في جريدة الجورنال الفرنسوية رسالة لمكاتبها المسيو جاك مارسيلياك ظهرت في الجورنال بتاريخ ٧٠ يناير ١٩٢٥ أي منذ خسة أيام ، يصف فيها الكاتب قرية اجدير مقر ابن عبد الكريم، ثم يصف الأمير، ويروى مادار بينهما من الحديث بحضور من يقول ان اسمه « از رخان » وهو ناظر الأمور الخارجية في دولة الريف ، وسيدي عبد السلام ناظر المالية فيقول ان عاصمة امارة الريف المستقلة عبارة عن قرية صيادى سمك فيها مساكن عبدالكريم وأعوانه ، وكلها أبنية بسيطة ، ليس فيها شي من صنعة البناء ولا تطاول البنيان. وذكر منها المقعد الذي استقبله فيه الأمير، وليس فيه شي سوى حيطان مجيرة بالكلس البسيط بدون زخرف ولا نقش، و بعض كراسي من المتاع المأخوذ من الاسبانيول. وذكر أن عبد الكريم هو في نحو الأر بعين من العمر، وفقالما تقدم من كلام الشريف أحمد بن محمد الثمثان. وكذلك يقول مارسيلياك انه متوسط القامة ، أسود العينين ، حاد النظر ، أفلج الأسنان ، ذو لحية سوداء خفيفة ، بسيط الملبس كل ماعليه جلابة من تحتها ثوب من القطن وهو محتذ بابوجا أصفر، وليس في أصبعه خاتم ولا عليه شيّ من الشارات المعتادة للامارة ، وعليه ملامح رجل ساكن ، رابط الجأش ، راجح العقل ، موفق الطالع وكثيراً ما يتبسم قال المكاتب : « صافني الامير ، ودخلنا في الحديث تارة بالاسبانيولي الذي يجيد الكلام فيه ، وطورا بالعربي الذي يختار المكالمة فيه بو اسطة الترجان ، لأجل أن يطلع أصحابه على معني المحاورة

ولم يطل على الديباجة بل سألني فوراً عن غرضي من هذه الزيارة فقلت له: لما كنت قد عقبت حركات الجيش الاسباني كنت شديد التوق الى معرفة ذلك الذي تمكن من تلك الطوائل الحربية عليه. ونحن نبغي أن نعرف في فرنساما هي غايتك من هذه الحرب ? أهي نشر لواء القتال لطرد الأجنبي أيا كان ، أم هي مجالدة لأجل الريف فتي استقل الريف كفي اللة المؤمنين القتال ?

فأصغى عبد الكريم الى الآخر ، شأنه فى جميع مفاوضاته ، ثم قال : عرفت ماذا تريد أن تسأل عنه . ان الجنرال دو ريفيرا وأصحابه أرادوا أن يحدثوا شبهة ، بائن يذيعوا كون مرادنا حربا دينية لا حربا وطنية ، وأن مرمانا هو ن نظرد من المغرب جميع الافرنج ، فهذا كذب . نحن نريد الريف ولا نريد غير الريف .

فقلت له: ان بعض الناس ممن لهم خلطة بك يزعمون أن مرادك الوثوب على المراكز الفرنسوية في «ورغا»، واذا خرقتها زحفت الى فاس حيث يبايعك القوم سلطانا على المغرب في جامع سيدى ادريس.

فقال : هذه كلمات مساوب من العقل ، وأنا والجد لله أظن نفسي عاقلا .

فقلت: مع ذلك وجد بين المقاتلة التي صدت جنودنا على الحدود التي لم نتجاوز فيها على الريف رجال من ربعك. فأنت تكون في مقاومتك للسلطان قد هاجت فرنسا.

قال: صحيح انه كان بعض رجال من جاعتى بين الذين قاوموكم فى زحفتكم هذه . وذلك أننى كنت راجعتكم بعدة كتب ، أسألكم فيها ماذا تبتغون من هذا التقدم ، وما هى المراكز التي هى هدفكم ، فأبيتم الجواب . ومن جهة أخرى كان رؤساء الناحية يستصرخوننى و يتذمر ون من عدم اعتنائى بهم ، وعليه فأنتم تدر ون المركز الذى وجدت فيه حيننذ . فانا لست عدوا لفرنسا بل أنا باغى الاتفاق معها . وفى أثناء أزمات شديدة كنتم تعانونها كان كثير من الزعماء يحرضوننى على القيام والزحف عليكم ، فكنت أرفض اقتراحهم لا بل أشير عليهم بمصالحت وطالما كتبت لكم عن ذلك ولكن ولا مرة حظيت من كم بجواب ، ولا لمجرد المجاملة .

فقلت له : وأنت أيضا ينبغى لك أن تعرف مركزنا فى مسئلة الريف ، فاننا نحن مقيدون بعهود نعترف بها لاسبانية بأنها هي وحدها صاحبة الريف .

فقال الأمير: الريف هولى ولأصحابي أهل البلاد (١)

فقلت: لماذا لم ترفعوا احتجاجاتكم في وقتها ? ولماذا لم تؤيدوا حقوقكم يوم انفصلت قضية المغرب في مؤتمر الجزيرة ?

فقال: ان عهد الجزيرة كان ضامناً لناجيع حرياتنا الاقتصادية ، والتجارة ، والدينية فنذ ابتدأت اسبانيا بغصب حقوقنا ، رفعنا احتجاجنا . وطالما نبهت أنا الحكومة الاسبانية الى المظالم والمغارم التي كان رجالها يرتكبونها ، وبينت لها الطريق المضلة التي تسير عليها فلم يشأ الاسبان أن يلتفتوا الى كلامى . (٢)

فقلت له: أكدوا لى فى تطاون انك تنوى محار بة فرنسا، وان نيتك هـنه قديمة منذ سنة ١٩١٤ اذ أردت اثارة القبائل علينا وهر بت اليهم السلاح.

فثار دم عبد الكريم عند هذا السؤال الخشن وقال بحدة : لما كنتم فى نضال مع عبد المالك كانت سيرتى معكم معروفة . وأما تهريب السلاح فقد كنت عاملا عند الاسبانيول لما حصل وكانت قوافل السلاح تخرج من مليلا تخفرها ضباط الاسبانيول وهى لتجار المان . ولقد أثبت بعد مصير الريف الى رياستى اننى أود الاتفاق مع فرنسا . ولقد جاءتنى كتب من المغرب ومن جميع بلاد الاسلام تحثنى على قيادة الحركة لطرد كل روى من المغرب (٢) فائيت ذلك حباً للسلام معكم . أما أنتم فكنتم دائماً تقابلون تقربى اليكم بالانقباض ، ومنعتم أن تمر فى منطقت كم الى أقل الاشياء ، فلم تسمحوا بمرورحتى أدوات الحرث ، والجارف ، والمعاول ، والجير ، والزيت اللازم للاوتومو بيلات .

فقلت له: أظن اننا اذا تكلمنا بحرية نجد الفرنسيس في هذا غير مخطئين . اذ متى اعتقدنا أنك ستهاجنا في أحد الأيام ، فلماذا نسمح لك بمرور المعاول والمجارف ؟ أفلا جل أن تحفر بها خنادق للقتال ؟ أو نسمح لك بالكلس لأجل أن تشيد به مواقي للرشاشات ، و بمادة لتسير السيارات الكهر بائية لاجل سرعة حركة أركان حربك . فهذه المواد ان لم

<sup>(</sup>١) على قاعدة مصر للمصريين وسورية للسوريين والريف للريفيين

<sup>(</sup>٢) سيرة الاستعمار واحدة في جميع البلدان

<sup>(</sup>٣) هذه رواية مارسيلياك الفرنسوى عن عبد الكريم ، ولا ينبغى أن نتلقى جميع ما يرويه آية منزلة ، لأن الصحفيين الأوربيين لا يرون الا ما فى اذاعت مصلحة لدولهم . واذا لم يجدوا بدا من النقل زادوا وتقصوا ، بحسب مقتضى مصلحة قومهم

غنعها نحن رعاية للعهود مع الاسبانيول ، منعناها من أجل الشبهات التي عندنا من جهتك أفترى الحرب الدينية مستحيلة الى هذه الدرجة ? على أن فرنسا لم تزل تحترم دين البلاد التي تحتلها كما هو في المغرب وسائر مستعمراتها.

فقال: قلت لك اننى أعتبر فرنسا نوعا من ملكة للاسلام، ولا أقول انها تضطهد المسلمين وأنا ممن يرى اطلاق الحرية الدينية للسيحيين أيضا فى بلادنا. فهذه الاديان كلها صالحة، ديانتكم صالحة لكم وديانتنا صالحة لنا. ويكفى للاتفاق فى هذه النقطة وغيرها صدق النية وحسن الارادة من الجانبين

قلت له: اذاً ان صرت أميرا للريف غير مدافع ترضى بدخول الأجانب الى مملكتك فاجاب: هذا بدون شك. أفلا ترى كيف نعامل من يقدم علينا من الفرنسيس، وكيف قو بلت أنت. اننا لذوو رغبة أكيدة في الاخذ والعطاء معكم لتتجروا عندنا ونستفيد من أساليبكم.

قلت له : وفي ورغا! أفلا ترى لنا حقا أن نصل الى حيث وصلنا، أم أنت تبغى مهاجتنا هناك ?

قال : هذا الحد هناك لا أعرفه جيداً ولا أظن ان قد جرى هناك تخطيط حدود بين المنطقتين . مع هذا أنا مستعد للناقشة في هذه المسئلة مع الميل الا كيد للتسوية . انني لست برجل سياسي وأرى الاولى الحرية والصراحة في القول ، فانا أرجو منك أن تقول علنا انني أود الاتفاق مع فرنسا وانني أبذل كل ما في طاقتي في هذه السبيل .

قلت له: اسمح لى أن أراجعك أيضا فى مفاوضة اسبانية معك فى الصلح واشترطت عدا أداء الغرامة تسليم معدات حربية ، لاسيا من المدافع ذات العيار الكبير ، فالى من توجه هذه المدافع ? بديهى ليست موجهة نحو الاسبانيول لأنك ستصالحهم . اذاً مرادك بأخذها حرب فرنسا .

فتبسم عبد الكريم ساعتئذ. وقال: ان المفاوضة المذكورة لم يكن هو الذي تولاها ثم قال: هذه مساومات فعلى فرض اننا لم نحصل على الذي طلبناه كله فلا ينبغي من ذلك تعطيل كل شيء.

وصلت عند ذلك الى مركزه بازاء سلطان مراكش وهي أدق المسائل. وكنت أعلم

ان الكثيرين رغبوه في اعلان الخروج على السلطان وأن يتخذ هو لقب سلطان لنفسه . ولكن عبد الكريم ظهر بعظهر رجل حكيم موزون العقل ، لم تسكره فتوحاته المدهشة ، ولا أضاع في ظفره الحزم والروية ، فأنه أقنع أصحابه بالا كتفاء بلقب «أمير» ولذلك مغزى كبير اذ لو رضى أن يحمل لقب «سلطان» لصعب عليه في بعد أن يطيع سلطان مراكش . ولقد تلطفت كثيراً معه في المدخل بهذه المسئلة ، وتحوطت كثيراً بحيث لأسوءه عند ذكر السلطان مولاى يوسف الذي يسميه أعداؤه «بسلطان الفرنسيس» . فأجابني : كتبت اليه مراراً بأن يضع حداً لتعدى الاسبانيول بماله من صفة سلطنة المغرب ، فلم يجاو بني ولا مرة . (١)

فقلت : وهل تابى أن تعترف به الآن سلطاناً للملكة الشريفية كما قد يطلب منك الفرنسيس ?

ففكر قليلا ثم قال: ولماذا لا ? وان الفرنسيس ماهر ون في ايجاد الصيغ . فليجر بوا العمل فقد يجدون صيغة يمكن أن أرضاها » انتهى .

من تأمل في هذا الحديث مع كونه من الممكن أن يكون الراوى الفرنسوى اختزل بعض مالايوافقه منه ، يحكم بدهاء مجد بن عبد الكريم في السياسة ، و بعد غوره في المفاوضات الدولية ، وتحاشيه مالايفيد من الكلام ، ويقول انه أهل لما صار له ، وانه أصبح الخوف عليه قليلا ، الا ان طرأ ماليس في الحساب .

أما فرنسا ، وهل تقنعها تأكيدات ابن عبد الكريم المكررة بحبه لها وخطبته لولائها! لانعتقد ذلك أبدا. انما نعتقد انها مادا، أحوالها المالية غير مساعدة لها فلا تعلن عليه حربا ، وتكتفى بمصانعته ، كايريد هوان يصانعها. وما تجده يكرر من خطبته ولاءها الالما يعلم من ثقل ظفره على كل أوربا ، ولاسيا على فرنسا ، ومالا يخفى عليه من تحفزها لصده وتوجسها خيفة مجده . فهو يحاول أن يسكن روعها بالتودد ، ويخدر أعصابها بالقول اللين ، وكل هذا يدل على عبقريته في ادارة السلم ، كعبقريته في ادارة الحرب .

فدحت في أهل الريف الرزايا ، وعظم نقصهم في الأنفس والثمرات ، وفشت فيهم الجراحات والعاهات ، وعضتهم المسغبة بأنيابها ، مما هو كله بديهي بالنظر الى فقرهم ،

<sup>(</sup>١) لانه مادام الفرنسيس لا مجاو بون فولاى بوسف لايقدر أن يجاوب

وضيق أراضيهم ، ووعورة مسالكهم ، وتأخر المدنية في بلادهم ، مع تفوق عدوهم عليهم في كل الوسائل . ولقد مضت على الريف بضع سنين وهم في أشد بلاء ، وأعظم كرب ، وتولوا كبر هذه الحرب ، ولم تمتداليهم يد مسعف ولامنجد من جيع العالم الاسلامي برغيف خبز ، ولا ضادة جرح ، ولا زجاجة حامض فينيكي . وقد كان الأمير مجمد بن عبدالكريم خاطب العالم الاسلامي بمنشو ر بعث به منذ ثلاث سنوات مختصا به مسامي الهند ، والصين ، والافغان ، والجاوى ، فلم يعج بالترك ، ولا بالعرب ، ولا بالمصريين ، ولا بالمغار بة لعامه ان الترك هم في شغل عنه وعن غيره . وان العرب يكفيهم ماهم فيه من التخاذل والتواكل ، فيما هو أدنى اليهم من الريف فا ظنك بالريف ، ولا بالمصريين لماهم فيه من الانصراف الى مسئلة مصر دون غيرها ، حتى في الأمور التي ليست من السياسة . ولا بالمغار بة لثقل الضغط الواقع عليهم الحائل دون أدنى مساعدة للريف من جانبهم . وكذلك لم يكتب في منشو ره الى أولئك كلة يستمدهم فيها الاعانة بالمال أو القوت ، واعما عرفهم انه مع العدو المعتدى في جهاد .

وكنت فيا أظن ، أول من نبه في الصحف السيارة الى وجوب اغاثة الريف بمعالجة الجرحى ، ومسك ارماق الأطفال والعيال الذين برحت بهم هذه الحرب الضروس . وحررت في ذلك النداء تلو النداء ، فلم أحس أدنى نجدة . ثم تصدى لهذا الموضوع الأستاذ الفاضل الشيخ فراج المنياوى رئيس جعية تضامن السادة العاماء بمصر بعد خطاب و رده من معتمد امارة الريف بطنجة ، فنشر نداء في الجرائد المصرية لم يكن فيه الاكالنافخ في رماد . ولكن وردت الأخبار الأخيرة بأنه جدت حركة في الهند لارسال بعثة طبية الى الريف لمعالجة الجرحى والمرضى . وقد بدأ بعض الناس بمصريت برعون بشيء ، فر بما تهتاج الجية ، وتأخذ القلوب الرأفة ، فيزداد التبرع ولا ينحصر في مصر والهند . وقد اطلعنا على رسالة واردة الى الاهرام بتاريخ ٨ يناير ١٩٧٥ بامضاء « محمد سعد الدين الجباوى » الذي يقول انه كان هناك فن الاطلاع عليها غني عن النعريف بالحال الحاضرة في الريف وهي هذه :

« عدت من الريف منذ ثلاثة أشهر ، بعد أن مكثت به مدة من الزمن ، وقد تحملت مشاق ومخاطر في سبيل الوصول الى تلك الديار يعجز قلمي عن سردها . وأهم تلك الموانع كان اجتياز الحدود الفرنسية الريفية تارة ، واختراق المناطق العسكرية الاسبانيولية ليلا تارة أخرى ، بين الجبال ، وذلك في منطقة الرسولي التي يطلق عليها اسم « الجبالا » وقد حيل

بينى و بين الوصول الى حدود المنطقة المذكورة من قبل الرسولى ، حتى أرغمت على العودة بعد اجتيازى مائة وخمسين كيلو مترا فى مرتفعات صخرية صعبة المسالك ، الى أن تمكنت من الدخول عن طريق « وجدة » و بلاد « المطلسة » رغما من المراقبة الفرنسية ، وذلك بو اسطة مندوب الأمير و رجاله ، الذين يدخلون و يخرجون الى المنطقه المذكورة بقصد شراء مواد اقتصادية .

«وقد كنت ضيفاً مدة وجودى كلها بالريف، في منزل دارجهو رية الريف ومع وزير الداخلية القائد يزيد ، الى أن اقتضى الحال عودتى الى هذه الديار السعيدة لطلب النجدة والمعونة من هذه الأمة النبيلة ، وهذا الشعب الكريم ، ولاشك انهم ملبون الدعوة لتكوين هيئة صحية ، باقرب مايستطاع ، وارسالها باسم الهلال الاحر لاسعاف المجاهدين عن أوطانهم والمدافعين عنها بكل ماأوتوا من قوة .

«و بهذه المناسبة ننفي على صفحات جريدتكم الغراء صحة الاشاعات التي أشيعت على لسان الجرائد الأجنبية ، و بالأخص منها الفرنسية من أن بالريف ضباطا من الترك والالمان ، وان هناك أجانب يبيعونهم أسلحة ، وكذلك ننفي ماأشيع منذ مدة من أن الهلال الاحر العثماني أرسل بعثة صحية .

«و يعلن الريف الى العالم انه ليس للجاهدين بالريف كبيرهم وصغيرهم ما رب الا الاستقلال التام ، وهم يدافعون عن أنفسهم غير مأجو رين من رئيس جهو ريتهم الأمير عبدالكريم، ولا مرغمين من حكومتهم على ذلك. وهم وحدهم بشجاعتهم وقوتهم المعنوية وأساليبهم الحربية ، وذكائهم الفطرى ، حصاوا على كميات وافرة جداً من أعدائهم الاسبانيين من مدافع ميدان مختلفة العيارات ومدافع مترليو زات تعد بالمئات ، عدا بضع طيارات ، وكذلك لديهم جميع ما يحتاج اليه هذا العدد الوافر من الذخائر الحربية المنوعة.

«وقدكان لبعض الجنود الريفيين الذين كانوا يخدمون في الجيش الاسباني قبل هذه الحرب نشاط عظيم في تعليم أبنائهم استعمال هذه الأدوات الحربية بطريقة فنية ، حتى أصبحوا اليوم كما يعلم العالم ، قادرين ان شاء الله على مقاومة أكبر عدويريد الاعتداء على استقلال بلادهم .

وهم يعلنون للعالم أنهم لايريدون من هذه الحرب الااستقلال بلادهم ، وهم يحترمون

المناطق المجاورة لهم إذا احترمت مناطق حدودهم ، والريف يفضل الاتفاق مع أقرب جارة من الدول اليه للاشتراك في استخراج معادنهم ، اذ تكون المنفعه متبادلة بين الحليفين ، اذلا يمكن لأمة على الأرض أن تعيش وحدها منقطعة عند العالم .

«والشعب الريني يرجو تذليل صعو به الطريق ، ويرجو ذلك من الأمة الفرنسية وحكومتها في داخل منطقتها للهيئة الصحية المنتظرة اذ يكون هذا التسهيل اعلانا للرغبة في توثيق عرى المحبة والوداد بين الريف و بين فرنسا .»

محمد سعدالدين الجباوى

ولانظن الا أن العالم الاسلامي يعطف أخيراً على الريف ، ويلبي استغاثة أهله ، لاسما وقد جاء منهم هذا البطل العظيم أحسن الله عاقبته.

## التعصب الأوربي أم التعصب الاسلامي? الاول هو الأشد بشهادات شهود من أهله ومائة مشروع لتقسيم تركيا

## لفيركنب

ما زلنا نؤكد أن الأوربيين في عهد الحروب الصليبية وفيا بعدها بقرون لم يكونوا القدس من الترك تعصبا (۱)ولا جفاء وان تاريخهم في الحروب الصليبية وما جرى منهم عند فتح ومن استئصالهم شأفة المسلمين من الاندلس، وصقلية وجنوبي فرنسا وسردانية ، مع انهم كانوا يحصون في هذه البلدان بالملايين تاريخ شاهد بصحة ما نقول ، فقد عني الاوربيون كل أثر المرسلام في أوربا ولم يرضوا أن يبتي فيها مسلم واحد ، حال كون الترك الذين يقال انهم برابرة بق تحت ولايتهم ملايين من المسيحيين من جميع الأجناس كانوا يقدرون في أوقات عديدة أن يستأصلوهم أو أن يحملوهم على الجلاء ، كما فعل ملوك اسبانية وفرنسا بالعرب . وقد يقال ان الذي منع الترك عن حل النصاري الذين كانوا تحت سلطانهم على الاسلام أو الجلاء هو الشرع الحمدي الذي عنع الاكراه في الدين ويرضي من المعاهد بالجزية . وقالوا ان السلطان سليان القانوني كان فكر في سوء المغبة من بقاء الملايين من الأروام والبلغار والأرمن وغيرهم في المهالك العثمانية ، وأحب اخراجهم ، وقيل بل السلطان سليم ، و فان كل من يعترض في ذلك شيخ الاسلام و يقول : ليس لنا عليهم الا الجزية . والجواب قد يكون من يعترض في ذلك شيخ الاسلام و يقول : ليس لنا عليهم الا الجزية . والجواب قد يكون دلك و يثبت ان الاسلام هو الذي هدن بالأتراك وحال بينهم و بين طرد المسيحيين من ذلك ويثبت ان الاسلام هو الذي هدن بالأثراك وحال بينهم و بين طرد المسيحيين من

<sup>(</sup>١) راجع صفحة ١٥ من الجزء الاول

ديارهم ، فاماذا ياليت شعرى لم يهذب الانجيل الشريف أقوام أوربا ولم يمنع البابا اسكندر السادس واساقفة الكنيسة في اسبانية ، والملك فرديناند ، والملكة ايزابلا ، وغيرهم من الملوك المشهورين بالكثلكة من نصب ديوان التفتيش وارتكاب تلك الفظائع في العرب واليهود ممن بقي على ديانته سراً الى أن جلوهم بأجعهم عن ذلك القطر الذي أوطنه العرب نرهاء ٢٠٨٠ سنة ، مع أن الانجيل كما لا يخفي لا يجيز شيئاً من هذه الأفعال بل يوصى الناس يحب الأعداء فكيف تتألف مع شريعة الانجيل التي هذا مبلغ وداعتها وتسامحها قضية تحريق الناس بالنار لأجل عقائدهم . . . . .

لا نريد أن نعزو الى هذا المؤلف التحامل أو التعصب فما جعله نتيجة عمل الترك بل نشهد بكونه من أوفر المؤلفين الأوربيين انصافاً وتحرياً ، ولكن ثمة أمور لا يزال الاوربي مهما بلغ من انصافه وحرية فكره غافلا عنها أو هو لما يعتقده من عاو قومه وكونهم مجبولين من طينة هي غير طينة الآخرين ، لا يقدر أن ينظر الى عيوب قومه وآثام بني جلدته بالعين الني يرى بها عورات غيرهم من الأقوام. فقد جرت لنا مباحثات طويلة مع كثير من علماء الافرنجة في موضوع التسامح وعدمه ، فكنا نراهم يعتقدون أنه لا يوجد في الدنيا أقل تسامحاً وسجاحة من أهل الشرق فاذا ذكرناهم بما فعلوه بعرب الأنداس قالوا ذاك شيُّ آخر. والى الآن لا نفهم لماذا هو شيء آخر. و بعضهم يقول هـذه حوادث جرت في القرون الوسطى . فاذا سلمنا بكونها جرت في القرون الوسطى فـاذا يقولون في المو بقات والفظائع التي جرت من الجنس الأبيض الأوربي في هذا العصر نفسه سواء في القرن التاسع عشر أو القرن العشرين مما فعاوه في مستعمراتهم بافريقية الوسطى وشهالى افريقية والكونغو والسودان المصرى و بما فعاوه في الهند وغيرها من آسية بل بما وقع بمعرفة منهم في الروملي أثناء الحرب البلقانية بل بما أوقعه بعضهم ببعض في الحرب العامة . . . . هذا كله لم يقع في القرون الوسطى ، ولا في الجاهلية الأوربية ، بل جرى في عصر النور و بحبوحة الحضارة وعنجهية التهذيب الاورى. نعم لا نفهم كيف اذا ذبح الـترك الأرمن يكون ذلك توحشا وبربرية وتمتلئ الصحف بألفاظ القسوة والوحشية والهمجية ، وتقوم القيامة ، فاذا ذبح البلقانيون مسلمي الروملي واستباحوا حرمهم أو الأروام مسلمي غربي « م ۱٤ - ثالث »

الأناضول ، لم تجد شيئا من تلك القيامة ولا هاتيك النعرة وان عبر عنها بشي قيل انها حوادث مؤسفة أو ماجريات لا تخاو منها حرب أو مقابلة بالمثل لاعتداآت سبقته و يجتهد كل الاجتهاد في تغطيتها وجر ذيول النسيان عليها . هذا الذي نعترض عليه وقاما نجد عليه جواباً سديداً ، ولكن ليس صاحب هذا الكتاب بالذي يتعمد تعمية الحقائق

\* \* \*

قد ذكرنا هنا البراهين الساطعة على كون تعصب الأوربيين على المسلمين يفوق. مرات تعصب المسلمين على الأوربيين. وأوردنا على هذه القضية الشواهد المحسوسة التي لا تقبل المكابرة. ومما أتذكره أن أحد وزراء الدولة العثمانية \_ رحمها الله وجزاها عن الاسلام خيراً \_ كان مرة في أحد المجالس في جدال مع بعض رجال دول أور بة فيما يتعلق بهدا الموضوع. فقال لهم الوزير العثماني: « اننا نحن المسلمين من ترك وعرب وفرس وغيرهم مهما بلغ بنا التعصب في الدين فلا يصل بنا الى درجة استئصال شأفة أعدائنا ولوكنا قادر س على استئصالهم . ولقد مرَّت بنا قرون وأدوار كنا قادر بن فيها على أن لا نبقى بين أظهرنا إلا من أقر بالشهادتين وأن نجعل بلداننا كلها صافية للرسلام . فما هجس في ضمائرنا خاطر كهذا الخاطر أصلاً وكان اذا خطر هذا ببال أحد من ماوكنا كما وقع للسلطان سلم الأول العثماني تقوم في وجهه الملة و يحاجُّه مثل زنبيلي على افندي شيخ الاسلام و يقول له بلا محاباة ليس لك على النصاري واليهود الا الجزية وليس لك أن تزعجهم عن أوطانهم . فيرجع السلطان عن عزمه امتثالاً للشرع الشريف. فبقي بين أظهرنا حتى في أبعد القرى وأصغرها نصاري ويهود وصابئة وسامرة ومجوس وكابهم كانوا وافرين لهم ما للسامين وعليهم ما على المسلمين. أما أنتم معاشر الأوربيين فلم تطيقوا أن يبقى بين أظهركم مسلم واحد واشترطتم عليه اذا أراد البقاء بينكم أن يتنصّر . ولقد كان في اسبانية ملايين وملايين من المسلمين وكان في جنو بي فرنسة وفي شمالي ايطالية وفي جنو بيها مئات ألوف منهم ولبثوا في هاتيك الأوطان أعصراً مديدة وما زلتم تستأصلون منهم حتى لم يبق في جميع هذه البلدان شخص. واحد يدين بالاسلام. ولقد طفت في بلاد اسبانية كلها فلم أعثر فيها على قبر واحد يعرف 

لأحد كبار الاسلام يجمل بنا أن نورد شواهد من كلام رجال النصرانية أنفسهم حتى يصح لنا أن نتمثل بالآية الكريمة من سورة يوسف : « وشهد شاهد من أهلها » أو بالآية الكريمة من سورة الأنعام : « وشهدوا على أنفسهم » فنقول :

قد ألنَّف « هنرى دوكاسترى» Henry De Castries كتابا اسمه «الاسلام» ذكر فيه الأوهام المتراكة في أور بة بحق الاسلام فن شاء فليرجع الى هذا الكتاب

وقد كتب قولتير نفسه في كتابه « بحث في عادات الأمم وأرواحها » وفي كتابه الآخر « القاموس الفلسفي » كتابة مؤثرة عن هذه القضية وأشار الى الأغاليط والضلالات التي ارتكبها كتاب القرون الوسطى بحق المسلمين وأورد حقائق في هذا الباب لا يزال الأوربيون يجهلونها الى هذه الساعة

Les Mosulmans Français Du Nord De L'Afrique وقد نقل اسماعيل حامد مؤلف L'Abée De Broglie ( في فصل من كتابه عنوانه (التسامح الاسلامي) عن الأب (برولي عنوانه والتسامح الاسلامي) عن الأب المذكور — وهو قسيس شهير — قد أطرى ما كان عليه أبو بكر وعمر من الصدق والاستقامة وشدة الذكاء وقال انهما كانا أعلى كثيراً من القياصرة والملوك المسيحيين الذين كانوا يقاتلونهما

ونقل اسماعيل حامد \_ وهو من الجزائر يين المتفرنسين \_ عن الأب ميشون جلة استشهد بها أيضاً « دوكاسترى » والدكتور «غستاف لوبون » وهى هذه: « ان من المحزن للامم المسيحية أن يكون التسامح الديني الذي هو أعظم ناموس للحبة بين شعب وشعب هو مما يجب أن يتعلمه المسيحيون من المسلمين »

ونقل دوزى المستشرق الهولاندى عن « بوركارد Burckhard (۱) الذي يعده دوزى أعرف سائح بأحوال العرب أنه قال عنهم انهم أشد الأمم الأسيوية تسامحا

وقال الدكتور « برون » Perron في كتابه L'Islamisme : « ان من احسن فضائل المسلم انه متسامح مع من يخالفه في الدين تسامحاً عملياً »

وقال الكاتب الاسبانيولى « رافائيل كو نتره راس » Contreras : « ان كثيرين

<sup>(</sup>١) سائح سويسري ولد في لوزان كان أول أوربي دخل الى مكة والمدينة وقد كانتوفاته سنه ١٨١٨

من المسيحيين الذين يعدهم الاسبانيول شهداء لم يكونوا ليقتلهم المسامون لو اكتفوا بان يعتقدوا بالمسيحية ويسكنوا ولم يذهبوا حتى ابواب الجوامع يقذفون بعقيدة المسامين في وجوههم »

ثم ذكر اسماعيل عامد الادوار التي مرت بها النصرانية في بلدان المغرب بعد ان علت فيها كلمة الاسلام وقال انه بعد ان اسلم اهل المغرب بقرون بقيت فيه كنائس واسقفيات أتباعها من اهالي البلاد ولم تزل لهذه الاسقفيات بقايا حتى الى مابعد زحفة بني هلال على المغرب. وكان في قلعة بني حاد مركز اسقفية وقد كان النصاري هناك يعاملون بمزيد الرعاية . ثم انه كانت اسقفيات في قرطاجنة وغومي والقلعة في المغرب الشرقي ف درست في ايام البابا إينوشاينوس الرابع ولكن بقي نصاري متفرقون في البلاد وصارت امورهم الدينية راجعة الى اسقفية فاس في المغرب الاقصى . وقد ذكر البكري انه في القرن الثاني عشر للسيح كان في تامسان كنيسة وطائفة من المسيحيين وقد نقل « مَاسْلَتْر ي » عن ليون الافريق انه كان في سنة ١٥٥٠ قبل مجي ً الاتراك الى تونس طائفة من المسيحيين في هـنه البلدة وكان المسامون يعاملونهم بكل رعاية. فانقراض النصرانية من شمال افريقية لم يكن بسبب اضطهاد واقع من المسلمين على المسيحيين بل كان المسيحيون يعادى بعضهم بعضا كانت أساقفتهم تتزاحم على الرياسات. ثم اخذت علاقات الاساقفة مع روما ترتخي بكرور الايام حتى انتهى الأمر بأن المسيحيين الباقين دخياوا من انفسهم في الاسلام. واما في اسبانية فكانت حرية السيحيين في ايام العرب اكثر منها في ايام القوط انفسهم كما يعترف بذلك المؤرخ دوزي الشهير ولم تقتصر الحرية الدينية على المسيحيين بل بلغ منها ان الجوس عبدة الناركانوا يقيمون شعائرهم علنا في عهد عبد الرحن الناصر وابنه الحكم. وكان الأمير حَبُّوس البربري صاحب غرناطة مستوزراً رجلا يهوديا بلغ مقاما عظيماً ولم تشعر اسبانية بشئ من التعصب الاسلامي الا في عهد المرابطين الذين كانوا أحامس في الدين . ولكن المرابطين كانوا من البربر وكانت فيهم شدة فطرية ومع هذا فان ابن خلدون يروى انه كان عند المرابطين جيش من المسيحيين كان له قائد يدعى « زُو بُور تايًار » وقد كانت العادة ليست عند المرابطين فقط بل عند جيع الدول التي تعاقبت على

مراكش وتلمسان وتونس واسبانية ان تستخدم جنداً من النصارى وكان هؤلاء يتمتعون بجميع حريتهم الدينية ويقيمون شعائرهم واذا ذهبوا الى الحرب يكونون جيشا مستقلا بنفسه بين جيوش المسلمين وكانت الحصكومات المسيحية تأذن لهم في الخدمة في بلاد الاسلام . وعمن امتاز برعاية المسيحيين عبد المؤمن بن على رأس دولة الموحدين فقد عقد معاهدات مع الجنوية واهل بيزا وغيرهم واطلق لهم الحرية أن يتجروا في بلاده وأذن للرهبان الفر نسيسكانيين والد ومينيكانيين في دخول بلاده واقامة شعائر الدين المسيحى بين الاور بيين الذين كانوا الاور بيين الذين كانوا في المغرب تكاثر عددهم سنة ١٢٢٣ مسيحية الى ان استأذن البابا هونو ريوس الثالث من سلطان المغرب لذلك العهد ان يجعل على رأسهم اسقفاً فأذن له .

ولما جاء القديس لويس ملك فرنسة يحاصر تونس كان في جيش المستنصر الحفصى أمراء من المسيحيين الأروبيين مشل «فريديريك القشتالي» «وفريديريك لانزا» وكذلك كان «الفونس غوزمان» قائداً في جيش أبي يوسف بالمغرب وكان جيع هؤلاء النصارى يعيشون بين المسامين مع عائلاتهم كأنهم في بلادهم وطالما كان النصارى والمسلمون في ذلك العهد في اسبانية يزوج بعضهم بعضاً ، وكثيراً ماتزوج أمراء المسلمين بمسيحيات ويهوديات. وحسبك أن عبد العزير بن موسى بن نصير فاتح الأندلس تزوج بارماة لوذريق ملك الأندلس الذي غلبه العرب. وتزوج الأمير عثمان بن أبي نسعة بالأميرة لامبيحيا ابنة دوق اكيتانيا. وقد كانت فاورا المسيحية التي مانت شهيدة بحسب قول المسيحيين سنة نبلاء الرومانيين في أشبيلية قد أسلموا وتزوجوا من المسلمين. مثل « بني أنجلينو » و « بني سار يكو » كما ان بني حجاج من البطون العربية الشهيرة في اشبيلية كانوا من جهة الأم لرجل مسيحية ، وكان الأمير بكر من أمراء «شَانشَمَرية» الغرب مسيحية أيضا. وكانت زوجة الخليفة الحم صبيحة المشهورة من أمة الباشكونش. وفي مسيحية أيضا. وكانت زوجة الخليفة الحم صبيحة المشهورة من أمة الباشكونش. وفي أواسط القرن الحادي عشر للسيح أسلمت أسرة مالكة في أرغون اسمها بنو قصي أصلهم

من القوط. ويقال أيضا ان عائلة بنى خطاب من مرسية أصلهم كذلك من القوط ويظنون انهام من سلالة تدمير صاحب أريُوله. ومن المعلوم انولد المنصور بن أبى عامر الذى ذهب الملك من يده كان اسمه شا أجُول لان أمه كانت بنت شانجو ملك ناقار وقيل ان على " بن حزم وزير عبد الرجن الناصر كان من سلالة عائلة مسيحية من «نبله»

وفى سنة ١٢٣٠ مسيحية كان المأمون سلطانا فى مراكش وكانت عنده حلائل مسيحيات وكانت احداهن حبيب أم ولده الرشيد مسيحية وكان عند المأمون جيش من النصارى نحو من اثنى عشر ألف مقاتل . وطالما طلب الباباوات من ماوك المغرب أن يعطوا هؤلاء القواد من المسيحيين بعض القلاع البحرية ولكن الملوك كانوا أحدر من أن يرضخوا لهم بذلك خوفاً من مغبة هذا الأم

وقد ورد في الاستقصا للناصرى السلاوى عن جيش النصارى الذي كان عند المأمون المتقدم الذكر ماملخصه: ان الموحدين بمراكش خنقوا الملك العادل و بايعوا أخاه المأمون وكان في اشبيلية ثم بعد انفصال البريد ندم الأهالي و بايعوا ابن أخى المأمون يحيى بن الناصر ولكن المأمون نشر بيعته على منابر الأندلس وأعمل في الحركة الى مراكش ولما وصل الى الجزيرة الخضراء بلغه انتقاض الناس عليه فكتب الى ملك قشتاله يستنصره على الموحدين ويسأله أن يبعث لهجيشا من الفرنج يجوز بهم الى العدوة لقتال يحيى ومن معه ، فشرط عليه صاحب قشتالة أن يعطيه عشرة حصون نما يلى بلاده يختارها هو وان يبني بمراكش اذا دخلها كنيسة لجيش النصارى الذين يكونون معه وأن يضر بوا فيها نواقيسهم وان من أسلم منهم لا يقبل اسلامه و يرد الى اخوانه فيحكمون فيه باحكامهم الى غير ذلك فا سعفه المأمون في جميع ماطلب منه . قال : ودخل المائمون الى العدوة ومعه اثنا عشر ألفا من جنود النصارى وقال انه هو أول من أدخل عسكر الفرنج أرض المغرب . وروى أنه لما مات كان فيمن أخذ وقال ان اسمها حباب وكانت فرنجية الأصل وكانت من دهاة النساء

وفى مقابلة هذه الشواهد من أخبار تسامح المسامين وصفاء سرائرهم نذكر الآن مايقابلها من حقد الأوربيين وشدة شناتنهم للسامين ويكفى من القلادة ماأحاط بالجيد لان

الاستقصاء متعذر ومما يضيق عنه هذا الكتاب فنأتى أولا على ذكر الحروب الصليبية التى أشار بها الباباوات رؤساء الكنيسة الذين هم خلفاء عيسى رسول السلام الناهى عن كل مقاومة والآمر بان من ضرب على خده الأيمن يدير لضار به الخد الأيسر فنقول:

جاء في تاريخ الباباوات تأليف المسيو فرناند هايوارد Fernand Hayward كان أول من كانوليكي المشرب أن البابا سيلفستر الذي عاش في أوائل الألف سنة بعد المسيح كان أول من نادى المسيحيين في أور با لمحار بة المسلمين واستخلاص بيت المقدس من أيديهم وكان البابا المذكور افرنسيا وكان من العاماء في اللاهوت والطبيعيات والطب والفلسفة وهو الذي كان يدعى جربرت Gerbert تلقى العاوم في اسبانية أيام العرب عند ماكان راهباً : وهوالذي أدخل الأرقام العربية الى أور بة وكانت معارفه في ذلك الوقت عما يجهله الأور بيون . أما دعوته المسيحيين للزحف الى الشرق واستنقاذ بيت المقدس من أيدى المسلمين فلم تصادف في ذلك الوقت الجاسة اللازمة لها . لأن أور بالم تكن مستعدة لحرب كهذه . وفي سنة ١٠٧٤ استنجد ميخائيل الثاني قيصر بيز انطية البابا غريغور يوس السابع لينصره على السلاجقة المسلمين غريغور يوس قي اصلاء الاسلام حر باً صليبية يهاجم بها الترك في الشرق والعرب في الغرب كانوا في صيفيلية وأطراف ايطالية . و يقول المؤرخ المذكور ان غريغور يوس السابع هو أول بابا فكر في مناشبة المسلمين حر باً صليبية ولكن لمتدخل هذه الفكرة في خير الاجراء الا في زمان البابا ار بانوس الثاني .

قال انه كان قد مضى قراب مئة سنة وأور با تحدث نفسها بالزحف صفاً واحداً طرب المسامين ولا يتيسر ذلك لأسباب متعددة الا انه لما توالت من دولة بيزانطية الدعوات المبابا بأن ينصر مسيحي الشرق على المسامين توجه البابا ار بانوس الى فرنسا وطاف فى كثير من مدنها وعقد مجمعاً فى كليرمون Clermont فى سنة هه ١٠٥ فى ١٨ نو فير فضر ذلك المجمع أر بعة عشر رئيس أساقفة ومئتان وخسون مطرانا وأر بعائة قسيساً بمن يقال لهم أنصاف مطارين و بعد أن تذاكروا فى مسائل كنسية خرج البابا الى ساحة فسيحة تسع الجهور وخطب الشعب قائلا: ان شعبا ملعوناً قد اجتاح بلاد المسيحيين وأعمل فيها الحديد والنار وأهان المعابد وعذب المسيحيين وهتك الأعراض فن ينتقم لهذه الاهانات سواكم أنتم

معشر الفرنسيس الذين رفعكم الله فوق سائر الشعوب في الشجاعة فتذكر وا ما ثر آبائكم وأعيدوا ذكرى شارلمان وابنه لويس وملوككم الآخرين الذين قاتلوا ملوك الاسلام وان أهم ما يجب أن يحرك شعو ركم هو استخلاص قبر المخاص والاستيلاء على الأماكن المقدسة التي استولى عليها شعب غيرطاهر فيا أيها الشجعان سلالة أولئك القوم الذين لم يغلبهم أحدث قط شقوا طريقاً الى القبر المقدس وانتزعوا الأرض المقدسة من يد ذلك الشعب الملعون.

فعند ماألق الباباار بانوس هذا الخطاب قابله الشعب الافرنسي بحياسة زائدة وعلا الصراخ هكذا يريد الله. و وضعوا علامات الصليب على أثوابهم وطاف بطرس الناسك في البلدان يستنفر الأهالي للزحف وقتال المسامين في الشرق ولسنا الآن في مقام تاريخ الحرب الصليبية واتما نحن في ذكر كيفية توليدها ولقد زحف الصليبيون واستولوا فعلا على بيت المقدس في مر يوليو سنة ٩٥، وكان منهم ماكان من الفظائع التي يعترف مؤرخوهم بها في جميع الأماكن التي اجتاز وها من بلاد الاسلام ولما سقطت القدس في أيديهم بعد قتال شديد استمر زيادة على أر بعين يوماً ارتكبوا في ظل القبر المقدس الذي زعموا أنهم زاحفون لنطهيره من أيدي أمة غير طاهرة من القتل العام والتفنن في القسوة مايندر وجود مثله في تاريخ البشرية من أول ماعرف التاريخ . قال أبو الفداء : ولبث الفرنج يقتلون في المسامين بالقدس أسبوعاً وقتل من المسامين وعامائهم وعبادهم و زهادهم عمن جاور في ذلك الموضع جاعة كثيرة من أثمة المسامين وعلمائهم وعبادهم و وزهادهم عمن جاور في ذلك الموضع بالشريف وغنموا مالا يقع عليه الاحصاء و وصل المستنفرون الى بغداد في رمضان فاجتمع أهل بغداد في الجوامع واستغاثوا و بكواحتي انهم أفطر وا من عظم ماجرى عليهم انتهي .

وكان أبو الفداء قد ذكر فظائع ماعمله الافرنج عند استيلائهم على انطاكية والبلدان التي مروا بها وقال انهم سار وا الى المعرة وقتلوا فيها أكثر من مئة ألف انسان . وفى فاجعة القدس هذه عند ماوصل الصريخ الى بغداد قال المظفر الأبيوردى :

مزجنا دماء بالدموع السواجم فلم يبق منا عرضة للراجم وشر سلاح المرء دمع يُفيضه اذا الحرب شُبت نارها بالصوارم فايها بنى الاسلام ان وراءكم وقائع يلحقن الذرى بالمناسم وكيف تنام العين مل حفونها على هفوات أيقظت كل نائم

يسومهم الروم الهوان وأنتم وكم من دماءقد أبيحت ومن دمي وبين اختلاس الطعن والضرب وقعة وتلك حروب من يغب عن غمارها سللن بأيدى المشركين قواضا يكاد لهن المستكن طيبة أرى أمتى لايشرعون الى العدا وتجتنبون النار خوفاً من الردى أترضى صناديد الأعارب بالأذى فليتهم أ اذ لم يذودوا حمية وان زهدوا في الأجر اذ حمى الوغى فهلا أتوه رغبة في المغانم

واخوانكم بالشام صرعى مقيلهم ظهور المذاكي أو بطون القشاعم تجرون ذيل الخفض فعل المسالم توارى حياء حسنها بالمعاصم يظل لها الولدان شيب القوادم ليسلم يقرع بعدها سن نادم ستعمل منا في الطلى والجاجم ينادى بأعلى الصوت ياآل هاشم رماحهم والدين واهي الدعائم ولا تحسبون العار ضربة لازم وترضى على ذل كاة الاعاجم على الدين ضنوا غيرة للحارم

هـذا وفي زمان البابا أوجانوس الثالث عادت الحرب الصليبية الى الشدة وذلك ان الاعتراك كانوا قد استولوا على الرها سنة ١١٤٤ وعادوا الى مهاجةالصليبيين وفي سنة ١١٨٧ دعا البابا غريغوريوس الثامن الىحرب صليبية جديدة عند مابلغه أن صلاح الدين الائيوبي استرجع بيت المقدس.

وقد جاء في تاريخ الباباوات هذا مواقف أخرى لهم في اثارة الحروب على الاسلام بينهاهم رسل السلام على وجه الا أرض منها موقف البابا كاليكستيوس الثالث فقد ارتقي كرسي البابوية وهو في سن الثمانين و برغم شيخوخته هـنه لم يكن عنده مهم أكثر من اثارة المسيحيين على المسلمين. وفي سنة ١٤٥٦ بني هذا البابا أسطولا بحرياً خسأوعشرين سفينة حربية ودعا ملوك النصاري ليلتحقوا به ويشنوا الغارات على بلاد الاسلام وتطوع لذلك أناس كثير ون في انكلترة وفرنسة والمانيــة و بلاد المجر. وفي سنة ١٤٥٨ جع البابا بيوس الثاني مجمعاً عاما دعا اليه ماوك المسيحيين الى حرب عامة يصلونها الأتراك وفي سنة ١٤٦٠ قرروا أن تستمر هـــذه الحرب ثلاث سنوات بالأقل الا ان الملوك لم يتفقوا وخطر ببال البابا بيوس الثاني أن يتولى هو بنفسه قيادة غزوة صليبة برغمم ض النقرس ومرض

الحصى اللذين كانا معه الا انه مات سنة ١٤٦٤ قبل أن أتم عمله . وسنة ١٤٧٠ استولى محمد الفاتح على بلان اليونان وسر أسطولا أر بعائة سفينة تجوس فى سواحل بحر الأردياتيك وكان البابا يومئذ بولس الثانى فدعا ملوك المسيحيين الى صليبية جديدة فلم تتفق كلتهم . وفى سنه ١٤٨٨ اختلف الأمير جم بن محمد الفاتح مع أخيه بايزيد فالتجا الى رومة وكان البابا يومئذ اينوشانسيوس الثامن فتلقاه بالترحيب أملا بالاستفادة من خلافه مع أخيه . وفى نرمن البابا اسكندر السابع اشتد العمل لمحار بة المسلمين وقدم البابا نفسه أسطولا لهذه الحرب المقدسة واجتهد البابا اكليمنصوس التاسع فى توحيد كلمة فرنسة واسبانية وجلهما على عار بة الاتراك الذين كانوا استولوا على جزيرة اقريطش (كريت)

هده انموذجات مما حرض به رؤساء الكنيسه ابناء ملتهم على حرب السامين نقلناها من تاريخ الباباوات لمؤلف كاثوليكي ولتأخذ انموذجات اخرى من كتاب مئة مشروع تقسيم التركيا Cent Projets de Partage de la Turquie تأليف دجو ڤارا Djuvara من افاضل وزاء رومانيا قال الوزير دجوڤارا ان اصل العداوة المزمنة التي يشعر بها الاور بيون للاعتراك و يميلون ابدا من اجلها الى حصرهم في آسية هي راجعة الى العداء الشديد الواقع بين النصرانية والاسلام ونقل عن «غُودْ فرواكورت » Godefroid Kurth كلاماً كتبه هذا في سنة ١٨٨٩ في كتاب عنوانه « الصليب والهلال » قال فيه : ان الاسلام قد عمل مالم يقدران يعمله بل مالم يجرؤ ان يعمله دين آخر وذلك بأن الصليب تغلب على كل شيء أمامه وجاء الاسلام أحيانا فتغلب عليه . وكان الصليبيون يقولون في قتال الاسلام . هكذايريد الله ، ونحن يمكننا ان نعيد اليوم العبارة نفسها وان نحارب العدو الذي حاربه آباؤنا. وقال المسيو دوفاريك De Varrick من علماء الحقوق: انه من الواجب القيام . بحرب دينية يستخلص بها القبر المقدس وتوضع بلاد يسوع تحت حراسة أمير مسيحي وحماية مجموع الدول العظام. ثم قال دجوڤارا: ان المسلمين كانوا أرعبوا اور بة وخنعت لهم اسبانية مع عظمتها وفي أواخرالقرن الثاني عشرامتد سلطان العرب من الهند الى الاطلانطيك وصارت حضارة بغداد والبصرة أعلى وارقى من حصارة إكس لاشابل وباريس وكان الفرنج Francs تحت قيادة شارل مارتلهم الذين كسر وا المسلمين في «بواتييه» وانقذوا النصرانية فن ذلك الوقت لم يعرف المسلمون اور بة الا تحت اسم بـ لاد الفرنج . وكان اول من دعا

الاور بيان الى حرب صليبية هو البابا سلقستر الثانى وذلك سنة الف واثنين ولم يتوفق الى تحقيق مااراده ثم جاء البابا غريغور يوس السابع فاستنفر جميع ملوك اور با لحرب دينية يصاونها الاسلام وذلك سنة من ذلك الناريخ. ثم بدأت الحروب الصليبية فأخرت فتح الاتراك كو عشرين سنة عن ذلك الناريخ. ثم بدأت الحروب الصليبية فأخرت فتح الاتراك للقسطنطينية مدة ثلاثمائة وخسين سنة وانتهت الحروب الصليبية سنة ١٢٧٠ مسيحية الى سنة ١٢٩١ بسقوط عكا وخسر المسيحيون عدا ما كانوا فتحوه من بلاد الاسلام مملكتين مسيحيتين قبرص وارمينية. ثم ان الاتراك دخاوا الى اوربة سنة ١٣٥٦ بعبورهم مضيق الدرد نيل وافتتحوا ادرنة في سنة ١٣٩٠ وفي جميع هذاه الازمنة ومن قبل ان يدخل الترك الى اوربة كان كتاب النصارى والمفكرون منهم لا يريدون ان يتعز وا عن اخفاق الحروب الصليبية ولا يفتأون يهيجون خواطر الشعوب الاور بية ويحرضونهم على عمل مشترك الصليبية ولا يفتأون يهيجون خواطر الشعوب الاور بية ويحرضونهم على عمل مشترك يقومون به لدحرالاسلام ولا سما عن فلسطين واشتهر من بين هؤلاء المحرضين بيردو بوا المهيدية وغلول عالم وهايون ومارينو Sanuto وسانوتو Sanuto وهايتون Pierre Du Bois وغليوم دو نوغارى Pétrarque وكذلك الشعراء مثل Pétrarque كانوا في مقدمة المحرضين على قتال المسامين

قال: ولما سقطت عكا وصور كتب البابا نيقولا الرابع كتابا تاريخه ٢٣ اوغسطس سنة المرام فيليب لوبيل ملك فرنسا يظهر له به ألمه ويستنجده ليجمع كامة ماوك النصارى وينتقم من الاسلام ولكن البابا مات قبل تحقيق امله . وكان قد تلقى بَرْ ناميْجَى حرب احدهما من ملك صقلية كارلوس الثانى والثانى من راهب يقال له «فيدانس دُو بادُو» وكان برنامج كارلوس الثانى العدول عن قتال المسامين بالسيف الى مقاتلتهم بالتجارة قال لانهم اذا زحف الاور بيون الى بلادهم تركوهم يطؤن السواحل و يعمل فيهم تأثير الاقليم فيضعفوا فكان الأولى قطع الطريق على متاجرهم واعداد اساطيل لهذا المقصد وتوحيد القيادة و يسمى هذا المشروع فيدانس دُو بادُو واءه فلم يكن مقتصراً على حرب تجارية بل كان يشير بتجريد جيش يطأ البر و يكون و راءه أسطول من ثلاثين الى خسين بارجة حربية وان تنزل الجنود في سواحل انطا كية مجيعل الصليبيون انطا كية معتصاً هم وقاعدة لغز واتهم . وقد انتقد بعضهم هذا المشروع وحكموا

باستحالته وفي سنة ١٣٠١ جد من برنامج آخر صاحبه وكارلوس دوڤالوًا » أخو فيليب لو بيل ملك فرنسا وكان هذا الأمير قد تزوج بكاترينة ابنة « فيليب دوكوتنيه» Philippe آخر ماوك اللاتين في القسطنطينية \_ لأنه كما لا يخفي كان اللاتين غلبوا الروم على القسطنطينية وملكوها مدة خسين سنة \_ فتعلق أمل كارلوس المذكور بالاستيلاء على مملكة حيه وظاهره على ذلك البابا بونيفاس الثامن وبعض ماوك النصرانية ووعدته جهورية البندقية بقوة بحرية الاان هذا المشروع أُصيب أيضاً بالفشل وكانت معد اته ضئيلة بالنسبة الى خطره . وأكثر من حرض عليه فيليب لو بيل ملك فرنسة الذي كثيراً ما فكر بفتح فلسطين . ثم ان البابا اكلمانضوس الخامس تقدم الى رئيس نظام الفرسان الهيكليين بترتيب مر نامج لمحاربة المسلمين وذلك سنة ١٣٠٧ وكان الرئيس المذكور يدعى «جاك دوموليه» Jacque de Molay فاشار هذا بجمع كلة النصرانية على قتال المسلمين وانه لا يجب أن يقل الجيش عن خسة وستين ألف مقاتل وأن يكون معززا بالسطول مرسو في مياه قبرص تحت قيادة الاميرال « روجر دولُورْيا » الأرَغُوني. ثم جــــــ مشروع رابع صاحبـــه «بیبردو بوا» وهو رجل من مدینة « کُوتَنْس » ولد بین سنة ١٢٥٠ و ١٢٦٠ واشتهر سنة . . ١٣٠٠ وقدم برنامجاً الى البابا ا كلمانضوس الخامس لاجل استرداد الاراضي المقدسة وقدم برنامجا آخر الى فيليب لوبيل ملك فرنسا في الموضوع نفسه وحرَّضه على أن يؤسس مملكة في الشرق يضع على رأسها ثاني أولاده. وكان من جلة وصاياه أن تتوحد كلة الملوك الكاثوايكيين وان يحملوا الروم الاورثوذكسيين في الشرق على الخضوع للكنيسة الرومانية وأن يكون الجيع يداً واحدة في وجه الاسلام وقال انه يحب تجهيز أربعة جيوش ثلاثة منها تذهب بحراً الى فلسطين والرابع بزحف بر"اً وكان من رأيه أنه بعد استتباب الفتح يصير كارلوس دوڤالوا ملكا على جيع المملكة البيزنطية مضمومة اليها بلاد المجر والفلاخ والبودان وهكذا لوتم ما أراده لكانت مملكة رومانيا الحالية من جلة ملحقات فرنسا. وكان من جلة ما أشار به أن يكون البابا هو المصلح بين الامراء المسيحيين وان يجعل مجمعاً عاما وخزانة خاصة بالارض المقدسة يكون لها شعبة في كل كنيسة مسيحية. وقال المؤرخ الشهير « البير سوريل » Albert Sorel انه كان في برنامج « پيير دو بوا » هذا كثير من الخيال ولكن هذا الخيال كان في ذلك الوقت يحوم على خواطر الجيع. ونقل تجوفارا فى أثناء كلامه على مشروع دوبوا ان البابا غريغوريوس الحادى عشر أندر المبراطور بيزنطيه بأنه لا يساعده على المسلمين ان لم يرجع الى الكنيسة الرومانية. ونقل أيضا ان البابا سيلفيوس كتب الى السلطان مجمد الفاتح سنة ١٤٦٣ يدعوه أن يتنصر ويقول له « بقليل من الماء على بدنك تتعمد وتصير نصرانيا خادماً للانجيل . فان فعلت هذا لا يكون على وجه الارض ملك يمكنه أن يفوقك فى المجد والاقتدار »

تم مشروع ريموند لول Raymond Lulle سنة ١٣٠٦ وهو فيلسوف مسيحي صاحب طريقة خاصة به ولد في پالما من جزيرة ميو رقة وقتله العرب في تونس سنة ١٣١٥ وله مؤلفات كثيرة في اللاتينية وقد كان من الدعاة الى الحرب الصليبية وله في ذلك تأليف موجودة نسخته الاصلية بخط المؤلف في المكتبة الوطنية في باريز تحت عرة ١٣٧٣ وقد استحسن المجمع العام المنعقد في « قيان » سنة ١٣١١ هذا الكتاب وأوجب العمل به وقرر القيام بصليبية جديدة واجتباء العشر من الحاصلات لاجل هذه الغزاة الصليبية وذلك على مدة ست سنوات ولم يقل ريموند لول شيئاً مما يتعلق بكيفية تقسيم بلاد الاسلام بين الفاتحين الكاثوليكيين ولكنه ذهب الى وجوب تعلم اللغات الشرقية لاسيا اللغة العربية لتسهيل هذه الفتوحات ونشر الدين الكاثوليكي بالوعظ والارشاد. وقال سان مارك جيرارادان Saint-Marc Girardin ان ريموند لول كان يرى الاولى هداية غير المؤمنين وهداية المسيحين المنشقين الى الدين الكاثوليكي بدلا من قهرهم بالسيف وقال جيراردان أيضاً انه اعترض نجاح الصليبيات في المدة الاخيرة ثلاثة أسباب الاول خود جدوة الجاسة الصليبية القديمة والثانى تنازع الامراء اللاتينيين في الشرق مع مقاومة الروم لهم والثالث الشقاق بين الكنيستين الارثوذكسية والكاثوليكية. هذا وكان ريموند لول يقترح تجريدتين صليبيتين احداهما تزحف الى مراكش فتونس فطرابلس والثانية تزحف الى القسطنطينية ومنها الى سوية. وقد اختلفت برامج هؤلاء الخياليين في قضية الزحف على بلاد الاسلام فكان غليوم دادان الدومنيكاني يرى السير من طريق القسطنطينية وقد ألف بين سنة . ١٣١ وسنة ١٣١٤ كتاباً سماه «كيفية استئصال المسلمين » وأشار فيه بإيجاد أسطول مسيحى في خليج فارس وأما بر وكارد فأشار بالزحف من ايطاليا الى بلاد الصرب ومنها الى الشرق وأما سانوتو فكان يرى وجوب الجل على بلاد الاسلام من البحر ويدخل في رنامج ريموند لول الزحف على بلاد الاندلس براً وبحراً و بعد الاستيلاء عليها احتلال مدينة سبتة في، افريقية ثم مدينة تونس وذلك لاجل تسهيل الاستيلاء على مصر والبلاد المقدسة و بينها يكون جانب من القوة الصليبية محاصراً مصريكون الجانب الآخر زاحفا من القسطنطينية الى سورية ومنها الى جزيرة العرب

فهذه مشر وعات خسة لخصناها تلخيصا من كتاب مئة مشر وع لتقسيم تركيا . وأما المشر وع السادس فهو مشر وع مارينو سانوتو Marino Sanuto وهو رجل ينتسب الى احدى الأسر النبيلة في البندقية ولد سنة ١٣٦٠ وطاف في بلاد الشرق مثل المورة وقبرص وأرمينية ورودوس واسكندرية وقد بدأ كتابه في الحث على محاربة المسلمين سنة ١٣٠٦ ولكنه لم يقدمه الى البابا يوحنا الثاني والعشرين الا سنة ١٣٧١ وقد ذهب في كتابه لأجل نجاح المشروع الى الببابا يوحنا الثاني والعشرين الا سنة ١٣٢١ وقد ذهب في كتابه لأجل نجاح المشروع الى توحيد الكنيستين الشرقية والغربية وفي ذلك يقول الفيلسوف ارنست ره نان: «ان سانو تو كان يجهل درجة الخلاف بين الكنيستين ولا يعلم ان الروم لم يكن يصعب عليهم الخضوع للعهامة كما يصعب عليهم الخضوع للتاج البابوي . ولم يكن سانوتو يشير باستيلاء اللاتين على القسطنطينية بل كان يرى بقاء ييزانطية للروم . وكان من رأيه أن تكون سلطنة البقاع المقدسة لفرنسة وكان يحث كثيراً على حصر الديار المصرية و يعتقد انها اذا حوصرت مدة ثلاث سنوات فلا بد من الأستيلاء عليها وانه اذا استولى المسيحيون على مصر فلا بد من أن يستولوا على بيت المقدس . وكان أكثر مقصد سانوتو تأمين الطرق مصر فلا بد من أن يستولوا على بيت المقدس . وكان أكثر مقصد سانوتو تأمين الطرق « ان انكاترة أبعد سبعة قرون من زمان سانوتو قد حققت لنفسها الأمل الذي كان يحلم به سانوتو »

ثم المشروع السابع المنسوب الى هايتون Hayton او هيتوم المسنة ١٣٠٧ وكان هيتوم أميراً ارمنياً من «كرشى» وهى ثغر بحرى بازاء جزيرة قبرص وكان عمه ملكا على أرمينية فاستولى المسامون على بلاده ولجأ هيتوم الى البابا اكليمنضوس الخامس وأقام بمدنية بواتيه حيث مات سنة ١٣٠٨ وكتب كتابا باللاتينية ثم ترجم هذا الكتاب سنة ١٣٥٨ إلى الافرنسية وأشار في كتابه الى وجوب فتح بيت المقدس و بين الطرق التي بزعمه يتيسر بها هذا الفتح ولكن الوقت الذي كتب فيه كتابه هذا لم يكن الوقت الذي تقبل يتيسر بها هذا الفتح ولكن الوقت الذي كتب فيه كتابه هذا لم يكن الوقت الذي تقبل

فيه الناس رأياً كهذا الرأى فقد كانوا في فرنسة تحت تاثير فاجعة القديس لويس ملك فرنسة الذي كان قد أسر في دمياط ثم عاد فقتل في تونس وكان برنامج هيتوم تجريد جيش على شهالى افريقية وجيش آخريزحف الى سورية من طريق القسطنطينية وجيش آخريزحف برحف بحراً وأكثر ماكان يهم هيتوم هو فتح بلاده أرمينية وكان يرى ان المغول يمالئون الصليبيين على المسلمين وانه اذا زحفوا الى حلب يضطر سلطان مصر الى نجدة حلب فيخرج من بلاده و يخلو الجو للا فرنج فيمكنهم احتىلال طرابلس الغرب. وكان يشير بعقد محالفة بين المسيحيين والمغول لكن على شرط أن لا يتلاقى الجيشان من الفريقين لئلا يحدث بينهما قتال بل يزحف المغول الى دمشق و يزحف الصليبيون من طريقى الساحل الى القدس و بعد الأستيلاء على بيت المقدس يزحفون الى مصر ولم يكن نجاح مشروع هيتوم أعظم حظاً من مشروعات الآخرين.

تم المشروع الثامن وهو المنسوب الى «غليوم دونوغارى» Guilloume De Nogaret وتاريخه سنة ١٣٦٠ وكان نوغارى من رجال فيليب لو بل ملك فرنسة وكان هذا الملك شديد الاعتماد عليه ولذلك كان يشير بتولية فيليب لو بل قيادة الجلة الصليبية وان تجبى الأموال اللازمة لتلك الحرب وتوضع بين يديه ولذلك أساء بعضهم الظن في فيليب لو بل واعتقدوا أنه انما أراد بهذه الصليبية جع الأموال لااعلاء كلة الصليب . وكان مما أشار به نوغارى محالفة سلاطين المغول ومحالفة امبراطور الروم في بنزانطية .

ثم المشروع التاسع المنسوب الى غليوم دادام Guilloume D'Adam و ناريخه سنة وكان المذكور راهباً دومينيكيا قضى معظم حياته يعظ بالانجيل في بلاد الشرق وذهب الى الحبشة والهند وكانت أراؤه في الموضوع غريبة فكان يشير بأن الصليبين يأخذون القسطنطينية في طريقهم و يحولونها عملكة لاتينية وكان يشير أيضاً بعمارة أسطول في بحر فارس لمنع تجارة الهند مع مصر . وحل حلة شديدة على المسيحيين الذين كانوا يتجرون مع المسلمين لاسيا الجنوية الذين كانوا يبيعون الرقيق من أهل مصر فكان في ذلك القطر جيش من المماليك نحو أر بعين ألفاً أكثرهم بلغار ويونان ومجر وغيرهم وقال انه يجب على البابا اصدار حرم بحق كل المسيحيين الذين لهم علاقة تجارية مع المسلمين وقال بوجوب عقد محالفة مع الكرج ومع ماوك العجم وأن يعهد بالسيطرة في بحر اليونان بوجوب عقد محالفة مع الكرج ومع ماوك العجم وأن يعهد بالسيطرة في بحر اليونان.

المسمى ببحر الأرخبيل الى أولاد ذكريا الجنويين الذين كانوا يملكون جزيرة شيو . وألح غليوم هذا كثيرا بفتح القسطنطينية قائلا: «إنها مفتاح كل المشرق» وقال ان الروم لم يكونوا أقل عداء للاتين من المسلمين فيجب خضد شوكتهم . وقد اهتم صاحب هذا المشروع كثيراً بالمسألة الاقتصادية نظير سانوتو وقال انه يجب قطع تجارة مصر مع الشرق الأقصى بوضع قوة صليبية في بحر الهند وفي عدن . وقد كان هذا الأمر في ذلك الوقت ضربا من الحال .

ثم المشروع العاشر وهو مشروع «هارى الثانى دولوزينيان » المشروع الله قبرص وتاريخه سنة ١٩١١ وقد تقدم هذا المشروع الى مجمع « ڤيان » مع مشروع نوغارى المتقدم الذكر وكان هذا الملك يشير بتجهيز طليعة مسيحية قوامها ١٥ أوعشرون سفينة حربية تواصل غاراتها البحرية على مصر الى أن تتمكن من تخريبها وبعد ذلك يقدم الجيش الكبير فيطأ أرض مصر ويستولى عليها واذا استولى الصليبيون على مصر هان عليهم فتح سورية وقد أشار الملك المذكور بأن يبدأ الصليبيون باحتلال قبرص وان يتجنبوا احتلال - أرمينية يريد بأرمينية بلاد كيليكية واسكندر ونة وذلك بقوله ان مناخ لتقرير ملك قبرص هذا تأثير عظيم في مجمع « ڤيان » فأعلن هذا المجمع الحرب الصليبية في التقرير ملك قبرص هذا تأثير عظيم في مجمع « ڤيان » فأعلن هذا المجمع الحرب الصليبية في اكمانضوس فتوقف العمل ثم قام الأساقفة يحرضون شارل لو بل على اتمام المشروع فعارض في ذلك دوق بو رغونيه و بقي الأخذ والرد في هذه المسألة الى سنة ١٣٣٧ .

ثم المشروع الحادى عشر المنسوب الى بروكارد وتاريخه سنة ١٣٣٧ وكان بروكارد هـنا راهبا المانيا من الرهبان الدومينيكيين فقدم تقريراً الى ملك فرنسة يشير به بحرب صليبية ويبين الطرق الموافقة لها ولم يكن يرى أن تكون الجلة بحرية ولا كان أيضا يستحسن الزحف من جبل طارق وشمالى افريقية الى مصر وكان يرى هذه الطريق طويلة شاقة وانما كان يجد الطريق الحسنى من خليج « اوطرانطو » الى كو رفو الى البلقان ويرى أحسن من ذلك الطريق التي اتبعها بطرس الناسك وهي طريق ألمانية الى ويرى أحسن من ذلك العلمية. ولم يكن بروكارد يرضى بمهادنة ملك الصرب بلاد المجرد الى البلقان الى القسطنطينية. ولم يكن بروكارد يرضى بمهادنة ملك الصرب

وأمبراطور الروم في بيزانطيه بل كان يقول انه لا يجوز الثقة بهما لا أن نصاري تلك البلاد منشقون على الكنيسة و يجب فتح بلادهم كما يجب فتح بلاد المسلمين . وكان يقول ان الترك يدور بينهم كلام من قبيل الجفر على انه لابد أن يفتح بلادهم ملك افرنجبي وان هذا مما يسهل نجاح هذه الغزاة . ولم يكن في مشروع بر وكارد شيء من الملاحظات الاقتصادية بل كانت جميع الاعفراض التي بني كلامه عليها حربية وسياسية ولذلك كان لتقريره وقع عظيم على المجلس الملوكي في فرنسة و بعد أن قتلوا المسألة بحثاً رجحوا طريق البحر على الطريق التي اختارها بروكارد بحجة ان هذه طريق خطرة . ثم عرضت جهورية البندقية عقد عصبة ضد الاتراك ودخل في هذا التحالف المبراطور القسطنطينية وفرسان رودوس وانعقد الحلف بين فرنسة والبندقية بحضور البابا يوحنا الثاني والعشرين في آڤينيون وأعلن البابا فيليب السادس المسمى دوڤالوا « De Valois » قائداً للزحفة الصليبية واكتتب للذهاب ثلاثمائة ألف مقاتل. وكانت السفن التي في المراسي قد تهيأت لنقل ستين ألف مقاتل دفعة واحدة. وبينها هم على قدم الزحف اذ نشبت الحرب بين انكلترة وفرنسة فتوقف كل شئ شم جاءت الأخبار بتهافت سلطنة بيزانطيه من كل جهة وتداعيها الى السقوط فارت العزائم وفي سنة ١٣٨٠ وسنة ١٣٩٠ عقدت البندقية وجنوة وغيرهما من الجهوريات البحرية معاهدات تجارية مع الترك وفي سنة ١٣٨٩ أحرز الترك ذلك النصر العظيم في قوصوه ثم في سنة ١٣٩٦ انتصر الترك انتصاراً باهراً في نيقو بوليس على الجيوش المجرية والافرنسية وأخذ كثير من أمراء الفرنسيس وفرسانهم أسرى ولم يبق في القرن الرابع عشر محل لجلات صليبية . واستمر امبراطور القسطنطينية يرسل بالصريخ الى أوربة فأرسل الى كارلوس الرابع ملك فرنسة يستعديه على الاتراك وأعلن البابا غريغوريوس الثاني عشر الحرب الصليبية على المسلمين في ٩ نوفير سنة ١٤٠٧ الا أن الترك استولوا على القسطنطينية وقبرص وازدادت الآمال خيبة وآل الا مر الى أن توما باليولوغ باع من ملك فرنسة كارلوس السابع لقب أمبراطور المشرق ولكن لم ينفع هذا شيئاً ولما نشبت الحرب بين ملك فرنسة المذكور و بين البابا اسكندر السادس اضطر البابا الى عقد معاهدة مع السلطان بايزيد العثماني ضد ملك فرنسة الذي كان ينوي فتح الائراضي المقدسة . ثم المشروع الثاني عشروهو منسوب الى «برتر اندون دولابر وكيار» Bertrandon de

وكان هـ ندا الرجل من أخصًّا ع « فيليب لو بون » دوق بو رغونيا أرسله الدوق الى الشرق رائداً لما كان في نفسه من القيام بحرب صليبة. فذهب الى القدس سنة ١٤٣٢ وعاد الى فرنسة من طريق البر فر بدمشق وانطاكية وبرسا وغاليبولى والقسطنطينية وأدرنه وفيلبه وصوفيا و بلغراد وڤينا و وصل الى بلاط سيده دوق بو رغونيا في سنة ١٤٣٣ وهو باللباس الشرقي وعلى جواد كان اشتراه في دمشق . وقد كتب رحلته هذه بلسان ذلك الوقت ونقحها باللسان الافرنسي الحديث المسيو « لوغران دوسي » Legrand d'aussy ونشرت سنة ١٨٩٢ ونسختها الاصلية هي في المكتبة الوطنية بباريز ومن رأى «دولابر وكيار» ان الملك المسيحي الذي سيحارب المسامين لاينبغي له أن يفكر بمجد ولا بحسن أحدوثة وانما ينبغي أن يكون عمله مجرداً لله وانه لايوافق أن تكون أرزاق الجيش الصليي من النهب والغصب وأيما يؤدون ثمن الا ووات كلها الى من يبيعهم اياهم الى أن يدخلوا بلاد الاتراك ومن رأيه أن البابا يقدر أن يقوم بنفقات الجلة الصليبية. وقد تكلم دولابر وكيار عن الروم فطعن فيهم وطعن في المجر أكثر مما طعن في الاروام وقال انه يا من الى تركى أكثر مما يأمن الى مجرى . ولما وصل الى غلطة في القسطنطينية تلاقى مع «فو راينو » معتمد دوق ميلانو في الشرق وذهبا معاً الى السلطان مرادالثاني في أدرنه لا عجل تبليغهرسالة من قبل دوق ميلانو معناها أنه يا مل من السلطان أن يتخلى للا مبراطور سيحيسموند عن بلاد المجروالبغدان. والبلغار و بوسنه وألبانيا . فاعجابهما السلطان قائلا : « سلما على أخى دوق ميلانو وقولا له ان طلبه هــذا غير معقول لا سما انه ما وجــد الامبراطو ر أمامي في معركة الا انهزم أو لاذ بالفرار ».

ثم المشروع الثالث عشر وهو النسوب الى « فيليب لوبون » دوق بو رغونيا وتاريخه سنة ١٤٥٧

وهـذا الدوق كان ينوى دائماً تجريد حملة صليبية على السلطنة العثمانية قبل فتحها للقسطنطينية و بعده. وكان الامبراطور يوحنا باليولوغ صاحب هذه البلدة استصرخه سنة ١٤٤٧ فجهز أسطولا عاث ونهب وعمل أعمالا قرصانية الا انه لم يقدر على شيء يذكر. ولما

سقطت القسطنطينية في أيدى الاتراك نذر الدوق أن يزحف بنفسه لحرب الترك وكان مراده أن يقصد القسطنطينية رأساً زاعماً انه يجب قطع جذع الشجرة قبل أغصانها . وكان يبنى آماله على الأمم المسيحية التي في البلقان . و بعد أن رسموا له خطة السير وعين هو القواد و بدأ بالتجهيز و وعده لو يس الحادي عشر ملك فرنسة بعشرة آلاف مقاتل لهذه الصليبية جدّت عوائق منعته من اتمام عمله ومات البابا بيوس الثاني الذي كان ظهيراً له في هذه النية وفي هذه المدة كان الاتراك يسير ون من فتح الى فتح في شبه جزيرة البلقان حتى استصفوها كلها و بقيت في أيديهم بعد ذلك أر بعائة وستين سنة

ولهذا لانجد في القرن الخامس عشر مشر وعات صليبية الا قليلا. وما استؤنفت هذه المشر وعات الا في أواخر القرن السادس عشر بعد واقعة ليبانت البحرية الشهيرة التي انكسرت فيها شوكة الاتراك. وكان من أواخر الدعاة الى الصليبية الراهب «كاسبيستبرانو» Caspistrano الذي حضر حرب بلغراد سنة ١٤٥٦ وطاف في اسبانية وفرنسة والمانية و بولونية و بلاد المجر داعياً الى الحرب المقدسة ومعه صليب و راية أعطاه اياهما البابا مع صورة القديس برناردينو. ومات هذا الراهب الصليبي سنة ١٤٥٦ بعد واقعة بلغراد بثلاثة أشهر

ثم المشروع الرابع عشر المنسوب الى كارلس الثامن ملك فرنسة وتاريخه سنة ١٤٩٥ وقد كان هذا الملك يفكر في استخلاص بلاد اليونان من أيدى الترك ثم الزحف الى القسطنطينية ومنها الى الارض المقدسة. وكانت غارته على ايطالية انما هي على نية اتخاذ مدينة نابولى قاعدة بحرية يشحن منها الأساطيل الى الشرق . وأصل هذه الفكرة عند كارلس الثامن هو ان والده لويس الحادى عشر كان قد قال في سنة ١٤٧٨ لوفد ايطالى : « انى ابتهل الى مريم العذراء المجيدة أن تمنح ولدى العزيز شرفاً عظيما ذلك بأن تمكنه من الذهاب بنفسه الى الشرق ومعه نبلاء فرنسة وفرسانها لقتال التركى المكروه وغيره من الجاحدين » ولما أرسل «لودڤيك سنورزا » رسله من ميلانو الى كارلس الثامن سنة ١٤٧٨ يستحثه على القدوم الى ايطالية بعث يقول له : ان السلطان العثماني في القسطنطينية لا يخشي أحداً القدوم الى ايطالية بعث يقول له : ان السلطان العثماني في القسطنطينية وان لقبه « الملك خشيتًه من الأمة الافرنسية . قال « دوفونسان » : De Foncemagne انه كان من السهل النامن بأن فتح نابولى انما هو مقدمة لفتح القسطنطينية وان لقبه « الملك المسيحي كثيراً » يستدعى ذلك

فزحف كارلس الثامن الى ايطالية فى شهر يوليو سنة ١٤٩٤ وفى شهر دسمبر من تلك السنة كتب الى بعض أساقفة فرنسة قائلا: ليست نيتنا منحصرة فى فتح نابولى وانما هى ترمى الى تأييد الكنيسة والاستيلاء على الارض المقدسة

ونشر كارلس من فاو رنسة منشو راً قائلا فيه: « اننا اقتداء ً با آبائنا ماوك فرنسة المسيحيين كثيراً نريد أن نمنع بما أوتينا من قوة هذه المو بقات الكثيرة التي يرتكبها الاتراك بحق الديانة المسيحية وقد أخذنا على أنفسنا أن لانضن بنفسنا ولا بشي من وسائلنا في دفع هؤلاء الطواغيت الاتراك والاستيلاء على الارض المقدسة وغيرها من المالك التي انتزعوها من أيدى المسيحيين »

وذكر انه انما يريد بفتح مملكة نابولى العبور منها الى المشرق . ونظمله «غيليوش دو بوردو » أحد شعراء الوقت قصيدة يقول فيها «انه سيتوج ملكا على الروم ويدخل الى أو رشليم و يصعد الى جبل الزيتون »

وكان « اندرى باليولوغ » قد أمضى صكاً مؤرخا فى ٢ سبتمبر سنة ١٤٩٤ ينزل فيه عن حقوقه فى تاج القسطنطينية لملك فرنسة . وكان دخول كارلس الثامن الى رومة فى ٣١ دسمبر سنة ١٤٩٤ وكان استيلاؤه على نابولى ودخوله اليها بالثياب القيصرية فى ٢٢ فبراير سنة ٥٩٤١ وطلب من البابا اسكندر السادس (بو رجيا الشهير) أن يسلمه الأمير جم أخا السلطان بايزيد الذى كان ملتجئاً الى رومة ثم كتب الى رئيس فرسان رودس يكاشفه بما نواه من «نشر الديانة المقدسة الكاثوليكية وتحرير المسيحيين مما هم فيه من الخنوع للأمة الجاحدة واسترداد الأراضي المقدسة المغصوبة »

فأجابه رئيس نظام فرسان رودس متفائلاً متيمنا مؤملاً هذه المرة « استئصال شأفة اللعونة أمة مجمد . . . »(١)

و كان الأروام منتظرين قدوم ملك فرنسة . ونقل « كلود دو سسل » Claude De Saissel ان الأتراك ارتاعوا لخبر زحفة كارلس الثامن وكان منهم حامية في

<sup>(</sup>١) هنا ألفاظ أبينا نقلها وهذه المكتوبات هي في صفحة ٤٩ من كتاب « مائة مشروع تقسيم لتركيا » تألف المسيو دجو قارا الروماني

بلاد المورة فأخذوا يشترون قبعات من الأروام ليلبسوها و يتزيوا بزى الافرنج أملاً بتسكين حدتهم (١)

ورفع كثير من الأرناؤوط الراية الفرنسوية . و بلغ السلطان خبر عزيمة ملك فرنسة فهز مائة وعشرين سفينة حربية وحشد . ٤ ألف مقاتل . وقيل ان كثيرين من رعايا السلطان المسيحيين كانوا متحفزين للثورة . الا أنه حصل ما فت في عضد ملك فرنسة فالأمير جم أخو بايزيد مات في ٢٥ فبراير سنة ٢٩٦١ قيل ان السلطان بايزيد رشا البابا السكندر بورجيا حتى سمّة . وانضم أعداء كارلس الثامن الى السلطان منهم الفونس الأراغوني ومنهم البابا نفسه . وانعقد الحلف المسمى بعصبة البندقية وحار بت هذه العصبة ملك فرنسة وظهر عليها الا أنه اضطر أن يرجع الى فرنسة

غير أن الهيجان على الأتراك في أور بة بقي يشتد في أوائل القرن السادس عشر . وكتب البابا يوليوس الثاني في ٢٧ مارس سنة ١٥٠٨ الى قلاديسلاس ملك المجر و بوهيميا بأن الامبراطور مكسيميليان ولويس ملك فرنسة والبنادقة تألبوا يداً واحدة على الأتراك ولم يتم شي الى زمن البابا لاون العاشر فهو أشهر من اشتهر باغراء النصرانية بقتال الأتراك . وعمله يسمى بالمشروع الخامس عشر وتاريخه من سنة ١٥١٥ الى سنة ١٥١٧ الى سنة ١٥١٧ ومذ أعلن مجمع الكرادلة انتخاب البابا المذكور وأبلغه ملوك المسيحيين استجلب أنظارهم نحو قضية الاتحاد لأجل محار بة الأتراك . ثم كتب البابا نفسه الى الامبراطور مكسيميليان وملك انكلترة وملك بولونية والدوق بازيل المسكوبي . ثم انه كرر هذا الاستنفار سنة ١٥١٥ في الجلسة التاسعة من مجمع لاتران . ثم وعد قلاديسلاس ملك المجر بخمسين ألف دوكا (٢) ثم أنفذ الكردينال «سادوله » Sadolet من قبله الى لويس الثاني عشر ملك فرنسة ينتدبه ليقود حلة صليبية جديدة كما قاد « غودفروا دو بويون » الصليبية الاولى . ولما آل ينتدبه ليقود حلة صليبية جديدة كما قاد « غودفروا دو بويون » الصليبية الاولى . ولما آل

<sup>(</sup>۱) يظهر أن فكرة لبس القبعة عند الترك والتزيى بزى الافرنج أملا باكتساب عطفهم لم تكن جديدة فقد تولدت منذ سنة ١٤٩٥ ولكنها لم تتحقق بالفعل الاسنة ١٩٢٥ وما كذب ابن خلدون الذي قال ان المغلوب مولع بالاقتداء بالغالب

<sup>(</sup>٢) سكة في ذلك العهد كانت قيمتها من ١٠ فرنكات الى ١٢ فرنكا افرنسياً

الأتراك. وكتب أيضاً الى ملك البرتغال يدعوه لهذه الحرب مع سائر ماوك المسيحيين ثم عاد الى مطالبة فرنسوا الأول بانجاز وعده. ولما افتتح السلطان سليم الأول الشام ومصراً وازدادت بسطة السلطنة العثمانية كتب البابا الى فرنسوا الأول يقول له: أما لهذا الليل من آخر ? و بعد ذلك اجتهد البابا أن يؤلف بين الامبراطور وملك فرانسة وملك قشتالة و يوحد حركتهم لحرب الأتراك. وقد انتدب لجنة خاصة رسمت خطة حربية لقتال الدولة العثمانية كان من جلة ما فيها مداخلة بعض ماوك الاسلام من أعداء هذه الدولة واستعداؤهم عليها

وسنة ١٥١٧ في ٥ مارس أعلن البابا هدنة خس سنوات بين ماوك النصارى . وحينئذ لبّى نفيره ملك فرانسة فرنسوا الأول وملك اسبانية كارلس وملك انكاترة هنرى الثامن وملك البرتغال عمائؤ يل وملك المجر لويس وملك بولونيا سيجيسموند وملك الداعرك كريستيان وملك اكوسيا جاك وانعقد بينهم اتفاق بتصديق البابا . ثم في سنة ١٥١٨ انفذ البابا أربعة كرادلة يستحث هؤلاء الملوك في تجهيز الجيوش وأقام حفلة طواف في شوارع رومة سار هو فيها والكرادلة حفاة . الا أن جيع هذه الندابير قضى الله يومئذ باحباطها ومات الأمبراطور مكسيمليان الأول سنة ١٥١٨ وتوقف مشر وع هذه الصليبية . ثم ان المترك استولوا على بودابست واستصفوا كل بلاد المجر التي بقيت في يدهم مائة وسبعاً وأربعين سنة وحاصروا ڤينا فاضطر شرلكان امبراطور ألمانية الى طلب محالفة ملك فرانسة وفاً من الترك

الا أنه لم يلبث الترك أن عقدوا الصلح مع اوستريا سنة ١٥٣٣ فاضطر فرنسوا الأول من جهته أن يتودد اليهم وأرسل « لافوره » Laforest في السفارة الى تركيا وعقد معها معاهدة ولاء . ومن ذلك الوقت بقي فرنسوا الأول يستنصر السلطان سليان في حرو به مع شرلكان وسنة ١٥٤١ سرح السلطان أسطوله تحت قيادة خير الدين بربروس الى بحر مرسيلية لانجاد الاسطول الافرنسي . ولما جلس هنرى الثاني على عرش فرنسة بقي محافظا على الولاء لتركيا ولم تتصرّم العهود بين الدولتين الا في أيام أولاد هنرى الثاني

وما تحالف فرنسوا الأول مع السلطان الا اضطراراً وخوفاً من خصمه شركان . قال روسو صاحب تاريخ « العلاقات السياسية بين فرنسة وتركيا » ان نتيجة تلك المحالفة بين تركيا وفرنسة قد كانت انقاذ فرنسا من مطامع شرككان . ونقل عن أحد أمراء فرنسة

« ان فرنسة لا ينبغي لها أن تهمل أمرين مهما كان من الموانع دونهما: الاتفاق مع الشعب السو يسرى والتحالف مع تركيا »

وهناك المشرع المنسوب للامبراطور ما كسيميليان وهو المشروع السابع عشر وتاريخه سنة ١٥١٨

وكان البابا لاون العاشر قد أقنع الامبراطور بلزوم محار بة الترك . وفي معاهدة الامبراطور مع لويس الثاني عشر سنة ١٥١٣ جرى ذكر هذه القضية وكذلك خاطب الامبراطور نواب الامة عند اجتاعهم في «مالين» قائلاً لهم: « اننا بالاتفاق مع سائر ماوك المسيحيين نفكر في حلتنا المحمودة المقدسة على الترك » ولما سأله البابا عن الطريقة العملية التي يراها لأجل اشعال هذه الحرب على الأتراك اجابه بتقرير مفصل ذكر فيه لزوم الاتفاق بين ماوك المسيحين ودخول ملك فرنسة في هذه الحرب وأن تستمر الجلة مدة ثلاث سنوات متواليات وأشار بتحريك العجم من جهة وتحريك سلطنة مهاكش من جهة أخرى المشاغبة آل عثمان . ثم ذكر ماوك النصارى الذين يجب أن يدخلوا في هذه الحرب المقدسة فقال انهم الامبراطور وملك البرتغال وماوك فرنسة وبولونيا والمجر وان ملك فرنسة يجب أن يسير من طريق ايطاليا فيعبر البحر الى دالماسيا و ينضم اليه البولونيون والفلاخيون والبغدانيون ويهاجون جيعاً ادرنة هذا في السنة الأولى ، وأما في السنة التالية فيكون ملك البرتغال استولى على شاكى افريقية والاسكندرية ويأتي فيتلاقي مع ملك فرنسة وماك بولونيا في بلاد اليونان و يحملون جيعاً على القسطنطينية و بعد فتحها يسهل فتح آسية الصغرى والأرض المقدسة . ثم يصير توزيع المالك المفتوحة على ماوك المسيحيين بمعرفة البابا ومجمع الكرادلة

وقد تم عقد هـ ذا الاتفاق وتقرر العمل به ووعـد ملك اسبانية بتجهيز ٢٧ الف مقاتل لهذه الحرب وبينها هم في التأهب اذ مات الامبراطور مكسيمليان في ١١ يناير سنة ١٥١ فتوقف كل شيء الى ما بعد انتخاب قيصر جديد

ثم مشروع « ايرازم » Erasme وهو الثامن عشر وتاريخه سنة ١٥٣٠ وكان ايرازم هذا من مشاهير رجال الأدب ولد في روتردام سنة ١٤٦٧ ومات في بازل سنة ١٥٣٦ وقد كانت دعوته لحرب الترك من آثار دعوة البابا لاون العاشر ومن آثار فتح الترك لبلاد

المجر. وكان ينادى ان الترك لم يتقدموا فى اور به الا بسبب انقسام المسيحيين وكان يغضب لقول بعضهم ان الدين يمنع الحرب ويقول: ان المسيحى لا يمكنه أن يعيش ان لم يصرع الترك. وكان يقول اللاور بيين: لا تهولنكم عظمة السلطنة العثمانية فان السلطنة الرومانية والفتوحات الأسكندرية كانت أيضاً بمنتهى العظمة وقد جاء وقت انقرضت فيه. ولم ينظم ايرازم برنامجاً للعمل وانماكان يثير الأفكار ويحرك الهمم

ومثار مشروع ايرازم هذا مشروع « نانيوس » Nannius وهو التاسع عشر وتاريخه سنة ٢٥٥١ وكان نانيوس هذا راهباً هولاندياً عالماً ولد في « الحار ٢٥٥١ وتاريخه سنة ٢٠٥٠ وكانت دعوته بعد دعوة « ايرازم » بثلاث سنوات . وهي تتضمن الجواب على دعوى أن الديانة المسيحية انتشرت بدون سفك دماء فيقول نانيوس : ان المسيحيين الأولين كان عندهم صبر وجلد وكان استشهاد مؤمن واحد في سبيل الدين سبباً لاهتداء الف نفس . وأما فيا بعد فقد تغيرت الحال وهذه سبعة قرون مضت والأمة الجاحدة تهين المسيحيين ولا يهتدى بهذه الاهانات أحد الى المسيحية . وكا انتصر الأتراك وتقدموا ازدادوا استمساكا بعروة ديانتهم . ثم ان الاسلام قد غزا آسية وافر يقية واور بة ولذلك أصبحت محار بة المسلمين ضرورة من الضرورات لامناص منها . والتركي ان لم تحار به انت كان هو الذي جاء يحار بك فلا بد اذاً من عجار بته ولو اتفق المسيحيون لابادوا الأتراك ولكن هؤلاء انتهز وا فرص الاختلاف بين المسيحيين وقد أدخل الاروام الترك في بلادهم هم بايديهم كما يتجرع الانسان السم بيده وما فتوحات الترك الا انتهاز فرص . ومتى قاومهم المسيحيون حق المقاومة هزموهم أفلم ينهزم سلمان عن ڤيناً

ومن قبيل مشروع نانيوس هذا مشروع «كوسبينيانوس» Cuspinianus «الطبيب الالماني من فرانكفونيا كانت ولادته سنة ١٤٧٨ ومات سنة ١٥٥٨ وكان من مستشارى الامبراطور مكسيميليان ومشروعه هو العشرون وتاريخه سنة ١٥٤٨ وقد ذكر في أول كتابه أصل الأتراك وكيف دخلوا شبه جزيرة البلقان وكيف حلولوا فتح ڤيناً. ثم أخذ يتلمهن بسقوطهم ويو رد العلامات التي تؤذن باسترداد المسيحيين للقسطنطينية قال: ان راهباً تكهن قبل فتح الترك للقسطنطينية بان المسيحيين سيعودون اليها بعد ثمانين

سنة . وقد مضى من المدة تسع وسبعون سنة ولم يبق الا سنة واحدة . واورد كلام متني الخر فلكي من نابولي اسمه « منياتنسيس » نظم نبوته شعراً وهي في هذا المعنى . ثم اشار الى ملحمة لاتينية قديمة مضى عليها مائة سنة موجودة في ماغد بو رغ ما ها ان رجلاً من اعقاب شارلمان يكون اسمه كارلس هو الذي يعيد السلطنة الشرقية .

ثم ذكر كوسبينيانوس تاريخ آل عثمان الى السلطان سليم عاشر سلطان منهم. ثم أشار الى الطرق التي يمكن المسيحيين أن يدخلوا منها الى شبه جزيرة البلقان و يطردوا الترك من أور بة وقال انه يجب اتخاذ خطة الهجوم اقتداء بانيبال وقيصر. وذكر مواقف جان هونياد الشهيرة وقال لو اتفق الالمان والمجر بدلاً من أن يتقاتلوا لطردوا الترك الى آسية. ونهاية كلامه حث الامبراطور شركان على قتال الترك

ثم المشروع الواحد والعشرون لمحار به الترك وهو المنسوب الى « جيور چڤيتز» وقصل Georgevits تعاريخه سنة ٢٥٨ وكان جيور جڤيتز هذا رحالة مجريا نشا عند الأتراك وقيل بق أسيراً عندهم مدة ثلاث عشرة سنة وانتهت حياته في رومة سنة ٢٥٨ وكتب تاريخ وقوعه في الأسر وما عاناه فيه وطعن في الترك وذكر في كتابه ملاحم تشيرالي انقراض السلطنة العثمانية. وكان يرجو أن يهتدى الترك الى الدين المسيحي . وقد كان نداؤه لمحار بة الترك حرباً صليبية موجها الى الارشيدوق ما كسيميليان النمساوى . وقال : ان السلام الآن بين ملوك المسيحيين كاد يكون عاما فلا يجوز التوقف عن حرب الترك فألمانيا تقدر ان تجند لقتاهم بدون عناء م ألف راجل و ٢٠ ألف فارس و مثل ذلك ملوك ايطاليا و يرجى من فرنسة واسبانية ان تجهزا أكثر من هذا العدد و يمكن هولانده ان تجهز ١٠ آلاف فارس و ٢٠ ألف راجل و في المؤرخ دجڤارا : انه لوكان احتشد وقتئد ٢٠٠ ألف راجل و ، و ألف فارس لكان جيشا المؤرخ دجڤارا : انه لوكان احتشد وقتئد ٢٠٠ ألف راجل و ، و ألف فارس لكان جيشا عرمها وكان يرجى منه العمل . ولكن جيور جڤيتزيقع في التناقض مع نفسه عندمايقول: «إن الجندى المسيحي لا يفكر الا في الأجرة التي يا تخذها وان الجندى المسلم يترك كل رذيلة اذا صار الى ميدان الحرب »

وفى سنة ١٥٤٧ ظهر فى مدينة « انڤرس » ( بلجيكا ) نشرة فيها نداء للنصرانية ان تتحد وتزحف نحو الأتراك وتقهر هذه الأمة الجاحدة...

وفى السنة نفسها ظهر مشروع حرب صليبية للبرنس يواكيم الثانى من أمراء براندبورغ Yoachim II de Brandebourg

ثم المشرع الثاني والعشرون وهو المنسوب الى « غيليوم دو غرانترى دوغرانشان » Guillaume De Grantrye De Grandchamps

وكان هذا الرجل أقام ثلاث عشرة سنة في القسطنطينية وعاد منها الى فرنسة مع السفير دارامون D'Aramon سنة ١٥٥١ ثم في سنة ١٥٩٦ عينته فرنسة سفيراً في تركيا نظراً لخبرته باعوال تركيا. ولكن «غرانشان» لم يوفق كثيراً في سفارته هذه الى حدان الملك كارلس التاسع كتب الى الصدر الاعظم محمد الصوقولي يقول له: «ان غرانشان الذي عهدنا اليه بجميع أشغالنا في الشرق هو منتظر أن نرسل شخصاً بدلا عنه لانه لا يعجبكم » وسنة ١٥٥٠ رجع الى فرنسة و بيده كتاب من السلطان سليم الثاني الى ملك فرنسة وقد عين هذا مكانه سفيراً «فرانسوا دونواي » Francois De Noailles

وكان غرانشان يحلم أن يتزوج بالاميرة «كياينه» الفلاخية الرومانية ابنة الويڤود بترو الثالث أمير رومانيا ثم يرث بعد ذلك امارة رومانيا ولكن حامه هذا لم يصح فاقترح على الباب العالى أن ينصبه أميراً على الفلاخ والبغدان وانه هو فى مقابلة ذلك يسعى فى تقريب الفرنسيس البروتستانت من الأتراك بحجة ان بين عقيدتى الفريقين تشابها وان ينقل البروتستانت الفرنسيس Huguanots الى بلاد الفلاخ والبغدان . وكان يقوى أمله فى ذلك «سجيسموند زابوليا» Zapolya أمير ترانسيلفانيا الذى كان يرجو مساعدة غرانشان له فى الحصول على وعد ملك فرنسة بتزويجه من الأميرة مرغريت أخته . وقد أرسل الصدر الأعظم ترجانه مجود بك يلتمس من ملك فرنسة تزويج أخته من الأمير سيحسموند المذكو رليكون فما بعد ملكا على بولونيا

الا ان أمراء المالك المسيحية تزاحوا على الأميرة مرغريت هذه فالامبراطور مكسيميليان أرادها لابنه رودولف وملك البرتغال «سباستيان» الذي لم يكن تجاوز السابعة عشرة من العمر أرادها لنفسه وأسعفه في ذلك البابابيوس الخامس فثارت حاسة هذا الملك الشاب بما حركه من العشق وكتب الى البابا يشكره كثيراً ويقول: «أنى ما أريد

بمصاهرة جلالة ملك فرنسة الا أن أبين له مقدار تقديرى لشرف الاصهار له وان أثبت لأوربة ما عندى من الوجد لانقاذ الكنيسة من ظلم الاتراك »

لكن كارلس التاسع ملك فرنسة أبى الا تزويج أخته من « هنرى دو بو ربون » أمير ناڤار الذي صار فيما بعد هنرى الرابع ملك فرنسة.

وقد كانت ايزابلا والدة الامير « زابوليا » الترنسلفاني أرسلت الى هنري الثاني ملك فرنسة ترجوه أن يتفق مع السلطان سلمان لعل هذا يرد الى ترانسلڤانيا بلاد المجر السفلي ثم ان الامير زابوليا تزوج بابنة أخى الامبراطور شركان. وكان زابوليا قدكتب الى السلطان في ٤ الريل سنة ١٥٦٤ يستأذنه في الزواج وظهر من تقرير مقدم الى الامبراطور ان السلطان سلمان كان يعامل الامير زابوليا كأحد أولاده ولذلك كان سليم الثاني يعدُّه كائخ له وكان زابوليا لا يتزوج الا من يرتضيها له السلطان والايبق عَزَباً . وكان مراد الترك أن يجعلوا أمير ترانسيلفانيا ملكا على بولونيا ليقف في وجه الامبراطورية الالمانية وان يز وجوه بائخت ملك فرنسة لاجل هذا الغرض. وقيل انهم كانوا يطمعون أن يجلسوه على عرش الامبراطورية نفسه وعلى فرض لم يصح حلم الامبراطورية له فيجمعون من تولونيا وترانسيلفانيا والفلاخ والبغدان قوة تقف فى وجه الامبراطورية الجرمانية. وكانت تركيا تساعد حركة البروتستانت في أوربة وكان من جلة ما فكرت به الملكة «مارى دومديسيس » ابعاد « الهوغنوت » هؤلاء من فرنسة لاعادة السلام الى البلاد فكانت تفكر تارة في ايطانهم ترانسيلڤانيا و بلاد الفلاخ والبغــدان وطوراً في ايطانهم جزيرة قبرص وأحياناً في الجزائر الخ وكان «غرانشان» يعرف مقاصد الملكة و يجتهد في تحويل هجرة الهوغنوت الى رومانيا و يعد ملك فرنسة بائنه ان أزوج أخته بائمير ترانسيلفانيا وكان هواى غرانشان تولى على الفلاخ والبغدان فانه ينزل عنهما لصهر ملك فرنسة . وروى المؤرخ هامر Hammar (١) ان الامير الروماني بطرس الاعرج وأمه «كياينه» كشفا للباب العالى دسائس غرانشان وبذلا في القسطنطينية . ٢ ألف دوكا لأجل أحباط مساعيه ولكنهما لم يقدرا على استرجاع الامارة لائنفسهما وأنما عين السلطان سلم الثاني اسكندر أخا بطرس أميراً على الفلاخ وأرسل بطرس وأمه الى قونية وأجرى عليهما

<sup>(</sup>١) أشهر مؤرخ أوربي لتركبا

الارزاق اللازمة

ثم ان البابا بيوس الخامس هيأ مشروع الصليبية الثالث والعشرين وتاريخه سنة مروع ويقول المسيو فلامان Flament انه هو التدبير الوحيد الذي وقف تقدم الاسلام. وكانوا في زمان البابا يوليوس الثالث قد استنفر وا الناس أيضاً لقتال الترك ولكن القول لم يقترن بالعمل الافي عهد بيوس الخامس

وكان الامبراطور ما كسيميليان قد جع أمراء ألمانيا والنمسا في اوغسبورغ للتذاكر في قضية الاتراك وأرسل البابابيوس الخامس لشهود هذا المجمع من قبله الكردنيال «كوماندون» ومعه «كانيزيوس» اليسوعي . فأجع الأمراء الكاثوليكيون على الوعد بالسير لقتال الترك واستنكف عن ذلك أمراء البروتستانت . وقدم البابا للامبراطور لا أجل تجهيز الجلة على الترك . وألف دوكا وتعاهد عمانوئيل دوق ساقواي و «الفونس رستي» دوق فراري و «كوم مديسيس» و «غليوم غونزاغا» دوق مانتو وجهورية «لوك» Lucques وجهورية جنوة على قتال الترك اجابة لدعوة البابا . وشرع هذا يصلى ويقدس ويذرف الدموع وقيل ان السلطان سليان قال : « إني لا تخشي من صاوات هذا البابا مالا أخشاه من جيع جيوشهم»

وكان سليمان قد شن الغارة على بلاد المجر وحاصر زيغت Zighet ومات قبل فتحها بثلاثة أيام ( ٣٠ أغسطس ٢٥٦٦) وأخفوا موته عن الجيش الى أن تم الفتح وجاء ابنه سليم الثانى من الائناضول فرأى الائحوال مما يقتضى جنوحه الى الصلح فعقد هدنة الى ثمانى سنوات مع الامبراطور مكسيميليان

أما البابا فلم يفتر ولم يعدل عن مشر وعه فى جع كلة النصرانية على الترك وكان يقول انه يجب على الأمة المسيحية أن تسير قاطبة لقتاهم . ومما كتبه « ان السلطنة التركية قد تسيّطت تسيّطاً هائلاً بسبب نذالتنا الى حد أننا أصبحنا لانقدر أن نقف فى وجه اعتدائها الااذا اجتمع ملوك المسيحيين بأسرهم لصد هذا العدو العام وناشبوه القتال بر"اً و بحراً ولما كنا نحن على ثقة بأنه لا يوجد فى المسيحيين ملك يقدر أن يقاوم سلطان الترك منفرداً بقوته كان لامندوحة لنا من أن ندعوهم جيعاً لقتاله ولخضد شوكة الأتراك أعدائهم جيعاً فرسل ملك اسبانية خسيين سفينة بقيادة « اندرى دوريا » ( اميرال شهير ) فأرسل ملك اسبانية خسيين سفينة بقيادة « اندرى دوريا » ( اميرال شهير )

و « بطرس دومونت » رئيس فرسان مالطة ثلاث سفن ودوق ساڤواى أر بعا وكان أسطول البندقية تحت قيادة « كولونا » Colonna البندقية تحت قيادة « كولونا » Zanne

وجاء الأسطول العثماني فرسى أمام جزيرة قبرص في أوائل يوليو سنة ١٥٧٠ وفي ٨ سبتمبر جرى هجوم عام وفتح الترك نيقوسيا قاعدة الجزيرة وفر الأسطول الاسباني وانكفأ أسطول البنادقة وأسطول البابا الى كورفو

واذ بلغ هذا الفشل البابا أرسل الى ملك فرنسة يقول له: « إن قضية الحلف المقدس هى عندنا من الأهمية بحيث أنها لم تترك لنا راحة لافى الليل ولافى النهار ولا نرجو لنا راحة الا فى دخول جلالتك فى هذا الحلف »

ولما أجابه كارلس الناسع معتذراً بالمعاهدات التي بينه و بين تركيا كتب اليه البابا يقول «ان جلالتك لاتبرأ من اللوم اذا كنت لأجل فائدة شخصية أو أية فائدة كانت تستمر على علاقاتك الودادية مع الكفار»

ومراد البابا بذلك انه وان كان ملك فرنسة مرتبطاً بعهود مع الاتراك فهو في حل منها وليس عليه أن يرعى عهوداً للسلمين

فتأمل في هذا وقابله مع شريعة الاسلام التي هي في هذا الموضع محددة بهذه الآية : 
«إِنَّ النَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِا مُوْ الهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبيلِ اللهِ وَالنَّذِينَ 
آوُوا وَنَصَرُوا أَولِئَكَ بَعْضَهُمْ أَوْلِيَا \* بَعْضِ وَالنَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ هِنْ 
ولا يَتَهِمْ مِنْ شَيْءَ حَـنَّى يُهَاجِرُوا وَإِن اسْنَنْصَرُ وكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إلاَّ عَلَى 
قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَبْنَهُمْ مِيثَاقُ وَاللهُ بَمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ »

ومعنى ذلك أن على المسلم نصر أخيه المسلم على غير المسلم الا اذا كان بين هذا و بينه ميثاق فلا يجوز نقض هذا الميثاق بوجه من الوجوه . وكم جاء فى القرآن الحث على حفظ العهود بازاء أى كان مسلماً كان أو غير مسلم . قال الله تعالى : ( وَأَوْ فُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْتُولاً ) وقال تعالى : ( وَ لَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بالله وَ الْيُوْمِ الْآخِر وَ الْملائيكة بِمَسْتُولاً ) وقال تعالى : ( وَ لَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بالله وَ الْيُوْمِ الْآخِر وَ الْملائيكة بِمَسْتُولاً ) وقال تعالى : ( وَ لَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بالله وَ الْيُوْمِ وَ الْملائيكة وَ الْملائيكة وَ الْملائيكة وَ النَّهُ عَلَى خُمَّة ذوى القُرْ بَى وَ الْيتَامَى وَ الْمَاكين وَ ابْنَ وَالْسَائِينَ وَ فِي الرِّقَابِ وَ أَقَامَ الصَّلاة وَ آتَى الزَّ كَاةَ وَ المُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ) الآية وقال تعالى : ( قد أَ فَلْمَ الْمَالُونُ الذينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ ) الى أن عاهدُوا ) الآية وقال تعالى : ( قد أَ فَلْمَ الْمُؤْنَ الذينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ ) الى أن

يقول: (وَالذِينَ هُمْ لِأَمَا نَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ) وقال تعالى: ( إِلاَّ الذِينَ عَاهَدْ تُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُونُ كُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَداً فَا تَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدُ تَهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُنَقَينَ)

فأنت ترى أن الاسلام لا يقيد المؤمن بالعهد اذا كان تجاه المؤمن و يطلقه منه اذا كان بازاء غير المؤمن كما فعل البابا بيوس الخامس الذي يصرح في كتابه لملك فرنسة بأنه لا يجوز له لمصلحة شخصية أو لأى سبب آخر أن يرعى عهوده للا تراك الذين هم غير مسيحيين .

وقابل قول البابا هذا بوصية سيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنه للاشتر النخعى عند ماولاه على مصر وذلك في كتابه الشهير للائشتر قال كرم الله وجهه:

« وان عقدت بينك و بين عدوك عقدة أو ألبسته منك ذمة فط عهدك بالوفاء وارع ذمتك بالأمانة واجعل نفسك جُنة دون ماأعطيت فانه ليس من فرائض الله شيء الناسأشد عليه اجتماعاً مع تفرق أهوائهم وتشتت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين (۱) لما استو باوا من عواقب الغدر . فلا تغدرن "بذمتك ولا تخيسن " بعهدك ولا تحتلن " عدوك فانه لا يجترى على الله الا جاهل شقى " . وقد جعل الله عهده وذمته أمنا أفضاه بين العباد برجته وحريماً يسكنون الى منعته ويستفيضون الى جواره فلا ادغال ولا مدالسة ولا خداع فيه . ولا تعقد عقداً تجوز فيه العلل ولا تعولن " على لحن قول بعد التا كيد والتوثقة ولا يدعونك ضيق أمم لزمك فيه عهد الله الى طلب انفساخه بغير الحق فان صبرك على ضيق أمم ترجو انفراجه وفضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته أوان تحيط بك من الله فيه طلبة فلا تستقيل فيها دنياك ولا آخرتك » اه

الخلاصة ان الامام علياً رضى الله عنه استقصى جميع ما يخطر بالبال فى باب حفظ العهود و رد عذر كل معتذر فى نقضها ولم يجعل العهد مسؤولا بازاء المؤمن وغير مسؤول تجاه غير المؤمن .

ونعود الى الكلام على حلف ملوك النصارى لمقاتلة الاتراك ونقول ان كارلس التاسع ملك فرنسة أبدى بعض معاذير لكنه كان فى الحقيقة مستعداً لنكث عهده مع تركيا اذا ارتضى المسيحيون بتمليك أخيه على بولونيا . وكذلك الامبراطور مكسيمليان كان اعتذر للبابا بمعاهدة بينه و بين السلطان سليم الثانى فرد البابا عذره هذا وأجاز له الخيس بعهده بحيث لم تمض أيام ثلاثة حتى نقض الامبراطور الميثاق الذى بينه و بين السلطان كما

<sup>(</sup>١) أي حال كونهم دون السلمين في الأخلاق والعوائد

حرر ذلك « دجفارا » في الصفحة ١٠١ من كتابه

ولما رأى البابا تثاقلا من سجيسموند ملك بولونيا عن اجابة النفير لحرب الاتراك خاطب ايفان ملك الروسية . ثم انه أرسل الى فيليب الثانى ملك اسبانية يشكو اليه قعود الاسطول الاسبانى عن مناجزة اسطول الترك القتال و يعرض عليه نفقات الحرب فتقبل فيليب ذلك بقبول حسن و وضع اسطوله تحت اشارة البابا . ثم ان هذا اختار الدون جوان النمساوى Don Juan D'Autriche ابن شرلكان من احدى حظاياه قائداً عاما للحملة . وسير أمراء ايطالية بعوثهم فقدم دوق اور بنيو ألفراجل ودوق فرارى ألف راجل و ٠٠٠ فارس ودوق ساقواى ألني راجل و ٠٠٠ فارس وقدمت جنوة ولوك ألني راجل و ٢٠٠ فارس والدوق كوسم دومديسيس أر بعة آلاف راجل وألف فارس و

ثم انعقد التحالف في ٢٥ مايو سنة ١٥٧١ ونشر في ٢٥ يوليو. وهوالحلف المسيحي الثالث عشر في وجه الدولة العثمانية منذ تأسيسها الى ذلك العهد. وقد جاء في صك هذا الحلف « ان البابا بيوس الخامس وفيليب ملك اسبانية وجهورية البندقية يعلنون الحرب الهجومية والدفاعية على الاتراك لأجل أن يسترد واجيع المواقع التي اغتصبوها من المسيحيين. ومن جلتها تونس والجزائر وطرابلس (١)

وكان البابا نفسه قدم للحرب ١٧ سفينة حربية وثلاثة آلاف راجل و ٢٧٠ فارساً وتقرر تو زيع نفقات الجلة على الوجه الآتى: النصف على ملك اسبانية والثلث على جهورية البندقية والسدس على البابا. ولما احتشدت أساطيل الحلفاء بلغت ٢٧٥ سفينة حربية و ٧٠ مركب نقل وكان اقلاعها من مرسى مستينى في ١٥ سبتمبر سنة ١٥٧١ وكان الاسطول العثمانى ٢٤٥ سفينة حربية و ٨٧ مركب نقل أى أرجح من اسطول الحلفاء

وتلاقى الفريقان فى خليج ليهانت ونشبت الواقعة البحرية الشهيرة وقضى الله بتمحيص المسلمين وفقدوا ثلاثين ألف مقاتل وأخذ المسيحيون منهم ١٣٠ سفينة و ١٠ آلاف أسير ، وكانت هذه المعركة مبدأ تقهقر السلطنة العثمانية

وقيل ان السلطان سلم الثاني قال لسفير البندقية بعد المعركة: « نحن عندما نفتح

تأمل كيف اعتبروا هذه الأماكن من بلدان المسيحيين

اكم مملكة نكسر لكم عضواً لا يمكنكم تعويضه وأما متى خسرنا اسطولا فلا يكون ذلك الا كالشعر الذي يذهب بالحلاقة ثم ينبت »

والحقيقة ان نجم آل عثمان بعد هـذه المعركة بدأ بالأفول وان ركب الاسـلام شرع بالقفول وان واقعة ليپانت كان لها مابعدها

ولا تسل عن الأفراح التي عمت أو ربة بهذه النصرة وعن القصائد التي نظمها الشعراء والخطب التي شققها الفصحاء و بلغ الفرح من البابا مبلغاً لا يحيط به الوصف الا أنه لم يستنم الى الدعة بعد هذا الظفر بل بقي يعلن على النصرانية ان عدوها لا يبرح شديداً وانها لا تزال منه بخطر. ولم يكتف باثارة ملوك النصرانية على الترك بل حاول اثارة ملوك المسلمين الذين بينهم و بين الترك ضغائن. ونقل المسيو دجڤارا صورة كتاب من البابا المذكور الى طامهاسب شاه العجم من جلة ماجاء فيه: « لن تجد أبداً فرصة أحسن من هذه الفرصة لأجل الهجوم عن جميع الجهات »

وأرسل البابا بواسطة البرتغال يستعدى ملك الحبشة والشريف مطهر أمام اليمن على الدولة العثمانية ولكنه لم يعش طويلا بعد هذه الفرحة لأنه مات في ١ مايو سنة ١٥٧١ وانحلت بموته تلك الرابطة وتصالحت البندقية مع الباب العالى وغضب البابا غريغو ريوس الثالث عشر على البنادقة وكان هذا البابا قد اجتهد أن يقفو أثر سلفه في حرب الترك وجع النلك الاسبانيول والبنادقة الا ان اسطول الحلفاء تقهقر أمام الاسطول العثماني والتجأ الى ناقارين (١٥٧٧) وانعقد الصلح بين تركيا والبندقية في ٧ مارس سنة ١٥٧٧ و بقيت في أيدى الترك قبرص والمدن التي كانوا افتتحوها من ألبانيا وقدمت البندقية ثلاثمائة ألف دوكا للسلطان و ٥٠ ألف دوكا للصدر الأعظم وزادت ما كانت تؤديه من جزية جزيرة « زانتي » في المورة

ثم جد مشروع ايطالى لمحار به الترك هو الرابع والعشرون وتاريخه سنة ١٥٧١ قال المسيو دجفارا ان ظفر المسيحيين في ليپانت أثار الجاسة في رؤوس كثير من الاور بيين وشرعوا في ترتيب برامج ورسم خطط لمحو الدولة العثمانية من جلتها برنامجان محفوظان في خزانة كتب « امبروزياما » في ميلانو أشار اليهما « جورغا » Jorga في تاريخ السلطنة العثمانية وأحد هذين البرنامجين مقدم الى البابا بيوس الخامس وأكثرموضوعه

يدور على ايجاد المال اللازم لغزو الترك . وهو يحسب الاديار ١٤٤٠٠ والرعويات ٢٨٨٠٠٠ ويفرض عليها مبالغ معينة ويفرض مبالغ أخرى على الأمراء ويبين كيفية اجتباء المال مما لاحاجة بنا الى ذكره . وأما عدد الجيش اللازم فيقدره صاحب أحدالبرنامجين عمائة ألف راجل وحسين ألف فارس وحسين ألف بحرى . وهو يدخل في تفاصيل من جهة نفقات الحرب لاحاجة أيضاً الى ذكرها ويشير بسيرالامبراطور الجرماني من جهة البرو بسير السطول الملك فيليب من جهة البحر وباثارة نصارى الشرق وبتوزيع الأسلحة عليهم و مكاتبة شاه العجم لمهاجة الترك من الوراء . وصاحب هذا المشروع يرجو هكذا تدمير السلطنة العثمانية ومن بعد تدميرها الاستيلاء على الأراضي المقدسة و يدخل في مشروعه الحاق مصر وقسم من بلاد العرب بالحبشة . وأما شاه العجم فيعامل معاملة صاحب ولوكان مسلماً و يجوز أن تكون هذه المعاملة سبباً لاهتدائه الى الكثلكة . . .

وأما المشروع الثانى المحفوظ فى مكتبة ميلانو المذكورة فهو الخامس والعشرون وتاريخه سنة ١٥٧٢

وصاحبه يذكر استعداد الأتراك للدفاع خوفا من عادية الأوربيين ويقول ان لديهم و٢٠ ألف فارس في المورة ومثلها في شهالى بلاد اليونان فهو يشير بمهاجة الدردنيل والزحف من هناك الى القسطنطينية وهكذا يضطر الترك الى اخلاء المورة ويحتلها الاور بيون وأما بلاد الجزائر فيخشى ان هوجت أن تقاوم مقاومة شديدة وتأتيها نجدات من سلطان فاس وأما وقبرص فهى بعيدة عن أور بة وأما بلاد المورة والأرخبيل فأهلها لا يثورون الا بعد انهزام الترك فالرأى الأولى عنده هو الزحف على الاستانة رأساً. وصاحب هذا المشر وع يشكو تخاذل المسيحيين ويقول أنهم لو اتحدوا لما أبقوا للاتراك باقية ولكن دوق موسكو وملك بولونيا لا يعتمد عليهما . والنمسا ضعيفة بنفسها ولولا نجدة الألمان لها لأضافها الترك الى عالم عالم والدائم والدائم والسويد بعيدات المزار وهن لا يلتفتن الى نداء البابا

قال صاحب هذا البرنامج: ان الذي يمكنه أن يصارع الأتراك هو ملك اسبانية ومعه ملك البرتغال. وأهم عدو للترك في الشرق هو الشاه الصفوى لكن يحتاج الى المال والمدافع والكرج يمكنهم أن يدافعوا الترك لكنهم لا يقدرون أن يهاجوهم. ولو كان العرب متحدين هم الكرج يمكنهم أن يدافعوا الترك لكنهم لا يقدرون أن يهاجوهم ما المرب متحدين هم المرب متحدين هم المرب متحدين هم المرب متحدين المرب المتحدين المرب المتحدين المرب المتحدين المرب المتحدين المت

لأمكنهم أن ينتزعوا من أيدى الترك مصر والشام. وكذلك عرب ليبيا وافريقية ليسوا متحدين. وملك فاس لا يجرؤ على عمل حذراً من جيرانه. والنجاشي يمكن الاعتماد عليه لكنه لا يملك أسلحة نارية ولا أسطولا. قال: ولو كان عند دوق موسكو سفن بحرية لما كان أحد أقدر منه على مهاجة الاستانة. والخلاصة أن صاحب هذا المشروع لا يعول في حرب الترك الا على البابا واسبانية والبرتغال وهو يقترح جع الأموال وجعلها تحت يد البابا ومن رأيه الخدمة العسكرية الاجبارية لمحاربة الترك وأن يتجند الرهبان والقسيسون لهذه الحرب المقدسة

ثم المشروع السادس والعشرون وهو مشروع الكابيتان « لانو » La Noue وتاريخه سنة ١٥٨٧

هذا الرجل كان من أعوان هنرى الرابع ملك فرنسة جرح فى إحدى الوقائع فى يده فقطعوها له ووضعوا له ذراعاً من حديد لأجل أن يتمكن من مسك اللجام فسمى من ذلك العهد « ذراع من حديد » وقد عاش فى عصر كثر فيه تأودالأور بيين على شقاء نصارى المشرق من أروام وصرب و بلغار ومكدونيين فكتب « لانو » رسالة أشار فيها باتحاد مسيحى على الأتراك وتقسيم سلطنة آل عثمان ، وقال ان الضرر انما وقع من محالفات بعض ملوك المسيحيين لموك المسلمين أعداء اسم المسيح . وقال ان ملوك المسيحيين لو اتحدوا المردوا النرك فى أر بع سنوات! قال دجفارا: ان « لانو » أفرط فى التفاؤل فقد لزم بدلاً من أر بع سنوات أر بعائة سنة حتى أمكن التغلب على تركيا

وكان من رأى لانو أن يزحف الامبراطور الجرمانى ومعه خيالة المجر والبولونيين من طريق بوسنه الى تراقيا وان يجتمع الفرنسيس والسويسريون والطليان ويقطعوا الادرياتيك الى ألبانيا فتشور معهم بلاد الأروام وان تسير أساطيل اسبانية والبرتغال قاصدة غاليبولى وان يضم البابا مائة سفينة حربية الى اسطولها . وكان يشير باستنفار الفلاخيين والبغدانيين أيضاً على الترك الخ

وكان لبرنامج لانو وقع عظيم في اور بة وقد استؤنف البحث فيه تحت أسماء اخرى ثم مشروع « رينه دولوزينج » Rene De Lusinge وهو السابع والعشرون وتاريخه ١٥٨٨

هذا الرجل من اسرة نبيلة فى ساڤواى حصل العلم فى جامعة تو رينو والتحق بدوق «ميّانزاً» الذى كان مع الامبراطور الجرمانى فى حرب الترك ثم جعله دوق ساڤواى سفيراً له فى باريز وله مؤلفات كثيرة باللاتينية والافرنسية منها كتاب اسمه « تاريخ منشأ الترك وتقدمهم وتقهقرهم » ودعا فرسان النصارى لقتال الأتراك بالفاظ مهيجة تناول فيها الاسلام وصور ما يجرى من فظائع القتل والنهب على اخوانهم نصارى الشرق

وقبح اعتذارات المسيحيين عن عدم اتحادهم وقال انهم وان لم يتحدوا بعضهم مع بعض فيجب عليهم الاتحاد على العدو العام وقال انه يجب أن يعقدوا هذا الحلف فيا بينهم في زمان السلم

وكان يرى رأى « سانوتو » وهو أن الهجوم على تركيا يجب أن يكون من البحر. وقال ان السلطنة العثمانية متداعية الى الاضمحلال بعوامل داخلية. قال دجڤارا: ان لوزينج لم يخطئ في هذا الرأى ولقد كان بعيد النظر فيه لانه تحقق بعد أعصر من ذلك العهد ثم مشر وع البابا اكليمنضوس الثامن وهو الثامن والعشر ون وتاريخه ١٥٩٤ — ١٦٠٠

وقد كان هذا البابا جاد المشيحا فلم يجلس على عرش البابوية فى ٥ يوليوسنة ١٥٩٢ حتى أرسل الى الامبراطور رودولف يستنفره لحرب غير المؤمنين . وامتاز هذا البابا على غيره بكونه أرسل الى الشرق عدداً كبيراً من القصاًد والدعاة لتحريك المسيحيين على الثورة ومقاتلة الترك ومنهم «كوميليو» Cumuleo الذى كانت مهمت أن يجمع على مشاغبة الترك العجم والقوزاق والترانسيلفانيين والفلاخ والبغدان والبلغار . وأشخص الى مصر «كاميليوكاتانى» Camillo Caetani اسقف سرڤيا فارسل بطريك وأشخص الى البابا بمقابلة ذلك معتمدين من قبله . ثم أرسل الى براغ (بلاد التشيك) «سيزيانو» أسقف «كريمون» Crémone والكردينال مادر وزو Madruzzo وأرسل الى بولونيا «مالاسبينو» أسقف «سان سيڤرو» والكردينال مادر وزو وعم أنفذوا اليه بعض مطارينهم . ولم ينس العجم بل أنفذ الى فارس الاب كوستا والاب «دياغوميراندا» بعض مطارينهم . ولم ينس العجم بل أنفذ الى فارس الاب كوستا والاب «دياغوميراندا» وسعى كثيراً باقناع سجيسموند أمير ترانسيلفانيا بترك الاتراك لأن هذا كان متمسكا بهم وكان يهون أم الاتراك على ماوك المسيحيين ويبعث اليهم بحايتراى من أخبار ديب

الفساد والانحال في تركيا وكان يو بخ البولونيين كثيراً على قعودهم عن حرب الترك وأرسل «كاميل بو رغيز» Borghese الى اسبانية يستعدى هذه الدولة على الترك ثم شفعه بمندوب آخر هو «آلدو برانديني» Aldobrandini الذي هو ابن أخت البابا وما زال يغرى هنرى الرابع ملك فرنسة بعداوة الترك حتى كتب هذا الى سفيره في الاستانة «بريث» يغرى هائل له: «ان الأب الاقدس يأتي الا ان أنضم الى ملك اسبانية وسائر ملوك المسيحيين ونحارب الترك »

وكانت رسائله تترى الى جيع الجهات بالاستعداء على الترك وسنة ١٦٠٠ أرسل « ريموند دلا تو ري الى فينا يطلب من الامبراطو ر الدخول في حلف مسيحي ضد الترك . وكان يقول ان الواجب جع كلة المسيحيين وتفريق كلة المسامين (١) وكان يشير بأن يكون الحلف المسيحي عاماً و بأن لا يستثني منه أحد ولا البروتستانت وأن يكون لأجل مسمى خمس سنوات بالأقل وان تراسل هذه العصبة الكرج والعجم والحبشة والأروام والارناو وط والراغو زيين والبولونيين والفلاخ والبغدان وغيرهم. وأرسل الى الامبراطو ر مع الارشيدوق « ما تياس » برنامجا ثمانية بنود منها بنود تتعلق بكيفية الزحف على تركيا وكان يهم البابا ا كليمنضوس أمر الزحف على تركيا الى الحد الأقصى بحيث انه في مجمع سنة ١٦٠٠ تذكر انشقاق ملوك ايطالية وما يخشى من عدم انتظام كلتهم على حرب الترك فأجهش بالبكاء. وسنة ١٦٠١ انكسر المجر ومن ذهب لنجدتهم ومن جلتهم دوق « مركور » De Mercoeur والجنرال « آلدونبرانديني » ابن أخت البابا وقت لهذان فازداد حزن البابا وشرع يلح على هنرى الرابع في محار بة الأتراك وأرسل يسمعه انه يمكن اخراج الامبراطورية من آل « اوتريش » أي عائلة النمسا المالكة وانتخاب هنري الرابع امبراطوراً وكل هذا ليحفزه على حرب حلفائه الترك ثم أراد أن يوفق بين هنرى الرابع ملك فرنسة وفيليب الثالث ملك اسبانية على شرط أن يتحدا في محاربة الترك فبينا هو يسعى في هذا الغرض اذ اطلع ملك فرنسة على دسيسة بحقه كان يدسها ملك اسبانية فبط مها الاتفاق

ولم يقتصر البابا ا كليمنضوس في مناصبة الترك العداء على العوامل الخارجية بل

<sup>(</sup>١) على نسق سياسة الاستعار اليوم

مديده الى داخل سلطنة آل عثمان وذلك كما يأتي:

كان في السلطنة العثمانية رجل من أعظم أركانها يقال له سنان باشا اشتهر اسمه شرقا وغرباً وكان ها الوزير العظيم طليانياً مسيحياً اسمه «سيبيون سيكالا» Scipion Sicala وقع في أسر الأتراك فأسلم وحسن اسلامه لأنه كان مساماً عن عقيدة لا عن غرض دنيوى وأسعفته فيما بعد ذلك الاقدار الى ن صار من أعظم رجال السلطنة العثمانية وأصبح هنرى الرابع ملك فرنسة يراجعه في المهمات التي له في الشرق . فالبابا اكليمنضوس الشامن فكر في اعادة سنان باشا الى المسيحية وأرسل اليه الراهبين السوعيين «انطونيو وفنسنز و سيكالا» اللذين كانا من أسرته . وقد نشر «رينيرى» السوعيين «انطونيو وفنسنز و سيكالا» اللذين كانا من أسرته . وقد نشر «رينيرى» سنان باشا كانت شاهدت ابنها في مسيني و راودته على أن يعود الى النصرانية . وذلك سنان باشا كانت شاهدت ابنها في مسيني و راودته على أن يعود الى النصرانية . وذلك سنان باشا كانت شاهدت ابنها في مسيني و المرافعة فقط بل الى أمه الروحية الكنيسة الكائوليكية . ثم أرسل البابا الاب انطونيو سيكالا الى ارشيدوق النمسا وملك اسبانية يشاورهما في مشر وع اعادة سنان باشا الى النصرانية

وكان لسنان باشا أخ بق مسيحياً اسمه «كارلوسيكالا» تولى بواسطة وجاهة سنان في الدولة امارة جزيرة نا كسوس من جزر الأرخبيل الاغريق وكان يطمح الى أن يتولى في يوم من الأيام امارة الفلاخ والبغدان. فكتب البابا الى كارلو سيكالا في ٨ مايو سنة في يوم من الأيام امارة تلك الجزيرة يرجو منه العمل لاعادة سنان الى المسيحية. وفي اثناء ذلك صدرت الارادة السلطانية الى كارلو سيكالا بامارة جزيرة نا كسوس و بجلب أُمّة لتكون بجانبه فلحظ الناس من ذلك أن سنان باشا هو الذي استخرج هذه الارادة أملا بان تجيء امه وتهتدى الى الاسلام وكان قد كتب الى أخيه يستنجزه وعده بجلب امّة بان تجيء امه وتهتدى الى الاسلام وكان قد كتب الى أخيه يستنجزه وعده بجلب امّة اليسوعي واطلع سنان باشا وأخوه في جزيرة نا كسوس وقدم اليهما ابن عمهما «ڤنسننز و سيكالا» اليسوعي واطلع سنان على اقتراحات البابا وفيليب الثالث ملك اسبانية المعاضدة على اسقاط أنفذ البابا الأب انطونيو سيكالا الى مجريط يلتمس من ملك اسبانية المعاضدة على اسقاط السلطنة العثمانية التي سيقوم سنان باشا ثائراً عليها بعدرجوعه الى النصرانية . وكان برنامج السلطنة العثمانية التي سيقوم سنان باشا ثائراً عليها بعدرجوعه الى النصرانية . وكان برنامج

البابا أن تتولى أسرة مسيحية عرش الاستانة وأن يُحمَل شعوب تركيا على المسيحية (١) و وعد البابا سنان باشا بأنه إن ثار على تركيا يكون من ورائه ملك اسبانية وجيع ماوك المسيحيين وان جيع ماينتزعه سنان من أيدى الترك من الولايات يصير اقطاعاً له داخلا فى ذلك القسطنطينية وغير مستثنى سوى الأرض المقدسة ودوقية أثينا اللتين ستكونان لملك اسبانية و بلاد المجر وترانسيلفانيا التى ستؤول للامبراطور . وكتب البابا اكليمنضوس الى سنان باشا فى ٥ ابريل سنة ١٦٠٣ كتابين فى أحدهما يعده بأنه يكون ملكاً على البلاد التركية التى يفتحها على شرط أن يحول أهلها الى العقيدة الكاثوليكية ويؤكد له بأنه فى هذا الوعد على وفاق مع الامبراطور رودلف ومعملك اسبانية اللذين سينجدانه بجيوشهما وهو يدعوه أن يجحد الدين الاسلامي أمام شهود وهكذا يغسله من آثامه السالفة . وأما وهو يدعوه أن يجحد الدين الاسلامي أمام شهود وهكذا يغسله من آثامه السالفة . وأما على السلطان يكون الامبراطور وملك اسبانية وجميع ماوك المسيحيين ظهراء له و يختم البابا على السلطان يكون الامبراطور وملك اسبانية وجميع ماوك المسيحيين ظهراء له و يختم البابا كتابه بوضع سنان باشا وعائلته تحت حاية الرسولين بطرس و بولس (٢)

والحق انه لو تم هذا المشروع لكان ضربة شديدة على تركيا لكنه لم يتم. وسنة هريدة على تركيا لكنه لم يتم. وسنة ١٦٠٨ حدث شغب في الاستانة ومات مجمد الثالث. ثم في السنة نفسها فتح الشاه عباس كرجستان فزحف سنان باشا في ١٥ يونيو سنة ١٦٠٤ على رأس جحفل جرار الى أرمينية فهزمه العجم هزيمة شنيعة في ٦ أغسطس سنة ١٦٠٥ فانحاش سنان الى ديار بكر حيث كان ابنه محمود والياً ومات فيها غمّاً في تلك السنة. وكان له عدة أولاد منهم واحدر وي «هامي » انه كان قد تزوج بأخت السلطان مجمد الثالث

وأما البابا اكليمنضوس الثامن فمات قبل سنان باشا بتسعة أشهر خائب الأمل فيما

حلم به

ثم مشروع الأب كوموليو Cumuleo وهو التاسع والعشرون وتاريخه سنة ١٥٩٤ وكان هـذا القسيس مكدوني الأصل عينه البابا غريغوريوس الثالث عشر زائراً رسولياً للكنائس اللاتينية في تركيا الأوربية وكان بحسب قولهم مجمود السجايا ثاقب الفكر نزيه

<sup>(</sup>١) بريد حملهم على ذلك بالقوة كما حصل بمسامى الأندلس

<sup>(</sup>٢)كتاب مائة مشروع لتقسيم تركيا صفحة ١٣٧

النفس عالى الهمة لا يعرف التعب ولا الملل إلا أنه قضى حياته يتعقب فكرة الانتقاض على الترك ودحرهم الى آسية

ومشروع «كوموليو» مشتق من مشروع البابا اكليمنضوس الثامن إلا أن فيه معاومات خاصة تستحق الذكر

فهذا القسيس أرسله البابا الىموسكو فر بالبانيا وترانسيلقانيا في طريقه ثم عاج ببلاد الفلاخ والبغدان وكان بيده مراسيم من البابا الى ملوك النصارى فيها بيان خطر الترك وتوصية لهم برفض كل معاونة للترك وان لم يمكن الرفض البات فتأجيلها أو وضعها في شكل سطحى فقط. وكان كوموليو مأموراً أن يعرف هل في وسع الفلاخ والبغدان والقوزاق أن يثوروا على الترك أولا ? وان طلب القوزاق مالا للثورة فكان كوموليو مأموراً بأن يعدهم باثني عشر الف فاور بن لكن على شرط أن لا تؤدى اليهم إلا إذا دخاوا بلاد العدو(١) وكان «كوميليو » مأموراً بأن يسعى ويبقى دائماً على حذر من المسيحيين الأرثوذ كسيين و بعد أن طاف في هذه البلدان أرسل الى البابا بتقرير يقول فيه إن البانيا فيها ١٤ الف مقاتل وانه يمكن أن يخرج من مكدونية وابير وس مائة الف مقاتل ومن الههرسك وكرواسيا ١٠٠ الف مقاتل ومن بوسنه وضفاف الطونه الى بلغراد ٢٠٠ ألف مقاتل ومن بلغـراد الى البحر مائة ألف مقاتل الخ و بالجلة يمكن أن يثور على الترك أر بعمائة ألف شاكى السلاح. وكان كوميليو يرى الواسطة لاثارة هذه الأمم هو أن تبدأ الروسية بالزحف لقتال تركيا فاذا زحف مائة ألف مقاتل من الروسية انضمت اليه هـنه المقاتلة من أمم البلقان و بلغ عدد الجيع نصف مليون مقاتل. وأما القسطنطينية فان فتحها مستطاع بخمسين سفينة حربية. قال دجوڤارا: يظهر من هنا أن الأب كوميليو كان عظيم الايمان سريع الثقة ويظهر من مطالعة تقارير كوميليو الى الفاتيكان ان أمير البغدان رضي بالدخول في الحلف المسيحي ضد تركيا وأما أمير الفلاخ فامتنع . وكان هذا الأمير هو الأمير الكبير ميشل الملقب بالشجاع وقد صار فها بعد أميراً على الفلاخ والبغدان وترانسيلفانيا معا. واجتهد كوميليو كل الاجتهاد في منع الصلح بين النمسا وتركيا. ولكنه أخفق في موسكو وفي بولونيا وعند القوزاق. وآب الى رومة سنة ١٥٩٨ ومات في أوائل القرن السابع عشر

<sup>(</sup>١) مأأطبق هذه الدسائس على وصايا الأنجيل الذي يبشر به هذا القسيس!

ثم المشروع الثلاثون لتقسيم تركيا المنسوب الى «لوتسيو» Lutcio وتاريخه سنة. ١٦٠ و يوجد نسخة خطية من كتاب لوتسيو في مكتبة نابولي وهو مقسوم الى قسمان الأول يبحث فيه بحثاً فلسفياً عن عظمة المهالك وسقوطها ويذكر الاشوريين والماديين والفرس والمكدونيين واليونانيين والرومانيين وغيرهم ويقول ان المسامين سيصيبهم ما أصاب غيرهم وان سفينة الاسلام العظيمة المشحونة بالذخائر والنقائس لا بد أن تغرق مثل. غيرها . وكما ذهبت دولة الرومان ستذهب دولة الاسلام . والثاني يبحث فيه عن آل عثمان ويذكر تاريخ سلطان سلطان منهم ويقول ان السلطان مراد دخل الى بلاد اليونان من آسية ومعه ٦٠ الف مقاتل وان جيش بايزيد كان ٣٠٠ الف وان جيش مراد الثاني كان. ١٠٠ الف وجيش محمد الفاتح ٣٠٠ الف وان سلمان حاصر ڤينا بخمسمائة الف . ومن بعــــــ فشله امام قينا لم تزل قوة آل عثمان في هبوط. قال وقد كان قيام السلطنة الرومانية بالفضيلة. و بحسن الطالع الذي كان يرافق الفضيلة فاما السلطنة العثمانية فليس لها أساس الاحسن الطالع لا غير . ولولا الاختلاف بين الروم واللاتين ما أمكن الترك أن يدخلوا أور بة . ثم أخذ لوتسيو يشرح حالة الدولة العثمانية وما طرأ عليها من الفساد وقال ان السلطان لا يراه أحد وهو عاكف على لذاته وان الوزراء لا شغل لهم الانهب الرعية وان الديوان ليس. بمجلس جد " بل كل من فيه لا يعرفون الا التملق للسلطان وكم من وزير قتله السلطان لانه تجرأ على ابداء رأى مخالف لرأيه . وهكذا ساد في الدولة الكذب والنفاق واستفاض النكث بالعهود.قال «دجوڤارا» و كان «لوتسيو» يورد هذه الانتقادات بحق الدولة العثمانية ثم ينسى غرضه فيعود فيورد أمثلة لها عند سائر الدول. وذكر ان مناصب الدولة صارت تطرح بالمزاد وان الجنود كشيراً ما تبقى بدون ارزاق بينما السلطان ووزراؤه وقرناؤه منغمسون في الترف. و بعد أن وصف كثيراً من مساوى أحوال تركيا انتهى الى القول بانه محكوم عليها بالانقراض

ولكنه من جهـة ثانية كان يئن من اختلاف المسيحيين بعضهم مع بعض ويقول ان سبب بقاء تركيا الى ذلك الوقت هو تنازعهم . وكان يدعوهم الى الاتحاد ويبين لهم سهولة التغلب على تركيا ويقيم الأدلة على أن محار بة تركيا حق وعدل ويقول « أى شي ً أفظع من وجود قبر المسيح في أيدى غير المؤمنين »

وقد أطرى لوتسيو الباباوات الذين دعوا الى الحرب الصليبية وعد منهم لاون التاسع وأو ربانوس الثانى وغريغور يوس الثامن ونيقولا الثانى وجيلاسيوس الثانى واسكندر الثانى وكاليكستوس الثانى وهوموسيوس الثالث ونيقولا الرابع واكليمنضوس الثالث وسلستينوس الثالث واينوشنسيوس الثالث ونيقولا الخامس و بيوس الثانى وسيكستوس الرابع ولاون العاشر و بيوس الخامس

وكان رأى لوتسيو على المسيحيين هو المهاجة لا المدافعة وقال انهم اذا كانوا بعيدين عن أوطانهم ازدادت حاستهم . ثم أشار لوتسيو بأن يتولى رودولف الامبراطور الجرمانى قيادة الحلة التي يجب أن تزحف الى تركيا وقال ان هذا الامبراطور يستطيع أن يجند . . . . ألف ماش و . ٥ ألف فارس وانه يجب أن يدخل في هذه الحرب ملك فرنسة وملك بولونيا والروس . وقال ان الروس يقدرون أن يسوقوا الى ميدان الحرب . ٥ الى . . ٧ ألف فارس وليتوانيا . ٧ ألف فارس وليتوانيا . ٧ ألفاً

قال وأما ملك اسبانية فيمكنه أن يصلى الحرب فى افريقية ويطردالترك منها وانه يجب على البابا أن يجهز الأساطيل لمحاربة الترك فى البحر . وقد أثبت الله فى أيام البابا بيوس الخامس ان التغلب على الترك انما يكون فى البحر (١)

وقال انه يجب على جهورية البندقية أن تدخل في هذه الصليبية ان لم يكن تحمسا في الدين فاخذاً بالثارعن «كورفو» و «كتارو» و «سريجو» و « زاره» (٢) وغيرها مما انتزعه الترك من يدها ومما كان يهون به صاحب هذا المشروع من أمر الترك قوله انه ليس عندهم قواد مهرة وان الانكشارية والسباهية أصبحوا لا ينقادون لقوادهم وأن لا أمل لتركيا بنجدة أحد من جيرانها. وأما غنائم الحرب فقد ترك لوتسيو تقسيمها للامبراطور وجعل لملك اسبانية حقاً في الاستيلاء على افريقية. قال دچوفارا: ان هذه الأفكار التي خطرت لصاحب هذا المشروع كانت منتشرة جداً في أو ربة في النصف الأول. من القرن السابع عشر

ثم مشروع « شاڤيني » chavignty وهو الواحد والثلاثون وتار يخه سـنة ١٩٠٩

<sup>(</sup>١) يشير الى وقعة ليبانت

<sup>(</sup>٢) بلدة على بحر الادرياتيك يسميها المسعودي زهره

وكان هـذا الرجل منجما ولد في « بون » Beaune ( فرنسة ) وقد كتب كتابا يدعو فيه النصرانية كلها الى الاتحاد على الأتراك و يعد المالك التى ينبغى أن تدخل في هذه العصبة وكان يتألم أشد الألم لرؤية برابرة كالأتراك مسيطرين على المسيحيين ويقول ان السبب في ذلك كله انما هو الاختلاف الذي بين ماوك النصرانية والذي جعل الجيش التركى يمشى الى الأمام في أور بة كما في آسية وافريقية

ومماجاء في هذا الكتاب في مقام التقريع للسيحيين ان جنودهم لا تعرف الا اتباع الشهوات البدنية وان معسكراتهم فيها من النساء أكثر مما فيها من القاتلة

وجاء فيه أيضاً أنه يجب طرد التركى الى أقاصى آسية الصغرى و يجب حمل الأتراك على الديانة الكاثو ليكية

أما تقسيم بلدان الاسلام فهو كما يلي:

الجلالة الامبراطورية يكون لها امبراطوريتا الغرب والشرق وتدخل في ممالكها بلاد المجر وتراقيا . ويكون للانكايز مصر ، ويكون للاسبانيول افريقية . ويكون للطليان جميع مهاسي البحر المتوسط وجزائره . ويكون للمبولونيين والدانمركيين والنورفيجين والاسوجيين الأقاليم الشمالية وأراضيها الخصيبة

و كائن « شاڤيني » هذا نظر الى الآتى من قبل ما وقع بثلاثة قرون فان كثيراً من هذا التقسيم الذي تخيَّله قد تحقق بسياسة الاستعمار الاور بى الحالى

وأما ما جاء في كلامه من التحريض على قتال المسلمين فدت عنه ولا حرج وقد نقل كلام « جاك سادوليه » Sadolet مطران « كار بنتراس » carpentras في استجاشة المسيحيين لقتال الـترك . ونقل كلام « لويس قيث » Vives الأسبانيولي عن « آلام المسيحيين المعذبين تحت أظافر التركي » وذكر استصراخ البابا اور بانوس الثاني لاغائتهم وذهاب كل هذا الصراخ سدى قال : فالتركي لا يزال قو يا وأحد صدور الدولة العثمانية قال انه لا يخشى المسيحيين ما داموا منقسمين وهم لم يبرحوا منقسمين

قال: وينبغى أن يتولى البابا والامبراطور وملك اسبانية كبرهذه الصليبية وان يدعى ملك فرنسة لنقض عهوده مع الأتراك ... وقال ان الجيش البرسي يجب أن لا يقل عن ١٢٠ الفا يتكون من الالمان والهولانديين والانكليز والفرنسيس والبولونيين

والبوهيميين والمجر الخ و ينقسم الى قسمين أحدهما يسير تحت لواء الامبراطور والآخر تحت لواء اللك المسيحى كثيراً (أى ملك فرنسة) وأما الجيش البحرى فينبغى أن يجهزه ملك اسبانية الذى هو أقوى ملوك النصرانية وان يعضده البابا والبنادقة وسائر ملوك ايطالية ولا يجوز أن يقل عدده عن ٣٠ الفاً. وتجب متابعة القتال مدة أر بع سنوات

ولما كان « شاڤيني » منجماً كانت أفكاره دائماً مشغولة بالكسوف والخسوف والنجوم ذوات الذنب وقال ان انكساف الشمس لا بد من أن تعقبه حرب كبرى

ثم المشروع الثانى والثلاثون من تقسيم تركيا وهو مشروع «سولى » due de Sully

وقد كانت ولادة هذا الرجل سنة ١٥٥٩ ووفاته سنة ١٦٤١ واشتهر الى الدرجة القصوى بمعارفه الاقتصادية ولهذا تولى أمو ر فرنسة المالية . ومشروعه منسوب الى هنرى الرابع ملك فرنسة الا ان تحريره كان من قريحة سولى نفسه . وقد اختلف الناس في هذه القضية فذهب « درايپر ون » Drapoyron الى أن هنرى الرابع هو الذى فكر فعلاً افتتاح السلطنة العثمانية وتقسيمها وتنظيمها وان هذا الرأى كان هو الرأى السائد في وقته

وأما ڤولتير فقال ان تقسيم أور بة الى خس عشرة مملكة خيال باطل لم يفكر به هنرى الرابع

وأما غيز و Guizot فذهب الى أن الناس نسبوا الى هنرى الرابع احلاماً يبعد عن العقل أن يكون تخيلها . وأما « آلبر سورل » Albert Sorel فيقول ان المشروع هو قدح فكرة « سولى » وكذلك المسيو « هاو زر » Hauser فى الانسيكاو بيديا الكبرى والمسيو هانوتو فى مباحثه التاريخية عن القرن السادس عشر والسابع عشر فى فرنسة يقولان ان سولى هو أبو عذرة هذا المشروع وانه لا يتعداه مولى هو أبو عذرة هذا المشروع وانه لا يتعداه مولى هو أبو عذرة هذا المشروع وانه لا يتعداه مولى المولى هو أبو عذرة هذا المشروع وانه لا يتعداه مولى هو أبو عذرة هذا المشروع وانه لا يتعداه مولى هو أبو عذرة هذا المشروع وانه لا يتعداه مولى هو أبو عذرة هذا المشروع وانه لا يتعداه مولى هو أبو عذرة هذا المشروع وانه لا يتعداه مولى هو أبو عذرة هذا المشروع وانه لا يتعداه مولى هو أبو عذرة هذا المشروع وانه لا يتعداه مولى هو أبو عذرة هذا المشروع وانه لا يتعداه مولى هو أبو عذرة هذا المشروع وانه لا يتعداه مولى هو أبو عذرة هذا المشروع وانه لا يتعداه مولى هو أبو عذرة هذا المشروع وانه لا يتعداه و المولى هو أبو عذرة هذا المشروع وانه لا يتعداه و المولى هو أبو عذرة هذا المشروع وانه لا يتعداه و المولى هو أبو عدرة هذا المؤلى و المولى هو أبو عذرة هذا المؤلى و المولى هو أبو عدرة هذا المؤلى و المولى هو أبو عدرة هذا المؤلى و المؤ

وذهب المسيو «بوارسون» Poirson صاحب تاريخ هنرى الرابع أن هذا الملك كان فكر في تأليف مجلس عام يفصل خصومات المالك المسيحية بدلا من فصلها بالسلاح. وهذه الفكرة الأولى هي لهنرى فجاء سولى وفرسع عنها ما أوصلته اليه مخيلته من الترتيبات والتشكيلات

وقد جاء في كتاب سولى الذي نحن بصده الموسوم « بتدابير هنرى الكبير السلطانية الحكيمة » ان غرض هذا الملك المحارب السياسي الكبير كان تأسيس شي أشبه بجمهورية تكون دائماً سلمية مع المسيحيين وحربية بازاء غير المؤمنين المؤمنين Infideles وكانت الجهورية الحلفية الاوربية بحسب تخيل سولى عبارة عن خس عشرة حكومة ، السلطنة الجرمانية ، مملكة البابا ٣ فرنسة ٤ اسبانية ه انكلترة ٦ المجر ٧ بوهيميا ٨ بولونيا ٩ الداغرك الجرمانية ٢ مملكة البابا ٣ فرنسة ٤ اسبانية ه انكلترة ١ المجروية الإيطالية ١٤ هولاندة ١٥ سو يسرة فأنت ترى أنه ليس للروسية ذكر في هذه المجموعة وذلك لأنهم كانوا يعدونها يومئنية ١٠ سه يه ته المجموعة وذلك لأنهم كانوا يعدونها يومئنية ١٠ سه يه ته المهودية وذلك لأنهم كانوا يعدونها يومئنية ١٠ سه يه ته المهودية ١٠ سه يه المهودية ١٠ سه يه ته المهودية ١٠ سه يه ته المهودية ١٠ سه يه المهودية ١٠ سه يه ته المهودية ١٠ سه يه ته يه تهود المهودية و تدلك لأنهم كانوا يعدونها يومئنية ١٠ سه يه يه تهود المهودية و تدلك لأنهم كانوا يعدونها يومئنية ١٠ سه يه ته يه تهود تهود المهودية و تدلك لأنهم كانوا يعدونها يومئنية ١٠ سه يه تهود تهود المهودية و تدلك لأنهم كانوا يعدونها يومئنية ١٠ سه يه تهود تهود تورية المهودية و تدلك لأنهم كانوا يعدونها يومئنية ١٠ سه يه تهود تورية المهودية و تدلك للمهودية و تدلك المهودية و تدل

وقد جعل الفلاخ والبغدان تابعتين للجر ولم يشر الى تقسيم الولايات التركية الأخرى وبالجلة فالترك نظير الروس لم يدخلهم سولى في الجهورية الأوربية المسيحية

الا أنه من مبادئ هذه الجهورية المخيلة أن تؤذن تركيا بحرب دائمة أو تخرج هذه من أوربة. وقد اقترح في هذا المشروع الزام كل دولة من الدول المذكورة تقديم جيش متناسب مع قوتها وثروتها لأجل اصلاء غيير المؤمنين (أي المسلمين) حربا دائمة وفي هذه الحرب تكون أرواح الأهالي الأتراك وأموالهم مصونة الا أنهم يعطون مهلة معينة في خلالها ينتقلون بأشيائهم الى البلاد التي يختارون الجلاء اليها أو يدينون بديانة المملكة التي يكونون بقوا فيها (أي بالنصرانية)

تجد هـذا الشرط في تاريخ « بو ارسون » Poirson كما روى ذلك دجوڤارا وأما الروسية فيجب أن تنتظر الوقت الذي تليق فيه للدخول في هذا المجتمع الأوربي

و يكون جيش هذه الجهورية بالغاً ٨٠٠ ر ٢٧٣ جندي و ١١٧ سفينة حربية

وعلى كل من هـنه المالك الجس عشرة المتحدة تأليف جيش متناسب مع قوتها القتال غير المؤمنين Infideles (أي المسلمين )

ولما كانت المهالك المجاورة لتركيا أشد تعرضا للخطر فيشير سولى بتقوية بلاد المجر وتحصينها وتحصين ثينا وكر واسيا وسائر بلاد النمسا. ولما كان سولى يخشى أن ينفض بعض المسيحيين من هذه العصبة أو ان لا يقوموا بما يجب عليهم أشار بوضع شروط عسكرية ورسم خطط لا يتيسربها قتال غير المؤمنين فسب بل قتال المسيحيين الذين

يخالفون شروط العصبة وذلك بتا ليف جيش عرمهم مختلط خاص بالجهورية المسيحية يتولى قيادته ملك فرنسة. و بهذا الاقتراح ظهر انه كان المقصد منه تحت ستار السلام العام اعطاء السيطرة للدولة الافرنسية

وأما هانوتو فيزعم انه كان المراد من ذلك ايجاد الوحدة الدينيــة واخراج الترك والروس من أور بة

وقد ذهب « سولى » الى انكاترة وقابل الملكة اليصابت ونال منها الموافقة على هذا المشر وع وذلك سنة ١٩٠١ وكذلك تم الاتفاق عليه مع البابا وانعقدت به معاهدة وكان أر بعة من الأمراء المنتخبين (١) في ألمانيا أمير « البالاتينا » و « براندبورغ » و «كولن » و « ميانس » وكذلك دوق ساڤواى وجهوية البندقية قد اطلعوا على هذا البرنامج و وافقوا عليه . وممن وافق عليه أيضاً ملك بولونيا وأمراء بوهميا وترانسيلڤانيا والمجر ولم يبق معارضاً الا النمسا . وكان هنرى الرابع لأجل أن يقطع حجة المعارضين قد أعلن انه ان دخلت الدول المسيحية في هذه العصبة فانه يكتني بحدود فرنسة الحاضرة ولا يتطلب الزيادة عليها بل يتعهد بأن لا يأخذ شيئاً من الفتوحات التي سيفتحها المسيحيون في البلاد العثمانية

قال دجو ڤارا: «وقد كان هنرى الرابع هو أول ملك فكر فى اقامة تحكيم دولى بين الدول المسيحية و بقيت هذه الفكرة ثلاثة قرون بعد هنرى الرابع حتى تحققت بتائسيس محكمة لا هارى. »

قلنا وقد تبع محكمة لاهارى تأليف عصبة الأمم التي هي أكبر وأشمل محكمة دولية عرفها التاريخ وقد كانت بنت فكر ويلسون رئيس جهورية أمريكا ولولا اطهاع الدول التي خرجت غالبة من الحرب العامة لكانت أتت بفوائد لا تحصى للجتمع البشرى ولقد انتهى مشروع سولى هذا المنسوب الى هنرى الرابع بالحبوط لأن هذا الملك

تحقق فما بعد استحالة تطبيقه بالفعل

ثم المشروع الثالث والثلاثون لتقسيم تركياوهو مشروع طلياني وتاريخه سنة ١٩٠٩

<sup>(</sup>١) بكسر الخاء وهم أمراء المانيا الذين ينتخبون الامبراطور

وأصله ان فرديناند دوق توسكانا ساق اسطولا وأنزل جنوداً فى جزيرة قبرص وكان مراده فى ظاهر الحال الغارة على فلسطين للاستيلاء على الأراضى المقدسة ولكن الحقيقة انه كان ينوى احتكار تجارة سورية ومصر. ومن قبرص أخذ دوق توسكانا يراسل الامير فر الدين المعنى أمير لبنان وعلى باشا جنبلاط والى حلب

نقل دجوڤارا عن «غالوزى» Galuzzi صاحب تاريخ دوقية توسكانا ان الدوق فرديناند اتفق في هذا التدبير مع البابا وأرسلا الوزير «ليونسيني» ومعتمداً آخر اسمه «ميشال انجلوكوراى» الى والى حلب ليطلعا لهم على الأحوال هناك و يلقيا الفتنة بين المسلمين تعجيلا لبوارهم وفي ٢٥ سبتمبر سنة ١٩٠٧ع عقدا مع جانبلاط معاهدة ذات الاثين بنداً منها بند يتعهد به جانبلاط بتمكين الافرنج من الميناء الذي يختار ونه لننزيل جنودهم وكان أر وام قبرص وعدوا أيضاً بالثورة على الترك و بينها الامور جارية على وفق المراد اذ مات الدوق في ٧ فبراير سنة ١٩٠٩ ومات به المشروع وأما برنامج هذه الغزاة «جورغا» Jorga أحد أساتيذ جامعة بخارست. وقد بدأ محرر هذا المشروع نظير غيره من عالجوا الموضوع نفسه بالتحسر على عدم اتفاق المسيحيين و بالحث على انتهاز هذه الفرصة الموافقة وقال انه بعد موت الدوق التوسكاني لا يوجد غير ملك فرنسة للقيام بحملة كهذه وان أهم شيء انما هو ضرب الترك في مركز معيشتهم فيجب لذلك الاستيلاء على السكندرية فاذا أخذت من يدهم هذه المدينة سقطوا. ومن هنا يعلم ان المشروع مبنى على أساس تجارى مثل مشروع «سانودو»

وأما كيفية أخذ الاسكندرية فستكون بزعمه بسيطة: مدخل المقاتلون بازياء تجارحتى اذاصاروا داخل البلدة استولوا على الأبراج الأربعة التي تحمى الاسكندرية وذلك لكون الحامية التي فيها ضعيفة جداً. و بعد الاستيلاء على الاسكندرية يزحف المسيحيون الى رشيد و يسيرون الى قبرص حيث الاروام مستعدون أن يثورا على الأتراك. وكذلك يجب الاستيلاء على برقة. وفي هذه الحرب يمكن الاعتماد على الأمير فر الدين صاحب صيدا وعلى الموارنة وعلى أهل جبل لبنان وهكذا ينتهى الأمر بفتح بيت المقدس ثم تسترجع

الدول المسيحية ما أخذه منها الترك وتسترد البندقية المورة والبانيا واليونان الخ

ثم المشروع الرابع والثلاثون وهو مشروع « اسبرينشارد » Esprinchard وتاريخه ١٦٠٩

وهو تقرير متقدم الى ولى عهد فرنسة وما له كما آل غيره من طلب اتحاد ماوك المسيحيين. وان أحسن طريقة لحطم قوة الترك هي الجل عليهم من البحر وان يزحف اليهم مع ذلك جيش برسى وان تثار الأهالي الذين في داخل السلطنة العثمانية وتوقد حرب أهلية بينهم وان يعقد اتفاق مع العجم والتتر والمسكوب و ينهدوا اليهم جيعاً

وليس في مشروع اسبرينشاد برنامج مفصل بل هو أشبه باماني منه ببرنامج ثم المشروع الخامس والشلاثون وهو مشروع « مينوتو » Minotto وتاريخـه سنة ١٦٠٩

وهو كشروع سولى وكشروع « بريث » Brêves من آثار أفكار هنرى الرابع الذي طالما فكر في اصلاء الترك حرباً صليبية .

وقد عثر عليه « زنكيسن » Zinkeisen في أو راق نظارة الخارجية الافرنسية ونشره كله في الصفحة ٨٥٩ من الجزء الثالث من تاريخه للسلطنة العثمانية وكان أصل نصه باللغة الطليانية

وكان مينوتو هذا روميا من جزيرة كريد. وقد استهل كتابه بنداء استغاثة من نصارى الشرق الى نصارى الغرب لينقذوهم وأكد أن جيع الأروام حاضرون لمبايعة ملك فرنسة ملكا عليهم وانه يجب أن يعرف هل ملك فرنسة يود فتح السلطنة الشرقية كلها أو يكتفى ببعض مقاطعات منها. فان كان الشق الأول فيجب اعداد ٨٠ بارجة حربية فيها من نفس مقاتل وثلاثة آلاف فارس وسلاح كاف لخسة وعشرين ألف مقاتل يمكن تجنيدهم من نفس البلاد

ويبدأ انزال الجنود في المورة ثم في جزيرة اغريبوز فتثور الأهالي فيهما ثم تساق حلة على الاستانة ويثور من فيها من النصاري ويفر السلطان الى اسكدار وتبقي استانبول في يد الافرنج. وأما رودس فيمكن أخذها بثمانية آلاف ذهب

وان كان الشق الثاني فيكني ٢٥ بارجة حربية و ١٠ سفن صغار وتختار المقاطعة

التي يراد فتحها . فالمورة فيهامعادن ذهب وسلانيك وقبرص وشيو ومدللي واغريبو زكامها توافق لانزال الجنود والأهالي فيها حاضرة للثورة ولميرة الحلة . وهو يطلب شحن ست سفن بالحدائد والجير لأجل تحصين القلاع التي يكون تم فتحها ومينوتو يؤكد نجاح المشروع ويقسم على دُلك و يفدى حياته وحياة أولاده إن لم يتم

قال « زینکیسن » إن هنری الرابع لم یکن ممنیتهافت علی أی اقتراح لیتهافت علی قبول بر نامج مینوتو ولکن مما لامشاحة فیه انه فی آواخر عهده نقم علی الأتراك فی نفسه ثم المشر وع السادس والثلاثون وهو اقتراح « برتوشی » Bertucci وهو تقریر محر ر بالطلیانی محفوظ فی « اینسبروك » Insbruck ومحر ره فرانسكو انطونیو برتوشی » قدمه فی ۲ ابریل سنة ۱۹۱۱ الی ملك نابولی و بعث بنسخة منه الی الارشیدوق مکسیمیلیان النمساوی . وهو یشیر بالاستیلاء علی قلعتی اشقودره و کروایا الارشیدوق مکسیمیلیان النمساوی . وهو یشیر بالاستیلاء علی قلعتی المقود کروایا وقلعـ تمانیا لانهما مفتاح مکدونیة . و یقول انه بعد ذلك یمکن الاستیلاء علی قلعة کلیسا واثارة ۳۰ ألف ارنأوطی و ۳۰ ألفاً من أهل بوسنة واستجاشة المجر وعند ما تقوم هذه الثورات کلها یتحد أمراء ایطالیة والبنادقة و یزحفون علی دراج ودلسینو وانتیفاری وغیرها . ثم یزحف البولونیون والقو زاق من جهة ثانیـة علی الأتراك فیضطر وانتیفاری وغیرها . ثم یزحف البولونیون والقو زاق من جهة ثانیـة علی الأتراك فیضطر ان ملك فرنسة کان بالاتفاق مع دوق سافوای قد أرسل معتمدین من قبله یر ودون البانیا و یروی ان قائد الجیش البولونی تعهد بتقدیم أر بعة آلاف فارس لهذا المشر وع وهو یوصی کثیراً بکتمان السرخشیة ان یصل الی من لایر وقهم اتمام هذا الخیر العمیم

ثم المشروع السابع والشلاثون وهو المنسوب الى الدوق « شارل دونڤير » ( Charles de Nevers وتاريخه سنة ١٦١٨ — ١٦١٨

وهذا الدوق هو ابن «لويس دوغونزاغ» من الاميرة « هنرية دوكليفس» دوقة هير. وكانت جد ته من آل باليولوغ ملوك بيزنطية فهو ضارب بعرق ثابت الى مملكة القسطنطينية. وكان من جهة الأب أميراً طليانياً ومن جهة الأم ألمانياً ومن جهة الجدة يونانياً بيزنطياً ومن جهة المنصب افرنسياً وهكذا اجتمعت فيه عدة خصال تؤهله أن يتولى كبر هذه الجلة على مملكة آل عثمان. وكان ورد عليه دعوة لهذا الأمر من أهل الموره

ووعدوه بخمسة عشر ألف مقاتل وأرسل اليهم ثلاثة معتمدين عقدوا معهم اتفاقا . وفي المستمبر سنة ١٩١٤ أرسل وفداً آخر جع اناساً من زعماء الصرب والارناؤ وط والبوسنيين والمرسكيين والبلغار والدالماتيين وتحالفوا على محار بة الترك وكانوا يرجون عضد أمير الفلاخ والبغدان وكان البابا وملك اسبانية عاضدين هذا المشروع . وكان الدوق دونيثير اتفق في هذا الأمر مع الكردينال ريشليو وزير فرنسة الشهير . ونقل «ناني » في تاريخ جهورية البندقية ان الدوق نيڤيركان ذهب الى رومة واستمد البابا بولس وهذا قد استنفر جهورية البندقية باعتبار انها أقوى دولة بحرية في ايطاليا فالبنادقة أجابوا البابا أن العمل ليس بسهل وانه لا ينبغي الدخول فيه الا بعد التحوط التام و بعد تمالؤ ماوك النصاري على الترك فعلا لا قولاً . وقالوا ان العدو الذي يريدون مهاجته عدو شديد المراس وهكذا لم يتم للدوق دونفير ما أراد لأن جيع المساعدات التي حصل عليها لم تتجاوز القول والوعد والتمني . وحبط المشروع بدون أن يكون له أدني أثر سوى زيادة حذر الترك الذين كانت ترامت اليهم الاخبار عما ينو ونه بحقهم

ثم المشروع الثامن والثلاثون لنقسيم تركيا وهو مشروع الأب يوسف مستشار الكردينال ريشليو ويده اليمني وتاريخه سنة ١٦١٨ الى ١٦١٨

قال « زنكيسن » ان ريشليو كان قد سعى فى التأليف بين فرنسة واسبانية لأجل القيام بحرب صليبية تنتهى بنصب أمير من بيت ملك النمسا من الفرع الاسبانيولى ملكا على القسطنطينية الا ان رجلا اسمه « جاك بيير » كان فى خدمة الدوق دونقير ثم فى خدمة دوق سافواى ثم اتصل بخدمة دوق توسكانا ثم خدم البندقية وكان يقال له « الكابتيانو » لأنه من قرصان البحر قد اطلع على هذا السر وافشاه بحجة انه هو افرنسى وانه لا يمهون عليه أن يجلس أمير اسبانيولى على عرش القسطنطينية . ولما سمع البنادقة بخبر هذه المؤامرة قاوموها وعدوها محكيدة عليهم . وهكذا حبط مشر وع الأب يوسف مستشار ريشليو . وقد تكلم ڤولتير عن الأب يوسف المذكور وطعن فيه وذكره هانوتو فقال انه كان خيالياً أفاقاً متمسكا بالمشروعات المستحيلة . وقيل انه قضى عمره فى املين : تنصير المسامين واستخلاص الأراضى المقدسة . ولما لم يتم شى من تدابيره أخذ ليشنى غليله يرسل المبشرين والدعاة الى الشرق ونظم قصيدة سماها « التركية » Turciade وكتب فى سينة

١٩١٩ كتابا في تهيئة الحرب ضد الاتراك وتبيين مصالح ماوك أور بة جيعا في حربهم وكان قلم الاب يوسف لا يفتر عن الكتابة. وكان ينعى دائماً حالة النصرانية في سكونها وعدم مهاجتها للسامين

وقال « غستاف فانييه » Fagniez في كتابه « الاب يوسف و ريشليو » ان حياة الاب يوسف كانت كلها مستغرقة في فكر واحد وشعور واحد وهما استخلاص الاراضي المقدسة من أيدى غير المؤمنين والألم من وجودها في أيديهم وكانت عنده أمنية أخرى يريد تحقيقها بو اسطة جع كلة الامم المسيحية وهي ادخال غير المؤمنين (أي المسلمين) في الدين المسيحي

وكان الأب يوسف جاء الى رومة واستحث حية البابا بولس الخامس لكن هذاكان فاتر العزم و بقى الى سنة ١٦١٨ حتى أرسل دعاة من قبله الى « براغ » و « تريث » و « ميانس » و « كولن » و « تو رينو » يستنفر الدول المسيحية الى قتال المسلمين . وفي ذلك الوقت كانت اسبانية تتردد في اصلاء هذه الحرب فذهب الاب يوسف الى مجريط و رجع وقد فاز بمبتغاه وهو عضد الدوق دونفير في الجلة على تركيا . الا ان الخلاف رجع فنشب بين أوستريا وفرنسة وذهبت المساعى لتحقيق هذه الصليبية بالفعل أدراج الرياح وسنة ١٦٦٥ قرر البابا اور بانوس الثامن والأب يوسف ارجاء المشروع الى أجل غير مسمى ما لمشروع التاسع والثلاثون وهو المنسوب الى « قاليريانو » Valeriano وتار نحه ١٦١٨

وهو مشروع لا يزال مخطوطاً غير مطبوع محفوظا فى خزانة « انسبورغ » المساة Statthalteri Archio وهو عبارة عن كتاب متقدم من الراهب الكبوشى قاليريانو الى الارشيدوق مكسيميليان النمساوى ومعه مذكرة وهو يقول ان الكونت « دالتان » D'haltan قد تحادث مع أمراء البلدان المجاورة للسلطنة العثمانية و رأى امكان القيام باعمال عظيمة لقهر الأتراك لكن يجب تمكين الجيش المسيحى من المرور ببلاد الأمراء المجاورين للترك وقد عقد الامبراطور وملك بولونيا والبنداقة معاهدات مع آل عثمان منها معاهدات موالاة دائمة ومنها معاهدات هدنة الى مدة عشرين سنة . ومن أجل هذا عند ما عرض الكونت دالتان على ملك بولونيا هذا المشروع أجابه بأنه لا يقدر أن يخفر ذمته ولكنه

يفسح له المجال أن يمر من خليج فنلانده ويأتى من هناك الى البحر الاسود وكذلك رضى ملك بولونيا بتعيين مكان من بروسيا يحتشد فيه فرسان المسيحيين الذين يقصدون حرب الترك

ثم أخذ «قالرياونو» يعد الاماكن التي ينبغي أن تمر بها الجلة الصليبية وقال ان البابا سيكتوس الخامسكان أراد القيام بحملة على الترك يقودها « اتيان باتورى » فاشترط هذا قبل كل شيء الاستيلاء على بلاد المسكوب وقال ان هذا قد يتهيأ في سنة ثم يساق المسكوب والعجم على التتار و يساق الفلاخيون والبغدانيون والترانسيلفانيون على الترك. وكان البابا وملك اسبانية يذخران الأموال لهذه الغارة على مدة سنوات الا انها لم تتيسر بسبب وفاة البابا سيكتوس

ثم المشروع الأربعون المنسوب الى «ساڤارى دو بريڤ» Savary De bréves وتاريخه سنة ١٩٢٠

وكان « دو بريث » سفيرا لهنرى الرابع ملك فرنسة فى الاستانة . وكانت سفارته حافلة بالفوائد لفرنسة وطالما كتب اليه هنرى الرابع يشكره على جلائل خدماته . وكان لدو بريث مكانة عالية لدى السلطان مجمد الثالث . ولما قاد السلطان الجيش العثمانى بنفسه الى بلاد المجركان دو بريث سفير فرنسة وريكارد سفير انكلترة فى معيته وحضرا معه معركة « آغريا »

وكان دو بريف من أوسع الافرنج اطلاعا على أحوال تركيا وكان يعلم فساد الأخلاق الذي كان قد تمكن من رجال السلطنة العثمانية وكان يعلم ماهناك من خلل الادارة البالغ الدرجة القصوى الى أن كتب دو بريف من الى هنرى الرابع يقول له: ان الرشوة قد وصلت في هذه الدولة الى حد انه لا يرجى نجاح عمل مهما كان الا بالمال وأما برنامجه المحرر لتقسيم تركيا فقد كان تأليفا عنوانه « خلاصة بحث في أضمن الطرق لمحو سلطنة آل عثمان » وكان مع هذا التأليف وثيقة تاريخية هي معاهدة منعقدة بين هنرى الكبير ملك فرنسة والسلطان أحد امبراطور الأتراك بواسطة المسير (۱) « فرانسوا ساقارى دو بريف » وكان هذا الكتاب ينتهى بثلاثة مكتو بات من البابا الكيمنضوس الثامن وأما المقدمة وكان هذا الكتاب ينتهى بثلاثة مكتو بات من البابا الكيمنضوس الثامن وأما المقدمة

<sup>(</sup>١) أي الموسيوكماكانت تلفظ في ذلك الوقت

فكانت موجهة الى لويس الثالث عشر وكان يقول له فيها: -

« فى مدة الاثنتين والعشرين سنة التى قضيتها لدى الباب العالى لخدمة المرحوم هنرى الكبير والدك اعتنيب بملاحظة ما تملكه الدولة العثمانية من القوة وما يملكه ماوك المسيحيين من الوسائل لتوهينها أو القضاء التام عليها وحررت ذلك فى خلاصة أقدمها الآن لجلالتك بحيث ترى امكان هذا العمل وانى أكون سعيداً بتحقيق آرآئى هذه بالفعل وهكذا أكون خدمت ديني وخدمت جلالتك »

وقد خن « دو بريڤ» قوى الدول المسيحية البحرية كما يلي:

الملك الكاثوليكي (۱) يمكنه تجهيز . . ، ، سفينة وجهو رية البندقية تقدر أن تجهز بكل سهولة . . ، سفينة وست بوارج كبار مما يسمى بجبال البحر . والبابا يستطيع تجهيز ٨ الى . ، سفائن . وفرنسة تقدر أن تسير . ٥ سفينة . ومملكة ساڤواى ٥ أو ٦ سفن . والتوسكانا . ، أو ١٢ وجنوة ٨ أو ١٠ ومالطة ٦ والجيع ٣٨٠ سفينة وست بوارج .

ولم يذكر « دو بريڤ » شيئاً عن كيفية توزيع اسلاب السلطنة العثمانية وانما أوجب اتخاذ قرار سريع بهذا الشأن وعدم انتظار الملحمة الكبرى لأجل اصداره

ولقد جرت لهذا المشروع معارضات من جهة الساسة الذين كانوا يرون ضرورة المحالفة مع تركيا للوقوف في وجه الامبراطورية الجرمانية . ومن هؤلاء المعارضين كان ( لوغاى ) LeGay الذي رد على « دو بريڤ » برسالة اوجب فيها الاتحاد بل الاتحاد التام بين فرنسة والباب العالى و يكفى أن أذكر من هذا الرد بعض عناوين للتعريف بمقاصده . ففي الفصل الثاني يقول إنه يجوز التحالف مع غير المؤمنين بموجب الحق الالهتي القديم . وفي الفصل الخامس يقول إنه يجوز التحالف مع غير المؤمنين بموجب الحق الا لهي الجديد . وفي الفصل السابع يقول ان القياصرة وماوك اسبانية وسائر ماوك المسيحيين قد اتفقوا مع الأتراك لأسباب هي أقل بالاً من الأسباب التي اتفق معهم من أجلها ماوك فرنسة . وفي الفصل العاشر يذكر أن اتحاد فرنسة مع تركيا لا ينفع فرنسة وحدها فقط بل ينفع النصرانية باسرها . وفي الفصل الحادي عشر يقول انه لا يجوز أبداً أن ترتفع ثقة التركي من المسيحي . وكذلك هذا الرجل يبين أنه اذا غيّرت فرنسا سياستها تجاه تركيا جاءت أستريا المسيحي . وكذلك هذا الرجل يبين أنه اذا غيّرت فرنسا سياستها تجاه تركيا جاءت أستريا

<sup>(</sup>١) أي ملك أسبانية

وحلت محلها فى صداقة تركيا وكذلك أسرعت اسبانيا لموادة تركيا. ثم انه يقول ان انفاق فرنسا مع تركيا لم يكن ليضر فرنسا فى شى بل كان يفيدها وكان هـذا التركي الذى يقال انه غير مؤمن وانه وثنى " يحارب أعداء فرنسا .

ومن هذا التاريخ ظهر أن المصالح الدولية أصبحت هي العامل الأول في الصلح والحرب مع الأتراك وصار الشعور الديني بالمحل الشاني . وقد جاء في رسالة أخرى لأحد نبلاء بولونيا يقول فيها : ان الناس يتهمون فرنسا بأنها ناصرت تركيا وانها استخدمت بولونيا في سبيل أغراضها ولكنهم نسوا أن فرنسة لم تكن قادرة أن تتخلص من شر اوستريا الا بالاتفاق مع الترك . وقال المسيو قاندال : انه لما وقع فرانسوا الأول أسيراً في معركة «بافيا» وانكسر سيفه وسقط فرسان فرنسة من حوله صرعي ولم يجد عند ذلك أية نصرة من أية دولة مسيحية أجمع على محالفة الترك وهو عزم بعثه الياس لكنه صار فيا بعد سياسة متبعة

ثم مشروع قازيل لُو بُو Vasile Lupu وهو المشروع الواحد والأربعون وتاريخه ١٦٤٦ وكان أميراً على بلاد البُغْدَ ان من سنة ١٦٤٤ الى ١٦٥٣ وكان أميراً مشهوراً بكثرة الحركات. وكان أزوج اثنتين من بناته الى بعض أمراء بولونيا والبنت الثالثة ، وكانت بارعة الجال ، الى تيموش ابن أمير القوزاق فكانت له علاقات من شأنها أن تجعل له مركزاً منيعاً بازاء الأتراك. وكان التتار سنة ١٦٤٦ شنوا الغارة على بولونيا وعلى بلاد البغدان. وساقوا أربعين ألف أسير وفراً الأمير المذكور وتوارى في الغابات. ثم أخذ يترقب الفرصة للأخذ بالثأر من التتار فاتفق مع ملك بولونيا على التحالف مع موسكو يداً واحدة على التتار والعثمانيين. وكان يرجو أن يستولى على بلاد القريم ومن هناك يغزو القسطنطينية وجاء يقابل ملك بولونيا في جَاسِي الا أن المجلس البولوني لم يو افق على نلك المؤامرات وأرسل البولونيون معتمداً الى الاستانة يؤكد ولاءهم و بقاءهم على عهد الصداقة مع تركيا. و بعد هذا سقط في يد « قازيل لو بو » ورجع يَسفُر بين الباب عهد الصداقة مع تركيا. و بعد هذا سقط في يد « قازيل لو بو » ورجع يَسفُر بين الباب وفي تفريق جوع القوزاق الخيمين بقرب أَزُوف وهكذا تلاشت صليبية الأمير « لو بو » هذا و كانت مدتها قصرة

ثم المشروع الثانى والأر بعون وهو مشروع افرنسى تاريخه ١٩٦٠ وقد ذكر هذا المشروع جورغا Jorga في تاريخ السلطنة العثمانية فقال انه في سنة ١٩٦٠ تصالح الفرنسيس مع الأسبانيول بواسطة الكاردينال مازرين وكان هذا ينوى غزو تركيا وترك في وصيته مائتي ألف ريال لأجل هذا الغرض وانتشرت في فرنسا فكرة الحرب الصليبية وأخذ فرسان البيوتات الافرنسية يتسابقون في هذا المضمار وكان فرسان مالطة والبابا ودوق تُوسْكانا قد حشدوا أسطولاً مركباً من اثنتين وثلاثين سفينة وست بوارج واجتمع هذا الأسطول في «سيريغُو» ومنها قصد جزيرة كريد التي كان الأتراك يحاولون فتحها وأبحر ثلاثة آلاف فارس افرنسي ونزلوا في ميناء شودا من بلاد اليانون واشتدت الحرب في كريد وقتل في خانيا القائد حسن باشا وكبير الانكشارية . وكان المسيحيون سائرين الى الأمام واذ جاءهم فانيا القائد عسن باشا وكبير الانكشارية . وكان المسيحيون سائرين الى الأمام واذ جاءهم ونكسوا الى الوراء . ثم أقبل باشا «كاترش يُوغُلى» على رأس أر بعة آلاف عثماني وناجز المسيحيين القتال بقرب قنديا الجديدة وقتل منهم ألفاً وخسائة مقاتل وغارت عزائم الباقين وأرسل الباب العلى ١٨ سفينة حربية الى كريد فأذعن الأهالى للعثمانيين وخنعوا واكتفى وأرسل الباب العلى ١٨ سفينة حربية الى كريد فأذعن الأهالى للعثمانيين وخنعوا واكتفى العثمانيون منهم بألف جارية ترسل الى الحرم السلطاني و بألف رأس غنم كل سنة

ثم المشروع الشاك والأربعون وهو المنسوب الى « تورين » Turinne وتاريخه ومن المعلوم أن تورين كان من أشهر قواد فرنسة فهل نسبة ها المشروع اليه صحيحة أم لا ? وهل الخطاب الذي يقال انه ألقاه في « مَارْسَال » قد صدر منه أم لا ? هذا لا نقدر أن نجزم به لا سيما أننا في جميع الأوراق والوثائق التي خلفها المارشال تورين لم نجد أثراً لهذا الخطاب . وكذلك لم يذكر شيئاً عنه الكونت « غريموار » الذي كتب كثيراً عن تورين . وأما الخطاب كما نسب الى تورين فهو انه اقترح على لويس الرابع عشر أن يعلن تركيا الحرب وذ كرّ و بصليبية القديس لويس التاسع الذي ذهب الى مصر وافريقية . وقال ان الجيش الفرنساوي مع الألمان والمجر الذين يمكنهم أن يزحفوا لقتال الترك قد يكون ٢٠٩ ألف ماش و ١٠٧ ألف فارس وان جيشاً كهذا يمكنه أن ينازل المائة ألف عثماني . وهو يتكلم في مشروعه عن خصب بلاد الفرس وان جيشاً كهذا يمكنه أن ينازل المائة ألف انه يمكن فتحها وضمها الى فرنسة وقال ان الامبراطور الجرماني تكون له بلاد المجر السفلي

واقترح أن يقدم السو يسريون ألفي مقاتل والأسبانيول خسة آلاف وأمراء ايطاليا ثلاثة آلاف فارس والمجر والكرواتيون أربعة آلاف ماش وأربعة آلاف فارس . وقال انه يجب على انجلترة وهولاندة أن تعاونا باساطيلهما لقمع قرصان الجزائر . وقال انه يجب اشراك البرتغال والبولدنيين في هذه الصليبية وانه لا بأس بادخال القوزاق والمسكوب والعجم في هذه الحرب . وفي نهاية هذا التقرير يقول تورين بزعمهم ان الضربة القاضية على تركيا لا تكون الا من فرنسا

ثم المشروع الرابع والأر بعون وهو مشروع « لبينية بن وتاريخه ١٦٧٧ فالفيلسوف الالماني الشهير لبينتزكان قد أعد برنامجاً أيضاً لمحو تركيا واستمر يُحرّره أربع سنوات وقدمه باللغة اللاتينية الى لو يس الرابع عشر ملك فرنسة . وقد اعتنى لو يس الرابع عشر باقتراح لبينتز هذا وتلق لبينتز من نظارة الخارجية الافرنسية كتاباً يقول الناظر له فيه : اننى قد مت لجلالة الملك خلاصة كتبك والتقرير الذي معها الذي يتضمن رأياً عظيم الشأن يؤول الى مجد جلالة الملك ومصلحته

وكان لينتزيرى قبل كل عمل فتح مصر ويقول: انه اذا انتزعت مصر من يد الأتراك آل أمرهم الى البوار. وكان يشير بتحريك المجر والبولونيين لمناشبة تركيا الحرب فاذا اشتغل الترك بهؤلاء جاءت الدول المسيحية الأخرى وشنت الغارات على بلادهم فلم يكن أمامهم الا السقوط. وخاطب ليينتز لويس الرابع عشر قائلا: انك انت في حربك مع هولاندة لاتجد حليفا الا الحليف الذي تشتريه بالمال أما اذا حاربت تركيا فا أكثر انصارك فاسبانية وأمراء ايطالية والبابا وربما الامبراطور وملك بولونيا يكونون معك. واذا تمكنت من فتح مصر فتكون بيدك السيادة البحرية وتجارة الشرق وقيادة المسيحيين العامة وان لم يكن لك من فضيلة سوى تدمير السلطنة التركية لكان ذلك كافياً

و برغم جميع هذه الأمانى العظام التي تمناها لبينتز لملك فرنسة لم يحسن الفرنسيس به الظن و يقول المؤرخ « سوريل » ان لبينتز لم يقصد بهذا الا ابعاد فرنسا عن الدين وتزيين فتح مصر للويس الرابع عشر حتى يلهو بذلك عن معاركة المانية. وأما « دجوقارا » فيقول ان هذه الأفكار كانت تحوم كثيراً في ذلك الوقت في خواطر الناس وكان الفرنسيس بدأُوا يحتجون على سياسة فرانسوا الأول والحكومات الافرنسية التي تابعته في

موالاة الترك. فرأى لينتزكان الرأى العام حينئذ. وقد تعرض ليينتز لقضية الحرب ولكنه أغفل قضية قسمة الأسلاب بعد سقوط تركيا ولم يذكر منها الا اعطاء مصر لفرنسة ولعله كان يضمر أن يكون الباقى راجعاً لأوستريا والمجر و بولونيا

بقى أن نعلم ماذا أجاب لو يس الرابع عشر الفيلسوف لبينتز على اقتراحه هذا فنقول. انه ثبت كونُهُ أَجابه بان الحروب المقدسة قد مضى وقتها من زمن لو يس التاسع

ومن الغريب أن لويس الرابع عشر نفسه بعد هذا التاريخ بثلاث عشرة سنة عاد ففكر فى مشروع اقتسام تركيا وان تخرج مصرفى نصيب فرنسة فكائنه رجع الى فكرة ليمنتز

شم المشروع الخامس والار بعون وهو مشروع ميشل « فابقر » Michel Fébvre وتاريخه ١٩٨٢

وكان هذا الرجل راهباً كبوشياً اسمه الاب يوستينيانوس أصله من « نوفى » بقرب « تو ر » من فرنسة ارسله الـ مبوشيون الى حلب حيث أقام ثمانى عشرة سنة وتعلم التركية والعربية والارمنية وكان يتكلم بها كلها جيداً . والف كتاباً اسمه « حالة تركيا الحاضرة » وضعه باللغة الايطالية ثم ترجه الى الافرنسية ثم ترجم هذا الكتاب الى الالمانية والاسبانية . وقد قد مهذا الكتاب الى لويس الرابع عشر وصد ره بخطاب له يقول له فيه به ان أهالى البلاد العثمانية عما هو واقع عليهم من الجور والطغيان وما هم مبتاون به من سوء الادارة ينتظر ون بذاهب الصبر استيلاءك على بلادهم

قال دجوڤارا: ان هـذا الأب الكبوشي كان بدون شك مبالغاً في زعمه ان أهالي. تركيا كانوا منتظرين مجيء الفرنسيس الى بلادهم ليخلصوهم

ولم يجد نداء « فبقر » هذا مجيبا . فنشر كتاباً آخر قدمه الى المونسنيور « لوڤوا » الذي كان وقتئذ و زيراً وقال له فيه :

« إنك تعلم جيداً الأسباب التي جعلت الدولة العثمانية تعيش برغم كل ماهي سابحة فيه من الفوضي واختلال الادارة. وانه ليجب الاستفادة من هذه الأسباب ومحو هذه الدولة واعادة الديانة المسيحية الى البلدان التي لها علاقة بنا. وان حيتك الدينية ياسيدي ومكانتك من جلالة الملك تساعدان كثيراً على القيام بهذا الفتح الجيد لأن شعور جيع

الأمم هو انه لايوجد دولة سوى فرنسا تقدر أن ترغم أنوف العثمانيين المتكبرين »
و يعود هذا الأب الى قضية حشد المؤمنين من كل فج لقتال غير المؤمنين (١) و يشير
با راء غريبة في سبيل تدويخ الأمم الاسلامية ومما قال: انه ينبغي لاخضاع هذه الشعوب
واستجلابها الى عقيدتنا منعها بتاتاً من حل الأسلحة وان ينصب عاكم إفرنسي على رأس.
كل ولاية

ويرى دجوڤارا هـــنــه الآراء شاذة والحقيقة أنها سواء كانت شاذة أولم تـكن فان الدول الأوربية العصرية لم تعمل شيئاً الا وفق ما كان أشار به الأب يوستيانوس هذا فقد كانوا يتفقون على منع بيع الأسلحة من المسامين لاالمسامين الذبن في المستعمرات الأوربية فقط بل المسامين الذين لايزالون حافظين لاستقلاهم . وقد صح عندهم هذا العزم أكثر من كل وقت مؤخراً بعد الحرب العامة التي سقطت بها السلطنة العثمانية فخيل لهم ان الغرة لائحة-لنيل كل ارب من الاسلام . ومنه سبع أو ثماني سنوات انعقد في جنيڤ مؤتمر دولي لنزع السلاح فكان أكثر نزوع الدول الاستعمارية انما هو لمنع بيع السلاح من تركيا وفارس وافغانستان ومصر و بلاد العرب. ولقد قرر المؤتمر المذكور مناطق ممنوعاً ادخال السلاح اليها Zanes Prohibées من جلتها مصر وجزيرة العرب برغم استقلال الحجاز ونجلد واليمن وحاول منع بيع السلاح من فارس. الا أنه فشل في ذلك لكون أكثرية المؤتمر لم تقدر أن توافق على قرار يمنع تسلح دولة مستقلة بجميع معانى الاستقلال مثل دولة فارس فعادت انكلترة وضربت العجم ضربة ثانية وأبت إلا انفاذها وهي منع تسريب السلاح الى العجم من طريق البحر وان يكون لانكاترة الحق فى تفتيش السفن الواردة الى مراسى ايران. وقد وافق انكاترة على هـذا القرار الأعوج فرنسة وايطالية واليونان و بعض، دول وأمسكت ألمانية وأكثر الدول عن ابداء رأيهن فتقرر بسبب امساك هذه الدول عن اعطاء الرأى تأييد ماطلبته انكلترة من هذه الجهة.

أما جزيرة العرب فلم يخضع ملوكها لهذا القرار ولم تنتظم كلة أوربة على منع بيعهم السلاح ولما عقد ابن سعود ملك الحجاز ونجد معاهدة « بحره » مع انكاترة اعترفت فيها هذه بما ينقض قرار ذلك المؤتمر و يجعله حُرَّاً في شراء السلاح. وكذلك اعترفت بحق

<sup>(</sup>١) أي حشد المسيحيين لقتال المسلمين

شراء السلاح لامام اليمن دولة ايطاليا وغيرها من الدول ولم تعترف هذه الدول لماوك العرب عما ينقض قرار المؤتمر المذكور الا بسبب الشقاق الواقع بين الدول الغربية والمانيا و بينها و بين البلاشفة فرأت أنفسها عاجزة عن منع تهريب السلاح الى جزيرة العرب وعادت فوافقت على ما كانت جدَّت في منعه . وعلى كل حال نية هذه الدول كانت معلومة

ومقصودنا ان قضية نزع السلاح من أيدى المسلمين ومنع دخول الأسلحة الى المدانهم هذه قضية طالما فكر بها الأوربيون قديماً وحديثاً. ولم تفتهم ولا ساعة. ولنعد الى كلام الائب يوستيانوس في معاملة المسيحيين للسلمين فنقول:

انه فى الفصل الثلاثين من كتابه يشير بحمل المسامين على النصرانية و بأن يتوسل ملوك النصارى الىذلك بوضع جميع الضرائب على المسامين دون غيرهم (١) وهكذا يضطرون بزعمه من شدة عنائهم و يأسهم أن يتنصّروا . قال دجوڤارا : الا ان الائب يوستنيا نوس يحذر من تحويل المسامين عن الاسلام الى الكنيسة الارثوذ كسية بل يشترط أن يكون دخولهم الى الكنيسة الكاثوليكية

قلنا ومسئلة الضرائب التي تصورها يوستنيانوس وحصر أدائها في المسامين ان لم تمكن نفذت بحدافيرها في هذا العصر بحق المسامين المغاوبين على أمرهم فقد نفذ مايشبهها في جزائر الغرب مثلا لايؤدي الفرنسيس الضرائب التي يؤديها المسامون بل قطعة الأرض نفسها يؤدي عنها الفرنسي شيئاً زهيداً فاذا صارت الى المسلم أدى أضعافه

ثمقال الأب: وأما مهاجة الدولة العثمانية فيجب أن تكون من جهة مضيق الدردنيل وهذه أيضاً فكرة قد أجرتها أور بة بالفعل بعد الاب يوستنيانوس بمائتين وثلاث وثلاث سنة . إذاً آراء هذا القسيس الكبوشي لم تكن سخيفة

أما اقتسام سلطنة آل عثمان بعد الظفر بها فقد شغل بال الأب المؤلف فرأى أخيراً ان أحسن حل ها هو أن يسيركل ملك من ملوك النصارى من جهته منفردا بدون أن يختلط علك آخر. وهكذا يخلصون من مشكل تقدم الواحد على الآخر. فالامبراطور يزحف على بلاد المجر وجوارها. وملك بولونيا على سواحل البحر الاسود. والبنادقة على دالماسيا والمورة وكريد. وملك اسبانية على المغرب ومصر والقدس. وأما الملك المسيحى

<sup>(</sup>١) تأمل في عدالة هذا القسيس

كثيراً (أى ملك فرنسة) فينهد الى القسطنطينية رأسا و يحتلها و يستولى بعد ذلك على الأناضول. وعند ذلك يزحف ملك العجم فيفتح ديار بكر والموصل

ثم يقول « فبڤر » انه على فرض حصول منازعات بين ماوك النصارى على تقسيم الاسلاب فان البابا يكون الحكم فيما بينهم عند التقسيم . ولكن احتمال وقوع هذا النزاع لا يجب أن يبحث فيه من الآن خشية أن يحصل تردد في مهاجة تركيا وان يضيع الوقت ثم المشروع السادس والأر بعون وهو مشروع لو يس الرابع عشر ملك فرنسة بل أعظم ماوكها وتاريخه ١٦٨٥ — ١٦٨٨

كان لويس الرابع عشر قد نسى عضد تركيا لفرنسا فى زمان فرنسوا الأول وغلب عليه الشعور الدينى الصليبى فكان له يد فى حروب المجر وكانت له نجدات لجزيرة كريد عند ما فتحها الترك وطارد بحرية الجزائر ورمى تونس والجزائر بالقنابر ولما أراد البابا السكندر السابع تأليف عصبة مقدسة (١) كان أول من أجاب نداءه لويس الرابع عشر

وكانت جاسة الأوربيين للحروب الصليبية قد بدأت تتراجع لعهد الملك المذكور. ونظم له الشعراء القصائد ودعوه الى محو الاسلام. وألَّف المؤرخون والسياسيون كتباً فى استنفار لويس الرابع عشر وملوك النصارى لمحاربة المسلمين ومن هؤلاء «دوڤينيو» للا Du Vignau نشر سنة ١٦٨٧ كتاباً أوضح فيه ضعف الدولة العثمانية وسهولة هدم بنيانها وبين كيفية عبور الدردنيل وتفاءل باقامة صلاة الشكر على ذلك فى كنيسة القديس بطرس فى رومة أو ايا صوفيا فى الاستانة

أما برنامج لو يس الرابع عشر فقد كان استيلاء فرنسة على المورة وتساليا وسلانيك وصربيا و بلغاريا والروملي وجزر الارخبيل وأن يكون كل هذا تحت تاج أحد أبناء لويس الرابع عشر . ويكون لبولونيا الفلاخ والبغدان . وللبندقية كر واسيا والبانيا ودالماسيا وبوسنه . وكان أرسل لو يس الرابع عشر سفيراً الى الاستانة اسمه «جيراردين » Girardin ومعه « دورتيار » ضابط بحرى نظم خريطة فيها وصف القلاع التركية التي على سواحل البحر المتوسط و بيان العمل لكيفية أخذها . وقدم السفير المذكور للملك تقريراً وافيا عن دخل السلطنة العثمانية وخرجها وعن أصناف جيوشها وكيفية اعاشتهم

<sup>(</sup>١) أي في وجه الاسلام

وكان لو يس الرابع عشر يحب بولونيا وكانوافي أيامه فكروا في تزويج احدى أميرات البيت الملكي بفرنسة من ابن ملك بولونيا وتتويج هذا ملكا على الفلاخ والبغدان وفي ٥ مارس سنة ١٦٨٤ كان قد انعقد حلف بين بولونيا والنمسا والبندقية والروسية يداً واحدة على تركيا ودعوا شاه العجم للدخول معهم في هذا الحلف . وكانت فرنسة تريد اعطاء الفلاخ والبغدان الى بولونيا بحجة انه لولا الجيش البولوني لكان الترك فتحوا ثينا وان بولونيا مع ذلك لم يكافئها الامبراطور بشيء

ولقد خن « دورتيار » D'ortière كلفة هذه الصليبية لتقسيم تركيا بواحد وثلاثين مليون جنيه. ولم يكن هذا المبلغ اذ ذاك مما تعجز عنه فرنسة. ولكن مشروع لويس الرابع عشر هذا لم ينفذ منه شئ وكان لهذا الملك من حرو به مع اسبانية وهولاندة وانكلترة والامبراطورية الجرمانية شاغل عنه

ثم مشروع الأب « كو بين » Coppin وهو السابع والار بعون وتاريخـه سنة ١٦٨٦

كان هذا الرجل في مبدأ أمره ضابطاً في الخيالة بفرنسة ثم تحول قسيساً وصار قنصلا لفرنسة في دمياط. و بعد ايابه الى وطنه ألف كتاباساه « ترس أور بة » Bouclier De لفرنسة في دمياط. و بعد ايابه الى وطنه ألف كتاباساه « ترس أور بة » هذا الكتاب يقول: «كيفية تقسيم الولايات المذكورة في الفصل السابق بين ماوك المسيحيين » . ثم: يقسيم المولاية المذكورة في الفصل السابق بين ماوك المسيحيين » . ثم: تقسيم الموره . تقسيم شهلى افريقية . تقسيم أملاك تركيا في أور بة . تقسيم الجزر وهلم جراً . والأب كوبين يعطى البندقية في هذا التقسيم بوسنه والبانيا وشهلى اليونان . و يعطى اوستريا المجر وصر بيا وقسها من بلغاريا ومكدونية . و يعطى بولونيا الفلاخ والبغدان وقسها من بلغاريا وسواحل البحر الاسود الى أدرنه . و يعطى فرنسة القسطنطينية وأدرنه و برسا وقورنيته ومن آسية الصغرى البلاد الممتدة من برسا الى طرابزون ومن افريقية مصر وعنابة وتونس . و يعطى انكلترة طنجة ومن بلاد اليونان تساليا . و يعطى اسبانية الجزائر و وهران ثم اثينا وتيبة من بلاد اليونان . و يعطى البرتغال طرابلس الغرب وساحل مكدونية الجنوبي وحلب وقسا من سورية . ولا ينسي هولاندة فيخصها ببرقة و بقسم من المورة . و ينعم على دوقية ساڤواى بقبرص وقسم من بلاد اليونان و يقسم البقية على المورة . و ينعم على دوقية ساڤواى بقبرص وقسم من بلاد اليونان و يقسم البقية على

جنوة وفاو رنسة ولوك. وأما البابا فيكون له بيت المقدس وقسم من ارقاديا في بلاد اليونان ويكون القسم الآخر من ارقاديا لدوقيات « مودين » Modéne و « بارم » Parme و يكون رودس لفرسان مالطة

قال دجو قارا: ان تقسيات هذا القسيس العسكرى مختلطة متداخلة جداً كما ترى وكأنه تعمد أن لا يترك مملكة مسيحية بدون شقص من هذه الغنيمة . الا أنه نسى في القسمة دوق موسكو الذي كان مع ذلك كتب الى البابا يستنهضه لحرب صليبية . فالأب «كو بين » يقول: ان هذا المشروع يجوز اطلاع أمير موسكو عليه ليعلم ماذا يقترح من الحصص

أما تخصيص «كو بين » القسطنطينية بفرنسة فيقول: لأنها دخلت فيا مضى في حوزة الفرنسيس ولأن هؤلاء أقدر على حفظها من غيرهم ولأن فرنسة هي ابنة الكنيسة البكر ولا تليق الامبراطورية الابها

ثم المشروع الشامن والأر بعون من تقسيم تركيا وهو المنسوب الى بطرس الأكبر الروسي وتاريخه سنة . ١٧١

كثر البحث هل هذا المشروع صحيح النسبة الى بطرس الأكبر قيصر الروس أم لا ؟ فالمؤرخ الروسى « قاليزيفسكى » Valiszevski يقول انها اكذو بة . وكل من « جو بير » فالمؤرخ الروسى « قاليزيفسكى » Mornaud يقول ان بطرس الأكبر لم يحرره بخطه لكن أفكاره كانت هى هذه . ولقد نشر هذا المشروع المسيو « لزور » Lesur سنة ١٨١٢ ولكن المؤرخين الشهيرين « لاقيس » Lavisse و « رامبو » Rambaud يذهبان الى أن « لزور » للؤرخين الشهيرين « لاقيس » وقال و روعم « بركولز » Berkholz أن أبا عذرة هذا المبروع تزلفاً لنابليون الأول . وزعم « بركولز » Sokolnicki أن أبا عذرة هذا البرنامج هو نابليون نفسه . وقال « سوكولنيكي » Sokolnicki في كتابه « وصية بطرس الأكبر » ان محرر هذا المشروع هو الجنرال ميشل سوكولنيكي المتوفى سنة ١٨١٦

وكيف كانت الحال فالجيع متفقون على أن خطة الأمة الروسية هي هذه التي تضمنتها هذه الوصية المنسو بة الى بطرس الأكبر. والمؤرخ الروسي « قاليز يڤسكي » يقول ان المواد الاحدى عشرة الأولى من هذه الوصية المنشورة سنة ١٨١١ قد كانت هي خطة الروسية المتبعة في سياستها في الشرق منذ سنة ١٧٧٥

ولقد كان بطرس هو الذي رقى الروسية الى صف الدول العظام ومن قبله و إلى أواسط أيام لو يس الرابع عشر في فرنسة لم تكن الروسية شيئاً مذكوراً .

وقد كان أول من أظهر الطمع من ماوك الروس فى القسطنطينية القيصر ايفان الثالث الذى حرر نفسه من حكم التتار (سنة١٤٨٧) وتزوج بابنة شقيق الامبراطور ميشل باليولوغ فصار يدّعى ملك بيزنطية بهذه المصاهرة ولكن الذى بدأ بمقاومة الأتراك فعلاً ونصب نفسه لجاية المسيحيين فى الشرق هو بطرس الأكبر. وكان من أول أعماله أنه أرسل الى الفلاخ والبغدان دعاة يحركونهم الى الثورة وكان هناك أسقف من القدس يشيع أنه وجد على قبر قسطنطين كتابة تشير الى أن الروس هم الذين سيطردون الترك من أور بة

وأما وصية بطرس فهى ١٤ بنداً أهمها البند الخامس وهو أن يصير الاتفاق مع النمسا على طرد الترك من أو ربة و يجهز لهذا الغرض جيش دائم في البر وتبني دور صنعة لبناء السفن في سواحل البحر الاسود و يستمر التقدم نحو القسطنطينية .

والبند السابع الذي يوصى بالاتفاق مع انكلترة والعمل للسيادة في بحر البطليق والبحر الاسود اذ بدون السيادة على هذين البحرين لا يتم للروسية مرادها

والبند الثامن الذي يذكر أن أعظم تجارة في الدنيا هي تجارة الهند ومن احرزها ساد على أور بة فيجب انتهازكل فرصة لاصلاء فارس الحر وب التي تنهك قواها ومن ثمة يمكن الوصول الى الخليج الفارسي والاستيلاء على تجارة الشرق

والبند الحادى عشر الذي يوصى الروس بجمع كلة الاروثوذكسيين تحت حايتهم سواء الذين في تركيا أو المجر أو بولونيا و بواسطتهم تثار الفتن والحروب على هذه المالك الثلاث الى أن تتلاشى

والبند الثانى عشر الذى يوصى بايقاد نيران المنافسات بين فرنسا والنمسا وان تتعهد الروسية لكلمن هاتين الدولتين سراً وبدهاء عظيمأن تمالئها على قسمة العالم فتقع بينهما الحروب ومن ثمة تتحول حربا عامة

والبند الثالث عشر الذي يقول فيه إنه بعد أن تنشب الحرب العامة في كل مكان وتنهك قوى الجيع يصير للروسية الخيار في ترجيح الجهة التي تريد ترجيحها على عدوتها . وحينئذ تجنح الروسية الى جانب النمسا ثم تزحف الجنود الروسية المنظمة نحو الرين ووراءها

تلك العصائب الآسيوية التي تنتشر في المانية ثم يخرج اسطولان أحدهما من البحر الاسود. والآخر من بحر اركانجل وعليهما هذه العصائب الآسيوية فيقذفان بها على ايطالية واسبانية وفرنسة وتأخذ هذه العصائب بالعيث والتدمير وتأخذ قسما من أهل فرنسة اسرى فيقذف بهم الى سبيريا لاجل عمارة اراضيها الواسعة

هـذا أهم ما في هـذه الوصية . وفي نظارة الخارجية الافرنسية نسخة من مشروع السيادة الروسية العالمية المنسوب الى بطرس الأكبريوصي به خلفاءه والأصل كان في خزانة أو راق قصر «بترهوف» Peterhof بقرب بطرسبرج

ثم المشروع التاسع والار بعون المنسوب الى الأب « سان بيير » St-Pierre وتاريخه ١٧١٣

إلا ان هذا الرجل امتاز عن سائر أصحاب المشروعات الصليبية بأنه لم يلتزم قضية محو السلطنة العثمانية من الوجود وانما قال انه متى علم الترك بوجود عصبة دفاعية عامة بازائهم لم يجرأُوا على مناجزة الامبراطورية ولا بولونيا ولا الروسية ولا البندقية حرباً ما لأنهم يعلمون أن هذه العصبة حينئذ تطردهم من كل أور بة

ثم يف در هذا الأب في اختلاف الأديان التي ستشتمل عليها هذا العصبة وما يخشى من تصادمها بعضها مع بعض لكنه يعود فيحل هذه المعضلة بقوله انه بواسطة الاختلاط والاحتكاك تكون الديانة الحقيقية هي السائدة على الجيع في آخر الأمر

ويقول في موضوع الصلح بين المسلمين والنصارى كلاماً حرياً بالنقل . فيذكر أن بعض الناس يعترضون قائلين ان الدين الاسلامي يمنع المسلمين من صلح دائم مع النصارى ولا يأذن هم الا بهدنة مؤقتة . فالأب سان بيير يجيب على هذا الاعتراض قائلاً ان هذا يمنعه الدين الاسلامي فيما اذا كان المسلمون هم الحزب الأقوى أو المساوى بالأقل . فأما اذا كان المدورة فلا يمكن أن يكون الصلح ممتنعاً عندهم لأن استمرار أعداؤهم أكثر عدداً وأقوى مدداً فلا يمكن أن يكون الصلح ممتنعاً عندهم لأن استمرار الحرب يجعل الاسلام في خطر شديد . ثم لنفرض أن الصلح الى أمد غير محدود ممنوع على الحرب يجعل الاسلام في خطر شديد . ثم لنفرض أن الصلح الى أمد غير محدود ممنوع على

المسلمين أفليس لهم أن يعقدوا مهادنات الى ٢٠ سنة وأن يجددوها ? الجواب لهم ذلك . فاذاً هم يمكنهم أن يعقدوا مهادنات الى ١٠٠ سنة بدلاً من ٢٠ سنة وأن يجددوها . وهل الصلح الدائم غير هذا ? قلت لا بأس أن نورد هنا أحكام المهادنة والصلح في الاسلام نظراً لورود هذا المبحث في هذا المحل فنقول :

جاء في « بداية الجتهد ونهاية المقتصد » للامام الفيلسوف الفقيه الأصولي القاضي أبي الوليد مجمد بن أحمد بن أحمد

« فاما هل تجوز المهادنة ? فان قوماً اجاز وها ابتداءً من غير سبب اذا رأى ذلك الامام مصلحة للسلمين وقوم لم يجيزوها الالمكان الضرورة الداعية لأهل الاسلام من فتنة أو غير ذلك اما بشيء يأخذونه منهم لاعلى حكم الجزية . اذ كانت الجزية انما شرطها ان تؤخذ منهم وهم بحيث تنفذ عليهم أحكام المسلمين . واما بلا شيء يأخذونه منهم . وكان الأوزاعي يجيز ان يصالح الامام الكفار على شي يدفعه المسلمون الى الكفار اذا دعت الى ذلك ضرورة فتنة أو غير ذلك من الضرورات. وقال الشافعي لا يعطى المسامون الكفار شيئًا الا أن يخافوا ان يصطلموا اكثرة العدو وقلتهم أو لحنة نزلت بهم. وممن قال باجازة الصلح اذا رأى الامام ذلك مصلحة مالك والشافعي وابو حنيفة. الا ان الشافعي لا يجوز عنده الصلح لأكثر من المدة التي صالح عليها رسول الله عالم الحديبية. وسبب اختلافهم في جواز الصلح من غير ضرورة معارضته ظاهر قوله تعالى ( فاذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) وقوله تعالى (قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ) وقوله تعالى (وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله). فن رأى أن آية الأمر بالقتال حتى يسلموا أو يعطوا الجزية ناسخة لآية الصلح قال لايجوز الصلح الامن ضرورة . ومن رأى ان آية الصلح مخصصة لتلك قال الصلح جائز اذا رأى ذلك الامام وعضد تأويله بفعله ذلك صلى الله عليه وسلم وذلك ان صلحه عليه علم الحديبية لم يكن لموضع الضرورة. واما الشافعي فاماكان الأصل عنده الأمر بالفتال حتى يساموا أو يعطوا الجزية وكان هذا مخصصا عنده بفعله عليه السلام عام الحديبية لم ير أن يزاد على المدة التي صالح عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اختلف في هذه المدة فقيل كانت أر بع سنين وقيل ثلاثا وقيل عشر سنين و بذلك قال الشافعي . واما من أجاز أن يسامح المسامون المشركين بأن يعطى

هم المسلمون شيئا اذا دعت لذلك ضرورة فتنة أو غيرها فصير الى ماروى انه كان عليه السلام قدهم أن يعطى بعض ثمر المدينة لبعض الكفار الذين كانوا فى جهلة الاحزاب التخييبهم فلم يوافقه على القدر الذى كان سمح له به من ثمر المدينة حتى أفاء الله بنصره . واما من لم يجز ذلك الا "ان يخاف المسلمون أن يصطلموا فقياسا على الاجاع على جواز فداء اسارى المسلمين لأن المسلمين اذا صاروا فى هذا الحد فهم بمنزلة الأسارى» اه .

قلت قد مضى علينا الى هنا تسعة وأر بعون مشر وعا من مشر وعات تقسيم تركيا ولم نجد فيها كالها مشر وعا واحدا سوى مشر وع هذا الأب يتضمن فكرة استبقاء المسامين. بل جيعها كانت تدابير مقصودا بها محو تركيا والاسلام بأسره وان كان قد ورد فى بعضها اشراك دولة العجم فى حصة من تقسيات تركيا فيه كون هذا من باب السياسة الحربية حتى يدخل العجم فى العصابة ضد الترك ويزيدوهم ضعفا ثم بعد ان تسقط تركيا فن البديهى انه لابد من سقوط العجم. وليس لنا الا ان نترجم على الأب سانت پيير الذى كان الوحيد فى ذلك العصر فى طلب توقيف الترك عند حدهم لافى السعى لابادتهم وابادة الاسلام جيعا.

وقد كان مشروع سوللي Sully السابق الذكر تأليف عصبة أوربيه من خس عشرة دولة قد تقدم بيانها في محله . فأما سانت پيير فقد جعل تأليف العصبة من ثماني عشرة دولة ثم اسقط منها واحدة وقال انه يجب ان يدعى الى الدخول في العصبة الملوك الآتي ذكرهم الأول الا مبراطور الثاني ملك فرنسا الثالث ملك اسبانيا الرابع ملك البرتغال الخامس ملك

انكاترة السادس جهورية هولاندة السابع ملك الدانيمرك الثامن ملك السويد التاسع ملك بولونيا العاشر قيصر الروسية الحادى عشر ملك بروسية الثانى عشر امير باڤاريا الثالث عشر أمير الهالاتينا الرابع عشر سويسرة الخامس عشر دوق اللورين السادس عشر جهورية البندقية السابع عشر ملك ساردانية . ولم يتم شئ من هذا المشروع و بقى أثرا تاريخيا في الآثار

ثم المشروع الجسون وهو مشروع نمسوى وتاریخه سنة ۱۷۱۸.

وكانت تركيا في حرب مع النمسا من أجل بلاد المجر والفلاخ وكانت او ستريا أو النمسا احتلت قسما من الفلاخ وفي ١٩ اكتو بر سنة ١٧١٧ كتب الصدر الأعظم الى البرنس أوجين النمساوي يدعوه الى الهدنه فرضيت النمسا بالصلح على الشر وط الآتية وهي . ان الباب العالى يرفع سيطرته عن بلاد المجر الثائرة و يمتنع عن بيع الاسرى و يراقب الولايات العثمانيه في شمالى افريقية و عنعها عن الاعتداء و يعطى الرهبان الفرنسيسكانيين الاماكن التي يطلبونها في القدس و يتخلى للنمسا عن قسم من الفلاخ . وفي ٨ فبراير سنة الاماكن التي يطلبونها في القدس و يتخلى للنمسا عن قسم من الفلاخ . وفي ٨ فبراير سنة يتعهد بها الجيش النمساوي «ستاڤيل» مع «جان ماڤر وڤو رداتو» أمير الفلاخ معاهدة يتعهد بها الجيش النمساوي بأن لايقطع نهر «ألوتا» ثم دخلت انكاترا وهولاندة في الوساطة بالصلح بين النمسا وتركيا فاذا بالنمسا تقترح ضم الفلاخ والبغدان الى الأمبراطورية النمساوية فالترك رفضوا ذلك وجاء الخبر بأن ١٨٠٠٠ إسبانيولى نزلوا في ساحل ايطاليا الشمالية فقلقت من أجل ذلك النمسا وأسرعت بعقد الصلح .

ثم المشروع الواحد والجسون وهو مشروع ديساوقاى Disloway وكان يسمو المسروع المناقل من حاشية البرنس « راكوتزى » وكان يسمو الى امارة فى الفلاخ والبفدان وكان يقول ان ثمة أرضا بين المجروترانسيلقانيا تابعة للفلاخ والبغدان عظيمة الخصب تستطيع أن تمير عددا كبيراً من السكان وانه اذا سمح له بها الباب العالى أمكنه أن يعمرها ويكون الباب العالى بذلك فائدة وهى وضع فاصل بين املاكه والامبراطورية الجرمانية وتكون هذه الامارة الحديدة تابعة فى سياستها الباب العالى ، وتكون كاثوليكية المذهب. الا ان الباب العالى امتنع عن قبول هذا الاقتراح لانه كان وقومه المجرد وقيل ان ديساوقاى انما كان يعمل ظاهرا ليفسه و باطنا لاميره البرنس راكوتزى وقومه المجرد وقيل ان ديساوقاى انما كان يعمل ظاهرا ليفسه و باطنا لاميره البرنس المذكور وقد أجع

الناس على ان هذا المشروع كان خياليا وهو على كل حال ليس فيه شيء مهم من تقسيم تركيا بل كان موجهاً في الحقيقة لصد النمسا والاستعانة بتركيا عليها.

ثم المشروع الثانى والخسون المنسوب الى الكردينال « البرونى » Alberoni وتاريخه سنة ١٦٦٤ وكان البرونى هذا طليانياً ولد فى « فيرانز ولا» سنة ١٦٦٤ ومات سنة ١٧٥٢ وكان من أعاجيب الدهر.

قال دجوقارا ان فيكتور هوغويذكر لنا رجلا اسمه روى بلاس Ruy blas في أوليته خادم منزل فصار في الآخر الوزير الأول في اسبانية وقد يظن أن هذه الحكاية هي خيالية من نتائج تصورات ذلك الشاعر العظيم ولكن قصة الكردينال البروني كانت حقيقة واقعية وقد تجاوزت قصة روى بلاس Ruy blas فان هذا الرجل كان من الطبقه الدنيا وكان أبوه حارس بستان وقد تربى في ، دير في مدينة « پلازانس » وتعلم مجاناً ثم صار معلما لابن أخى المطران « برنى » ثم صار ناموساً للمطران « رونكوڤيه رى » ثم دخل في بلاط دوق پارم Parme وما زال ينال حُظوة حتى أرساوه معتمداً سياسياً في مجريط وهناك أبدى مزيد المهارة في السياسة وذلك ان ملك اسبانية فيليب الخامس كان له حظية قد استبدت مزيد المهارة في السياسة وذلك ان ملك اسبانية فيليب الخامس كان له حظية عد استبدت بالأمور فا زال البروني به حتى اقنعه بالزواج بالأميرة « اليصابت فرنيزى » وارثة عرش بالأمور فا زال البروني به عتى اقنعه بالزواج بالأميرة « اليصابت فرنيزى » وارثة عرش بالأمور في دئاك الحد يمكنه أن يحمله على السياسة التي يريدها فلم يلبث أن تولى البروني رئاسة الوزراء في اسبانية ثم صار رئيس أساقفة اشبيلية .

وقد ازدادت في أيامه قوة اسبانية ففتحت جزيرتي سردانية وصيقيلية ولكن طرأ في زمانه أن الأسطول الانكليزي دمر الأسطول الاسباني في «سيرا كوزا» ثم انعقدت معاهدة رباعية بين انكلترة وفرنسا وأوستريا وهولاندة فطر في بال البروني أن يقابل هذه العصبة بعصبة أخرى مؤلفة من اسبانية والروسية وتركيا والسويد. وفي تلك المدة أعلنت فرنسة الحرب على اسبانية أي سنة ١٧١٩ فاف فيليب الخامس من هذه الخطوب المتوالية وطرد البروني من اسبانية فرج ذليلا وهام على وجهه في الأرض لا يملك شيئاً ثم قبض عليه في جنوة بأمر البابا اينو شانسيوس الثالث عشر وحكم عليه بالحبس مدة أر بع سنوات في دير ولكنه بدهائه تمكن من نيل العفو وصار فما بعد معتمداً للبابا.

وقد ألف البروني هذا كتاباً يحتوى أفكاره السياسية قال فيه ماخلاصته: انه يجب على دولتي فرنسا واسبانيا أن تعضدا دولة النمسا على الدولة العثمانية عدوة المسيحية وهكذا تتمكن النمسا بالاتفاق مع الروسية من طرد الأتراك من أو ربا واسترجاع الأراضي المقدسة. وهو يقول انه لواتفقت دول أو ربا لم تطرد الترك من أو ربا فقط بل أمكنها طردهم من آسية وافريقية وأشار بعقد مؤتمر في ره غنسبو رغ Regensbourg تنعقد فيه معاهدة بين الدول المسيحية ويتأسس صندوق مركزي للال في البندقية. وأما الجيوش فيجهز الامبراطور مائة الف مقاتل والروس مائة ألف و بولونيا ثلاثين الفا والدانيمرك عشرة آلاف والسويد عشرة آلاف وفرنسا ثلاثين ألفاً وكل من حمومات الصيقيليتين والبرتغال وسردانية والبندقية وجنوة وسو يسرة عشرة آلاف فجموع القوه يكون ٧٠٠ ألفاً .ثم انه يمكن تجهيز أسطول مسيحي لايقل عن ١٠٠ سفينة حربية و ١٠٠ بارجة . وقداقترح « البروني » تجهيز أسطول آخر من سفن فرنسة واسبانية والبرتغاللاً جل صد أساطيل طرابلس وتونس والجزائر أسطول آخر من سفن فرنسة واسبانية والبرتغاللاً جل صد أساطيل طرابلس وتونس والجزائر الذي وقع بين المسيحيين من أجل تقسيم الفتوحات فيجب أن يضع مؤتمر «ره غنسبورغ» قاعدة يسير عليها المسيحيون في المستقبل فلا يختلفون

قال البرونى : انه يجب أن يعين الدوق « هولستين غوتو رب» Holstein-Gottorb المبراطو راً على القسطنطينية بجميع حقوق هذه الامبراطو رية وان يكون ارثها في عقبه الذكور وان يضاف الى القسطنطينية أملاك تركيا في آسية و ولاية الروملي في أروبة

ولما كان الحصن الحصين الا كبر الذي وقى أوربة والنصرانية من عادية الاسلام هو الامبراطورية الرومانية (١) فيجب أن تضاف اليها بوسنة وصربيا واسكلاڤونيا ومكدونية والفلاخ وتكون من جلة أجزاء هذه الامبراطورية وأن يكون للامبراطور الروماني حق التقدم على امبراطور القسطنطينية وغيره من ماوك النصاري

ثم قال انه لما كان قد ثبت كون القيصرة حنة صاحبة الروسية ليس لها هم أعظم من نشر الديانة فاننا نرى من باب المكافأة لها على جهادها اعطاءها بلاد التتار وازوف و بمقابلة ذلك ترد هي بلاد فنلاندة الى مملكة السويد

<sup>(</sup>١) أي الجرمانية التي خلفت الامبراطورية الرومانية

وتجب مكافأة اسبانية باعطائها الجزائر ومكافأة البرتغال باعطائها طرابلس الغرب و ويجب تسليم أزمير وجزيرة كريد الى انكاترة وتسليم حلب وجزيرة رودس الى هولاندة وأما بولونيا فن حيث كانت مدة طويلة حصناً للنصرانية وقد أصيب بمصائب كثيرة فيجب أن تكافأ بتسليمها بلاد البغدان و بلاد التتر المسماة « بودزياك » ومامن أحد ينازع في اعطاء دالماسيا الى البندقية ولا في اعادة المورة لها وقد انتزعت منها مذعشر من سنة كما

انه يجب اعطاء جنوة قسما من بلاد اليونان

فهذه خلاصة تقسيم الفتوحات بين الفاتحين وأنت ترى أن فرنسة وسويسرة وفرسان مالطة ليس لهم ذكر في هذه التقاسيم وأغرب من هذا عدم اعطاء شي البابا.

ثم ان البرونى يقترح أن تكون ديانة الدولة فى القسطنطينية وفقاً لصلح وستفاليا (سنة ١٦٤٨) ولكن مع مراعاة الكنائس الارثوذكسية والارمنية والقبطية (١)ويقترح أن تكون المعاملات التجارية واحدة لا ترجيح فيها لاناس على آخرين . ومن جلة اقتراحاته طمس قلاع الدردنيل

أما كيفية الهجوم على تركيا فتكون على الوجه الآتى:

يزحف الروس صوب شبه جزيرة القريم ويأخذون آزوف. وفي الوقت نفسه تزحف جيوش بولونيا والدانمرك والسويد وتقطع نهر « دنيستر » وتفتح بلاد البغدان Moldavie

وتحتشد جيوش الألمان في بلغراد وتهاجم « ودين » و « نيش » وقلاع الطونه وتهاجم جيوش الفرنسيس وسائر الدول الجنو بية بلاد اليونان. وتجتمع الأساطيل وتهاجم جزيرة مدللي وجزيرة تنيدوس ثم الدردنيل ثم الاستانة و بعد انتهاء هذه الحرب بنيل المني ينعقد مؤتمر دائم في « رغنسبو رغ » ( مدينة في بافاريا ) تمثل فيه جيع الدول المسيحية وتفصل فيه خصوماتها ومن لا يخضع منها للحكم يجبر على الخضوع بالقوة

قال « دجو ڤارا » ان أر بع دول بلقانية لم تنته من الحرب مع تركيا حتى اشتبكت في حرب بعضها مع بعض لأجل قسمة الفتوحات وهذا برغم امبراطو ر الروسية الذي كان هو

<sup>(</sup>١) أي الاعتراف بكل ديانة الا الاسلام

الحكم فيما بينها . فكيف تريد أن تتفق دول أو ربة بأجعها على تقسيم البلاد العثمانية ? يريد أن يقول ان اتفاقات الدول على تقسيم الفتوحات هي أسهل في النظر منها في العمل

ثم المشروع الثالث والخسون وهو مشر وع نمسوى وتاريخه سنة ١٧٣٧

كان الروس اتحدوا مع النمسويين وهاجوا الترك سنة ١٧٣٧ الى سنة ١٧٣٨ وصد الباب العالى هاتين الدولتين معاً وأبدى قوة عظيمة الا أنه طلب توسط الدول الأوربية. وكانت فرنسة تعضده بواسطة سفيرها « ڤيلنوڤ » Villeneuve الذى كان يشدد الباب العالى ولا سيا فى منع الروس من الاتصال بالبحر الاسود خوفا من وصولهم الى البحر المتوسط. فانعقد مؤتمر الصلح فى « غير وف » من بولونيا وكان طلب الروس أن تكون المتوسط. فانعقد مؤتمر السود الممتدة من مصب الدانوب الى باطوم مع حرية الملاحة فى هذا البحر. وان تنضم الفلاخ والبغدان عملكة واحدة مستقلة الا ان الديانة الارثوذ كسية فيهما تكون تحت حاية الروسية. وأما اوستريا فطلبت جميع بلاد الصرب ونيش وودين فيهما تكون تحت حاية الروسية. وأما اوستريا فطلبت جميع بلاد الصرب ونيش وودين وبوسنه ونوڤي بازار وكانت تسمو أيضاً الى أخذ الفلاخ Palachie فالباب العالى رفض هذه المطالب كلها واستؤنف القتال. فدخل الاوستريون بلاد الفلاخ ووصاوا الى بخارست الا ان الترك كسر وهم فى «مهاديه » Mehadia وأخذوا « ار زوڤا » وفى ١٠ نوفبر سنة المالخت فرنسة مع السويد وعرضت هذه المحالفة على تركيا

أما الروس فقطعوا نهر « البروت » وفى ١١ سبتمبر سنة ١٧٣٥ زحف المارشال مونيك الى « جاسى » وكانت فرنسة توسطت فى الصلح مع اوستريا وانعقدت معاهدة بلغراد فى ١ ستمبر سنة ١٧٣٩ و بقيت بلاد الصرب و بوسنه والفلاخ لتركيا . ولما رأت الروسية ان استريا تركت الحرب وصالحت تركيا و رأت السويد تهاجم من الوراء أعادت الى الباب العالى البلاد التي كانت احتلتها من ممالكه و رضيت بطمس قلعة از وف واقتنعت بما كانت عليه قبل ذلك الحرب من عدم الاتصال بالبحر الاسود

وكان صلح بلغراد هـذا آخر صلح مجيد عقده الباب العالى مع أور بة وكوفئت فرنسة على عضدها لتركيا في هذه المصالحة بتجديد الامتيازات الافرنسية في تركيا وبزيادتها ثم المشروع الرابع والجسون وهو المنسوب الى المركيز «دارغنسون» Ditrgenson

وكان هذا الرجل ناظراً لخارجية فرنسة لعهد لويس الخامس عشر ويقال انهكان على جانب عظيم من استقامة المبادئ حتى قال عنه قولتير: انه أحرى بائن يكون وزيراً في جهورية افلاطون من أن يكون وزيراً عند ملك فرنسة

وفي أواخر القرن الثامن عشر عادت في أور بة جاسة النصرانية وتجددت العزائم القتال الترك . وكان قولتير يدعو الى نصرة الأروام و « شنيه » Shenier ينظم الاشعار الجاسية لمقاتلة الترك . ونشر الكونت « دومارسيغلي » De Marsigli ينظم المه « حالة تركيا العسكرية وتقدمها وتقهقرها » وكان هذا الرجل طليانيا اشتهر بالعلم وخدم دولة اوستريا وأسره الترك سنة ١٩٨٨ فقال في كتابه: «انهاذا اتفق الامبراطور والروس و بولونيا والبنادقة أمكنهم محو السلطنة العثمانية من الوجود» أما الو زير دارغنسون فع أنه كان يشاطر أبناء عصره هذا الشعور بحق تركيا كان يخالف الجهور في قضية تقسيم اسلاب هذه السلطنة فيقول : « انه لا يجوز أن نفتح بلدان تركيا ليستولي عليها الامبراطور بحجة السلاب تركيا وأن تؤسس على انقاض هذه السلطنة عدة مماك مسيحية (١) وان لا يحصل العلاب تركيا وأن تؤسس على انقاض هذه السلطنة عدة مماك مسيحية (١) وان لا يحصل خلل بالتوازن الأور بي وأن تعود بلاد اليونان الي مثل ماضي مجدها و يعود وادى النيل الجيل خلل ما كان عليه وان تعاد النصرانية الى تلك البلدان وترتب ادارة للاراضي المقدسة الخ »

وقد تكام دارغنسون عن وجوب اتفاق الدول المسيحية فقال: انه اجدر بها أن تتحد في شبه جهورية مسيحية من أن تستمر في قتال بعضها بعضاً وهكذا تفتح عمالك الاسلام في أور بة وما صاقبها من سواحل افريقية الشمالية التي هي مجاورة لاور بة كشيراً كملكة مراكش المجاورة لاسبانية ومن سواحل آسية الصغرى وسورية وفلسطين حيث الاراضي المقدسة الخ

ولقد تم هذا كله لكن من بعد زهاء مائتى سنة من العصر الذى كان فيه دارغنسون. وهو يعين العروش التى يرى ايجادها فيقول: يكون ملك لمكودنية وملك لليونان والمبراطور للقسطنطينية له بلاد الاناضول و يكون ملك لسورية وفلسطين وملك لمصر وملك للجزائر وتونس وملك لمراكش الخ

<sup>(</sup>١) أما المسلمون فلم يفكر بهم دارغنسون في شيء بل وظيفتهم دائمًا أن يكونوا تحت حكم المسيحيين

ثم المشروعان الخامس والجسون والسادس والجسون أحدهما لكاترينا الثانية المبراطورة الروسية والآخر ليوسف الثاني المبراطور اوستريا وتاريخه سنة ١٧٧٢

قال دوجو قارا: سنة ١٧٦٨ أعلنت تركيا الحرب على الروسية فانهزم الجيش العثمانى و دخل الروس الى بلاد الفلاخ واستولوا على اسماعيل و بندر واكرمان وكذلك ساعد الانكليز الروس فى البحر فظهروا على الاسطول العثمانى فى « چشمه » فتدخلّت اوستريا فى الخلاف فعرضت عليها تركيا لارضائها تقسيم بولونيا فرضيت بذلك وانعقدت معاهدة تقسيم بولونيا فى و أغسطس سنة ١٧٧٧ وانصرفت بها اوستريا عن البلقان واضطرت الروسية بسبب اتفاق تركيا مع اوستريا ان تخلى الفلاخ والبغدان وتعيدهما لتركيا الا أنه فى المعاهدة الصلحية التى انعقدت فى «كوچوك قايناردجى» سنة ١٧٧٤ فى ٢١ يوليو رضيت تركيا بأن يكون للروسية حق الدفاع عن رومانيا أى مملكتى الفلاخ والبغدان

وكانت اوستريا لا تزال طامحة الى الاستيلاء على رومانيا وكتب البارون « توىغوت » Thugut سفير اوستريا في الاستانة الى حكومته ما يلى : « عند سقوط السلطنة العثمانية القريب ينبغى أن تخرج و لاياتها الشمالية كبوسنة وصربيا والبغدان والفلاخ في نصيب أوستريا »

وفى أيام كاترينا الثانية قيصرة الروسية ويوسف الثانى امبراطور النمسا اشتد الخطر على السلطنة العثمانية أكثر من كل وقت نظراً لاتفاقهما على تقسيم هذه السلطنة . وكانت كاترينا هذه ألمانية الأصل الا أنها أفادت الروس ما لم يُفده أحد من ماوكها وأكلت عمل بطرس الأكبر وأشاد بذكرها كبار العلماء مثل قولتير و « ديدرو » و « دالمبر » وغيرهم وحولوا الرأى العام صوبها . وكان قولتير يوصى فريدريك ملك بروسية بعدم معارضة كاترينا في مشروعاتها المتعلقة بفتح القسطنطينية .

وأما يوسف الثانى امبراطور اوستريا ابن فرنسوا الأول ومارى تيريز فكان شديد العاطفة واسع الخيال سريع الحركة وكان فريدريك ملك بروسية يقول عنه: انه يحب العلم لكن ليس له صبر عليه. وقد عرفت كاترينا بدهائها مكان ضعف يوسف الثانى فأخذت تتزلف اليه وتطريه بغير ما فيه. وهكذا استولت على أفكاره وصار له بها اعتقاد شديد. وكانت هي التي اقنعته بتقسيم بولونيا ووافقها على ذلك فريدريك ملك بروسية. وهذه

الملك كان يرى أن اوستريا لا يمكنها أن تترك الروسية تستولى على رومانيا فلذلك سعى فى التعويض على الروسية من جهة بولونيا . ولكن كاترينا لم تكن لتنزل عن مطامعها من جهة تركيا وكانت تطالب ببلاد آزوف وتضيق على السلطان العثماني في رفع سيادته عن القريم وتحاول الدخول في الفلاخ والبغدان . وكانت أوستريا تعاكس جيع مشروعات القريم وتحاول الدخول في الفلاخ والبغدان . وكانت أوستريا تعاكس جيع مشروعات الروسية هذه ولذلك انتهى الأمر بالساح للروس بأخذ الجانب الأعظم من بولونيا ووجدت أوستريا هذا الأمر أهون عليها من تقدم الروسية صوب الاستانة . وكانت أوستريا لو رأت من الروسية اصراراً على فتح رومانيا مستعدة لمناجزتها الحرب . وأخبراً رضيت الروسية بان تترك تركيا لرومانيا استقلالها التهم ويولى على رومانيا أمير من بروسية . وما تم ذلك الا فيما بعد إذ جاء أمير من بروسية وجلس على عرش رومانيا قضى ببقاء هذه تحت فأما في ذلك الزمن فان النزاع بين الروسية واوستريا على رومانيا قضى ببقاء هذه تحت السيادة العثمانية . وكان فريدريك ملك بروسية يختار هذا الرأى خشية أن يجر هذا الخلاف الى حرب بين الروس والنمسويين . ولقد جرى تقسيم بولونيا كما تقدم الكلام فداء للنزاع على رومانيا الأن أوستريا بقيت تواقة الى أخذ رومانيا وخائفة عليها من الروسية على رومانيا منائفة عليها من الروسية على رومانيا وخائفة عليها من الروسية

وكان الروس لا يزالون يقترحون اتحاد الدول الثلاث الروسية واوستريا و بروسية لأجل اسقاط تركيا . وكان ناظر الخارحية الروسية يقول ان مسئلة طرد الترك مما وراء نهر « دنيستر » لا تستحق اتحاد ثلاث دول عظام بل اتحاد دول ثلاث كهذه يجب أن يقضى على سلطانهم في كل أور بة وفي قسم كبير من آسية . الا أن أوستريا كانت تخشى سقوط الدولة العثمانية التام لما وراء ذلك من استفحال أمر السلاق . وقد قال الامبراطور يوسف الثاني للسيو « دوسوغوار » Segur ان القسطنطينية ستبقي دائماً محل منافسة بين الدول وتمنع من اقتسام تركيا . وقد كتبت الامبر طورة مارى تيريز الى الكونت « مرسى ارغنتاو » Mercy-Argenteau بتاريخ ٧ يوليو سنة ١٧٧٧ ما يلى :

« ان اقتسام السلطنة العثمانية لأعظم المشروعات خطراً وأوخها عواقب. وما ذا نستفيد لعمرى لو فتحنا كل هذه البلدان حتى صرنا على أبواب الاستانة ? اننا لا نفتح هناك الا أقاليم و بيَّة الهواء قليلة السكان متأخرة الثقافة أو مسكونة بأروام خبثاء لئام يكون من شأنهم أن يستنزفوا قوى مملكتنا بدلاً من أن يزيدوها. ثم اننا نخسر بهذا العمل ثقة

الناس بعهودنا وهذا هو الخسران المبين . ان تقاسم السلطنة العثمانية أشد ضرراً من تقسيم بولونيا الذي لم أرض به الا مرعمة حتى أجارى به جيراني . فأنا لا أميل أبداً الى تقسيم تركيا وأرجو ان احفادنا أنفسهم لا يرونهم خارجين من أو ربة »

قلت: قد مضى على هذا الكلام مائة وخمسون سنة ولا يزال الترك في الاستانة وفي ولاية تراقيا الشرقية من أور بة

ولما ماتت مارى تيريز سنة . ١٧٨٠ خلا الجو لكاترينا الثانية وأخذت تعمل دسائسها لدى يوسف الثانى لاقناعه بتقسيم تركيا وأرسلت الى فرنسة أيضاً تقترح عليها المهالأة على هذا التقسيم وأن يكون لها مصر من أصل الأسلاب

وفى ٣٠ مايو سنة ١٧٨٠ تلاقت كاترينا مع يوسف وانفقا على اسقاط تركيا واستلحاق بعض أجزائها واعادة الجهوريات اليونانية القديمة . ثم فى سنة ١٧٨٧ كتبت الى يوسف صورة معاهدة سرية واقترحت أن يكون التقسيم بحيث لا يقع بسببه تصادم بين المالك الثلاث بل تؤسس مملكة من الفلاخ والبغدان مستقلة تماما تمنع الاتصال بين المالك الثلاث التي تخشى تجاورها ويكون ملك هذه المملكة الجديدة على المذهب المسيحى الأكثر عدداً فى الفلاخ والبغدان

أما الامبراطور يوسف فاستشار في مذكرة كاترينا وزيره البرنس « كونتيز» Kaunitz الذي أجابه بان قبول اقتراح كاترينا على كل حال أقل ضرراً من رفضه وبانه يخشى أن كاترينا ان يئست من اوستريا تعود فتتفق مع بروسية

فاجاب الامبراطور يوسف كاترينا بكتاب مؤرخ في ١٧ نو فبرسنة ١٧٨٦ مؤد اله لا بد لنجاح مشروع التقسيم من قبول فرنسة وانه من جهة تأسيس مملكة ارثوذكسية في رومانيا وأخرى في القسطنطينية فإن هذا كله يتوقف على نتائج الحركات الحربية . وأما من جهة ما تقترحه النمسا في هذا التقسيم لنفسها فهو استلحاق قسم من الفلاخ مع ضفتي الدانوب الى بلغراد ومن بلغراد يكون للنمسا على خط مستقيم الى بحر الادرياتيك مع دالماسيا وايستريا وان تكون حرية التجارة تامة في نهر الدانوب عند مصبه وفي مضيق الدردنيل

ولما بلغ فرنسة هذا المشروع قاومته أشد مقاومة وقالت ان هذا المشروع اشبه بان

يكون اتساع السلطنة الروسية من أن يكون تقسيم السلطنة العثمانية وقال المسيو « ڤرغن » Vergennes للكونت « مرسى ارغنتاو » ما يلى :

« لا يوجد في اور به كامها دولة واحدة لا تبذل آخر جندي من جيشها وآخر درهم من مالها في سبيل منع انهيار السلطنة العثمانية »

أما الامبراطورة كاتر ينا فاجابت الامبراطور يوسف بانها لا تطلب للروسية من الحقوق في الدولتين الجديدتين اليونانية والرومانية أكثر مما ترضى به لاوستريا وان حرية الملاحة في البحرين الاسود والابيض تكون مضمونة. وغاية ما في الأمر انها تقترح عدم تصغير الدولة اليونانية ووجوب تسليمها الموره والارخبيل

وقد ظهر من هنا أن كاترينا بدأت تتعهد باسم الدولتين الجديدتين كأنهما من المالك التابعة لها

قلت ان هذا المشروع قد تم فيما بعد فتأسست دولة يونانية بعد هذا التاريخ بنصف قرن ودولة رومانية بعده بنحو من قرن كامل . ولكن لم يكن للروسية أن تسيطر ولا على واحدة منهما . هي قد غرست ولكن الثمرة لم تكن لها

ثم ان كاتر ينا أعادت السعى الحثيث لدى الامبراطور يوسف فى اتمام مشروع تقسيم تركيا وكان الامبراطور لا يزال يتذبذب فى الموضوع نظرا لشدة اعتراض فرنسة على هذا التقسيم . وجاء من فرنسة الى أوستريا مذكرة صريحة بان مشروع تقسيم كهذا شديد الخطر و بليغ الضرر لا سيما بمصلحة اوستريا .

فأجاب عليها الامبراطور يوسف بأنه لم يمكن منع الحرب بين الروسية وتركيا ومن أجل ذلك لا يمكنه لاجل سلامة سلطنته في الوقت الحاضر وفي المستقبل أن يشاهد مجرى الحوادث من بعيد

فعند ذلك قدم « برتيليمي » سفير فرنسة في قينا مذكرة شديدة للنمسا ينتقد فيها خطتها ويقول: «انه بينها الاتراك يحافظون على عهودهم معها اذا هي تنتهز فرصة ضعفهم وتحاول أن تضربهم ضربة قاضية لتقتسم ميراثهم الخ» وفي آخر المهذكرة شي من التهديد عما ساء وقعه جداً على الحكومة النمسوية واوجب توتر العلاقات بينها وبين فرنسة

وفي ٨ يناير سنة ١٧٨٤ اضطر الباب العالى أن يعقد مع الروسية معاهدة يتخلسًى

بها لها عن شبه جزيرة القريم

ثم حدثت ثورات فى بلاد المجر وترانسيلفانيا حالت دون استيلاء الامبراطور يوسف على قسم من الفلاخ . وأشق من هـذا كان عليه خروج بلجيكا من يده . فات من بعد هذه الحوادث غمًّا وتوقف كل شئ

ثم المشروع السابع والخسون المنسوب الى «لنغه» Linguet وتاريخه ١٧٧٦ الى١٧٧٦ كان « لنغه » هذا محامياً صحفياً افرنسياً خدم الامبراطور يوسف عاهل النمسا و بعد أن أقام زمناً فى أوستريا وقعت وحشة بينه و بين الامبراطور ففارقه وعاد الى باريز وهناك قتله رجال الثورة الفرنسوية بحجة أنه كان مؤيداً للماوك الظالمين كامبراطور أوستريا وملك انكلترة . وقد حرار « لنغه » هذا المشروع أيام اقامته ببروكسل سنة ١٧٧٥ أو ١٧٧٦ وقدمه الى الخارجية الافرنسية وقد بقيت منه نسخة غير مطبوعة فى المكتبة الملوكية ببروكسل . وكان « لنغه » كاتباً شهيراً قال عنه قولتير « انه يحيرق لكنه فى أثناء حريقه يضىء » .

وقد سمى « لنغه » مشروعه « طرد الترك من أور به وتأسيس توازن سياسى جديد » فقال فيه انه لا خطر على أور به الا من غارة تركية أو روسية . وقال كلاماً آخر عميق الغور وهو أنه اذا اقتضت السلم العامة اقتطاع نصف تركيا صار الأتراك أشد خطراً من ذى قبل بشدة تمرسهم بالقتال

وقال ان حصن أور بة من جهة الشرق كان بولونيا وهاهى قد سقطت. ولقد بقيت ألمانيا هى الحصن الحصين لاور با من غارات الترك ولا شك أن ألمانيا قد أنقذت أوربة من عادية الترك مراراً الا أن الامبراطورية الجرمانية تشتمل على عناصر متعددة هى سبب كبير في ضعفها . فا ذا تستفيد اوستريا من هو لاندة مثلاً ?

ثم أخذ « لنغه » يذكر أمراض أور به السياسية ويعددها . وأشار بتوسيع اوستريا من جهة تركيا ، وقال ان الروسية لا تقدر أن تمنع تدخل أور به في هذه المسألة . واجال كلامه هو أن بروسية هي معقل أور به من جهة الروس وان أوستريا هي معقل أور به من جهة التوازن الدولي بإضافة هولاندة اليها جهة الترك وانه يجب التعويض على فرنسة لأجل التوازن الدولي بإضافة هولاندة اليها ثم المشروع الثامن والجسون وهو مشروع «دوكارا» De carra وتاريخه سنة ١٧٧٧

كان «دوكارا» هذا ناموساً لأمير البغدان ثم للكردنيال «دو روهان» المورة مم صار قيماً لخزانة كتب الملك في باريز ولما ثارت الثورة الفرنسوية دخل في زمرة الجاكوبيين Jacobins ثم انحاز الى الجير ونديين Jirondins ثم قتله رجال الثورة. وله تصنيف اسمه «بحث سياسي يتضمن اقتراح تقسيم تركيا» بدأ فيه بقوله «ان تركيا أصبحت بحالة يمكن فيها الفيلسوف نفسه ان يشير بفتحها » ثم ذكر اتفاق الروسية واوستريا على تركيا وتقدم اوستريا في رومانيا وتقدم الروسية في القريم وكرجستان و بلاد التتر والصين. وقال انه يجب تقوية بروسية لنكون حاجزا منيعاً بين الروسية والنمسا وكذلك تنبغي الموازنة بين قوى النمسا والروسية و بروسية وفرنسة. ثم قال: ان الأتراك هم الاعداء الطبيعيون الابديون للسيحيين كما أنهم هم أعداء العلوم والصناعات فيجب طردهم من أوربة أماكيفية التقسيم فان «كارا» يشير باعطاء اوستريا الفلاخ و بـلاد البلغار والصرب

أما كيفية التقسيم فأن «كارا» يشير باعطاء اوستريا الفلاخ و بلاد البلغار والصرب و بوسنه وباعطاء بر وسية بلاد البغدان و بسارابيا الى البحر الأسود مع قسم من بولونيا والروسية و باعطاء فرنسة المورة واقر يطش وقبرص وجزر الارخبيل و باعطاء القريم واز وف للروسية . واما القسطنطينية وسائر تركيا فيجب أن تكون لجهورية البندقية الا انه يكون أر بعة مجالس فى القسطنطينية كل منها مؤلف من ١٦ عضواً مجلس للاستريين وآخر الفرنسيس وآخر للروسيان وأما اسبانيا فلها ان تفتح مراكش والجزائر وتونس . ثم يذكر كارا كيفية هجوم الجيوش المتحالفة لفتح تركيا مما يشبه البرامج التى سبقت فلا لزوم لشرحه

ثم المشروع التاسع والجسون ولم يعرف اسم صاحبه وتاريخه سنة ١٧٨٨ وهذا المشروع تضمنته رسالة اسمها « خيال سياسي لتقسيم جانب من السلطنة العثمانية »

وقد ذكر هذا الكاتب المجهول انه يجب اخراج الترك من أور بة والاناضول وسورية وفلسطين وجيع شواطئ البحر المتوسط

وانه يجب تأسيس مملكة مؤلفة من تركية أور بة الى حــد بوسنة ومعها سواحل الاناضول الى مايقابل رودس وتكون هذه المملكة لفرنسه

ثم تأسيس مملكة مؤلفة من الاناضول وارمينية وكرجستان تعطى للروسية

ثم تأسيس مملكة مؤلفة من بولونيا وكورلندة والبوجاق يدون عليها دوق توسكانا ويكون لفرنسة أيضا مصر والامبراطور الفلاخ والبغدان وللروسية القريم والقوبان ثم تتأسس مملكة مؤلفة من سورية وفلسطين يكون صاحبها الدون فيليب الاسباني وتتأسس مملكة لاسبانية أيضاً في مراكش وتنقسم ايالات الجزائر وتونس وطرابلس بين اسبانية وصردانية ومودينا (امارة في ايطالية)

وتكون حرية البحار مضمونة للجميع وكذلك حرية المرور بالبواغيز مشل البوسفور والدردنيل وجبل طارق

وان اتفقت الروسية واوستريا لتمنعا فرنسا من الاستيلاء على الاستانة وتوابعها يجب أن تتحالف فرنسة مع بروسية والسويد والدانمرك وممالك الشمال ويأخذن بيد بولونيا ويضفن اليها الفلاخ والبغدان وباسارابيا

ثم المشروع الستون وهو مشروع « ڤولناى » Volney وتاريخه سنة ١٧٨٦ فالكاتب الافرنسي الشهير ڤولناى أعلن تأييده للسياسة الروسية السلاڤية في رسالة نشرها تحت عنوان «اعتبارات في الحرب الواقعة مع الاتراك »

وكان الروس قد أعلنوا الحرب على الترك وحبس الباب العالى سفير الروسية في الاستانة ثم انضمت اوستريا الى الروسية وأعلنت الحرب أيضا على تركيا في ١٧ سبتمير سنة ١٧٨٨

فبدأ ڤولناى بذكرالمالك التى افتتحها الترك فى أقل من اربعهائة سنة وقال انهم أحسنوا فتح أجل بلدان العالم وأعظمها . الا انه من نحو مائة سنة ظهرت دولة اسمها الروسية كانت قبل هذا التاريخ مجهولة فتقدمت بسرعة مدهشة وأصبح المستقبل لها . وسواء كان فى العالم المادى أو فى العالم الأدى اذا بدأ الجسم يتحرك كان استمرار حركته بقدر جسامته

شمقال ڤولناى : ان تركيا يجب أن تنقرض (١) وانه كما أمكن الاتفاق على تقسيم بولونيا بين حكومتي ڤينا و بطر سبورغ يمكن اتفاقهما على تقسيم تركيا (٢) ولقد أشار

<sup>(</sup>۱) مضى على كلام الفيلسوف ڤولناى هـــذا مائة وأر بع وأر بعون سنة ولم تنقرض تركيا ولم تزل هى صاحبة القسط:طينية والاناضول. وما أصدق تلك الجلة: «الانسان يدبر والقضاء يضحك»

<sup>(</sup>٢) وهنا أيضا ضحك القضاء من الفيلسوف ثولناى فقد نشر الله بولونيا من قبرها بينها الروسية جمهورية شيوعية واوستريا سلطنة في الغابرين لم يبق منها الا الجزء الثامن مما كانت

قولناى على فرنسة وطنه بالاتفاق مع الروسية وجعلها الحليف الطبيعي لها (١) و بعدم معارضتها في نزع القسطنطيينة من يد تركيا: اما تاج القسطنطية فيشير قولناى باعطائه الى المبراطور يوناني وان يكون له الموره والارخبيل وان يكون المرور بالبوسفور حراً واما اوستريا فتعطى البانيا و بوسنه وسواحل الادرياتيك كما انه يجب ان يؤول الى الروسية بلاد الفلاخ والبغدان والبلغار

وذكر ڤولناى أن الآراء مقسمة فى فرنسة فيما يجب أن تعتاض به فرنسة على افتراض سقوط تركيا . فبعضهم أشار بأخذ المورة واقر يطش وقبرص . وآخرون مالوا الى فتح مصر . وڤولناى لا يرى فى المورة والجزر طائلا كما أنه يخشى اذا تعرضت فرنسة لمصر أن تقع فى حرب مع تركيا وانكاترة والمصريين (٢) وكان من رأيه أن تتجرد فرنسة وقتئذ لاصلاح أمورها الداخلية وتكتفى بذلك

ومما أصاب به قولناى قوله ان مهاجة هذه الدول لتركيا سيفيد تركيا والشرق ويبعث يقظة عند الشرقيين. وقال ان شعوب تركيا أعظم استعداداً في كثير من الأمور من الشعوب الأوربية لا سيما أهل الشمال منها. قلنا ومما لا مشاحة فيه ان أهل الأقطار الشمالية من أوربة يغلب عليهم شيء من البلادة لكن هذا الجنس من البشر يمتاز بالثبات والجد في العمل وهكذا أصبح في هذا العصر أرقى الاجناس وأكلها مدنية برغم بلادته

ولقد رد على قولناى رجل يقال له «شارل دو بيسونل» Charles De Peyssonnel كان قنصلا لفرنسة في ازمير ونشر رسالة قاوم فيها السياسة الروسية مقاومة شديدة وسفه رأى قولناى وأظهر تناقض أقواله اذ بينها هو يظهر الخوف من تبسط دول مفرطة الاتساع يشير بزيادة تكبير الروسية فوق ماهى عليه . ثم قال هذا الرجل ان انكاترة ستقاوم توسع دول كبيرة الى هذا الحد لأن وجودها يوقع خللا بالتوازن الدولى . وان فرنسة يصيبها من ذلك خسار كبير ان رضيت به

ومن أهم ما لحظه « بسيونل » هو انه ان تقدمت الروسية صوب البلدان العثمانية

<sup>(</sup>١) اما هذا فقد حققته الايام من بعد مائة سنة من كلام ڤولناي

<sup>(</sup>٢) فى هــذه صح كلام هذا الفيلسوف لأن كل هــذا حصل في زمن نابليون بعد كلام ڤولناي بيضع, عشرة سنة

ودخلت هذه فى حوزتها جاء وقت تأسف فيه المسيحيون الذين فى هذه البلدان على الحرية التى يتمتعون بها فى ظل الترك وذلك بما سيقاسونه من فظائع الاستعباد الروسى الذى يعرفه جيع الشعوب التى دخلت تحت حكم الروسية

وأخذ « بسيونل » يذكر التوحش الذي كان لا يزال عليه الشعب الروسي وكيف ان أكثره ارقاء للامراء وكيف ان بلادهم أكثرها غابات أشبة تسكنها الوحوش الضارية وخاطب قولناي قائلاً: « أمن مثل هؤلاء تنتظر الخير » ؟

ثم أخذ بسيونل يصف المسامحات العظيمة الخارقة للعادة التي يتمتع بها المسيحيون في ظل سلاطين آل عثمان ويذكر الامتيازات المعطاة للائجانب مما لا يمكن أن تعطيه دولة أخرى وقال: «ان جيع ما في تركيا من الأوضاع يهيئها لتكون سلطنة عظيمة وانما هي محتاجة الى رجل عظيم ينفذ ذلك». وختم بسيونل كلامه بما ستتعرض له فرنسة من الخطر اذا سمحت للروسية واوستريا بتقاسم أملاك تركيا

ثم المشروع الواحد والستون وصاحبه « دو بر يون دولاتو ر » De Brion De la ثم المشروع الواحد والستون وصاحبه « دو بر يون دولاتو ر » Tour

وهذا الرجل قدرد أيضاً على ڤولناى واتهمه بالضلع مع الروسية . وحرر هو مشروعا خاصاً به سماه « اقتسام جلد الدب » أو « رسالة الى صاحب حلم تقسيم السلطنة العثمانية »

وقد بدأ « دولاتو ر » هذه الرسالة باثبات ان الأتراك لم يكونوا معتدين وان سلطنة الروسية أصبحت واسعة جداً وانه ليس يكون اصلاحا لحال المسيحيين الذين تحت حكم تركيا ادخالهم تحت حكم الروسية

وقال أنه لا يمكن تقسيم سلطنة عظيمة كالسلطنة العثمانية بدون حروب ومنازعات لا سما بين الروسية واوستريا

غير ان «دولاتور» أشار بمعالجة المرض باحداث أربع ممالك الأولى القسطنطينية مع تركية أوربة الى بوسنة ومصب الطونة ومعها سواحل الاناضول وقسم من الارخبيل وهذه يتبوأ عرشها أمير افرنسى . الثانية الأناضول والقوقاس ويكون عليها الامير قسطنطين ابن أخى كاترينا امبراطورة الروسية . والثالثة بولونيا وكورلاندة و بسارابيا ويكون عليها

دوق توسكانا ابن أخى الامبراطور يوسف الثانى . والرابعة سورية وفلسطين ويتولاها دوق پارم

ثم يحدث ممالك في شمالي افريقية تكون منها مصر ومرا كش تحت سيطرة فرنسة أما الفلاخ والبغدان أي رومانيا فتكون لاوستريا

وقد حدث يومئذ ان انكاترة أرادت التقرب من كاترينا امبراطورة الروسية واقترحت عليها تقاسم النفوذ في شرقي أور بة والشرق الاقصى فامتنعت كاترينا من اجابة اقتراحها . فعادت انكاترة واتفقت مع بروسية بموجب معاهدة ١٧ أغسطس سنة ١٧٨٨ وقررتا أن تمكونا يداً واحدة في أمور الشرق . ثم أخذت انكاترة تدافع من ذلك الوقت عن وجود تركيا توقيفاً لامتداد الروسية. وقد استفادت تركيا مدة طويلة من هذه السياسة ثم المشروع الشاني والستون وهو مشروع « قن برغ » Hertyberg و تاليخه

ثم المشروع الثاني والستون وهو مشروع « هرتز برغ » Hertzberg وتاريخه سنة ١٧٩٢

وكان هذا الرجل ألمانيًّا من « بومرانيا » وكان من العاماء والمؤلفين وتقلد نظارة الخارجية البروسية لعهد فريدريك الكبير ثم لعهد فريدريك ويلهلم الثاني وصارله الحول والطول وفي أيامه صارت برلين مركز السياسة في أور بة

وكانت خلاصة اقتراح هرتز برغ أن تأخذ الروسية سواحل البحر الاسود الى مصب الطونه وأن تأخذ اوستريا الفلاخ والبغدان وترد فى مقابلة ذلك غاليسيا للبولونيين وهؤلاء يتخلون عن « تورن » و «دانتزيغ» لبروسية

وكان هرتز برغ قد كتب الى سفير بروسية فى الاستانة فى ٣ ابريل سنة ١٧٨٨ قائلا له: «اذا كان الباب العالى سيضطر للنزول عن احدى ولاياته فليعمل ذلك بواسطة بروسية ليمكن هذه أن تنال عوضاً من جهة أخرى فان لم يفعل اضطرت بروسية الى التحال مع الامبراطور يتين والدخول فى الحرب معه»

الا أن الأتراك كانوا في أول هذه الحرب غالبين فلم يرعهم هـذا الانذار واشترطوا على هوتز برغ لقبول اقتراحه أن يعلن الحرب على النمسا. وفي ٣٠٠ يناير سنة ١٧٩٠ انعقدت معاهدة الصلح على أن تعود الى تركيا جيع الولايات التي كانت خسرتها ومن جلتها القريم

خاب أمل هرتز برغ من جهة استلحاق بلدان كان يرجو الاستيلاء عليها بواسطة هذه الحرب. وكان الامبراطور يوسف الثانى أشد الناس معارضة لتبسيُّط بروسية وكتب في ٧ يناير سنة ١٧٨٨ الى « مرسى ارغنتاو » يقول له : « لا أقدر أن أرى فى ملك بروسية الا عدواً لبيتى ولا أرى فى كل زيادة يزدادها الا نقصاً من قوتى »

أما فرنسة فقد كانت استحسنت عدم توسيع بروسية من أملاك بولونيا واتفقت في هذه المسئلة مع الروسية . ولم ينفذ شيء من مشروع هرتز برغ هذا

ثم المشروع الثالث والستون وهو مشروع «تاليران» Talleyrand وتاريخه ١٨٠٥ كان تاليران أشهر من أن يعرف ولد في باريز في ١٨ فبراير سنة ١٧٥٤ ومات فيها في ١٧٥ مايو سنة ١٨٣٨ وكان ناظراً للخارجية الافرنسية مدة طويلة في أيام نابليون الاول ولو يس الثامن عشر. وهو من نوابغ الدهر في السياسة يضرب به المثل. وقد كثر في زمان تاليران التحدث بتقسيم السلطنة العثمانية أكثر من ذي قبل لان عصر نابليون كان عصر حروب وانقلابات وثل عروش وهدم ممالك وتأسيس ممالك فلا عجب أن يكون تقسيم هذه السلطنة أصبح محور الكلام. قال « قندال » : « لم يكن في ذلك الدور رجل سياسة الا وعنده برنامج تقسيم للسلطنة العثمانية هو محتفظ به لوقت الحاجة »

أما تاليران فلم تكن سياسته ترمى الى غرض الاتحاد مع الروسية بل كان يرى تقوية العنصر السلاقى خطراً ويحب أن يعزز اوستريا فى وجه السلاف. ولتاليران تقرير حرره فى ستراسبورغ فى ١٨٠ كتوبر سنة ١٨٠٥ وقدمه لنابليون وما له الاتفاق مع اوستريا دون بروسية كما أنه يفصل مصالح اوستريا عن مصالح انكلترة و يحاول توجيه الجيع الى مقاومة الروسية . وقاعدة تاليران السياسية فى الشرق كانت هى أن الترك صاروا الآن لا تخشى غائلتهم بل صاروا هم يخشون غوائل الآخرين وقد قام مقامهم الروس وصاروا خطرا على أور بة . وليس لاور بة الآن فى وجه الروس حصن أمنع من النمسا فيجب تقويتها لتثبت امام الروسية .

وكان تاليران يريد اعطاء الفلاخ والبعدان و بسارابيا وشمالى بلغاريا للنمسا منعا لامتداد الروسية الى الجهة الاوربية . وكان يقول لبونابرت : « بعد أن تهزم جيوش النمسا في معركة فاصلة يكون من باب الجزم أن تقول للنمسا : احتلى الفلاخ والبغدان و بسارابيا

وأنا أجل الباب العالى على تخليتها لك . وان عارض الروس فى ذلك كنت معك عليهم ، وهكذا تعقد مع النمسا أمتن صلح بعد أن تكون أحرزت عليها أبهر نصر »

وكان تاليران قاطعاً الأمل من نهضة تركيا ذاهباً الى أن اقتطاع كشير من ولاياتها يزيدها قوة ولا يُضعفها كما يُظن وانه يمكن اعطاء هذه الولايات الدانو بية لامبراطورية أوستريا وعقد معاهدة بينها و بين الباب العالى تتعهد بها هذه الامبراطورية بالحافظة على سلامة السلطنة العثمانية. ولكنه كان يريدان يقتطع من أوستريا بعض مقاطعات من جهة ايطالية بمقابلة ماكان يقترحه من اضافة الفلاخ والبغدان و بسارابيا الى أوستريا

وقد كان رأى تاليران هذا من الصواب بمكان . ولكنه لم يكن ضروريا اعطاء رومانيا و بلغاريا لامبراطورية النمسا من أجل وضع هذه فى وجه الروسية فان المناظرة إبين هاتين الدولتين كانت واقعة لا محالة بهذا وعدمه

على أن الامبراطور نابليون رد اقتراح تاليران ومال الى التحالف مع الروسية

ثم المشروع الرابع والستون وهو مشروع نابليون الأول واسكندر الأول وتاريخه سنة ١٨٠٨

قال نابليون في منفاه بجزيرة القديسة هيلانة: « تذا كرت مراراً مع الروس في أمر قسمة السلطنة العثمانية وكان ذلك ممكناً لولا القسطنطينية التي كانت دائماً سببا لمنع الاتفاق فقد كان الروس يريدونها وأنا لم أكن أرضى باستيلائهم عليها فان القسطنطينية وحدها مملكة ومن ملك القسطنطينية أمكنه أن يسود كل الدنيا »

وقال نابليون مرة أخرى « القسطنطينية مفتاح العالم »

الاانه في قضية السلطنة العثمانية لم يكن على رأى ثابت فتارة كان يميل الى مجاراة الروسية في فصم عراها وطوراً كان يأبي ذلك كل الاباء . وقد كتب الى سباستياني سنة ١٨٠٦ بخط يده : « انى لاأريد أبداً تقسيم السلطنة العثمانية ولو أخرجوني بثلاثة أرباعها الى لاأرضي بذلك أصلا . وكل ماأريده انما هو تقوية هذه السلطنة في وجه الروسية »

ولكن نابليون كان سنة ١٧٩٧ كتب الى الحكومة المركزية يقول: « اننا من جزر اليونان ومالطة الخ يمكننا أن نراقب أحوال السلطنة العثمانية حتى اذا انهارت كان لنا

نصيب منها »

وقد كانت علاقات نابليون مع اسكندر الأول قيصر الروسية بادئ ذي بدء غير متينة بل كانت أقرب الى التراخى. وكان جاعة اسكندر مثل الكونت «كوتشوبى» و « نوڤوسيلتزوف » و «كزارتوريسكى » و « ستروغونوف » أعضاء جعية الخلاص أضداد سياسة الاتفاق مع فرنسة وأنصاراً لسياسة الاتفاق مع انكلترة. الاأن نابليون كان يتزلف الى اسكندر وقال لسفيره ماركوف سنة ١٨٠٧ « الا يوجد في أمراء الأسرة المالكة في الروسية من يرث عرش القسطنطينية »

ولما توج نابليون امبراطوراً على فرنسة حصل تحالف دولى عليها مؤلف من الروسية والسويد وانكلترة والنمسا وبروسية وتركيا ونابولى واقترح تاليران على نابليون عقد اتفاق مع النمسا الاأن نابليون بقي يؤثر سياسة التقرب الى الروسية وقال للبرنس «دولغوروكى» Dolgorouki « لماذا يحاربني الامبراطور اسكندر ? ماذا يريد منى ? ماعليه الاأن يوسع حدود مملكته من جهة ممالك جيرانه لاسيا الترك وحينئذ يرى أن ليس بيننا و بينه خلاف »

ولما انتصر نابليون في وقعة « اوسترليتز » الشهيرة (٢ ديسمبر سنة ١٨٠٥) عقد انفاقاً مع بروسية تقررت فيه سلامة أملاك السلطنة العثمانية .

وأغرى نابليون الترك بمحاربة الروس فا ذنوهم بحربهم فى ٢٧ ديسمبر سنة ١٨٠٦ وهزموهم و بعد ذلك رضى الامبراطور اسكندر بتدخل فرنسة فى الصلح بين الروسية

وكتب نابليون من قارشوقا الى مجلس السنات فى ٧ فبراير سنة ١٨٠٧ يقول لهم: « إذا سقطت مملكة القسطنطينية لم يمكن أحداً أن يعرف مايتبع ذلك من المصائب والحروب. . . وان ارتفع تاج هذه البلدة على رأس يملك من البلطيك الى البحر المتوسط لم يبعد أن نجد أقواماً من البرابرة هاجين على فرنسة من جهة البحر » يعنى بذلك الروس غير ان نابليون برغم هذه العبارات لو علم أنه يخرج بشقص يرضيه من انقاض

عير أن ما بليون برعم هده العبارات لو علم الله يحرج بسطف . السلطنة العثمانية لما كان يأبي الموافقة على قسمتها

وكتب تاليران في ٢٧ يناير سنة ١٨٠٧ الى سفير فرنسة في ڤينا يقول له ان عقدة

العقد كلها هي تركيا وانه من الواجب المحافظة على وجودها الى أن نرى امكان حفظها بأجعها مستحيلا فيجب حينئذ الاتفاق بين النمسا وفرنسا على قضية تقسيم انقاضها

ثم انه بعد معركة « فريدلاند » وغلبة نابليون على الجيع تلاقى مع اسكندر فى ٢٥ يونيو سنة ١٨٠٧ فى نهر « نيمون » بقرب « تيلسيت » وحضر الاجتماع فريد ريك و يلهم ملك بر وسية ومعه و زير خارجيته البرنس « دوهارد نبرغ » فكانت بر وسية هى التى اقترحت تقسيم تركيا وذلك على ان الروسية تأخذ قسما من الفلاخ والبغدان و بلغاريا والروملي مع البواغيز واوستريا تأخذ دالماسيا و بوسنه وصر بيا وفرنسة تأخذ بلاد اليونان والجزر وان بولونيا تصير تحت تاج ملك الساكس ومملكة الساكس تؤول الى بر وسية

وقدرضى نابليون وقتئذ بصير و رة رومانيا و بلغاريا الى الروسية الاانه أراد توسيع حصة فرنسة باضافة البانيا أو بوسنة الى بلاد اليونان التى ستكون لفرنسة . وفى ٧ يوليو سنة ١٨٠٧ انعقدت ثلاث معاهدات وتقرر خروج العساكر الروسية من رومانيا الا ان نابليون قال لاسكندر الأول انه لاينبغى له أن يكترث لهذه المسئلة واتفق معه على مقاسمة سرية هذا نصها :

« ان كان الباب العالى لم يقبل وساطة فرنسة أو قبلها ومضت ثلاثة أشهر على المفاوضات ولم تأت بنتيجة حسنة تتفق فرنسة مع الروسية وتخلصان من يد تركيا جميع ولاياتها الأوربية مستثنى من ذلك الاستانة وولاية الروملى (١)

وفى أثناء ذلك مات السلطان سليم الثالث حليف نابليون فقال هذا لامبراطور الروسية: «هذا ايذان لىمن الله بائني صرت في حل من معاهدتي مع تركيا التي أصبحت لاتقدر على البقاء » وأرسل تهديداً بواسطة ناظر الخارجية الى الباب العالى في ٧ سبتمبر سنة ١٨٠٧ ما له انه ان كانت تركيا صالحت انكلترة وانفصلت عن فرنسة فقد بحثت عن حتفها بظلفها و يعود الامبراطور (أي نابليون) و يقبل التقسيم الذي عُرض عليه في تيلسيت وتنتهي حياة تركيا

وأرسل اسكندر الاول الى الكونت « تولستوى » سفيره فى باريز يطلب بسارابيا والفلاخ والبغدان وقلاع بندر واكرمان وكيليا واسماعيل وهوتين وساحلا من الساحل

<sup>(</sup>١) هذا قريب مما هي الحالة اليوم

الشرقى من البحر الأسود وان تؤسس امارة لصربيا ونقل « ساڤارى » سفير فرنسة فى بطرسبرج عن اسكندر الاول انه قال له:

« ان الامبراطور قد بدأ يعرف ان بقاء الترك في أور به مستحيل وانه ان كان لابد من سقوط سلطنتهم في أور به فالروسية يجب أن ترث قسما منها . وهذا ما فهمته منه في أثناء كلامي معه فانا مااذكره الا بوعده »

ثم ان سفير الخارجية الروسية «روميانتزوف» قال لساڤارى سفير فرنسة «ان السرعة في العمل أصبحت متحتمة و يجوز ان تسقط السلطنة العثمانية من نفسها بدون هزاهز فنوجد بازاء انقاضها شئنا أم أبينا »

وكان نابليون لايزال متردداً في الموضوع خائفا من أنه اذا اسقطت السلطنة العثمانية تقوى الروسية كثيراً وتستفيد انكاترة من تلك الفرصة فتستولى على مصر

وكان يجتهد في اقناع الروسية بعدم التهافت على هذا المشروع وكتب مرة الى الجنرال «كولنكوره» Colaincourt الذي خلف «ساڤارى» في سفارة فرنسة في بطرسبو رج يقول له : «ان مراده بقاء السلطنة العثمانية كما هي وان تكون عائشة في سلام مع الروسية وفرنسة و يكون للترك القلاع التي على الدانوب مثل اسماعيل ولكن ان كانوا في بطرسبرج مستعجلين كثيراً في هذا المشروع فانه لا يعاكسهم فيه غير أنه يؤثر ان تقع قسمة السلطنة العثمانية بين الروسية وفرنسة لاغير وذلك بموجب اتفاق من قبل »

ثم ان نابليون كان يبعث الى القيصر اسكندر بأنه هو لا يخلى البلاد التي يحتُّلُها من بروسية الا اذا اخلت الروسية الفلاخ والبغدان

وكان نابليون يقترح على قيصر الروسية ثلاثة وجوه أحدها أن يخلى الروس الفلاخ والبغدان و بمقابلة ذلك يخلى الفرنسيس مااحتلوه من أراضى بروسية . الثانى أن يأخذ الروس هذه الويالات الرومانية وتأخذ فرنسة في مقابلتها ولاية سيليزيا من بروسية الثالث أن يجرى تقاسم السلطنة العثمانية على وجه تعرف فيه فرنسة من قبل ماذا سيخرج في نصيبها ?

اما اسكندر الأول فكان لايسمح لنابليون بتمزيق بروسية . وكان يبعث الى نابليون بأنه ان كان أخذ الروسية للفلاخ والبغدان يستلزم ان يكون العوض عنه من ملك بروسية فانه يقلع عنه ولا يرضى بمبادلة كهذه ولو كان البدل هو سلطنة آل عثمان كلها

وكان اسكندر الأول يعرض على نابليون بمقابلة سليزيا ولايات عثمانية مثل الموره والبانيا ولكن نابليون كان متمسكاً بسيليزيا. وكان معظم سبب خوف اسكندر من بقاء الفرنسيس في سيليزيا انه يتقى جوارهم للروسية وأرسل الى نابليون قائلاً له: «انت قلت لى ان تجاور الدول الكبرى غير مستحب لأنه يؤدى الى النزاع»

وكان نابليون يوصى سفرآءه فى بطرسبوج بائن لا يقطعوا أمل الروس من تقسيم سلطنة آل عثمان لكن يجتهدوا ان يعاموا ماذا سيكون نصيب فرنسة من هذه القسمة

وأخيراً أرسل الى الروس يقول لهم انه يؤثر تأخير هذا المشروع الى مابعد صلحه مع الانكليز أو الى مابعد نزعه من أيديهم السيادة على البحر المتوسط لأنه ان وقع هذا التقسيم وهم على ماهم عليه من سيادة هذا البحر كانوا هم المستأثرين بانفس اسلاب السلطنة العثمانية

وقد أشار نابليون الى هذا المعنى فى كتاب شهير حرره الى القيصر اسكندر فى ٧ فبراير سنة ١٨٠٨ يعرض عليه اقتسام سلطنة آل عثمان وهدم دولة الانكليز فى الهند و يقول له انه يحسن إغزاء جيش مؤلف من ٥٠ ألف جندى افرنسى و روسى ونمسوى يزحف الى القسطنطينية فيأخذها و يتقدم صوب الفرات فهو لا يصل الى هناك حتى ترجف انكلترة خوفا فترضى بالصلح . وطلب نابليون من اسكندر المواجهة لعقد هذا التدبير

ولكن اسكندركان يأبى الاحل نابليون على اخلاء سيليزيا . وكان يقول ان فى يد فرنسة بلداناً مثل « هانوڤر » و « البرتغال » و « اتروريا » ( من ايطالية ) هى كافية للتعويض من الفلاخ والبغدان اللتين يقدر اسكندر أن ينتزعهما من تركيا بدون رضى نابليون اذا شاء

وقيل ان نابليون رضى احدى المرار بأن يعطى استانبول المروسية زاعماً انه يبعدها الى آسية . ولكن هذا لاينطبق على تصريحاته المتعددة بشأن أهمية الاستانة . وذهب المسيو «فندال» الى أنه ان كان ثبت ان نابليون رضى باستيلاء الروسية على القسطنطينية فيكون على شرط ان لايكون لها الاالبلدة ومضيق البوسفور فقط وان يكون مضيق الدردنيل بيد فرنسة وفي سنة ١٨٠٨ كان هناك برنامجان أحدهما فرنسوى والآخر روسى . فالبرنامج الفرنسوى كان يعطى فرنسة جميع سواحل الادرياتيك واليونان الى سلانيك مع هذه

البلدة. أما الروسى فكان يعطى الروسية الامارات الرومانية وقسما من صربيا الى نهر المريج الى البحر الرومى مع ساحل مرمرة الأوربى مع القسطنطينية و بعض سواحلها الأسيوية. ويبقى للترك ساحل مرمره الآسيوى. واما اوستريا فيكون لها الأراضى الواقعة بين حصتى فرنسة والروسية بحيث هاتان الحصتان لاتنهاسًان. ويكون لفرنسة الخيار فى تحديد حدود حصتها مع اوستريا سواء كان فى بوسنة او مكدونية او كرواسية. ثم يؤول الى فرنسة عدا سلانيك و بلاد اليونان والبانيا جزائر الارخبيل ومصر وسو رية والسواحل الغربية من الاناضول (بر القرمان

و برغم هذا كله بقى نابليون يضن على الروسية ببلدة القسطنطينية والدردنيل الى أن رضى اسكندر الأول بجعل القسطنطينية مدينة حرّة. وهى فكرة طالما اقترحها الصحفيون فى القرن التاسع عشر

قال «دجوڤارا» الروماني صاحب كتاب « مائة مشروع تقسيم لتركيا » : «تأمل في القسطنطينية مدينة حرة محاطة من كل جانب بمملكة عظيمة تعمل للسيادة على الشرق باسره »

ثم قال: «ان الروسية لم تفتأ في كل فرصة تعمل للوصول الى القسطنطينية وقد جرى محاورة بين ناظر الخارجية الروسية رومانيتزوف وسفير فرنسة كالنكور قال فيها الناظر ما يلى ملخصاً: \_\_\_

« كانت فرنسة تتوق دائماً الى الاستيلاء على مصر وفى أيام كاترينا الثانية سمحت لنا بأخذ الفسطنطينية على شريطة أن نسمح لها بأخــند مصر. وفى الملاقاة التى جرت بتيلسيت تقرر أن نأخذ نحن الفلاخ والبغدان و بلغاريا وتأخذ فرنسة البانيا واقريطش. وأما اوستريا فلم تعمل شيئاً لتأخذ مكافأة . ولــكننا نرى أن لا بأس بالاستعانة بها فلتأخذ كرواسيا أو فليجلس ارشيدوق نمسوى على كرسى امارة الصرب . اننا نحن لانبغى الاستانة الا بمقتضى جغرافية البحر الاسود الذى هو بحرنا »

وفى مجلس آخروقع بين هذا الناظر وهذا السفير كلام فقال الناظر للسفير: «يمكن فرنسة أن تأخذ عدا البانيا والمورة والارخبيل مصر وسورية. أما نحن فلا نبغى الا الفلاخ والبغدان و بلغاريا وصربيا. وأما اوستريا فتأخذ كر واسيا وقسما من بوسنه »

فقال له السفير: «أرى حصت كم ازدادت عما كانت في مجلسنا الأول فاذا كان هذا هو المنهج فاني أراكم آكاين كل شيئ». فقال الناظر الروسي: «لنتكام عن القسطنطينية انه ان كان لا مناص من تقسيم تام لتركيا فهذه المدينة مع مضيقي البوسفور والدردنيل يجب أن تكون لنا. وتكون الصرب يومئذ لاوستريا مع الروملي وقسم من مكدونية لتفصل بيننا و بينكم. وأنتم الفرنسيس يبقي لكم قسم من مكدونية وقسم من الروملي ومعهما مصروسورية». فقال السفير: «إن هذه القسمة لضيزي والقسطنطينية وحدها أحسن من كل ما تعرضونه في أو ربة وأنا لا أرى سهلا فتح القسطنطينية لكن لنفرضه عكنا فلا أرى موافقا أن يكون الدردنيل في يد الدولة التي تملك الاستانة». فقال الناظر: «إذا كنتم تأبون «لمن يكون الدردنيل فيجب أن تكون صربيا لنا». فقال السفير: «وماذا تبقون لاوستريا ؟ ان الخرافية تأبي أن تجعل صربيا لكم»

وأما اسكندر الأول فلم يكن يرضى باعطاء الدردنيل الى فرنسة وقال لكولنكور: «أنا لاأريد أن أصير الى جوار أصعب على من مجاورة الترك. فالروسية تريد القسطنطينية مع الدردنيل »

وكتب كولنكور الى نابليون فى ١٦ مارس سنة ١٨٠٨ يقول له: «لنفرض انك ضممت ايطالية واسبانية الى فرنسة وقلبت الدول واشترطت معاونة الاسطول الروسى فى البحر الاسود وقسم من الجيش البرى فى فتح مصر ونلت جميع التأمينات اللازمة وعملت جميع ماتشاء من المعاوضات مع اوستريا فان الروسية اذا صارت الى يدها الاستانة والدردنيل عملت فما بعد كل ما تريد »

وفى ذلك الوقت كتب السلطان كتاباً خاصاً الى نابليون يستمد فيه أن يحافظ على سلامة السلطنة العثمانية. فأخذ نابليون يشوق الامبراطور اسكندر فى التبسط الى جهة الشمال وهمذا استولت الروسية على فنلاندة. ويقى الخلاف مشتداً بين الروسية وفرنسة على حيازة الدردنيل. وأخيراً تحررت اقتراحات بالكتابة فكانت اقتراحات الروسية مايلى: ان كان الاتفاق على محالفة بسيطة يكون للروسية بسارابيا والفلاخ والبغدان

و بلغاريا . ولفرنسة البانيا وقسم من بوسنه والمورة واقريطش . ولاوستريا قسم من بوسنه

مع كرواسيا. وتصير صربيا امارة مستقلة يليها ارشيدوق نمسوى متزوج بغراندوقة روسية» «وان كان الاتفاق على تقسيم السلطنة العثمانية فالروسية تأخذ الفلاخ والبغدان و بسارابيا و بلغاريا وقسما من الروملى الى نهر المريج. وفرنسة تأخذ بوسنه والبانيا والموره واقر يطش وقبرص ورودس وجميع جزر الارخبيل وازمير وسواحل الشرق الأدنى وسورية ومصر. واوستريا تاخذ الصرب ومكدونية الى البحر الاسلانيك وما تبعها مما يجب أن يبقى الفرنسة. وكرواسيا تكون لاوستريا أو لفرنسة. والدول الثلاث يشتركن في حلة على الهند» وكان كولنكور سفير فرنسة في بطرسبورج يبدى اعتراضات و يحتفظ في الأمور الآتية ، قضية استيلاء الروس على القسطنطينية ، ضرورة استيلاء فرنسة على الدردنيل على على التستانة في الاستانة في وجوب اشتراك الروسية في الجلة التي ستساق على على

وفى ١٠ مارس سنة ١٨٠٨ انعقدت الجلسة الخامسة بينهم فاعلن ناظر الخارجية الروسية روميانتزوف أن الروسية مصرة على أخذ الاستانة والدردنيل معاً . فالسفير كولنكور لم يسعه الا أن يترك الشاطئ الاوربي من الدردنيل مع بقاء الشاطئ الآسيوى لفرنسة . وقد رفض ناظر الخارجية الروسية اشتراك الروس في الجلة على مصر وسورية الالذاكانت نفقات الاسطول الروسي على فرنسة

مصر وسورية وتأخذ عوضاً عن ذلك بلادا مما يلي طرابزون

ولما اشتدت صعوبات التقسيم رغب الامبراطور اسكندر في مقابلة نابليون . و بقى كولنكور يعارض في استيلاء الروسية على القسطنطينيه والدردنيل ويكتب الى نابليون مخوفاً اياه من عواقب وجود الروسية في القسطنطينية و بيدها تلك المضايق

وفى ٢٤ يونيو ١٨٠٨ جرى بين الامبراطور اسكندر الأول وسفير فرنسة المحاورة التالية:

الامبراطور \_\_ القسطنطينية بعد خروج الترك منها لا تكون الا مدينة متطرفة والجغرافية تقضى بوجودها بيدى لانها ان كانت بيد غيرى لا أكون حراً في منزلي بعكس غيرى الذي لا تهمه. فالقسطنطينية مفتاح بيتي والامبراطور ( يعني نابليون ) لا يقدر أن ينكر ذلك.

السفير ـــ الا أن هذا المفتاح هو مفتاح تولون وكورفو ومفتاح تجارة العالم . الامبراطور ـــ يمكننا الاتفاق على أن هذا المرس يبقى حراً للتجارة ولا يجو زسد ه

بوقت من الأوقات.

السفير — لوكان ملك جلالتك دائماً لما كان لنا شبهة في هذه التأمينات ولحن قد يأتى امبراطور للروسية لا يعون حليفاً لفرنسة ... فاذا كان لا بد من مجاراة الوزير روميانتزوف لا يبقى قوة في الشرق الا للروسية و يختل التوازن الذي هو ضروري لحفظ السلام . فالدردنيل أو الاستانة نفسها في يد فرنسة لا محذور منهما اذ هما بعيدتان عن فرنسة وأما في يد الروسية فهما قوة هائلة . اه

هـذا و بينها كانت الروسية وفرنسة تتنازعان على هذه القسمة وكل منهما تشد من جهتها اذ جـد تت حوادث ذات بال فى تركيا واسبانية وأوستريا وكثرت المشكلات على نا بليون فال الى التساهل وأرسل الى سفيره كالنكور بانه حاضر لاخلاء البلاد التى يحتلها من بروسية بدون مطالبة الروسية باخلاء الفلاخ والبغدان

ثم تقرر أن الامبراطورين يلتقيان فى ارفور Erfurt (من الساكس) وقد وصل اليها نابليون فى ٢٧ سبتمبر سنة ١٨٠٨ ووصل اسكندر وأقاما بها ١٨ يوماً. وابتدأت المفاوضات فى ٢٧ سبتمبر وتقرر أن الامبراطور نابليون يرضى بأن الفلاخ والبغدان تصيران ملكاً للروسية و يصير الدانوب هو الحد الفاصل. ولكن اشترط حفظ هذا السر موقتاً وعدم القيام بحركات عسكرية الى ١ يناير سنة ١٨٠٩

ثم تقرر بين الامبراطورين انه ان وجدت صعوبات لم تتمهد بينهما يعودان فيلتقيان مرة ثانية وأما من جهة سائر أملاك تركيا أى ما عدا الفلاخ والبغدان فتقرر بينهما عدم البت في شيء بدون اتفاق سابق

ورجع الامبراطور اسكندر غير راض باطناً من الامبراطور نابليون وصاريتر بص به الدوائر . ولما انكسر جيش نابليون في « اسلينغ » Essling (۱) كان أول شامت به الامبراطور اسكندر و بلغ هذا نابليون فقد عليه . ثم في سنة ، ۱۸۱ حاول نابليون أن يتزوج بالغراندوقة الروسية حنة باڤلوڤنا فامتنع الامبراطور اسكندر عن مصاهرته وتزوج نابليون بابنة امبراطور النمسا مارى لويزة وكان بذلك انتهاء الصداقة بين نابليون واسكندر ثم جاءت بعدها الحرب بينهما

ثم المشروع السادس والستون من تقسيم تركيا المنسوب الى « ميترنيخ »

<sup>(</sup>١) في حرب مع أوستريا

Metternich وتاریخه ۱۸۰۸

قال دجو قارا: ليس هنا محل ميترنيخ وزبر أوستريا الشهير الذي قضي حياته يجتهد في تثبيت تركيا كما هو معاوم الا أنه اضطر في آخر الأمم أن يلقى دلوه في الدلاء من جهــة هذه المسئلة

وكان ميترنيخ يقول: « ان وجود السلطنة العثمانية والمحافظة عليها وان كان فيهما كثير من المخالفة للدنية المسيحية فهما خير لأوربة »

وكان ميترنيخ ممن ساعد انكاترة على منع استيلاء فرنسة على وادى النيل. وكان يشهد للباب العالى بحسن المحافظة على المعاهدات ويقول ان متاخة تركيا كتاخة البحر لا تتغير بها الحدود بل تبقى على وتيرة واحدة . وكان اذ فكر في استحالة بقاء السلطنة العثمانية وانه لا بد من أن تحل في الاستانة دولة مسيحية يقول: « ان تلك الدولة ستكون حليفة للنمسا » يعنى بذلك أن الدولة المسيحية التي ستتولى القسطنطينية استئنافاً ستكون اليونان أو البلغار

وقال تالليران لمتيرنيخ في ١٨ يناير سنة ١٨٠٨ ما يأتي :

« ان الامبراطور (أى نابليون) يفكر فى مشروعين أحدهما مؤسس على قواعد صحيحة والثانى هو من باب القصص والخيال. فالأول هو تقسيم تركيا. والثانى هو غزو الهند. وعلى كل حال ففرنسة والروسية ينويان اقتسام تركيا » فأظهر ميترنيخ لتاليران عدم ارتياحه لمشروع تقسيم تركيا. وقال له: « اننا نحن أصح حكما فى مسائل تركيا لأننا نحكم فيها بدون ضلع ولأننا بناء على ذلك نبغى بقاءها أما الروس فيرون تركيا بنظارات يونانية والنظارات فى العادة لا تصلح للسياسة. وانى لأؤكد لك أن فتح تركيا يكلف ثلاثمائة ألف جندى قتلاً وموتاً بالأمراض وانه تمضى بعد ذلك ثلاثون سنة على تلك البلدان ولا تكون للته شعثها ولا عرفت المدنية تحت أى حكم كان »

ثم سأل ميترنيخ تاليران عن كيفية تقسيم تركيا ? فقال له تاليران: « المورة والجزر ومصر توافقنا (أى الفرنسيس) وأنتم يلزم لكم وادى الدانوب و بوسنه و بلغاريا. ولو لا كون الروس فى القريم لكانت القسطنطينية أولى بأن تكون لكم ولكنهم هم الآن أولى بها منكم ».

وكان تاليران سفيراً للنمسا في باريز فكتب الى حكومته قائلاً: « لا نقدر أن ننقذ تركيا فلنجتهد أن نستأثر منها بالنصيب الأوفر »

ثم بعد هــذا الحديث مع تاليران بثلاثة أيام تلاقى ميترينيخ مع نابليون . فقال له الامبراطور: « ما صرتم تحبون بقاء تركيا الا من بعد أن صارت الى حالة العدم التام » ثم صرح نابليون بأنه هو أيضاً يريد بقاء تركيا لو لا عداوة الانكليز له فهو يريد مهاجة الانكليز أينها كانوا

ثم بدر من نابليون كلام يظهر منه أنه مقتنع باستيلاء الروس على استانبول وقال لميترنيخ: « متى صار الروس فى استانبول لم يكن لهم غنى عن فرنسة لتساعدكم فى وجه الروسية. والذى أراه هو ان نكون معكم متفقين فى مسئلة تقسيم تركيا. نعم لا ينبغى أن تكتب الى حدومتك أن التقسيم تقرر لكن ينبغىأن تكتب أنه متى تقرر تكون أوستريا معنا لندافع عن مصالحنا ومصالحها معاً فانتم لكم ادعاءات صحيحة وجغرافية على وادى الطونه. وهذه الادعاءات هى التي لها دائماً القيمة الحقيقية »

فاجابه ميترنيخ قائلاً: « اذا كانت فرنسة ستترك صديقتها القديمة تركيا فنحن لا نقدر وحدنا أن تحميها »

ثم سأل ميترنيخ حكومته عن المشروع فجاءه الجواب بالسلب وأبلغه الى الحكومة الفرنسوية وكان معناه: «أنه لن يجد الامبراطور عملاً أخسر وأوجب للندم من الموافقة على هدم تركيا. وان تقسيم تركيا يمكن اذا كان انهيارها أمراً واقعاً ولكن الحالة ليست كذلك ».

وأما تاليران فقال لميترنيخ انه هو شخصياً ضد فكرة تقسيم تركيا ولكن الامبراطور مصمم عليه . فسال ميترنيخ سفير الروسية في باريز عما يعلمه عن هذه القضية فأجابه الكونت تولستوى : « نعم ان الكلام قد دار بين نابليون واسكندر على هذا التقسيم وانه ان كان لا مفر من سقوط تركيا فينبغي الاتفاق على اقتسامها »

وفى سنة ١٨١٠ كان ميترنيخ يقول: ان مركزنا منيع جداً لأن الجهات كلها تطلب عضدنا . و بالاجال كان ميترنيخ ضد فكرة تقسيم تركيا الا أنه كان يرى أنه ان حُمَّ أجل هذه الدولة ينبغى أن تقوم مقامها دولة مسيحية صديقة لاوستريا

ثم المشروع السابع والستون وهو المنسوب الى « دوتر يڤ » D'hauterive وتاريخه سنة ١٨٠٨

وكان « دوتريث » من أنصار سياسة تاليران وممن يرون الضرركل الضرر في دخول نابليون في تقسيم السلطنة التركية وكتب للامبراطور تقريراً ١٥ صفحة عن عواقب هذا التقسيم المشؤومة. الا أنه اذا كان هذا الأمر لا بد منه فهو يشير بقسمة شبه جزيرة البلقان الى نصفين من الشمال الى الجنوب فيكون النصف الشرقي مع القسطنطينية والدردنيل نصيب الروسية. ويكون النصف الغربي مقسمًا بين فرنسة وأوستريا. وتختص بفرنسة الجزر ومصر. ثم ان هذا المشروع يبلغ الى انكاترة لعلها تجنح للسلم وتريح العالم

و بعد هذا التقرير اقترح تاليران على دوتريث تقريراً ثانيا قبل ذهابه الى «ارفور» في أثناء تلاقى الأمبراطورين نابليون واسكندر. فكتب دوتريث تقريراً قال فيه ان تقسيم تركيا وغز والهند آتيان لا محالة لكنه يجب تأخيرهما بقدر الاستطاعة

غير أن الاتفاق بين الامبراطورين لم يتم وكان لتاليران اليد الطولى فى ذلك لأنه كان يعمل دائما لابعاد فرنسة عن الروسية

ثم المشروع الثامن والســتون المنسوب « لبوزودى بورغو » Pozo di Porgo وتاريخه سنة ١٨٠٩

وكان هذا الرجل من كو رسيكا وقضى حياته عدواً لنابليون خدم الروسية و بروسية و انكلترة واوستريا في جميع سياساتها العائدة لاسقاط بو نابرت. وكان لهذا الرجل مشروع خاص به في تقسيم تركيا ما له ان الروسية يكون لها بسارابيا والفلاخ والبغدان و بلغاريا. ويكون لفرنسة البانيا وتساليا والموره وكريد. ويكون للنمسا بوسنه وصربيا. ويبقى لتركيا القسطنطينية مع الروملي

وقد روى « دومنتون باك » De Menthon bake بناء على تأكيد السير « رو برت آدير » Robert Adair سفير انكلترة في ڤينا ان الامبراطور اسكندر الأول قد وافق على هذا المشروع . وفي هذا القول نظر لمخالفته لكل ما سبق . ومما رواه « دومنتون باك » ان الامبراطور نقولا الأول قال : « انى لا أريد الاستانة وأنا من ملكي الواسع في غنى عنها . ولكني على ثقة بأن هذه المدينة صائرة الى أو الى أولادي في أحد

الايام. وانه لاهون أن يمنع الناس انحدار شلال من جبل من منع الروس أن يصلوا الى البواغيز »

ومن غريب التكهنات ان «بوزو دوبو رغو» هذا كتب سنة ١٨٠٦ «ان المشاة والمدفعية الفرنسويين سيقاتلون الروس جنباً الى جنب مع خيالة الأتراك». ولقد وقع هذا في حرب القريم بعد هذا القول بنصف قرن

ثم المشروع التاسع والستون المنسوب الى « دوفو » Dufau وتاريخه سنة ١٨٢٧ وكان « دوفو » كاتبا افرنسياً أشار بوجوب رئاسة فرنسة على عصبة أو ربية تقف في وجه الروس. وقال انه يجب لذلك تعزيز السويد واعادة دولة بولونيا. أما تركيا فقال انها يجب أن تتقسم بين دول أو ربة واليونان فتكون سلطنة يونانية تحت حاية الروس فاصلة بين هؤلاء والنمسويين. ويكون للنمسا صربيا والبانيا وتتأسس امارات يونانية في يانيا والموره الخ وتعطى كريد مع الجزر كورفو واخواتها الى انكلترة وتكون جهو رية جزر في الارخبيل

ثم المشروع السبعون وصاحبه « دوكابوديسترياس » De Capodistrias وتاريخه سنة ۱۸۲۸

وكان هذا الرجل يونانياً مولوداً في جزيرة كورفو خدم الروس عند ما بسطوا المايتهم على تلك الجزر و بقى يتقلب في المناصب السياسية عندهم الى أن استقلت بلاد اليونان فانتخب رئيساً لحكومة اليونان سنة ١٨٢٧ ولم تطل المدة حتى نقم عليه الأهالى ونشبت حرب داخلية وأخيراً فتك بعضهم بكابوديستيراس سنة ١٨٣١

ولما انعقد مؤتمر فيناً الدولى سنة ١٨١٥ قدمت الروسية الى ذلك المؤتمر احتجاجاً على أعمال الأتراك القاسية في صربيا لكن المؤتمر لم يطل النظر في هذه المسئلة وسنة ١٨٢٨ تقترن توسطت الروسية لدى الباب العالى في أمر اليونان وطلبت رفع الجور عنهم ولما لم تقترن هذه الوساطة بنتيجة أعلنت الروسية الحرب على تركيا وظهرت عليها في تلك الحرب واجبرتها على عقد معاهدة أدرنه . وكانت الروسية هذه المرة لا تطالب بنثر عقد السلطنة العثمانية كالعادة وكان ناظر خارجيتها يقول : « لا شيء أنفع لنا من مجاورة دولة ضعيفة كهذه » فكانت في هذه النو بة متفقة مع النمسا على عدم التقسيم

وكان «كابوديستيرياس» وقتئذ رئيساً لحكومة يونان فقدم الى الامبراطور نقولا تقريراً في ٣١ مارس سنة ١٨٢٨ يقترح فيه التشكيلات الآتية:

(۱) مملكة للفلاخ والبغدان مستقلة (۲) مملكة ثانية مؤلفة من صربيا و بلغاريا وبوسنه (۳) مملكة ثالثة مركبة من تراقيا ومقدونية والجزر التي أمامها في الارخبيل (٤) مملكة مشتملة على ابيروس والبانيا (٥) مملكة مركبة من بلاد اليونان والجزر (٦) القسطنطينية مدنية حرة ومركز لهذه الممالك الجس المرتبطة

ولقد أعيد البحث في برنامج كهذا سنة ١٨٥٣. وان كان «كابوديستيرياس» لم يطلب ضم مقدونية وتراقيا الى بلاد اليونان فقد اعتاض من ذلك باقتراح خمس ممالك ثلاث منها يونانية فحفظ الأكثرية في العاصمة لقومه. وقد أمر الامبراطور نقولا بتأليف لجنة للبحث في اقتراحات الرئيس اليوناني مؤلفة من البرنس «كوتشوبي» والمسيو «داشكوڤ» و « بو زودي بو رغو » فقرروا بالاتفاق ان استقباء السلطنة العثمانية أولى وأقل ضرراً من القضاء عليها وغاية مافي الأمر انه يجب عقد صلح شريف معها. فانعقد الصلح في مستمير سنة ١٨٧٩

ثم المشروع الواحد والسبعون وصاحبه المطران « دو برادت » De Pradt وتاريخه

وكان هذا المطران سفيراً المرنسة في بولونيا وقد كتب سنة ١٨٢٨ كتاباً استجلب فيه نظر دول أور بة الى الاكتراث للخطر السلاقي . وقال ان لاؤور بة سيدين أحدهما بحرى وهو انكلترة والآخر برى وهو الروسية . وتذكر كلة نابليون وهي : «من الآن الى . ه سنة تكون أور بة اما قو زاقاً أو جهو رية»

قال « دجو قارا » كل التكهنات لاتصح ولو تكهنها عبقرى كبير مثل نابليون . قلت:قد مضى على هذا الكلام نحو من ١٧٠ سنة ولم تتحول أوربة قوزاقاً ولاصارت كها جهوريات بل صارت نفس الروسية جهورية . واية جهورية ! جهورية شيوعية

أما « دو برادت » فكان برنامجه الاستعانة لصد خطر السلاڤ باليونان لابالترك وان هؤلاء تكون لهم السيادة التي للترك في البلقان . ونسى حضرة الاسقف الجليـل رومانيا و بلغاريا وصربيا والبانيا الح كأن كل هذه لم تكن

ثم المشر وع الثانى والسبعون وصاحبه افرنسى مجهول وتاريخه ١٨٢٨ ومحرر هذا البرنامج معتقد انه لامناص من زوال تركيا وانه يخشى من استئثار الروسية بالقسطنطينية واستيلائها على المشرق. فلذلك هو يقترح اعطاء النمسا بلادالبلغار والصرب و بوسنه وكر واسيا والبانيا العليا على أن تعطى النمسا الى ايطالية الولايات التى أهلها طليان من بلاد النمسا. ثم يقترح اعطاء عائلة ساڤواى بلاد لومبارديا والبندقية و پارم ومودين. و بمقابلة ذلك تتخلى مملكة ساڤواى عن صردانية لفرنسة. ثم يقترح تأسيس عملكة اسمها مملكة البوسفور مركبة من الاستانة والروملي ومقدونية وشواطئ البوسفور وتكون هذه المملكة تحت تكافل جميع أور بة ويكون المرور بالبواغيز حراً وبدون دفع رسوم. وملك الاستانة يكون دوق مودين، وأما الروسية فيكون لها الفلاخ والبغدان دفع

ثم المشروع الثالث والسبعون وصاحبه « دو بولينياك » De Polignac وتاريخه

وكان هذا من نظار دولة فرنسة تولى نظارة الخارجية ورئاسة الوزراء وفى أيامه ساد الاعتقاد بائن تركيا مُنْهارة لامحالة ولذلك حرر ميترنيخ وزير النمسا برنامج تقسيم لتركيا قدمه الى بطرسبرج و برلين وخشية أن تتفق فرنسة مع الروسية أخرج فرنسة بلاحصة . فأسرع امبراطور الروسية باطلاع فرنسة على اقتراح النمسا وردَّ هذا الاقتراح بتاتاً .

وكان « نسيارود » وزير الخارجية الروسية أرسل سؤالا باسم الامبراطور الى جيع الدول وذلك سنة ١٨٢١ يسائل كلا منها رأيها في كيفية تقسيم سلطنة آل عثمان . وكان معنى ذلك اظهاره الرغبة في القضاء عليها . فأجابت فرنسة بطلب برنامج هذا التقسيم من الروسية في ضمن معاهدة . فامتنع القيصر عن اعطاء ذلك . ثم مات القيصر اسكندر وخلفه القيصر نقولا . وكان شاتو بريان الكاتب الشهير مديراً لزمام الخارجية الافرنسية وكان هواه مع الروسية فأرسل الى القيصر يقول له : « اذا شئت الذهاب الى الاستانة فادخل مع الدول المسيحية في قسمة عادلة لتركية أور با»

ولما كان بولينياك في وزارة فرنسة سنة ١٨٢٩ و بلغه اقتراح أوستريا تقسيم تركيا بدون انصاف فرنسة عهد الى المسيو « بوالوكونت » Bois-le-Comte مدير الأمور السياسية « م ٢٠ ـ ثالث »

فى الخارجية بتحرير لائحة فى هذا الموضوع. فرر هذا لائحة مؤداها أنه ما من دولة ترضى باستيلاء الروس على الاستانة والبواغيز. ولذلك يجب تأسيس دولة مسيحية فى القسطنطينية وان ترضى الروسية بالفلاخ والبغدان وبارمينية وطرابزون. وتُرضى بروسية بالساكس وهولاندة وان تكون المستعمرات الهولاندية لانكلترة وان يرسل ملك هولاندة ملكاً على القسطنطينية وان تخرج أوستريا من اسلاب تركيا ببوسنه وكرواسيا ودالماسيا والهرسك. وأما فرنسة فتأخذ بلجيكا ولوكسمبورغ والالزاس واللورين وقدماً من هولاندة

و بعد أن تذاكر مجلس نظار فرنسة مدة ثمانية أيام في هذا المشروع صدَّقه وأرسل بولينياك الى الروسية يسألها رأيها فيه . ولكن كانت الروسية اذ ذاك قد قررت الصلح مع تركيا . فبط هذا المشروع واعتاضت فرنسة بفتح جزائر الغرب في أيام كارلس العاشر والفد ثبت أن بروسية اعترضت على برنامج بولينياك هذا وأبلغت اعتراضها عليه الى باريز و بطرسبرج . وقد كان لهذا المشروع أعظم نصيب من انتقاد المؤرخين حتى الفرنسيس منهموقالوا : «لو لم توجد وثائقه في أوراق نظارة الخارجية لما كان الانسان يصدق أن حكومة فرنسة تقترحه . وقالوا انه لو بوشر بشر به لأدكى الى حرب عامة »

وكتب الكولونل « روتيه » Rottiers سنة ١٨٢٩ في « رحلة من تفليس الى القسطنطينية » الجلة التالية :

«لقد بينت مراراً الضلالات الشنيعة التي يبني عليها بعضهم برامج استئصال جيع المسامين أو اجبارهم على الجلاء »

ثم المشروع الرابع والسبعون وصاحبه الجنرال « دور يشمون » De Richemont وتاريخه سنة ١٨٢٩

وكان هذا من نواب البرلمان الافرنسي واقتراحه هو أن تأخذ الروسية الاستانة وان تأخذ اوستريا البانيا العليا وصربيا و بوسنة وتنزل عن سيليزيا لبروسية . وان تأخذ بروسية ماعدا سيليزيا مملكة الساكس ونصف هنوڤر . وتأخذ هولاندة النصف الثاني من هنوڤر . وتأخذ باڤاريا بلاد سالتزبو رغ . وتأخذ انكلترة جزيرة كريد . ويكون نصيب فرنسة بلاد الرين ولوكسمبو رغ و بلجيكا

ثم المشروع الخامس والسبعون وصاحبه « بر ونيكوڤسكي » De Rronikoveski وتاريخه سنة سهم ۱۸۳۳

وقد كان هذا الرجل كاتبا ألمانيا من درسدن وخدم فى جيش بروسية ثم فى جيش فرنسة عند ما كان الفرنسيس فى بولونيا و برنامجه يقرب من برنامج « دوفو » المتقدم الذكر وهو مبنى على تقسيم تركية أو ربة و تجديد قوة بولونيا و وضعها حاجزاً حصيناً فى وجه الروسية . ولا يشير هذا الرجل بهدم السلطنة العثمانية فى آسية بل يقتصر على ايجاب تسليم ولايات الدانوب لاوستريا بمقابلة اعادة اوستريا بلاد غاليسيا لبولونيا . و يقول انه يجب أن تعاض تركيا من ذلك بأخذ بسارابيا والقريم و بلاد القوقاس . فكأن مقصوده كله هو توقيف تقدم الروسية

ثم المشروع السادس والسبعون وهو المنسوب الى الامبراطور الروسى نقولا الأول وتاريخه سنة ١٨٥٣

كانت نظارة الخارجية الانكليزية نشرت وثائق فى احدى جلسات البرلمان سنة ١٨٥٤ يظهر منها ان القيصر الروسى نقولا اقترح على انكلترة اقتسام سلطنة آل عثمان لكن الوزاء كتموا هذا الاقتراح ولم يفشوه الافى جواب على كتابة ظهرت فى « جو رنال دوصان بطرسبو رغ »

فنى ليلة سمر عند الغراندوقة هيلانة الروسية p يناير سنة ١٨٥٣ قال الامبراطور نقولا للسير هاميلتون سيمو ز سفير انكلترة مايلي :

« تأمل . نحن بين أيدينا رجل مريض ومريض جــــــ ويكون بالفعل و بالا عظيماً علينا ان خرج أمره ومن ايدينا»

ثم استدعى الوزير «نسلرود» السفير المذكور الى حضرة القيصر فى ١٤ ينابر فقال له أيضا : \_\_

« انت لا تجهل المقاصد والمرامى التي لا تزال في الروسية من عهد كاتر ينا . وخلاصة الأمر ان تركيا هي على مقر بة منا وان فيها عدة ملايين من المسيحيين من وظيفتي السهر على مصالحهم و بيدى معاهدات تعطيني هذا الحق . ونحن أمة تلقينا ديانتنا عن الشرق وعلينا واجبات لا يمكن التغابي عنها . وحالة تركيا هي كما قلت لك من قبل و برغم مانريده

من بقائها يجوز أن تموت بالرغم منا وتبق عبئا علينا وليس في استطاعتنا نشر الموتى (١) أفلا يكون الأفضل بحقنا تفادياً من حرب أور بية ان نتفق من قبل على أمرها حتى لا نؤخذ على غرَّة ? وانى أقول لك بكل صراحة اننا ان استطعنا انا وانكاترة ان نتفق في هذا الموضوع لم يهمنا الآخرون . وانا لاا كتمك انه ان كان في نية انكلترة الاستيلاء على الاستانة فلن أتحمل ذلك . لاأقول ان لكم هذه النية ولكني أقول ان صحت هذه النية فلن أكون راضياً . وأنا نفسي أتعهد أيضاً بأن لا أحتاها مالكا وأما بصورة موقتة على سبيل الاستيداع فقد أرضى . وأما اذا بقيت الأمور بدون قرار بشائها فقد يجوز اني احتلها قولاً واحداً »

فالانكليز لم يأمنوا للفرق الذي بين « التملك » و « الاستيداع » الموقت و رفضوا مطالب القيصر. وفي ٢٠ فبراير سنة ١٨٥٣ تلاقي السفير سيمور مع القيصر عند القيصرة وقال له:

«ليسمح لى جلالنك بالفول بانه ليس عندنا أدنى سبب للظن بائن المريض هو على شرف الهلاك »

فاخذ القيصر شي من الحدة وأجابه: «اذا كان عند حكومتك أمل بأن تركيا لاتزال فيها عناصر حياة فتكون المعلومات التي لديها غير صحيحة. وانا اؤكد لك ان المريض هو في حالة الاختصار وانه لا يجوز أن يموت ونحن غافلون بل يجب أن نتفق من قبل وأنا واثق بأننا نقدر أن نتفق ولست اكلف كم عقد معاهدة أو تحرير صك وانما أطلب كلة اتفاق عامة وهذا كاف فيما بين الرجال الاكياس » وقد كتب السير سيمور لحكومته بعد سماعه خطاب القيصر للرة الثانية بهذا الالحاح قائلاً: «لم يبق شك في أن الملك الذي يتكلم بهذا الاصرار كله على موت دولة تجاوره يكون مقصده لاانتظار موتها كما يزعم بل تعجيله. ومرمى القيصر هو جرا انكاترا واوستريا الى اتفاق مع الروسية على تقسيم تركيا بدون أن تدخل في ذلك فرنسة »

وقد صرح القيصر من أخرى بجميع أفكاره قائلا « انه لايوافق أبداً على احتلال فرنسة أو انكلترة للقسطنطينية ولا يوافق أيضاً أبدا على تجديد سلطنة بيزنطية ولا على توسيع عملكة اليونان بحيث تصبح دولة منيعة الجانب ولا يوافق أيضاً على تقسيم تركيا

<sup>(</sup>١) مضى على هذا الـكملام تسع وسبعون سنة ولا تزال تركيا في الحياة و بيدها القسطنطينية

جهوريات يتسلم أزمتها ثوار من أمثال «كوشوت» Kossuth (زعيم مجرى) و «مازينى» المعتدن الم

ومعنى هذا أن القسطنطينية يجب أن تدخل في حوزة الروسية ثم أنه يدخل القيصر في التفاصيل مخاطبا سفير أنكاترة فيقول:

« تكون الفلاخ والبغدان مملكة مستقلة تحت جايتي . وتكون صربيا حكومة مثلها أيضاً . وتكون الفلاخ والبغدان مملكة من هذا النمط اذلا مانع يمنع من استقلاها . وأما مصر فانى لاأجهل أهميتها بالنسبة الى انكلترة ولا أرى مانعاً من أنه اذا سقطت السلطنة العثمانية ووقعت المقاسمة بيننا تخرج مصر في نصيب انكلترة . وكذلك جزيرة كريد التي توافقكم » فاما انكلترة فن أول الأمر رفضت تقسيم تركيا . وأرسل اللورد « جون روسل » ناظر الخارجية جوابا في ٩ فبراير سنة ١٨٥٣ صريحاً في الرفض . فأجابه نسلرود و زير الروسية بمذكرة تاريخها ٧ مارس يحاول فيها تسكين خاطر الحكومة الانكليزية و يقولان الأحاديث التي جرت بشأن تركيا « ان هي الا تبادل أفكار والامبراطو ر لايرى من الضرورة الكلام في هذه المسئلة قبل حاول أوانها »

بيد أن الحكومة الانكليزية التزمت في هذه المسئلة الجلي تمام الصراحة خشية سوء التفاهم فيما بعد . فأرسلت الى الروسية مذكرة واضحة تاريخها ٢٥ مارس سنة ١٨٥٣ تقول فيها :

« ان حكومة الملكة عامت عزيد السرور ان الامبراطور يكترث أكثر من انكلترة نفسها لمنع نازلة تنزل بتركيا لأن حكومة الملكة مقتنعة بأنه على سياسة جلالة الامبراطور يتوقف تعجيل أو تأجيل هذا الحادث الذي لجيع الدول الاور بية مصلحة في منع وقوعه . ثم ان انكلترة لاتريد تبسطاً في الارض ولا تقدر أن تدخل في اتفاق من هذا القبيل ولا أن تشترك في مفاوضات ومكاشفات يجب أن تبقي مكتومة عن بقية الدول . وكل ماتراه حكومة الملكة هو أن تركيا لاتحتاج الا الى شي من التسامح من جهة حلفائها وان هؤلاء لا يتخذون بازائها خطة تمس من كرامة السلطان أو استقلاله وانه يجب أن تعامل بالرفق الذي هو حق الضعفاء على الأقوياء سواء كان بين الدول أو بين الأشخاص » اه

وفى ٥ ابريل سنة ١٨٥٣ أرسل اللورد «كلارندون » باسم انكلترة الى الروسية مذكرة جديدة معناها « انه من العبث وضع هذه المسئلة موضع المذاكرة » فأجابه «نسارود» وزير الروسية جواباً متغير اللهجة عن ذى قبل قائلا فيه : « ان الامبراطور مستعد للسعى بالاتفاق مع انكلترة في اطالة حياة تركيا وترك كل سبب ارجاف من جهة انحلالها »

وكانت جميع هـــذه المحاورات سرية ولم يكن متوقعا أن تتعدى خارجيتى لندن و بطرسبو رغ لولا حادث طرأ .

وهذا الحادث هو أن الحكومة الروسية قرأت خطبة للورد جون روسل ألقاها فى مجلس العموم الانكليزى سنة ١٨٥٤ فأجابت عليها بمقالة ما هما الاشارة الى المفاوضات المار ذكرها والادعاء بائن القيصر كان دائماً صريح اللهجة صادقاً بحق انكلترة

فعند ذلك اضطرت الحكومة الانكليزية الى نشر جيع المذكرات التى تبودلت بشائن تقسيم تركيا . وكان لذلك دوى عظيم فى العالم . وقال المسيو « روسه » Rousset صاحب تاريخ حرب القريم : « انه لم يوجد أمام العالم وأمام التاريخ ملك حل عمداً واختياراً من التبعة ماجله الامبراطور نقولا »

وقد عقب ذلك حرب القريم وتحالف فرنسة وانكلترة وتركيا على الروسية وانتهاء الحرب بصلح باريز سنة ١٨٥٦ و بعد هذه الحرب نالت رومانيا استقلالها الداخلي

ثم المشروع السابع والسبعون وصاحبه « داندولو » Dandolo وتاريخه سنة ١٨٥٧ وهذا المشروع يقرب من مشروع « كابوديسترياس ) ومؤداه انه بعد طرد الترك من أور بة تؤسس الدول العظام خس ممالك في الشرق ، بلاد اليونان مع سلانيكوجبل آتوس والجزر المصاقبة ، ابيروس والروملي الى أدرنة الى البحر الأسود سم الفلاخ والبغدان الى حدود الروسية من جهة واوستريا من جهة أخرى ٤ بوسنه وصربيا والجبل الأسود والهرسك ، جرائر اقريطش وقبرص وساموس وما يتبعها والقسطنطينية مدينة حرة لكن يونانية وكان « داندولو » من اليونا نيين المتحمسين

ثم المشروع الثامن والسبعون وصاحبه « دالبونو » D'Al.Bonneau وتاريخه سنة ١٨٦٠

وكان « دالبونو ) كاتباً افرنسياً له تا ليف عن المشرق

وكان يذهب الى وجوب سد طريق البوسفور على الروسية حتى لاتصل الى البحر المتوسط. ولكنه كان يريد ارجاع المملكة البيزنطية الرومية بحجة أن الروم هم كانوا السبب في مجيء الترك وانه يوجد بين الروم والسلاف عداوة شديدة. وأما نصب أمير أجنبي على القسطنطينية كما كان يشير به لويس الرابع عشر فلا يو رث عنده الا الفوضى. وكذلك تقسيم تركيا دونه مشكلات ومعضلات لايمكن حلها. والخلاصة انه يو افق على جعل الاستانة مدينة أو ربية تحت ملاحظة مجموع الدول التي ترسل كل منها اليها مندو با وتكون حرية المرور بالبواغيز مطلقة للجميع. وتؤسس دولة سلاقية واحدة وتستولى الروسيه على الرمينية. وتضاف تساليا ومقدونية والبانيا واقر يطش الى مملكة اليونان. وتكون قبرص الملكة البيامون

ثم المشروع التاسع والسبعون وصاحبه « بيتزيبيوس » Pitzipios وتاريخه أيضا سنة ١٨٦٠

وهذا رجل يو نانى كان أشد أصحاب هذه المشروعات التقسيمية تخيلًا كما سترى: - القسطنطينية مدينة حرة ومركز للدولة الحلفية الشرقية وفيها مؤتمر دائم تتمثل

فيه جيع دول أور بة وافريقية وآسية وأمريكا

٢ علكة الفلاخ والبغدان

٣ عملكة السلاف: الصرب والبلغار والجبل الاسود و بوسنه والهرسك.

عملكة الأروام: تراقيا ومقدونية وابيروس وتساليا وألبانيا والمورة

ه مملكة جزائر الارخبيل: كريد. قبرص. رودس. مدللي. ساموس. كورفو

٢ علكة مصر

٧ عملكة تونس وطرابلس

٨ علكة يون من اليونان

p علكة الأرمن

١٠ المالك السورية أي المملكة الساوقية القديمة

١١ مملكة قرمان والأكراد أي ممالك الماديين والفريجيين والغلاطيين والكبادوقيين

١٢ ملكة العراق أي عرب آسية والاثوريين والكلدانيين

١٣ علكة التركمان

١٤ الملكة العبرانية أي فلسطين

١٥ علكة اللاز

قال دجو قارا: انه لم يكن كافياً وجود مقدونية التي لم تزل شغلاً شاغلاً لأور بة حتى جاء « بيتزيبيوس » يخلق لها مقدونيات جديدة يزعم أنه يتحالف فيها الساوقيون والماديون والفريجيون والغلطيون والكبودقيون والكلدانيون والاثوريون واليهود واللاز و يجلس معهم ممثلو افريقية وأمريكا! فياللحاقة

ثم المشروع الثمانون وصاحبه « راتوس » Rattos وتاريخه أيضاً سنة ١٨٦٠ وهو يونانى حذا حذو « بيتزيبيوس » فى كثرة تقسيماته وانما امتاز عنه ببقية عقل وانصاف حلته أن يترك شيئا للاتراك العثمانيين

## و برنامجه هو هذا:

- ١ الاستانة مدينة حرة مع شواطئ البوسفور والدردنيل
- المملكة التركية تصير مشتملة على جيع البلدان التي جنوبي جبل طورس مثل سورية وفلسطين و بلاد العرب ومصر وطرابلس وتونس . وقال ان العاصمة يجب أن تكون دمشق أو القاهرة أو الاسكندرية
  - ٣ المالك التي تؤخذ من الترك في الأناضول ومعها أرمينية
    - ٤ مملكة اليونان ومعها تساليا والبانيا ومكدونية
      - ه مملكة الفلاخ والبغدان ويكون لها أمير
        - ٢ علكة الصرب ولها أمير
        - ٧ بوسنه والهرسك ولها أمير أو أميران
          - الجبل الاسود وله أمير
        - بلغاريا والروملي وها أمير أو أميران
        - ١٠ أرمينية وعاصمتها ارضروم ولها ملك
    - ١١ مملكتان يونانيتان في الأناضول لكل منهما ملك
  - ١٢ مجلس عام لهذه المالك يكون التمثيل فيه على نسبة عدد الآهالي

قال دجوڤارا: ان راتوس جعل في برنامجه ملوكاً للاروام بل للارمن لكنه لم يسمح للفلاخ والبغدان والصرب والبلغار الا بامراء

قلت: هذا البرنامج والذي قبله لا يستحقان الذكر الاكا مُطروفة

ثم المشرووع الواحد والثمانون وصاحبه « ستفانوڤيتش » Stephanowitch وليس له تاريخ .

وهو على نمط المشروعين السابقين تقسيمات خيالية . وصاحبه يقترح حكومة حلفية يو نانية سلاڤية ذات مجلس مركب من ثمانية أعضاء رئيسه نائب للقيصر الروسي

ثم هناك سلطنة يونانية مركبة من تراقيا وتساليا و بلاد اليونان وجزر الأرخبيل ومملكة مركبة من صربيا ونوڤى بازار

ومملكة تتألف من دالماسيا والهرسك والجبل الاسود يليها أمير الجبل

ومملكة ألبانيا ويتولاها أمير روسي

ومملكة رومانيا

وامارة بلغاريا ويليها أمير روسي

ومملكة فريجيا (في الأناضول)

ومملكة البونت (طرابزون)

وتملكة ارمسنة

والسلطان العثماني بذهب الى بغداد

وسورية تعطى الى الأمير عبد القادر الجزائري

ومصر تصير ولاية فرنسوية

وقبرص تكون عملكة

وأزمير تكون مدينة حرة . والقسطنطينية مدينة حرة وفيها مركز المجلس العام لجيع هذه المالك

ثم المشروع الثانى والثمانون وصاحبه الكومندور « نيغرا » Nigra وتاريخه سنة ۱۸۹۲

وكان نبغرا هذا طليانيا ومبدأ ظهوره في خدمة «كاڤور» وزير ايطاليا المشهور

ثم صار سفيراً لا يطاليا في باريز ثم في بطرسبوغ ثم في ڤينا ومات في «رابالو» سنة ١٩٠٧ وكانت الحكومة الروسية سنة ١٨٦٣ أجرت احصاء في بولونيا تبعه من العسف والظلم ما حل البولونيين على العصيان وتدخلت الدول في الأمر. فاقترح نابليون الثالث عقد مؤتمر في باريز وأجابه اليه الانكليز والبابا وايطاليا واسبانيا والسويد. وأرسل نابليون الثالث الى اوستريا يعرض عليها أخذ سيليزيا والتخلي عن غاليسيا التي كان يريد اعادتها الى بولونيا واحياء مملكة بولونيا من جديد. وكذلك عرض على اوستريا امارتي الفلاخ والبغدان على شريطة أن تترك البندقية لايطاليا ويقال ان هذه الأفكار كانت أفكار نيغرا وكان هو الذي ير وجها في باريز

ولكن انكاترة واوستريا كانتا معارضتين لهذه الفكرة. وكانت ايطاليا اتفقت مع بروسية سنة ١٨٦٦ على اوستريا وفي الوقت نفسه استدعى أهل رومانيا الأمير كارول من آل هو نصولرن وجعلوه أميراً عليهم ثم صار فيما بعد ملك رومانيا. ولم يفلح نيغرا في تقديم رومانيا لاوستريا عوضاً عن البندقية

ثم المشروع الثالث والثانون المنسوب لغار يبالدى Garibaldi وتاريخه ١٨٧٣ يقال ان القائد الايطالي الشهير غاريبالدى ترك بين أوراق برنامج تقسيم للسلطنة العثمانية وقد تكلم عن هذا البرنامج « انريكو كروس » في رسالة نشرها تحت عنوان « وصية سياسية للجنرال غاريبالدى »

ما آل هذه الوصية اتحاد بين اللاتين والسلاف على الجرمانيين. ففرنسة يجب أن تصل الى الرين وايطالية يجب أن تأخذ تريستى وكاتار و وبولونيا يجب أن تعيش وتشيكوسلوڤا كيا ينبغى أن تكون جهورية عاصمتها براغ. ثم تكون جهورية بلقانية سلاڤية عاصمتها الاستانة وتتوسع حدود رومانيا. وتكون اليونان دولة قو يةوترفع عن البحر المتوسط السلطة التي لانكلترة وتعود الداعرك فتحتل «شلسڤيك هولشتين» وتحصر ألمانيا بين نهرى الرين و « الاودر » Oder و يرجع الترك الى برسا ثم يذهبون مع طول الوقت تماما وتتقسم اوستريا أقساما على حسب الأجناس التي فيها

قلت قد صح كثير من هذا البروغرام مثل أخذ ايطاليا لتريستي واستئناف استقلال ولونيا واستقلال بلاد التشيك وتوسع مملكتي رومانيا واليونان واسترداد الدانمرك ولاية

« شلسفيك هولشتين » وتمزق اوستريا قطعا متعددة بحسب الأجناس التي فيها . كل هـذا قد تم على أثر الحرب العامة الا ان اتصال فرنسـة بالرين واخراج الترك من القسطنطينية وخضد شوكة انكاترة في البحر المتوسط فلم يتم منها شيء

ثم المشروع الرابع والثانون وصاحبه الكونت «غريبي » وتاريخه ١٨٧٣ وكان غريبي Greppi هذا مستخدما في سفارة اوستريا في رومة و بعد ذلك صار سفيراً لايطالية

ونشر رسالة عن المسئلة الشرقية قال فيها: ان القسطنطينية يجب أن تكون للجميع مدينة حرة مستقلة ولا يتبعها الا البوسفور

ثم يجلس فى الاستانة عملو الاتحاد اليونانى السلاقى وتضاف مقدونية وتساليا وابيروس الى اليونان ويكون لجزر الارخبيل استقلال داخلى لكن ضمن دائرة الاتحاد المذكور ولكن يكون لكل من الدول العظام قاعدة بحرية فى إحدى الجزر لتتمكن من السهر على التوازن فى الشرق ?

ثم المشر وع الخامس والثمانون وتاريخه ١٨٧٥ وصاحبه مجهول

وقد ظهرت به نشرة أثناء الحرب الروسية التركية وما هما انه يحصل قريدا انقلابات في شرقى أور بة فبوسنه والهرسك تصيران الى اوستريا أو الى الجبل الاسود والصرب. والفلاخ والبغدان والروملي وتراقيا تصير الى الروسية. والبانيا ومقدونية وتساليا تضاف الى مملكة اليونان. والصرب والجبل الاسود يستقلان تماما. ومصر تصير مملكة

ولكن صاحب النشره يشير بجعل الاستانة مركزاً لاتحاد شرقى مركب من خس عمالك اليونان ومعها البانيا ومقدونية وتراقيا والجزر. ثم الصرب و بوسنه . ثم الهرسك والجبل الاسود . ثم البلغار . ثم رومانيا

ثم المشروع السادس والثمانون وصاحبه أيضا مجهول وهو محرر بالألمانية ، و بدون تاريخ

وصاحبه يريد دحر الاتراك الى آسية وتخليص صربيا ورومانيا ومصروتونس وطرابلس منهم. ويشير بجعل الدردنيل والبوسفور وقناة السويس ونهر الدانوب ممار حرة للجميع وان تأخذ الروسية بلغاريا والدبروجه وارمينية وتأخذ اوستريا قسما من البانيا

مع بوسنه والهرسك وتأخذ اليونان تساليا ومقدونية وقسما من البانيا وتعتاض فرنسة وايطالية من جهة افريقية وتعتاض انكلترة من جهة آسية الصغرى

ولقد صح من هذا البروغرام أشياء مثل اعتياض فرنسة وإيطالية من افريقية فان فرنسة من بعد الجزائر استولت على تونس ثم على مراكش وإيطالية استولت على طرابلس وانكاترة بدلا من آسية الصغرى احتلت مصر وفلسطين وتكبير بلاد اليونان قد حصل كما قال

ثم المشروع السابع والثمانون وصاحبه « رولين » Rollin وتاريخه ١٨٧٦

وهو منشور في رسالة عنوانها « الحل العملي لمسئلة الشرق » نشرها صاحبها عند ثورة الصرب والرومانيين على تركيا

وهو يقترح طرد الترك الى آسية وان تحتـل أملاكهم فى أور بة انـكلترة وأوستريا و بروسية والروسية . وان تحتل هـنه الدول أيضاً القسطنطينية وادرنه والروملى وكريد . وان يعطى الاستقلال لجيع أقسام تركية أور بة و يكون لها مجلس عام

ومن تأمل في هذا البروغرام الذي انتحل له صاحبه اسم « الحل العملي » وجده أبعد الأشيا عن « الحل العملي » لاسباب لا تحصي لا تخفي عن السياسي الخبير

ثم المشروع الثامن والثانون وأصحابه آل تستا Testa وتاريخه ١٨٧٦

وهم يشيرون باراء لم نجدها الا من باب التسكين الموقت وذلك كاعطاء بوسنه الى صريبا لكن مع بقاء سيادة الباب العالى عليهما . واعطاء الهرسك الى الجبل الاسود . وان تجعل مجالس كبيرة للروملي والبانيا و بلغاريا ينتخب السلطان رؤساءها بشرط أن يكونوا من المسيحيين

وال تستامن الالمان

ثم المشروع التاسع والثمانون وصاحبه « ماتياس بان » Mathias Ban وتاريخــه سنة ١٨٨٥

وولد « بان » هذا في راغوزا ومات في بلغراد سنة ٣٠٩٠

ورأيه أن الاتفاق متعذر في شبه جزيرة البلقان الا أنه يمكن أن يصار الى التشكيلات الكنسية. ففي القديم لم يكن الا الكنيسة الميزنطية الرومانية ثم جعاوا كنيسة

صربية وكنيسة بلغارية ثم عند دخول الترك الى القسطنطينية الغوا بطريركيتى البلغار والصرب. فيجب أن تعادا كما بدأتا وان تضاف الروملى الى بلغاريا تحت سيادة الباب العالى. وتعطى الى الصرب « ودين » و « ساموكوڤ » و بعض أماكن من بلاد البلغار. وتسلم الى اليونان والجبل الاسود البلاد التى تقررت لهما بموجب معاهدة برلين

ثم المشروع التسعون وهو خبر جرائد تاریخه سنة ١٨٩٦

نشرت جريدة الدالينيوز الانكليزية والبرلينرتا غبلاط الالمانية خبراً معناه أن الروسية متحفزة لاحتلل ارمينية وجل الدول على تقسيم تركيا . وذلك على أن تأخذ الروسية القسطنطينية والولايات التركية الشرقية الى أن تنفذ من اسكندرونة وأن تأخذ فرنسة سورية وفلسطين . وتأخذ انكاترة مصر وسواحل الخليج الفارسي والكويت . وتستولى النمسا والمجرعلي بوسنه ومكدونية . وايطالية على طرابلس . واليونان على كريد والجزر

ثم المشروع الواحــد والتسعون وصاحبــه « فون سيكادوف » Von Sydakof وتاريخه سنة ١٨٩٨

وهو محرر بالالمانية وكان محرره من كتاب الصحف في ڤينا . و بعد أن ذكر ثورات البلقان وكريد وغيرها والحرب التركية اليونانية قال ان الروسية ستعود الى تأريث نار الحرب الصليبية على الاسلام . كما أن الالبانيين من مسييحيين ومسلمين يطلبون استقلالاً داخلياً تحت سيادة الباب العالى . وكما أن المسيحيين في مقدونية لا يزالون يطالبون باصلاحات لا يعمل منها الباب العالى شيئاً . فلا مناص من النظر الى هذه الحالة . فهو يرى قسمة البلقان الى شطرين شرقى وغربي (١) الفاصل بينهما « الستروما » و « الواردار » بحسب استعداد الأرض . فتكون حصتها اليونان والصرب في الشطر الغربي . وتبقى البانيا وقسم من مقدونية فتديرهما أوستريا كما أدارت بوسنه والهرسك . وتتحد هذه المالك البلقانية مع أو ستريا \_ هنكاريا اتحاداً اقتصادياً

وأما فى الشطر البلقانى الشرقى فتتحد بلغاريا مع رومانيا تحت تاج الملك كارول ويكون لهما مقدونية الشرقية وتكون لهما القسطنطينية. وقال انه ان لم تكن البلقان أوربية صارت أوربة كلها روسية. فهذا هو الحل الوحيد للسئلة والطريقة الوحيدة لمنع الروسية

<sup>(</sup>١) قد تقدم مثل هذا الرأى

من تكدير صفو السلام العالمي

و بعد ظهور هذه النشرة بسنة ظهرت نشرة بامضاء «غورلوف » فيها أنه يجب اعطاء الاستانة والبوسفور وغالبسيا للروسية . وترانسيلڤانيا لرومانيا . وجنو بى البانيا لليونان . والجبل الاسود و بوسنه والهرسك للصرب . وتراقيا مع ادرنه الى تشاطلجه لبلغاريا . وأن تستقل كل من المجر و بوهيميا . وما يبتى من اوستريا مع ڤينا يضاف لألمانية

قلت: وقد صح من هذا بعد الحرب العامة اعطاء ترانسيلڤانيا لرومانيا وجنو بى البانيا لليونان والجبل الاسود و بوسنه وهرسك للصرب واستقلال كل من المجر و بوهيميا ( بلاد التشيك ) ويرجح أن ثينا وما بقى من اوستريا سينضم الى ألمانية فى عهد غير بعيد

ثم المشروع الثاني والتسعون وهو روماني Roumain وتاريخه ١٩٠٤

وصاحبه وزير سياسي يخفي اسمه . وهو يشير باتحاد بلقاني تحت رئاسة ايطاليا وذلك لأن الدول البلقانية لا يرضى بعضها رئاسة بعض . والروسية عظيمة جداً ومخوفة . واوستريا قريبة . وانكلترة وفرنسة بعيدتان . فايطالية لهذه الرئاسة أوفق من الجيع

وتتألف هذه الحكومات المتحدة من الولايات التركية القديمة ومن تركية آسية نفسها وتنقسم ولايات تركيا الى ثلاث مناطق: الأولى ألبانيا ومركزها اشقودرة. الشانية مقدونية ومركزها سلانيك. والثالثة تركية أور بة مع القسطنطينية وادرنة. وينصب فى البانيا ومقدونية حكام طليان و يتخذون طرز ادارة سو يسرة وتكون شرطة مسيحية محل الجيش. وتكون الوظائف على نسبة أجناس الأهالى. ويكون مجلس عام مركزه سلانيك أو رومة. ويكون ملك ايطالية هو حامى هذا الاتحاد.

قلت : لعل موسوليني فيما يحلم به من الفتوحات الرومانية يحلم بهذا أيضاً ثم المشروع الثالث والتسعون وهو قسمة القسطنطينية وتاريخه ١٩١٧

لما كان أهم عقدة في قسمة أملاك تركيا هي الاستانة فقد فكر بعضهم في قسمة هذه المدينة نفسها . وسبق الى ذلك جريدة « الاندبندانس بلج » في ٧ يناير سنة ١٩١٦ عن رسالة من سلانيك يقول كاتبها ان الأتراك لا يقدرون أن يصلحوا هذه البلدة الطيبة كما يجب وانه يلزم لهم لذلك عشرة مليارات على مدة ١٥٠ سنة فلا تجدهم يقدرون على انفاق مبلغ كهذا

فاحسن طريقة هي جعلها دولية . فيكون للإلمان حيدر باشا وقسم من الارض الى جهدة آسية . وللفرنسيس بك اوغلى وضواحيها . وللروسية أعالى البوسفور . ولاوستريا غلطه الى البحر وللانكايز استانبول أما ايطالية فقد أغارت على طرابلس الغرب فلم يبق لها حق في حصة من عاصمة تركيا

وهـذا الكاتب لم يفكر في كونه أدخل في الاستانة دولاً سبق أنها أخذت كثيراً من أملاك تركيا وأكثر مما أخذت ايطالية ولا حسب حساب تنازع الدول المذكورة على الحدود ولا تأمل في وجود البوسفور في يد الروسية وما فيه من المحذور

وقد أبقى لآل عثمان حق رئاسة المجلس الدولى وان تبقى لهم القصور التي لهم في الاستانة . فأما عاصمة تركيا الحقيقية فتصير برسا

ثم المشروع الرابع والتسعون وصاحبه المسيو « رالف دونريكت » Ralf De Nerick وهو يشير باعطاء القسطنطينية للبابا و يكون مركزه بها . قال وهذه كانت فكرة قسطنطين الكبير فتأمل

المشروعان الخامس والتسعون والسادس والتسعون هما معاهدتا باريز و برلين الاولى سنة ١٨٥٨ والثانية ١٨٧٨

قال دجوفارا: هـنه كانت في مدة ستة قرون مساعي المسيحيين ومحاولاتهم لمحو السلطنة العثمانية التي كانت من أعظم الممالك التي عرفها تاريخ البشرية. وان لم يكن قد تنفذ برنامج واحد من هذه البرامج الكثيرة بحذافيره فا زال تكرار هذه المساعي وتداول هـنه الأفكار في كل أور بة خلفا عن سلف يعمل عمله تدريجاً و ينقض من بناء السلطنة التركية الى أن انهارت جوانبها

وقال: بعدواقعة ليهانت (١٥٧١) بدأت الدولة العثمانية تتقهقر. وقد أخذت أملاكها في افريقية كمصر وطرابلس والجزائر وتونس تنفصل عنها ولم يبق لها عليها الاسيادة اسمية ثم ان الحروب الكثيرة التي أصلتها اياها كل من الروسية واوستريا نزعت منها المجر (١٦٩٩) وبانات وطمشوار (١٧١٨) وقسماً من الصرب وقسماً من الفلاخ والقريم (١٧٧٤) وبوكوڤين (١٧٧٥) ثم خسر الباب العالى جزر كورفو وأخواتها (١٧٩٧) وكرجستان

( ١٧٩٩) و بسارابيا الى حد نهر البروت (١٨١٧) و بلاد اليونان ( ١٨٢٩) وارمينية القوقاسية . ثم خسر جزائر الغرب ( ١٨٣١) وسنة ١٨٤١ استقلت مصر استقلالا داخلياً وسنة ١٨٥١ استقل الجبل الأسود استقلالا داخلياً أيضاً .

و بمعاهدة باريز ٣٠٠ مارس ١٨٥٦ نالت الاستقلال الداخلي رومانيا وصربيا وتقررت حرية الملاحة في البحر الأسود والمرور بالدانوب. ثم أخذ الانهيار يتتابع ولاسيا بعد حرب سنة ١٨٧٧ و ١٨٧٨ مع الروسية اذ وصل الروس الى ادرنه وأجبروا الباب العالى على قبول شروطهم في ايا استفانو ولكن أور بة لم تصدق هذه المعاهدة وتبدلت بها معاهدة برلين (١٣٠ يوليو ١٨٧٨) فتقرر الاستقلال التام لرومانيا وصربيا والجبل الأسود وصارت بلغاريا امارة تؤدى الى الباب العالى الجزية وانفصلت ولاية اسمها الروملي الشرقية لكن تحت سيادة الباب العالى ثم استلحقها البلغار ( ١٨٨٥) واحتلت أوستريا بوسنه والهرسك مدة مديدة ثم اعلنت ( ١٩٠٨) استلحاقهما . ونزل الباب العالى في آسية للروسية عن باطوم وقارص واردهان . وتخلى عن قبرص لانكاترة

وسنة ١٨٨١ تخلى عن تساليا وقسم من ابيروس لليونان وسنة ١٨٨٦ احتـل الانكليز مصر وكانت قبـل ذلك بسنتين احتلت فرنسة تونس. وسنة ١٨٩٦ نالت كريد استقلالها الداخلي

و بقیت برغم كل هذا بلاد البلقان غیر ساكنة والنار تضطرم تحت الرماد الى أن سقط السلطان عبد الحید ( ۲۶ یولیو سنة ۱۹۰۸ ) و تولت عصبة تركیا الفتاة فاستلحقت أوستریا بوسنه وهرسك

ثم شنت ايطالية الغارة على طرابلس الغرب وهـنه الغارة هي المشروع السابع والتسعون من تقسيم سلطنة آل عثمان

وكان قبل ذلك فى سنة ١٨٩٤ تألفت فى باريز عصبة بروغرامها الحاق كريد باليونان وتأسيس حكومة لمكدونية والبانيا وأخرى لارمينية والأناضول وأخرى للقسطنطينية وتراقيا وان تكون البلدة بلدة حرة ومركزاً للحدومات المتحدة

ثم ظهرت حركة أخرى اتفق فيها بعض البلغار والار ناؤوط على أن تكون مكدونية وألبانيا حكومتين مستقلتين تحت سيادة السلطان لكن الباب العالى رفض هذا المشروع

وكانت الحوادث والثورات تتوالى فى البانيا والروملى والقلق يشتد فى شبه جزيرة البلقان فاهتبلت ايطالية هـنه الغرة وشنت الغارة على طرابلس و برقة بعد انذار أبلغته الباب العالى فى ٢٨ سبتمبر سنة ١٩١١ فاستمرت تركيا فى الحرب مع ايطالية نحواً من سنة وانعقد بينهما صلح لوزان فى ١٨ اكتوبر سنة ١٩١٢ وخسرت تركيا بقية ماكان بق الها فى افريقية

واهتبات دو يلات البلقان الغرة من حرب أيطاليا مع تركيا فتحالفن وهجمن على تركيا: الجبل الاسود فبلغاريا فاليونان فالصرب

قلت واعلن كل من ملك اليونان وملك البلغار منشو راعلى العالم يذكركل فيه الأسباب التي دعت المسيحيين أن يحملوا السلاح لمقاتلة الترك ويشير الى مصارعة الصليب للهلال وغير ذلك من العبارات التي كان ملوك المسيحيين يستعملونها في الحروب الصليبية وتبعهم في ذلك ملك الصرب وسرد تاريخ الجلاد بين الترك والصر بيين و زعم أن تركيا كانت لا تعترف بديانة الصرب وتعارضهم في حريتهم الدينية وتجبرهم على الاسلام! وامثال ذلك من العبارات المهيجة

و بينها مناشير الملوك الثلاثة المذكورين ملائى بذكر العداوة بين النصرانية وتركيا والمصارعة بين الصليب والهلال وجيع الكلمات المثيرة للعواطف اذ صدر منشور السلطان مجمد الخامس ليس فيه كلة واحدة مهيجة ولا جارحة بل كله حث على حفظ ذمار السلطنة وتوطيد نفوذ الحكومة مع الرفق بالنساء والأطفال والشيوخ من الأعداء والتحرج عن سفك الدماء بدون موجب والمحافظة على الأموال والأرواح وأما كن العبادة

وقد نقل المسيو دجوڤارا المناشير الأربعة بنصوصها

ثم ذكر خلاصة الحوادث: \_

في ٨ اكتوبر ١٩١٢ اعلان ملك الجبل الاسود الحرب على تركيا

فى ١٨ « « اعلان ملوك البلغار والصرب واليونان الحرب واحتـلال البلغار جسرمصطفى باشا

في ١٠ ا كتوبر « استيلاء الصرب على بريشتينه

فى ٢٢ « « الصربيون ينتصرون على الترك في كومانوڤو

« م ۲۱ - ثالث »

الأتراك ينهزمون على قرق كليسه	کتوبر ۱۹۱۲	فی ۲۲ ا
استيلاء الصرب على اسكوب	)) ))	فی ۲۲
انتصار البلغار في لوله بو رغاز	)) ))	فی ۲۸
فو ز اليونان في وقعة بنتبيغاديا	نو فبر «	ف ه
سقوط سلانيك	)) ))	فى ٨.
معركة مناستير	» » \ ~	فی ۱۳_
معركة شتالجه	» »	فی ۱۷
جيش الجبل الاسود يحتل آلسيو	)) ))	فی ۱۸
عقد متاركة	ديسمبر «	فی ۳
اجتماع مندوبي الصلح في لندن	» »	ف١٦٥
توقف مفاوضات الصلح	ینایر ۱۹۱۳	ع ف
معركة تنيدوس البحرية	)) ))	ب. رغ
أنور ومن معه يسقطون كامل باشا	» »	فی ۳۲
ويسقط ناظم باشا قتيلاً		
تأليف و زارة محمود شوكة	» »	فی ۲۶
قطع المفاوضات في لندن	» »	فى ۲۲
رفض تركيا التخلي عن أدرنه	» »	فی ۳۰
رجوع المعارك	فبراير «	۳. ف
قبول الترك وساطةالدول	مارس «	فی ۱
فتح اليونان ليانيا	)) ))	فی ۲
اشتداد المعارك في شتالجه	)) ))	فی ۱۸
استسلام جاويد باشا للصرب في «سكومبي»	» »	فی ۲۵
تسليم أدرنه	)) ))	79 B
تركيا ترضى باقتراحات الدول	ابريل «	فی ۱

في ١٠ ابريل ١٩١٣ حصار الدول لساحل الجبل الاسود

فى ۲۲ « احتلال الجبليين لشقودره

فى ٢٥ « « اجبار الدول لملك الجب ل الاسود على

اخلاء شقودره

فى ٣٠ « عقد مواد الصلح الاساسية

وزبدة هذا الصلح ان السلطان يترك جيع الأرضين الواقعة شمالى خط يُضرَب من أنوس الى ميديا ماعدا البانيا . ويترك لامبراطور ألمانيا وامبراطور اوستريا هنكاريا ورئيس الجهورية الفرنسوية وملك انكلترة وامبراطور الروسية وملك ايطاليا الاعتناء بتحديد حدود البانيا مع البلاد المجاورة لها

وكذلك يتخلى لملوك الدول المذكورة عن جميع حقوقه على جزيرة كريد ويترك لهم تسوية القرار اللازم بشأن الجزر العثمانية في الأرخبيل

ولكن هذه المعاهدة بقيت بدون امضاء لأن الدول البلقانية تحاربت بعضها مع بعض بسبب الاختلاف فيما بينها على تقاسم البلاد . وهي حرب لسنا الآن في صددها وقد استوفى حوادثها المسيو دجوقارا فعادت تركيا واستفادت من هذه الفرصة وسيرت جيشا استرجع ادرنه فبقيت لها في أور بة القسطنطينية وادرنه وما بينهما

أى بقى لتركيا فى أوربة زهاء مليون ونصف من السكان بعد أن كان لها أمــــلاك يسكنها اليوم زهاء . ٤ مليون نسمة فى أوربة خلا آسية وافريقية

بقى علينا أن نترجم خلاصة هذا الكتاب تأليف المسيو دجوڤارا الرومانى مؤثرين منقولنا على مقولنا لأنها شهادة من رجل أجنبى عنا بل رجل سياسى مسيحى بلقانى كانت الأمةالتى ينتمى اليها من جلة الأمم التى تحررت من حكم تركيا

## الحلاصة

فال المسيو دجوڤارا مايلي:

« مدة ستة قرون متتابعة كانت الشعوب المسيحية تهاجم الدولة العثمانية . وكان الوزراء ورجال السياسة وأصحاب الاقلام يهيئون برامج تقسيم هذه السلطنة كما تقدم وصف كل برنامج بعينه مما يناهز مائة

الا ان الجاسة الدينية التي كانت تلتهب في القديم فترت بمر ور الأعصر فلم يبق عند هذه الشعوب تلك الحرارة التي كانت تجمعها على غير المسيحيين . وصارت المصالح الاقتصادية والمناظرات بين الملوك تفرق بين أولئك الذين كان الصليب يؤلف بينهم من قبل . فلما جاء الوقت الذي صاروا فيه يتكلمون عن « الرجل المريض » تنبهت المنافسات وثارت المنازعات وتحقق ان احتلالا عسكريا لتركيا سيجر " بلا نزاع الى حرب عامة

ولا نعنى بهذا ان كل فكر فى تقسيم السلطنة العثمانية انقضى أو ان كل أمل فى الاتفاق على اسلابها قد انقطع . فنذ فتح محمد الفاتح القسطنطينية لم تزل الناس تتقول على سقوط سلطنة آل عثمان وفى سنة ١٧٨٤ كتب « دييز » ١١٥٠ سفير بر وسية فى الاستانة ان الر وس لايلبثون أن يأخذوا تركيا فى مدة ١٠ سنوات . وكذلك تنباً نابليون عثل هذا ولم تصدق نبوته

وكانت الدول العظام لاتفكر ان هذه الأمم التي تتألف منها السلطنة العثمانية عكنها أن تدير أنفسها بأنفسها . بل كان عندها ان هذه الشعوب لم توجد الا لتكون تحت حكم الأجنبي . و بقي هذا الفكر عند الدول الطامحة العظيمه الى أيامنا هذه فاذا قلت لبعض رجال السياسة : ان هذه شعوب يمكنها ان تتحرر وتستقل بأنفسها هزأوا بك . ولم أجد سوى رجل واحد نظر الى بعيد وهو المسيو كونستان سفير فرنسة سابقاً في الاستانة فقد كان يقول : «ان المستقبل في الشرق انما هو للشعوب الصغيرة »

على ان السلطنة العثمانية ان لم تكن سقطت كلها دفعة واحدة فقد تساقطت قطعة بعد قطعة في مدة هذه الأعصر الطوال التي كانت أور بة تناصبها فيها العداء

فاذا كان السب في هذا السقوط ?

الجواب أن الأسباب كثيرة منها السبب الذي نشأ عنه سقوط اكثر المالك العظمى في العالم وهو سعة المالك المفتوحة تلك الخارقة للعادة واختلاف الأمم الخاضعة واستحالة اذا بتها في بو تقة واحدة وصعو بة اعطائها كلها فكرة قومية متحدة ثم فساد الادارة وارتخاء النظام وتردسي القوة العسكرية

واضف الى ذلك اختـ لاف الاديان بين سكان هذه السلطنة فالاسلام لايا تلف مع النصرانية لاسما انه لا يكتفى بائن يكون دينا روحياً يعزى الأنفس بل هو مسيطر على

الادارة و يتدخل في أمور الحكومة (١)

وقد كانت السلطنة العثمانية سلطنة عسكرية محضة مستندة على شرع سماوى: ولم يكن القرآن مانعاً لامن العلوم ولا من المعارف ولا من الصناعات. ولو كان ذلك لما كانت المدنية العربية الباهرة ممكنة

وكذلك لولا التسامح الديني العظيم عند الاتراك لكان تساكن المسيحيين مع المسلمين متعذراً. ولكن الدولة العثمانية أعطت المسيحيين حريتهم الدينية التامة وخو التهم أيضا الحرية المدرسية ومما يجبأن نعترف بهأن هذه الحرية الدينية التي منحتها الدولة العثمانية لرعاياها المسيحيين مع حرية التعليم هي التي كفلت نموهم وترقيهم وجعلتهم يسيرون في طريق الاستقلال المطلق ولا جدال في ان النصرانية عروة دينية وثيقة كانت جامعة للأمم البلقانية فصارت هذه الأمم تتائهب للقاومة وماكان من الأمور يقبل العذر فيه من في مملكة مختلفة الأجناس مثل اوستريا \_ هنكاريا أو سويسرة كانوا لايقباون العذر فيه اذا صدر من ملكة غير مسيحية . على انه قد جرت حوادث كثيرة كان فيها النصاري على النصاري أغلظ من المسلمين على النصاري. وذلك كما جرى من البنادقة على أهل أثينا. ولكن الغيظ في أواسط العائلات سريع الزوال فالعداوة الحقيقية كانت عداوة النصاري للسامين برغم تسامح المسلمين في الدين والحرية الدينية التي كان يتمتع بها المسيحيون في السلطنة العثمانية . وقد قال المؤرخان «لاڤيس » Lavisse و «رامبو » Rambaud ( ): «ان مجمداً فاتح القسطنطينية كان كأكثر سلاطين الترك والمغول بعيداً عن كل اضهاد ديني. وكانت حمومة الترك لا تعارض أحداً في دينه وكان الاتراك لا يمسون امتياز ات الكنيسة الارثوذ كسية» ثم نقل هذان المؤرخان من القرآن هاتين الآيتين الكريمتين: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَا تِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحُبُّ الْمُعْتَدِينَ ) ثم: ( لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينَ قَدُ تَبَيّنَ الرُّشُدُ مِنَ الغَيّ )

الا أن العداوة الدينية للاسلام لم تكن لتُنسَى. فكل ما كان يفعله المسيحيون بالمسيحيين من الجور والطغيان كان منسيّاً. وأيُّ شيء وقع من الترك على النصاري كان

<sup>(</sup>١) سيأتى فصل في هذا الموضوع نبين فيه وجهة الاسلام الحقيقية

<sup>(</sup>٢) هذان من أشهر مؤرخي فرنسة وكتبهما تدرس في مدارس الحكومة

يقابل بالصيحة: ياللانتقام

وهناك سبب آخر لعدم الائتلاف وهو اختلاف السلائل فالترك طورانيون في السلالة ومثلهم البلغار. اما الروم والصرب والرومانيون فا ريّون. ثم ان هناك إختلافاً في المشارب والأوضاع فالتركي جواد يكره ادخار المالوالشح. والقرآن يمنع المسلم من الدين بالربا (۱) ولذلك كان من الصعب أن يثبت التركي في مجتمع مبني على المضار بات وتشمير رؤس الأموال. ولا جرم في ان هذه المبادئ شريفة في ذاتها ولكن الحكومة التي تأخذ بها لاتلبث ان تجد خزانتها فارغة وان كان لايسع الانسان الا الأعجاب بمنازع عالية نادرة كهذه

ثم ان احترام المعاهدات والعمل بموجب الكامة المعطاة كانا من مزايا العثمانيين يدور عليهما التاريخ العثماني كله . فان كان الشعب التركي الآن قد غُلب فانه قد فقد كل شي الا الشرف

ثم ذكر دجوقارا ملخص تاريخ الحركات الوطنية البلقانية وخروج الروملى من أيدى الترك وانتهاء هذا الخلاف الذي استمر هذه القرون المتطاولة بين الترك المسامين والبلقانيين المسيحيين وقال في الختام انه لا يزال في أيدى الترك القسطنطينية وادرنه والبواغيز و بهذا السبب لهم دور عظيم و يبعد كثيراً اتفاق الدول العظام على اخراج هذه الأماكن من أيديهم

قلت: قد تحقق قول هذا السياسي الروماني بعد الحرب العامة. فقد جد بعد الحرب العامة مشروعات التقسيم: أولهما العامة مشروعات التقسيم: أولهما معاهدة سيڤر Sévre التي أرادت دول الحلفاء أن تجبر تركيا على امضائها والتي نزعت من يد تركيا جيع البلدان العربية وجعلت بلاد الأناضول التركية مناطق مقسمة بين دول الحلفاء وجعلت القسطنطينية نفسها وان كان سيبقي فيها السلطان مقيا - تحت حكم لجنة دولية. فهذه المعاهدة لو نفذت لكانت تركت تركيا أثراً بعد عين

ولكن الأتراك ثاروا عليها واعتصموا بالأناضول وجعاوا مركزهم أنقرة ورماهم الحلفاء بجيش اليونان فقاوموه واحتل اليونان قسما من بلاد الأناضول الا أن الأتراك نهضوا

<sup>(</sup>١)ويذكر هنا دجوڤارا الآيات القرآنية التي تنهـي عن الربا وتحث على امهال المديون الى وقت المسيرة وتنهى عن البخل

ونشطوا واستاتوا في سبيل استقلالهم فما زالواحتى دحروا اليونان وأخرجوهم ومزقوا شملهم فاضطرت الدول أن تعود لمصالحة تركيا على غير قاعدة معاهدة سيڤر المنبوذة وعقدت مع تركيا معاهدة لوزان التي أبقت لتركيا الأناضول والقسطنطينية وادرنه وأخرجت من يدها البلاد العربية كلها وكل ما كان لها في افريقية وجزائر بحر الارخبيل الا الجزر المصاقبة للدردنيل تنيدوس وما جاورها

ولقد كان العامل الأعظم في بقاء تركيا وعدم اخراج الترك من الاستانة هذه المرة أيضاً هو اختلف الدول وخوفهن من أن تحتل انكلترة الاستانة ولا تخرج منها فا ثروا أن تبقى قركيا في الوجود وأن تبقى لها القسطنطينية على أن تكون لانكلترة وألفوا لجنة للبواغيز دولية ومنعوا تحصينها. وهكذا ثبت أن هذا الموقع العظيم الذي هو استانبول لا يزال بأهميّيته الجغرافية والسياسية والعسكرية هو السبب الأكبر في وجود تركيا

ولنعد الآن الى ذكر التسامح والتعصب وأى الفريقين أحق بان يقال انه متسامح الاسلام أم أوربة ? مما كان هو أصل البحث الذي ساقنا إلى تلخيص « مائة مشروع تقسيم لتركيا » فنقول:

قد شهد هذا الرجل الضليع في علم السياسة المطلع على تاريخها بما يندر أن يطلع عليه علم آخر ان أشد التبعة في هذه العداوة المستمرة بين الاسلام والنصرانية انما هي واقعة على المسيحيين. قال هذا في مقدمة كتابه هذا المصدَّر بمقدمة من قلم « لويس رنول » لمسيحيين. قال من مشاهير أساتيذ الحقوق والعلوم السياسية.

ثم ذكر في خلاصة كتابه أن من أعظم عوامل انحلال الدولة العثمانية هو مشربها في اعطاء الحرية المذهبية والمدرسية التامتين للامم المسيحية التي كانت خاضعة لها لأن هذه الأمم بواسطة هاتين الحريتين كانت تبث دعايتها القومية وتتاسك وتنهض وتتالأ وتسيراً قاصداً في طريق الانفصال عن السلطنة العثمانية وسواء كان هذا المؤلف قد أعلن هذه الحقيقة أم لم يعلنها فانها الحقيقة التي لا شائبة فيها ، ولذلك نجد ملاحدة انقرة يجعلون من المشريعة الشريعة وهم انه لولا مراعاة هذه الشريعة الكانت السلطنة التركية بقيت على عظمتها الأولى ولم تطرأ عليها هذه المصائب التي لزمتها مدة ستة قرون بسبب وجود الثلث من سكانها و ربما أكثر من الثلث مسيحيين و بأن مدة ستة قرون بسبب وجود الثلث من سكانها و ربما أكثر من الثلث مسيحيين و بأن

الشريعة كانت تمنع السلاطين من اجبارهم على الدخول في الاسلام أو الجلاء

وقالوا ان السلطان سليما الأول أراد توحيد عناصر السلطنة واجبار المسيحيين على احدى خطتين الاسلام أو الرحيل فقام فى وجهه زنبيللى على افندى شيخ الاسلام وقال له: « لا يحق لك هذا والمسيحيون واليهود متى خضعوا ودفعوا الجزية فقد عصموا منك دماءهم وأموالهم »

ولفد كانت في السلطنة العثمانية عشرات ملايين من المسيحيين يعيشون وافرين مترفهين كاسبين متمتعين بامتيازات كثيرة مدة عمل الأتراك بالشرع الاسلامي . فلما جاءت الجهورية التركية الحاضرة و بطل العمل بالشرع وأخذ الترك باوضاع الافرنج وقلدوهم في كل شي وعولوا على سياسة « التمغرب » (غر بلاشمق) لم يبق في جميع الأناضول الافئة قليلة جدا من المسيحيين عدة آلاف . وان كان بقي في الاستانة نحو من مائة وخسين الف نسمة فهؤلاء قد أبقاهم الدول بالاتفاق مع تركيا في مقابلة مسلمي تراقيا الغربية الذين أبوا أن يتركوا أوطانهم و يرحلوا الى تركيا عندما تقررت مبادلة السكان وأجلت الدول بمقتضي معاهدة لوزان المنعقدة سنة ١٩٢٣ المسلمين الذين في الروملي الى الأناضول والمسييحيين الذين في الأناضول الى الروملي والمورة

وهـذا برهان ساطع على ساحة الشرع الاسلامي وامكان تساكن المسلم والمسيحي واليهودي في ظله بالأمان ولاطمئنان وعدم ساحة الطريقة الأور بية التي منذ أخذ بها الترك أصبحوا لا يقدرون أن يساكنوا المسيحيين ورفضوا أن يدخلوا في مجلسهم النيابي نائبا واحداً مسيحياً أو يهودياً. وقد كنت أحصى عندما كنا في مجلس الأمة أيام الدولة العثمانية عدد نواب الأروام بخمسة عشر ونواب الأرمن بخمسة عشر وكان ببننا خسة نواب من مسيحيي العرب أر بعة منهم عن سورية ولبنان وواحد عن الموصل. وكان أيضاً عدد من نواب اليهود. وقبل الحرب البلقانية التي ذهبت بست ولايات من الولايات العثمانية سلانيك ومناستر وقوصوه واسكوب واشقودرة ويانيا و بقسم من ولاية ادرنه كان نواب المسيحيين في المجلس ضعف ما كانوا يوم كان محرر هذه السطور نائباً عن حوران من سنة ١٩١٨ الى سنة ١٩١٨

و بالاجال لما كان العمل في تركيا بمقتضى الشريعة الاسلامية كانت روح التسامح

والمساواة فى الحقوق والوظائف هى السائدة فى هذه المملكة. فاما اتخذ الأتراك خطة التفريج أو « التمغرب » على رأيهم حصر وا تركياكها بالترك وحدهم بدون نظر الى الأجناس. الباقية عندهم . وكانهم عاملوا بقية المسيحيين والهيود الذين فى تركيا معاملة فرنسة لمسلمى الجزائر وايطالية لمسلمى طرابلس مثلاً

ومن طالع تاريخ الاستعار الأوربي وتاريخ الاستيلاء الأوربي سواء كان في القديم أو في الحديث علم أن الأوربي بمقتضي فطرته لا يطيق وجود غيره ولا يرى اذا ساد حقاً الا لنفسه . فهو لا يقف بمجرد الوجدان كما يقف المسلم عن استصفاء حقوق من يستولى على بلاده بل اذا وقف لا يقف الا بسبب قوة تصادمه أو بسبب موازنة يترجح بها عنده نفع الوقوف على ضرره . فأما اذا وجد نفسه قادراً أن يفعل ولا يلحق به ضرر فانه قاما يتوقف عن هضم حقوق الذين تغلب عليهم الا نادراً . ولقد تراه من شدة اثرته وطمعه واعتقاده ان له أن يحصر كل شي في نفسه ان سمح لرعاياه بان يمارسوا شعائر دينهم مثلاً عد ذلك منه كبرى وأقامها حجة على تسامحه الديني . فقد قرأنا كثيراً من الخطب والمقالات لرجال الفرنسيس يمنون فيها على مسلمي المغرب بانهم لم يعارضوهم في دينهم . . . وكا نهم يرون ذلك في الذروة العليا من العدل والنزاهة وكمال المدنية .

وقد نسوا أن الحرية الدينية حق طبيعي لكل انسان وانها من أقدس الحقوق. المقررة في تاريخ البشر منذ وجد البشر وان لكل انسان بحسب علم الحقوق العامة أن يدافع عن اية حرية دينية جرى عليها حجر أو تضييق في اية بقعة من الأرض وانه لم يعهد أن أمة مهما بلغ بها التوحش ان قامت وعارضت قوماً في دينهم. وان فعلت ذلك كما فعل الاسبانيول بمسلمي الاندلس مثلاً أصبح هذا الأمر حديث الاجيال وعداً والتاريخ وصمة أبدية لفاعليه على محر الأيام والليالي

وياليت الفرنسيس وقد تبجحوا باعطاء مسلمى المغارب حريتهم الدينية قد فعاوا وقرنوا القول بالعمل . والحقيقة أنهم منذ نصف قرن سائرون فى افريقية على خطة الكردينال لافيجرى والأب فوكو واضرابهم ممن زرعوا فى عقولهم أنه ما دام مسلمو المغرب مسلمين تبقى سيادة فرنسة على هذا القطر تحت خطر الزوال . وانه لأجل أن تأمن فرنسة على مستقبل أمرها فى شمالى افريقية لا مندوحة لها عن تنصير المسلمين . ولقله

بدأوا بهذه السياسة في الجزائر ورأوا أن الأمة البربرية بكونها أبعد عن الاسلام من الأمة العربية تكون أكثر قبولاً للنصرانية فبثوّا الدعاة والقسوس في كل مكان ولا سيا في جبل زواوة والبلاد التي يكثر فيها البربر وشادوا المستشفيات والملاجئ والمدارس الافرنسية الاكلير يكية وكل ذلك على نية تنصير الأهالي وفرنستهم وتعمدوا رفع التعليم الديني الاسلامي بقدر الاستطاعة. وهذا قد أشرنا اليه في الجزء الثاني من هذا الكتاب في بحث جزائر الغرب وفي الرد على روجر لابون (۱). ولقد جد " بعد ذلك حادث عظيم أبلغ الحنق في العالم الاسلامي منتهاه وهو أن السلطة الافرنسية أجبرت سلطان المغرب مولاي مجداً الشاب لمني أيام قلائل على توليه السلطنة أن يوقع على ظهير يلغي العمل بالشريعة الاسلامية بين البربر وباشرت ذلك بالفعل وألغت الحاكم الشرعية في قسم كبير من بلاد البربر بالمغرب وسنت لهم قانونا من العرف البربري يسيرون عليه بحجة أن البرابر طلبوا ذلك.

وأصبح البربر أجانب عن الاسلام لا في الأحوال الشخصية ولا في المعاملات المدنية. وفي الوقت نفسه أصدر الفرنسيس أوام بعدم دخول الفقهاء والقراء ومشايخ الطرق الى بلاد البربر لاجل عزل هؤلاء عن الاسلام بالمرة وتسهيل عمل القسوس في تنصيرهم . وقد بلغ بالسلطة الافرنسية الهوس في هذا الموضوع ان أصبحوا لايسمحون لأي مسلم من العرب أو من سكان المدن عامة تاجراً كان أو صانعا أو زارعاً أو غير ذلك أن يدخل بلاد البربر الا يرخصة خاصة ومن يقدم على الاختلاط بالبربر أو يذهب الى قراهم بدون رخصة من الحكومة يعاقب . وفي أثناء ذلك تركوا الرهبان الفرنسيسكانيين وغيرهم من الدعاة يجولون في بلاد البربر كما يشاءون و يبنون المدارس الدينية والملاجئ والمستشفيات ووقع أن مسلمي قصبة البربر كما يشاءون و يبنون المدارس الدينية والملاجئ والمستشفيات لوقع أن مسلمي قصبة أمورهم وأعطى فسحة الأرض التي كانوا ير يدون أن يبنوا فيها الجامع الى الرهبان ليبنوا فيها كنيسة . والحال أنه ليس في هذه البلدة مسيحي واحد الا الحاكم الافرنسي . ووقع أيينا أن أناساً من البربر استدعوا اماماً يصلى بهم في رمضان فاما بلغ الضابط الافرنسي الذي في ذلك المكان هذا الأم وقبض على الامام وحبسه ثم طرده . ووقع أن بعض زعماء البربر جاءوا الى مدينة رباط الفتح لأجل طلب ابقاء قضاتهم الشرعيين فأققتهم السلطة في البربر جاءوا الى مدينة رباط الفتح لأجل طلب ابقاء قضاتهم الشرعيين فأققتهم السلطة في

<sup>(</sup>١) راجع صفحات ١٧٥ — ١٨٧ وصفحات ٢٠٠ — ٣٠٩ من الجزء الثاني

السجن. وكان بعض زعماء البربر يرساون أولادهم الى فاس ليتعاموا العقيدة الاسلامية واللسان العربي فنعوهم من ذلك وأنذروهم ان فعاوا بعزهم عن القيادة . والحاصل أن السلطة الافرنسية باشرت عمالاً كان يحلم به لافيجري وفوكو والآباء البيض وتستنكف الحكومة عن الموافقة عليه بصورة رسمية فهذه المرة لم تستنكف عن ذلك وحاوات تطبيق البروغرام الذي طالما حام في خواطر الكاثوليكيين الافرنسيين وأرادوا الحكومة الافرنسية عليه ولم يتمكنوا. وقد أصدرت فرنسة هذا الظهير الذي انطلق عليه اسم « الظهير البربري » في شهر مايو سنة ١٩٣٠ أي منذ سنتين وزيادة وكان بطل هـنـ المعركة المقيم الافرنسي العام في المغرب المسيو سان الذي اشتهر بالتحامل على الاسلام وكان من قبل المقم الافرنسي العام في تونس و في أيامه انعقد مؤتمر الاخار يستيًّا \_ أي استحالة الخبز والخر بالتقديس الي جسد المسيح ودمه \_ في قرطاجنة وأنكر المسلمون ذلك وعد وه مظاهرة مسيحية دينية في بلاد اسلامية وكان للسيو سان هذا اليد الطولى في جعل هذه المظاهرة الصليبية في تونس ثم ان الفرنسيس رفعوا درجته وجعاوه المقيم العام في المغرب فجمع حوله عدة من متعصبة الكانوليك كالجنرال « نوغيس » Nayues والمسيو « سوردون » والمسيو « كورديه » واضرابهم واندرأوايهيئون الطرق اللازمة لما أملوه من تنصير البربر وتحقيق حلم كان المتشددة من كاثوليك الفرنسيس يحامون به من زمن طويل. وجر اهم على هذه الخطوة الغريبة ما رأوه من استنامة شيوخ المغرب والفئة المعممة الى كل ما يراد بهم وعدم معارضتهم في قليل ولا كشير لارادة السلطة المحتلة ومن نمالائة أكثر رجال « المخزن » أي الحكومة المغربية مثل الوزير المقرى وغيره ممن لا يفكرون الا في ما ربهم الخاصة و يخشون على وظائفهم فما اذا وقفوا في وجه السلطة المحتلة . وزاد جرأتهم على العمل انهم وضعوا على كرسي السلطنة شابا هو ثالث أولاد المرحوم مولاي يوسف لا الأول ولا الثاني وجعاوا له مرشداً جزائرياً اسمه « المعمري » يسوق السلطان الشاب الى ترويج مراضي السلطة الافرنسية في الدقيق والجليل بلا نزاع بل بلا تردد ويبين له انه ان أبدى أقل تلكؤ في تنفيذ ارادة الدولة الحامية كان نصيبه الخلع والنفي وما أشبه ذلك. ولكن الفرنسيس في هذه النو به لم يصح حسبانهم ولا أصاب تقديرهم و رأوا من أهل المغرب في الحركة البربرية هذه غير ما كانو اينتظرون. وقد كان الفرنسيس أرادوا مولاى يوسف

على اصدار الظهير الذي اجبروا ابنه على توقيعه فأبي أشد الآباء فا كاد يوارى التراب حتى جاءوا يضغطون على ابنه مولاى مجمد في امضاء هذا الظهير الغريب وبواسطة المعمرى والمقرى تمكنوا من مرادهم وحسب لوسيان سان هذا فو زاً مبينا . ويؤكد العارفون انه كان بين الفاتيكان ولوسيان سان مراسلات خفية في قضية البربر وان الفاتيكان وعد سان اذا منع الاسلام من دخول بلاد البربر بدفع مبالغ طائلة نفقة بناء مدارس وكنائس ومستشفيات تبشيرية . وأخيراً صحت نيتهم على العمل وأرادوا أن يلبسوا هذه المسئلة ثو بأغير ثو بها الحقيقي وهو ان جل مرادهم بهذا الظهير هو ادخال اصلاحات عدلية واقامة البربر على اعرافهم كما يشتهون . الا ان هذا لم يقنع أحداً لأنه لوكانت المسئلة مسئلة اصلاحات عدلية لكان ذلك بمكنا بدون الغاء الحاكم الشرعية التي كانت تفصل في قضايا الأحوال عدلية لكان ذلك بمكنا بدون الغاء الحاكم الشرعية التي كانت تفصل في قضايا الأحوال الشخصية ولما كانت السلطة الافرنسية تمنع اختلاط العرب وأهل الحواضر بالبربر ولاتتعرض لمنع التعلم الاسلامي واللسان العربي بين البرابر وتصد عن بناء المساجد الى غير ذلك

فأهل المغرب نار وا بأجعهم من أجل قضية البربر هذه . فقد وجدوا السلطة المحتلة لم تكتف بالاستئثار باراضيهم ومرافقهم ومعادنهم وحقوقهم السياسية والاقتصادية بل مدت يدها الى دينهم الذي تعهدت فرنسة في معاهدة «الجاية» التي بسطتها على المغرب باحترامه قائلة «ان جميع الاصلاحات التي تقوم بها داخل المغرب لا تمس الدين الاسلامي في شئ ولا تجلب أي ضرر على الحالة الدينية ولا تلحق أدني مساس بنفوذ السلطان» وعليه كانت ضوضاء شديدة لهذه القضية وأكثر ما اهتاج لها الشبان والطلبة وخطبوا في جامع القرويين وجوامع اخر احتجاجاً على الظهير وطلبوا الغاءه وسار وا جاعات في الشوارع صاخبين فلجائت السلطة الحالقية وجلدت بالسياط نحو مائة شاب من الطلبة القرويين والقت في السجون مئات الي القسوة وجلدت بالسياط نحو مائة شاب من الطلبة القرويين والقت في السجون مئات في الوفاً وغراً بت عدة من رؤوساء الحركة وكل هذا لم يفد فتيلا في تسكينها . وأوفدت فاس وفداً الى السلطان في الرباط مؤلفا من أعيان البلدة وعامائها وقدموا له عرض حال وبكوا على الدين وعلى مساس سلطة السلطان التي حلت محلها على البربر السلطة المحتلة . وبكوا على الدين في يد السلطان شي . و بتي لوسيان سان متمسكا بتنفيذ ظهيره . فوصل ولكن لم يكن في يد السلطان شي . و بتي لوسيان سان متمسكا بتنفيذ ظهيره . فوصل صريخ المغاربة الى مصر والشام والعراق والهند والجاوي وغيرها وأيقن المسلمون انهم ان خذلوا مسامي المغرب في هذه المسئلة لم يمض زمن حتى تعرضت جميع الدول المسيحية للدين.

الاسلامي أما على سواء أو بخط منحن وحاولت تحويل المسلمين عنه. ولذلك نشر أعيان مصر احتجاجا شديداً على عمل فرنسة في قضية البربر أمضاه منهم الأمير الكبير عماد الاسلام وثمال كل مستضام الأمير عمر طوسون و زهاء مائة من كبار مصر وعامائها وزعمائها وتوالت الاحتجاجات على فرنسة من كل فج والى جعية الأمم وقامت الصحف الاسلامية وقعدت لهذا الحادث. ولما انعقد المؤتمر الاسلامي في القدس الشريف في أواخر السنة الماضية أصدر قراراً بالاحتجاج على الظهير البربري وكل قانون تقصد به احدى دول الاستعار رأساً أو بالواسطة تحويل المسلمين عن الاسلام وأبلغه المؤتمر الى جعيـة الأمم بو اسطة الوفد السوري الفلسطيني في جنيف. وكان قد بسط القضية البربرية المذكورة في المؤتمر الشاب الأديب الفاضل السيد مكي الناصري الذي كان من ممثلي المغرب في المؤتمر. كما انه نشر بعد ذلك رسالة قيمة عنوانها « فرنسا وسياستها البربرية في المغرب الأقصى » جعت كل الوثائق والأدلة التي لا تقبل الرد ولا الماحكة على المراد الحقيقي من قضية هـذا الظهير البرسى وهو تحويل البراس عن الاسلام الى النصرانية بطول الزمن و بقطع شأفة الشرع الاسلامي والتعليم العربي من بينهم . وكان شبان المغاربة في باريز نشروا رسالة بالافرنسية في هذا الحادث عنوانها « عاصفة فوق مراكش » Tempete sur Le Maroc فن شاء الاطلاع الوافي على هذا البحث فليقرأ هذه الرسالة ورسالة السيد مكى الناصري المار ذكرها . وفي 7 صفر سنة ١٣٥١ نشركاتب هذه الأسطر رسالة في «الجامعة العربية» في القدس الشريف في هذا الموضوع آثرت أن أنقلها الى هذا الكتاب لنستغني بها عن اعادة الشيء نفسه وهي:

ان الحكومة الافرنسية عند ما تتبرأ من دسيسة تنصير البربر وتزعم أنها بالغائها المحاكم الشرعية من بين البربر لم تقصد اخراجهم من الاسلام وانما قصدت معاملتهم بمقتضى عرفهم الذي هم متمسكون به ! تدخل في مأزق ضيق لا مخرج لها منه الا بالرجوع عن هذه السياسة العقيمة التي ثامت اسم فرنسا في العالم وألحقت بها ضرراً كبيراً

أولاً — ان مسلمى المغرب بالاجال متفقون على أن هذا الظهير لم يكن الادسيسة لاخراج البربر من عقائدهم وأوضاعهم الاسلامية وانه ليستحيل تواطؤ أمة عدة ملايين على الكذب

ثانيا \_ انه من سنتين كاملتين لا تزال احتجاجات أهل المغرب متواصلة منها ما هو

بتلاوة الأدعية العامة فى المساجد ومنها بالخطب ومنها بالكتابة فىجرائد فرنسة ومنها بنشر كتب خاصة بالافرنسية و بالعربية ومنها بتوزيع مناشير بين الأهالى ومنها بغير ذلك .

ثالثاً \_ قد ضرب من أحل القيام على هذا الظهير نحو من مائة شاب من طلبة القرويين بفاس وجلدوا بالسياط جلداً مبرحا وحبس مئات فى فاس والرباط والدار البيضاء ومكناس ونفى عدد كبير من الوجوه والطلبة والادباء ولا يزال بعضهم منفيين الى هذه الساعة ويستحيل أن يكون كل هذا من أجل محض توهم .

رابعاً \_ قد تألف وفد بعد صدور الظهير بشهرين وذلك من أعيان فاس وعامائها وتجارها وقصدوا السلطان في الرباط وشكوا له من هذه الفادحة التي فيها ما فيها من الخطر على الدين الاسلامي في المغرب وعلى سلطنة السلطان نفسه وأبدوا له ما فيها من التناقض مع تعهد فرنسة في المعاهدة الافرنسية المراكشية باحترام الدين الاسلامي وأوضاعه وقدموا له عريضة وصلت الينا صورة فوتوغرافية منها فنشرناها في مجلتنا « لاناسيون آراب » في العدد الثامن من اعداد سنة ٩٣٠ وشاع يومئذ ان السلطان الشاب كان يبكي عما سمعه من وفد فاس ولكنه لم يقدر على شيء كما لا يخفي

خامساً \_ لم يكن المسلمون وحدهم هم الذين شهدوا بأن قضية الظهير هى قضية مقصود بها اخراج البربر من الاسلام ، بل شهد بذلك عدد كبير من كتاب الفرنسيس أنفسهم من الأحرار ومن ذوى الوجدان لأن فى هذه الأمة من الشرف والنزاهة وحرية الفكر ما لا ينكره أحد ، ولم يكن هؤلاء الذين كتبوا واحتجوا فى الجرائد هم الاشتراكيين فقط بل احتج على قضية الظهير البربرى رجال ليس بينهم وبين الاشتراكيين أدنى صلة مثل المسيو اوجين يونغ ومثل المسيو در يمنغهم العالم الفاضل الذى هو معدود من كتاب المسيحيين . . . وقيل لى ان المستشرق الشهير الذي شان سمعتها النزعة أيضاً يريد خلاص فرنسة من قضية هذا الظهير الذى شان سمعتها

وكل من يحب فرنسة و يحب كرامتها لا يرضى لها بهذه الدسيسة البربرية التى جرها اليها المسيو سان و بعض أشخاص من الفئة الاستعارية الذين يقولون بقول الكردينال لا فيجرى وأمثاله بأنه لا يمكن أن تامن فرنسة على شمال افريقية الا بتحويل مسلمى المغرب الى الدين المسيحى . . . ان هذه المبادئ لو أعلنت فى القرون الوسطى لأنكرها

الناس وأكبروها فكيف في هذا العصر وانه ليستحيل على المسلمين أن يرضوا بتعرض. فرنسة للدين الاسلامي في المغرب لأن المسلمين لوقدر وساموا كل شيٌّ يملكونه على وجه الأرض فان أمرين لايتساهاون فيهما أبداً ما دام في الدنيا مسلم واحد وهما عرضهم ودينهم سادساً \_ انه غير معقول وغير متطابق وغير منطقي أصلاً قول الحكومةالافرنسية اننا نحن لم نقصــد اخراج البربر من الاسلام وانما ألغينا المحاكم الشرعية من بينهم نظراً لتمسكهم بعرفهم! فإن المسلم لا سما في الأحوال الشخصية لا يكون مساما الا اذا اتبع شريعة الاسلام ومادام البربر يقولون انهم مسلمون فلا بد من أن يكون لهم قضاة مسلمون والا فيكونون معدودين قد خرجوا من الاسلام أو يكون المقصود تهيئة خروجهم منه ويكون بقاؤهم على الاسلام بالاسم موفتا الى أن يكون انقرض منهم طبقة البالغين الحاضرين سابعا \_ لنفرض المحال وان الغاء المحاكم الشرعية لايعني به الغاء الاسلام من أصله فنحب أن نسأل الحكومة الافرنسية مامعني منع فقهاء المسلمين وحفاظ القرآن الكريم والائمة والمؤذنين وكل خادم للدين الاسلامي من التجوال في بلاد البربر ? فان هذا المنع قـــد وقع فعلاً وكان كل انسان يريد الذهاب الى قرية من قرى البربر لشنغل خاص أو لتجارة. أو أي عمل من الأعمال لا يؤذن له في الذهاب الى هناك الا بتذكرة جواز يعلم عليها. وقد شددت الحكومة الافرنسية في المغرب في هذا المنع تشديداً ارتفع به عويل الناس الى السهاء لأن. البلاد مختلطة بعضها ببعض وعلاقات العرب والبربر وأهل المدن متشابكة وبرغم هذاكله بق المسيو سأن مصراً على منع الاختلاط بين العرب والبربر ولم نسمع انه بدأ الناس يجولون. في القطر المغربي بدون تذاكر جواز وعاد مشايخ الدين وحلة القرآن يترددون الى قرى. البربر التي كانوا يترددون اليها الامنذ عهد قريب وذلك أيضاً تحت المراقبة

ثامناً — بمقابلة منع الفقهاء وحفاظ القرآن من التجول في بلاد البربركان القسوس والمبشرون قد ملائوا السهل والوعر وباشروا بناء الكنائس والمدارس وذلك في أماكن ليس فيها مسيحي واحد وقد حصل ان أناساً من البربر كمانوا يريدون بناء مساجد جعوا لها أموالا فأوقفتهم السلطة الافرنسية عن بنائها . وحصل أيضا ، وعندنا اسم المكان والحاكم الذي فعل ذلك ، ان أهالي قصبة كانوا مباشرين بناء مسجد في أرض خاصة بالوقف الاسلامي فنعهم الحاكم الافرنسي الذي بتلك القصبة من البناء وأعطى قطعة الأرض نفسها للرهبان المناء وأعطى قطعة الأرض نفسها للرهبان

الفرنسيسكانيين و بنوا فيها كنيسة وهذا وليس في تلك القصبة التي يقال لها زمور مسيحي واحد . ان الفرنسيس يحتجون على عملهم هذا بكون الاتراك الانقريين أبطاوا العمل والشريعة الاسلامية وانهم هم لا يجب عليهم أن يحافظوا على الشرع أكثر من الاتراك المسامين أنفسهم ، والجواب على هذا ان الاتراك وان كانوا خالفوا الشريعة في بعض القوانين التي أدخاوها في حكومتهم فلا يزال أهالي تركيا مسامين ولا يزال لهم رئاسات دينية في كل بلدة ولا يزال المفتون هم المنفذين للشريعة والحكومة تمنع اية دعاية دينية مسيحية بين المسامين كما تمنع أية دعاية السلامية بين المسيحيين أو اليهود فالمسامون في المغرب لا يحاولون بث الدعاية الدينية الاسلامية بين المسيحيين ولكنهم يطالبون فرنسا بعدم ترويج الدعاية الدينية المسيحية بين المسلمين و بعدم جايتها بالقوة العسكرية والسياسية فان فرنسا تزعم انها دخلت المغرب لأجل أن تحمى السلطان وتحافظ على الدين الاسلامي وشعائره وهذا الدعارة لترويج وعاية دينية كأنوليكية وتحميها بالقوة السياسية والعسكرية . وغريب حداً ان أمة تعد نفسها في مقدمة الأمم المتمدنة تنقاد الىسياسة كهذه ارضاء لخواطر بعض عداً ان أمة تعد نفسها في مقدمة الأمم المتمدنة تنقاد الىسياسة كهذه ارضاء لخواطر بعض طلاكير يكيين من الفئة الاستعمارية .

تاسعاً \_ ان المؤامرة في قضية الظهير البربري لم تقع على الدين الاسلامي وحده بل على الثقافة العربية بأجعها فانهم منعوا التعليم العربي بين البربر بتاتاً وقد ثبت أن بعض زعماء قبائل البربر كان لهم أولاد يتعلمون العربية في فاس فأنذر وهم بسحب أولادهم من هناك أو يقطعوا لهم رواتبهم وقد ثبت أيضاً انهم لايريدون ان يتعلم البربري الا اللغة البربرية و بجانبها اللغة الفرنسية فقط وهذا كما ثبت ان بعض زعماء من البربر جاءوا الى الرباط يلتمسون ابقاء القضاء الشرعي في ديارهم فقبضوا عليهم والقوهم في السجون ارهاباً لهم ولغيرهم وسداً لهذا الباب.

عاشراً \_ ان كثرين من الافرنسيس كانوا لايصدقون باجراء هذه السياسة المقصود منها تحويل البربرى عن الاسلام ويعتقدون ان المسئلة عبارة عن اصلاحات عدلية عاله عادة ان يجرى في تركيا ومصر اللتين أدخلتا في بلادهما كثيرا من القوانين الاوربية ولكن لما مضى على ذلك زمن واطلعوا على الحقيقة وعرفوا ان المسائلة ليست مسائلة

اصلاحات عدلية وان كل المقصود هو انسلاخ الامة البربرية من الدين الاسلامي ، ولما كان التعرض للإديان من الامور التي يستقبحها الرأى العام بائسره والتي هي مخالفة للدستور الافرنسي فقد شرعوا يقبحون هذه السياسية في المغرب وقد اطلعنا منذ أشهر على مجلة واديكالية تطالب الحكومة بالرجوع عن هذه السياسة وتقول ان فرنسا لم تكن قط دولة دينية ، بل حرية الاديان فيها مقدسة . وأخيراً اجتمعت الشعبة الخامسة من جعية حقوق الانسان في باريس وقررت ما يلي :

«ان الشعبة الخامسة من جعية حقوق الانسان بعد أن اطلعت على ماجريات القضية البربرية وعرفت ماحصل في المغرب على أثر الاحتجاجات التي قام بها الاهالي على الظهير الصادر في ١٦ مايو سنة ١٩٣٠ طلبت من اللجنة المركزية ان تسعى لدى الحكومة الافرنسية في المغرب بتخلية سراح المنفيين مجمد اليزبدي وعبد اللطيف الصبيحي وعبد اللطيف العتابي ومجمد شماعو الذين أبعدوا بسبب القضية البربرية وبالاحتجاج على خطة السلطة الافرنسية في المغرب بتكافلها مع الرهبان الفرنسيسكانيين في تعرضهم للاسلام مما أقام السلطة الافرنسية أن تقوم عصبة واحدة وتذكر الحكومة الافرنسية بان حرمة العقائد والضائر ينبغي أن تكون أساساً لعلاقات فرنسا مع جميع الامم من كل الاجناس والاديان وان تحتج على سياسة الادماج التي هي جارية في المغرب وذلك بناء على أنه من الحق الطبيعي لكل شعب أن يترقي ضمن دائرة ثقافته الخاصة »

فن هذه الأسباب كلها نقول ان سياسة فرنسا في القضية البربرية كانت سياسة تهور جلها عليها ماجد بعد الحرب العامة من الاعتقاد عند بعض الاور بيين ان سياج الاسلام قد انخرق بتهامه ولم يبق مانع من مد اليد الى دين المسلمين كما امتدت الى دنياهم. وهذا خطا عظيم أساسه جهل الاور بى بحقائق أحوال العالم الاسلامي مهما زعم انه مطلع عليها. ومن حيث انه كما قلنا نجد كثيراً من الافرنسيين حتى من غير الاحزاب الاشتراكية يستنكرون هذه السياسية البربرية و يودون لو ترجع حكومتهم عنها ، فقد صرنا بعد فوز الفرق الشهالية في الانتخابات نرجى ان تتائل حكومة راديكالية تبتعد عن الصبغة الاكبريكية أكثر من الحكومات السابقة وتقضى على هذا الظهير البربري الذي ألحق الاكبريكية أكثر من الحكومات السابقة وتقضى على هذا الظهير البربري الذي ألحق

## باسم فرنسا عيباً كبيراً وآسف كل محبيها

ومن قبل ان تائتى هذه الحكومة الجديدة وصلت الينا معاومات جديرة بالنائمل وهى مطابقة لما كنا نعتقده من ان الحكومة الافرنسية لابد أن تعود الى التبصر ولن ترضى لنفسها بهذه الضوضاء القائمة حول الظهير البربرى وذلك ان نظارة الخارجية الافرنسية قد استفتت بعض العلماء المتخصصين فى الامو ر الاستعمارية وسائلتهم عن رأيهم فيما يجب أن يكون العمل به فى العدلية البربرية وعلمنا ان من جلة من استفتتهم فرنسا العلامة سنوك هو ركر ونييه المستشرق الهولاندى الشهير المعدود الآن رأس المستشرقين فى أو روبا فقد سائنه هكذا: «ماذا كان موقف الحكومة الهولاندية أمام القانون العرفى المعروف عند الاهالى بالعادات فى الجاوة وماقولكم فى جع عوائد البربر بشكل قانون وتطبيقها عليهم مع العلم بانهم مسامون لاشك فى اسلامهم ?»

فاجاب الأستاذ هوركرونييه بتقرير طويل قائلا فيه: « ان هولاندا لم تحاول قطأن تجعل من العادات الأصلية القديمة قوانين رسمية تعاقب من يخالفها وجل ما عملته في هذا الباب أنها جعت في بعض النواحي طائفة من العادات وأعطتها اسم قانون خاص Gode Prive ولم تجبر الأهالي على الخضوع له . أما في القضية البربرية فان جع عوائد البربر بشكل قانون ومحاولة تطبيقها يعد خطأ فاحشاً وذلك أن الفائدة هي في تحويل العرف وتطبيقه على روح الجتمع الحاضر فاما اذا جعت تلك العوائد وجعلت قانونا فانها تصير عقبة في وجه ترقي المجتمع لأن العرف البربري هو عبارة عن عادات وأوضاع نشأت في وسط متأخر بسيط فتطبيقها الآن بعد أن ارتقي المجتمع وكثرت المعاملات واشتبكت المصالح وصار البربر أهل عقار وتجارة هو مما يرجع بهذا القوم الي الوراء وقد يضر الفرنسيين أيضا . هذا من جهة عقدسة عقار وتجارة هو مما يرجع بهذا القوم الي الوراء وقد يضر الفرنسيين أيضا . هذا من جهة مقدسة بخيث يعد خرقه جريمة لا أمام ضمير الانسان فقط بل أمام اللة تعالى . وليس العرف البربري بذي صبغة دينية بل هو ، مع تأخره وسذاجته وعدم موافقته لمجتمع راق ، فاقد الصفة بذي صبغة دينية أن لا تحكم في المغرب الا بالقانون الذي له أكبر حرمة في نفوس أهل فرنسا الحقيقية أن لا تحكم في المغرب الا بالقانون الذي له أكبر حرمة في نفوس أهل المغرب والذي هو مرتبط بعقيدتهم الدينية وان بذلك لو تأملت فرنسة زيادة في تأمين المغرب والذي هو مرتبط بعقيدتهم الدينية وان بذلك لو تأملت فرنسة زيادة في تأمين

حقوق المستعمر بن . »

فلجنة المصالح الاسلامية في الخارجية الفرنسية نصحت المسيو سان المقيم العام في المغرب بالرجوع عن خطئه واستشهدت له بما فعلته هولاندا في الجاوة . فكان چواب المسيو سان بالاصرار على تطبيق الظهير البربري زاعماً أن هولاندا طبقت العوائد القديمة على كثيرين من مسلمي الجاوة وتائتي لها ذلك . وحقيقة الحال أن هذه الحاولات ان كانت من فرنسا أو من هولاندا هي صادرة عن مبدأ واحد وهي محار بة الشريعة الاسلامية التي تزرع في قاوب المسلمين روح الاستقلال . ولكن لا فرنسا ولا هولاندا تجني من هذه الحاولات سوى عداوة الاسلام و يجوز أن تكون هولاندا في بعض أماكن من الجاوة قد أرادت أن تجرب هذه التجر بة من بعد ما بدأت بها فرنسا في المغرب لا من قبل ذلك ، فستدل على هذا من الاحتجاجات التي حصلت من مسلمي الجاوة في المؤتمر العظيم الذي عقدوه مؤخراً والذي احتجوا فيه أيضا على عمل فرنسا في المغرب (۱)

فالمسامون غير مخطئين في خوفهم من التساهل مع فرنسا في القضية البربرية لأنها قضية متعلقة بالدين الاسلامي في قضية متعلقة بالدين الاسلامي فاذا ساغ لفرنسا أن تقطع وتصل فيما يتعلق بالدين الاسلامي في شمالي افريقية لم تبق دولة أوربية لها رعايا مسامون الاحدت حدوها وربما زادت عليها ومن المعلوم أن ثمانين في المائة من الثلاثمائة والجسين مليون مسلم الذين على وجه الأرض هم رعايا لدول غير اسلامية . فاذا بدأ البثق الديني كما بدأ البثق الدنيوي ولم يصده المسامون من الآن بكل شدة كان الخطر على الملة الاسلامية باجعها أكثر مما يتصور المتصورون وذابت ذو باناً في الأمم الأخرى بعد أن كان القرآن لها جامعاً مانعاً

حدانا ألى هذه المقالة ما نأمله من الحكومة الافرنسية الآتية قريباً من المحافظة على شرف فرنسا والرجوع مع الاسلام الى السياسة التى تزول بها هذه الضوضاء القائمة من أجل قضية البربر و بهذه المناسبة نوصى القراء بمطالعة الرسالة الأخيرة التى ظهرت فى هذه المسألة تحت عنوان « فرنسا وسياستها البربرية فى المغرب الأقصى » المتضمنة تقريراً مقدماً الى المؤتمر الاسلامى العام وجميع مسلمى العالم من اللجنة الشرقية للدفاع عن المغرب والمصدر بمقدمة لمندوب الأمة المغربية فى المؤتمر الاسلامى السيد محمد المكي الناصرى الذى شفا

<sup>(</sup>١) اقرأ جريدة حضرموت عن جلسات هذا المؤتمر

الغليل من هذا الموضوع بحسن بيانه وقوة برهانه وبالوثائق التي لا تمكن المكابرة فيها و بأدلة لا يستطيع الخصم نفسه أن يمارى في شئ منها . فعسى أن الحكومة الافرنسية الجديدة تتوخى في هذه المسألة الخطة التي ترضى العالم الاسلامي وتحفظ المبدأ العام الذي اتفقت عليه الأمم والاقوام من عدم المساس بالاديان وتلغى الظهير البربرى الذي تدهورت في بدلالة أناس اكايريكيين كان من أقبح الآراء أن يعهدوا اليهم بالادارة في بلاد اسلامية . « انتهت المقالة »

\* \* \*

فن كان يظن أن حكومة تقول انها لادينية وتدير أمة راقية من أرقى الأمم كالأمة الفرنسية ترضى لنفسها ولأمتها بالسير على خطة دينية تبشيرية مخالفة للنزاهة وللحرية الدينية المقدسة ولعهود فرنسة نفسها . ومن كان يظن أن لوسيان سان وهذه الزمرة التي حوله يتغلبون على الحكومة الافرنسية الراقية و يسوقونها الى ما لا يليق بسمعتها فضلاً عما يضر عصلحتها

وهذا كله أنما هو راشح من بقايا المبادئ الصليبية القديمة التي لم يتمكن العلم العصرى من اقتلاع جذورها من رؤوس الاور بيين لا سيما الأمم اللاتينية منهم

وتأمل فى الأعمال التى أقدمت عليها ايطالية فى طرابلس الغرب والمو بقات التى ارتكبتها جنودها منذ عشرين سنة فى ذلك القطر البائس (١) مما لم يسبق له مثيل الا فى القرون الوسطى وقد يكون من باب النادر فى القرون الوسطى نفسها

ومن جلة ذلك أنهم أخرجوا ثمانين ألف عربى من الجبل الأخضر من أوطانهم البديعة وأراضيهم المربعة وأسكنوهم في صحراء قاحلة من أرض «سرت» وأمانوا بذلك جانباً كبيراً منهم وجميع مواشيهم وارتكبوا في هؤلاء المساكين من الفظائع والشنائع ما لا عين رأت ولا أذن سمعت وأخيراً اغتصبوا من أبديهم أطفاهم من ذكور واناث ممن فوق سن الأربع الى سن ١٥ سنة وحلوهم الى ايطالية لأجل تنشئتهم في الدين المسيحي وهذا برغم آبائهم وأمهانهم و برغم الصراخ الذي ملا الفضاء في ذلك اليوم. وقد فصلوا الطفل عن أبيه وأخذوا الطفلة عن ذراع أمها ولم ترق قلوب الطليان لبكاء ولا لعويل ولا تأملوا في عار ولا شنار ولا في مخالفة هذا العمل لحقوق الأمم التي لا تجعل للحكومة سلطة تأملوا في عار ولا شنار ولا في مخالفة هذا العمل لحقوق الأمم التي لا تجعل للحكومة سلطة

<sup>(</sup>١) راجع رسالة الفظائع السود الحمر أو التمدين بالحديد والنار التي انتشرت في هذه السنة

على القاصرين في وجود آبائهم وأمهاتهم ولا في مخفالفته للعاهدة التي بين تركيا وايطاليا على طرابلس والتي تعهدت فيها ايطاليا بحفظ حقوق المسامين في عقائدهم وأعراضهم وهمائهم وأموالهم . وأغرب من هذا كله أنهم يعترفون بعملهم هذا ولا يرجعون عنه وتفتخر به حكومة الفاشيست في مجلس الامة الطليانية وتصدر به القرارات وتنشر في الجرائد . وقد عم الصريخ العالم الاسلامي من أقصاه الى أقصاه بما جرى من الطليان على مسلمي طرابلس وملائت الاحتجاجات رومة وجنيف وغيرهما ولم يزل الفاسيشت على غيهم ولم يزل العرب المطرودون من الجبل الأخضر ساكنين في بادية سرت و رواية جرائد ايطاليا هي أن منهم خسة آلاف نسمة أذنت لهم الحكومة في الرجوع الى بيوتهم . وما كان المقصد من اقصاء هؤلاء الثانين ألفاً من العرب الا أخذ أراضيهم وتسليمها للستعمرين الطليان يتمكنون منها ولا ينازعهم أحد

اننا اذا تأملنا في هذه الاعمال وعامنا أنها صادرة من أمم تزعم أنها تريد أن تلقى دروس التهذيب على العالم وجدنا أن أعرق الامم الاسلامية في الغباوة والبداوة لا تتنزل الى مثلها . فلا وجه اذاً للقايسة بين العالم الاسلامي والعالم المسيحي في التسامح وعدم التسامح . ان الاستبداد المطلق لا سيا في الدين هو منزع أور بي محض ولا يقاس المسامون بالاور بيين في هذا الام في قليل ولا كثير

ولم يستطع الفيلسوف الافرنسي ارنست رنان Renan انكار ذلك لكنه حاول نعليله بكونه تراثاً مسيحياً أخذه النصاري عن اليهود . قال في الصفحة ٢٣٨ من «حياة بسوع » طبعة سنة ١٩٢٥ ما يلي

« نعم قد كانت المسيحية غير متسامحة في الدين ولكن عدم تسامحها هـذا لم يكن مسيحياً في جوهره بل هو وضع يهودي فإن اليهود هم أول من قرروا الحصر المطلق في الديانة وزعموا أن كل مبتدع ولو جاء بالمعجزات أدلة بين يديه تجب المسارعة الى رجم وبدون محاكة . ولا انكار أن العالم الوثني كان أيضاً غير متسامح احيانا لكن لوكانت عنده هذه القاعدة لما كان محكنا أن يتنصر . فاليهودية هي التي أعلنت عقيدة سرمدية مسلحة بالسيف . فلوكانت النصرانية لم تتابع اليهود في بغضائهم العمياء ولوكانت الغت ذلك النظام بالسيف . فلوكانت النصرانية لم تتابع اليهود في بغضائهم العمياء ولوكانت الغت ذلك النظام

الذي كان السبب في موت مؤسسها لكانت بدون شك أثبت مبدأ ولنفعت النوع الانساني أكثر بكثير » اه

ونحن لا نوافق رنان على هذا التعليل من جهة حصر منشأ هذا التعصب الاعمى في تراث المسيحيين عن اليهود. بل نقول ان أعظم السبب فيه هو الغريزة الاوربية المبنية على الاثرة والطمع والجشع وحب التسلط في كل شي عما يثبت بالحروب الكثيرة الاوربية التي منشؤها الاطهاع وناهيك بالحرب العامة شاهداً. فالنصرانية كانت دين سلام ورفق وحلم وتوصية بالقريب و بكاء على الحزين وفيها هذا المبدأ الشريف: « أحبوا أعداء كم فان كنتم تحبون أصدقاء كم فائي فضل لكم » فاما دانت بها الامم الاوربية تاونت باون الآنية التي انصبت بها وانقلبت الى ما نراه عليه الآن من الاستبداد والحصر وامتاز أتباعها من الاوربيين لا سيما اللاتين بشدة العداوة والشنآن خلافا لما كان يأم به السيد المسيح على خطمستقيم

## مباحث اجتماعية تدخل في غرض هذا الكتاب

## للفيركنب

خلط الاوربيين في قضية الشرع الاسلامي ورميهم إياه بالجود لتعلقه بالمعاد والمعاش معاً

قرأنا وقرأ غيرنا وما زلنا نقرأ هذه الخرافة التي معناها أن سبب تقهقر المسامين هو الشريعة الاسلامية بسبب كونها أعاطت بامور المعاد والمعاش معا وجاءت بأحكام سرمدية لا تتغير ولا تتبدال وقضت بتطبيقها في كل زمان ومكان بدون نظر الى اختلاف الأزمنة والأمكنة الى غير ذلك من الأقاويل التي منهم من يلقفها من دون روية ولا انعام نظر ومنهم من يعلم سر المسئلة لكنه يتجاهل ذلك عمداً كراهية منه للاسلام وعملاً هدمه ، ومنهم من يرويه كحكاية عال ويظن أن هذا الأمر بعض التأثير في الحالة التي آل اليها المسامون وهؤلاء كاحب كتاب « مائة مشر وع لنقسيم تركيا »

وأغرب من هذا أن بعض المسامين الجغرافيين وفي طليعتهم الأتراك الانقريون شيعة مصطفى كمال قد وافقوا هذه الفئة من الأور بيين على مزاعمها هذه وذهبوا الى أن تأخر المهالك الاسلامية وتأخر تركيا أعاجاء عن اختسلاط أمور الدين بالدنيا وعن عمل المسامين بشرع سماوي أرادوا أن ينفذوه مفرداً وأن يجعلوه سرمداً وأن يردّوا اليه كل شئ ولهذا كان لا مندوحة للامم الاسلامية بزعمهم اذا أرادت الرقى في معارج الفلاح من أن تنبذ هذه الشريعة القديمة البالية التي أصبحت لا تصلح لعصر كعصرنا هذا ولا مفر لها من الاتراك الحاليين كلة أخذوا يلوكونها بألسنتهم ويظنون أنهم أتوا فيها بالقول الفصل! وهي : «نحن لا نريد شرعاً فيه قال وقالوا ولكن شرعاً فيه قلنا ونقول». وطاب

لمقلدة الاتراك الانقريين من أهل مصر وغيرهم وان كانوا نزراً في عددهم أن يرددوا ما يردده الكاليون بدون تأمل في حقائق الامور ولا في حقائق تلك الالفاظ التي ياوكونها وحقيقة الحال أنه ليس في الدنيا شرع ولا قانون يخلو من « قال » و « قالوا » ولا يستقى في منابعه الى قواعد وأوضاع وأقوال سبقت منذ مئين من السنين ور بما من آلاف من السنين .

فكون الانقريين عملوا بمقتضى «قلنا» و «نقول» وأرادوا مساوقة العصر الحالى هو غير صحيح. وهم ما أرادوا الا « التفرنج» لا غير. ولم يكن عمل الاتراك بمجلة الاحكام العدلية هو الذي منع تركيا من الرقى بل كان عملها بمجلة الاحكام العدلية في المعاملات المدنية هو عين الحكمة والصواب لان القاعدة في القوانين هي أنها لا تفيد الا اذا كانت مطابقة لأذواق الأقوام التي تطبق في محاكمهم وموافقة لمشاربهم و عاداتهم وأخلاقهم.

فعندما أخذ الاتراك بقانون سو يسرة المدنى و بقانون الجزاء الايطالى أخذوا بقوانين بعيدة عن عقليتهم وذوقهم ومنازعمهم ومشاربهم بعد المشرق عن المغرب وما اخالهم استفادوا منها شيئاً الا التحيير في القضاء والصعوبة في التطبيق وقد بلغني أنهم اضطروا فيا بعد لتعديلات كثيرة في هذه القوانين بعد ان كانوا قبلوها على علاتها وحاولوا تطبيق قوانين جارية في زور يخ و برن على أهالى وان و بتلس ومعمورة العزيز . . . . .

فأما خاو القوانين التركية الجديدة من «قال» و «قالوا» فقد كفانا اظهار ما فى ذلك من السفسطة «موريس برنو» Pernot الكاتب الافرنسي فى رحلت المساة «فى آسية الاسلامية» على كون هذا الكاتب المفكر هو من أشد الاوربيين ابتهاجاً بخلع أنقرة للتقاليد والقواعد الاسلامية . لم يلم الاتراك الكاليين على العمل بقوانين أو ربية وانما انتقد زعمهم أنهم انما أخذوا بقوانين لا تستند على أقوال ماضية .

فني الصفحة ، ٩ ، من كتابه هـذا يذكر برنو جلسة في مجلس النواب بانقرة ألقى فيها الغازى مصطفى كمال خطبة في معنى التجدد قال فيها: « ان التشريع والقضاء في أمة عصرية يجب أن يكونا عصريين مطابقين لاحوال الزمان لا للبادئ ولا للتقاليد »

قال برنو: « و بعــد رئيس الجهورية قام محمود أسعد بك ناظر العدلية ورقى المنبر

وقال: « ان الشعب التركى جدير بان يفكر بنفسه بدون أن يتقيد بما فكر غيره من قبله . وقد كانت كل مادة من مواد كتبنا القضائية مبدوءة بكلمة « قال » المقدسة . فاما الآن فلا يهمنا أصلاً ماذا قالوا فى الماضى بل يهمنا أن نفكر نحن وان نقول نحن » وقد قو بلت هذه الجل بعد كلام الغازى بابتهاج شديد وأشد من رأيته مبتهجا بها أحمد أغايف القوقاسي و يونس نادى ومختار بك وذلك لأن هذه الافكار هي أفكارهم وفى تصفيقهم كانوا يصفقون لفوزها » قال موريس برنو:

« الا أن هـ نه القضية التي قررها الغازي ومجمود أسعد فيها نظر . فاذا نظرنا الى القانون المدنى الذي استعارته تركيا من سو يسرة فهل يجهل مصطفى كمال أن هذا القانون ناشئ عن منبعين أحدهما روماني والآخر مسيحي ? وهل يجهل الدور الذي تلعبه في هذه القوانين العادات القديمة والعرف الجاري الذي يريد هو الغاءة أن يعمري أن كنا نريد أن نأخذ بمبدأ الغازي هذا لزم أن نقول أن على أهل كل عصر أن يلغوا الاحكام القضائية التي كان يعمل بها أهل العصر الذي سبقه وان لا يعملوا الا باحكام جديدة بحجة أنها أوفق للزمان الذي يعيشون فيه » . اه

ان موريس برنو هو من الفئة التي استحسنت كل ما فعلته أنقرة من الخروج على العقائد والقواعد الاسلامية ومع هذا فلم يقدر أن يهضم هذه السفسطة التي معناها أن القوانين العصرية لا يجوز أن يكون فيها مبادئ وأصول قديمة . وان هذا القانون المدنى السويسرى التي اتخذته تركيا لنفسها يتضمن أصولا وقواعد ترجع ان التشريع الروماني القديم فهي أقدم عهداً من الفقه الاسلامي الذي يزعم مصطفى كمال أنه الغاه بسبب توغله في القدم (1)

وأما قانون العقو بات الايطالى الذي اتخذته تركيا لنفسها أيضاً فهو قانون روماني مسيحي وايطالى كاثوليكي وفيه من الاوضاع اللاتينية القديمة والاعراف المسيحية الموروثة ما لا ينكره الا المكابر فكيف يكون مصطفى كمال سيّر أمته على نهيج عصرى محض لا مدخل فيه لقال ولقالوا ولا لرأى عتيق ? ولقد نسى الغازى أن القوانين ينبغي أن تكون لا وفقا للزمان فقط بل للكان أيضا وان بين المكانين تركيا وسو يسرة وتركيا وإيطالية

<sup>(</sup>١) فكيف يكون القديم مكروهاً منبوذاً والأقدم منه مقبولا معولا عليه في وقت واحد .

بونا شاسعا في المشرب والمذهب والعرف والعادة. وناهيك أن جميع سو يسرة بلاد مرتبطة بعضها ببعض وسكانها لا يبلغون أر بعة ملايين وهم لا يزالون غير متفقين على قانون واحد بل تجد في المقاطعة الواحدة قانوناً غير قانون المقاطعة الثانية وذلك بحجة اختلاف الاعراف والعادات بين المقاطعةين. فاذا كان هذا هو تأثير الخلاف بين مقاطعة ومقاطعة في سو يسرة فكيف تكون لعمري درجة الاختلاف بين سو يسرة وتركيا. واذا كان القانون الذي تعشى عليه جنيف لا يوافق أهل لوسرن مثلاً وكل المسافة التي بينهما بضع ساعات فكيف يوافق قانون سو يسرة أهالي ديار بكر وسيواس وقره حصار مع أنك اذا عرفت هذه وعرفت تلك ظننت أن الارض غير الارض والسهاوات

ان الذي قصده مصطفى كمال و رهطه لم يكن سوى مجرد التفريج وان تفهم أور بة انهم هم نبذوا التقاليد الاسلامية و رموا بالشريعة القرآنية عرض الحائط وأقاموا مقامها قوانين أور بية . وليس أدل على ذلك من كون المجلس الانقرى يوم قرر اتخاذ قانون سويسرة المدنى قرر قبوله بأصباره بدون مناقشة ولا تعديل و بقيت قضاة تركيا مدة طويلة لا تكاد تفهم من هذا القانون شيئاً . وما باشر وا تعديل القانون السويسرى الذي اتخذوه قانونا مدنياً الا بعد اتخاذه ببضع سنوات . أما قانون العقو بات الايطالى الذي اتخذوه للا مور الجزائية فان ايطالية نفسها عادت فأدخلت فيه تعديلات توخت فيها زيادة المطابقة بينه و بين مبادى الكنيسة

وسواءً كان هذا أو ذاك فليس في أور بة قانون غير متأثر بالتعليم المسيحي والتشريع الروماني . وعليه يكون من الخطأ البين الاعتقاد بأن القوانين الأور بية هي كلها من باب التشريع الانساني الصرف وأنه لا مدخل فيها للبادئ الدينية ويكون تحكما القول بأن الشريعة الاسلامية وحدها هي التي جعت بين أحكام الدنيا والآخرة! ومن طالع الشرائع الانسانية عرف أنها بأجعها سهاوية بشرية أى أنها راجعة الى أصول دينية واجتهادات بشرية معلقة عليها . وليس الشرع الاسلامي وحده ناصاً على أمور الدنيا والآخرة بل الشرع الموسوى أيضاً وديانة سيوا التي هي عقيدة أهل الهند وديانة بوذا التي هي عقيدة أهل الصين . وأما الانجيل فليس كتاب تشريع وانما هو كتاب مواعظ وآداب أراد بها السيد المسيح صاوات الله عليه تهذيب النفوس وتطهير الأخلاق واعادة الخلق الى روح

الشريعة الموسوية فلم يرد الاتيان بشرع جديد لكنه نبه على وجوب اتباع الشرع القديم فالعهد الجديد الكال للعهد القديم لا نقض له كما صرح بذلك المسيح نفسه. فيكون الانجيل أيضا لم يخرج عن الشرع السماوي وتكون دعوى بعضهم من أن الانجيل لم يتعرض لأمور الدنيا غير صحيحة . و بعبارة أخرى اذا نظرنا الى الحقيقة نجد الشرائع كلها راجعة الى أصل سماوى ولكن قد فرع الناس منها بقدر الاستطاعة و بحسب احتياجهم و بعد التجاريب المتعددة ومع مراعاة الأزمنة والأمكنة وأخذ بعض الناس في هذا عن بعض فكل قبيل قلد قبيلا فيما هو موافق لحاله ونبذ ما هو غير موافق لحاله وجميع المشترعين آنما يقصدون الرفق بالعباد وحياطة الحق ما أمكن ويرمون الى غرض واحد هو مصلحة الأمة . وهذا ما يسميه المسلمون بالاجتهاد وقد بلغوا فيه مالم تبلغه أمة قبلهم ولا بعدهم وقد عظم على من تضيق صدورهم بالاسلام أن يكون فقهاء الاسلام بلغوا من الاحاطة بالنوازل البشرية وتبيين وجوه أحكامها ما بلغوه فزعموا أن أئمة الاسلام انما أخذوا ماأتوا به عن الفقه الروماني . وهذا من أغرق المزاعم في الباطل ولقد تقدم لنا في هذا الكتاب البحث في هذه المسئلة ونقلنا فيها كلام العلامة صاوا باشا الرومي الذي فنَّد هذا الزعم وأثبت كون أئمة الاسلام انما فرعوا على أصلين هما القرآن والحديث ولكنهم أضافوا اليهما الاجاع والقياس فتوسعوا في الفقه ما ندر أن يكون تيسّر لغيرهم وكل من زعم ان الفقه الاسلامي مأخوذ من الفقه الروماني لا يكون اطلع على شيٌّ من تاريخ الرسـول ولا أصحابه ولا التابعين. فالشرع الاسلامي هو شرع سماوي باعتبار الأصل وتشريع انساني باعتبار الاجتهاد والتفريع. وكذلك القانون الروماني نفسه بعد ظهور النصرانية تلوَّن بلونها . وصاوا باشا يقول طبق ما أسلفناه في أول هذا الفصل وهو : ان السيد المسيح قد اقتصر على الوعظ با داب عالية كانت أعلى من كل ماعهده البشر من نوعها ولكنه لم يقصد تبديل الشرائع التي كانت موجودة في عصره وانما تأثر الفقه الموسوى والفقه الروماني بالعقيدة المسيحية التي كانت قد بدأت تنتشر في المجتمع وما كان لشريعة قوم من الأقوام الاأن تتأثر بديانتهم. فالآداب المسيحية قد كان لها تأثير عميق في الفقه « الروماني البريتوري » وأما الفقه اليوستنياني (١) فقد كان تشريعا مسيحياً بحتاً الخ »

<sup>(</sup>١) نسبة الى الامبراطور الروماني يوستنيانوس

وقد ألف فائر بك الخورى من أدباء المسيحية السوريين والحقوقيين البارعين تأليفا في الفقه الروماني والفقه الاسلامي وأثبت عدم اشتقاق هذا من ذاك . وعلى أي الأحوال لم يكن الفقه الاسلامي وحده هو الذي يرجع الى وحى ساوى بل جيع الشرائع قد بنيت على أصول دينية أو تأثرت بها . وهذه الأصول الدينية قسمان عبادات ومعاملات فقسم العبادات متعلق بالباري تعالى الأزلى الأبدى الذي لا يتغير فلم يكن من شأن عبادته أن تتغير ولا كان دين من الأديان ولا الدين المسيحي محاجرت العادة أن تتغير أصوله بحسب الزمان والمكان . وأما قسم المعاملات فهو وان كانت له أصول من القرآن والسنة فقد كان فيه مجال الاجتهاد واسعا وكانت مصلحة الأمة هي الحور الذي يدور عليه ذلك الاجتهاد .

ومن نظر الى الكليات الفقهية مثل قولهم : العرف قاض والعادة محكمة ولا ينكر تبدل الأحكام بتبدل الأزمان والضرورات تبيح المحظورات واذا ضاق الأمر اتسع وما رآه المسامون حسناً فهو حسن وعلم ان المذاهب الأربعة الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي قد أجازت العمل بالمصلحة المرسلة أدرك من مرونة الشرع الاسلامي ومن سعة مذاهب ومن تنزله على كل الحوادث ومن مناسبته لجيع الأمكنة والأزمنة ما لا يدركه الجاهل ولا يريد أن يدركه المتعنت . ولا شك أن جود بعض فقهاء الشرع الاسلامي وشدة تعصبهم لكل شيء قد سبق العمل به وشدة نفورهم من كل أمر محدث ولو لم يكن فيه منافاة للشرع وعدم اجازتهم العمل الابما عاموه ولوكانت المصلحة المتعينة تقتضي خلافه وتهافتهم على الجزم بحرمة مالم تثبت حرمته برغم ماورد من التشديد والتدمير على كل من يقول بالحلال والحرام بغير علم كل هذا قد اتخذه اعداء الاسلام حجة على الشريعة الاسلامية بأنها جامدة و بأنها لاتلتوى مع الوقت و بأنها لاتسع جميع الحوادث و بأنها قد تخالف المصلحة وقد يضطر المسامون الى ترك المصلحة من أجلها وغير ذلك مما ترمى به الشريعة ظلماً وعدواناً . والحق فيه ان الشريعة لا يمكن أن تخالف المصلحة لأن هذه انما جاءت لمصالح العباد والله لايشرع لهم الا ماييسر أمورهم ولا يجعل عليهم في الدين من حرج. وكذلك المصلحة لا يمكن أن تكون مخالفة للشريعة وما يقال انه مخالف منها للشريعة فغير معترف بكونه مصلحة فان تعين المصلحة ليس بالأمر السهل وقد يظن بعضهم المصلحة في شيء يظن غيرهم انها في خيلافه لاختلاف الذوق وقيد يجمع أكثر الأمم على اصطلاحات وعادات هي في الواقع مخالفة للصلحة مشل اجاعهم على الربا الذي مهما يكن من عمل العالم المتمدن به فليس هو من المصلحة الحقيقية فلا يجوز أن يقال ان تحريم الشرع اياه مخالف للصلحة وأما المصلحة الحقيقية فلا عكن أن يأني الشرع بضدها وقد رأينا أموراً عدل فيها الفقهاء الى العرف وتركوا نصوص الكتب الشرعية وذلك بعد أن تبيَّين لهم ان المصلحة هي في اتباع العرف الجاري في ذلك المكان المعين وقد رأينا أمو رأ ترك فيها المسلمون ظاهر الشرع لضرورة قضت عملاً بكون الضرورات تبيح المحظورات و بأن الأمر اذا ضاق اتسع. وليس بصحيح ان المسامين لايعملون الا بنص من الكتاب أو السنة بل هم يعملون بالنص ما وجدوه فان لم يجدوه عملوا بالقياس. وما منع علماء الاسلام العمل بالرأى لافي القديم ولا في الحديث. وغاية مافي الامرانهم اشترطوا في الرأى بلوغ مرتبة من العلم يصح بها اعطاء الرأى. وهذا لايقدر أحد أن يقول فيه شيئا لأن الاجتهاد له شر وط لايصح بدونها . وليس لكل انسانأن يجتهد وان يستنبط أحكاماً شرعية. وهذه رتبة عالية جداً لا يرقاها الامن أعاطوا بالكتاب والسنة و وصاوا الى الأمد الأقصى من الرواية والدراية معرفوا من أحوال المجتمع البشرى ما تتجلى لهم به وجوه المصالح و يظهر مكان سد الذريعة . واما الرأى في نفسه لمن قدر عليه فلم يمنعه احد وكل رأى اتفقت عليه الامة اجاز وه وقالوا ان الامة لاتتفق الاعلى صواب واستدلوا على جواز العمل برأى الامة بقوله تعالى : ( وأمرهم شوى بينهم ) وقال ابن قيم الجوزية في « اعلام الموقعين » كانت النازلة اذا نزلت بائمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ليس فيها عنده نص عن الله ولا عن رسوله جع لها أصحاب رسول الله عليها شم جعلها شورى بينهم . وعن شريح القاضي قال قال لى عمر بن الخطاب: «اقض بما استبان لك من قضاء رسول الله صَالِيَّةٍ فَانِ لَم تعلم كُل أَقضية رسول الله صَالِيَّةٍ فَاقض عما استبان لك من أَثَّة المهتدين فأن لم تعلم كل ماقضت به ائمة المهتدين فاجتهد رأيك واستشر أهل العلم والصلاح». وكتب عمر الى شريح: «اذا حضرك أمر لابدمنه فانظر مافى كتاب الله فاقض به فان لم يكن ففها قضى به رسول الله فان لم يكن ففهاقضي به الصالحون وائمة العدل فان لم يكن فانت بالخيار . فان شئت أن تجتهد رأيك فاجتهد رأيك وان شئت أن تؤامرني ولا ارى مؤامرتك اياى الا خبراً لك. » ومن كتاب لعمر الى أبى موسى الاشعرى: «ثم الفهم الفهم فيما ادلى اليك مما ورد عليك مما ليس في قرآن ولا سنة ثم قايس الامو ر واعرف الامثال ثم اعمد فيما ترى الى أحبها الى الله وأشبهها بالحق»

ولما بعث الرسول على معاذ بن جبل والياً على اليمن قال لمعاذ : كيف تصنع ان عرض لك قضاء ? قال اقضى بما في كتاب الله : قال : فان لم يكن في كتاب الله ? قال فبسنة رسول الله . قال : فان لم يكن بسنة رسول الله ? قال اجتهد رأيي لا آلو . ففرح رسول الله على بقوله هذا وقال : الجد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله على على على الله على على الله على الله على على الله على الله على الله على الله على الله الله على الله على الله على الله على الله على الله على على الله على

ور بما قيل : الا ان الرأى في الفقه الاسلامي لا يصح الا اذا كان ضمن دائرة الاسلام ولم يصادم الكتاب ولا السنة. وكانهم لا يرون القضاء موافقاً للدنية العصرية الا اذا كان غير مقيَّد بالكتاب والسنة . وليس هذا الافلات بضرورى أصلا اذا كان الكتاب والسنة لاياء مران الا بما فيه المصلحة ولا محملان الناس على مافيه ضرر لهم ومادام خير الأمة إينما كان هو رائد الشريعة فن الظلم ان نتهم الشريعة بضيق العطن ونقول انها لاتسع النوازل وهي قد جعلت باب الاجتهاد مفتوحاً لكل من كان حقيقاً به وجعلت المصلحة والضرورة وسد الذريعة من الاصول الكلية التي يرجع اليها والحاصل ان جيع الشرائع تقريباً لها أصول دينية مرعية مقدسة عند اتباعها ولم تختص بذلك الشريعة المحمدية. وجيع الشرائع أيضا قد توسعت وتكملت بالاجتهادات البشرية التي اختصت منها شريعة الاسلام بالقسط الأوفى. ولم تختص بذلك القوانين الأوربية وحكاية جود الشرع الاسلامي على وتبرة واحدة وأنه لا يتقدم ولا يتأخر ولا يراعي تغير زمان ولا مكان هذه من جلة الدعايات التي يبشُّها أعداء الاسلام ورواد الاستعار الأوربى ويدخلون بها على ناشئة المسامين بالشبه التي تكره اليهم هذا الشرع وتحبب اليهم المروق منه وهذا جل ما تبغيه أوربة من الدعاية في هذا العصر بين المسلمين لمعرفتها انه ما دام الشرع المحمدي هو مدار العمل عند المسلمين كان هؤلاء يرون خضوعهم للائجانب ذنباً لا يغفره الله لهم الا بالاستقلال التام وعاراً لا برحضه الاطرد الأجنى المتغلب من المستعمرات التي تغلب فيها عليهم . وأية مصيبة على أوربة أعظم من هذه!

# قضية فصل الدين عن السياسة

ويدخل في هذا الباب قضية « فصل الدين عن السياسة » وزعم الفئة الدساسة من رواد الاستعار وأعداء الاسلام ان أو ربة قد فصلت الدين عن السياسة بتاتاً وطلقت هذه من هذا ثلاثا وانه لم يبق من يخلط الدين بالسياسة و يجعل للحكومة صبغة دينية الا المسامون الذين لم ينظر وا الى ما حولهم من المحدثات العصرية التي من جلتها جعل الدين في واد والسياسة في واد . وقد مشت هذه الأغلوطة على كثير من المسامين وآمنوا وصدقوا ان الدول الأو ربية تفصت من كل نزعة مسيحية وأنها لا تعرف شيئا سوى الانسانية العامة وان الدين المسيحي لا تهتم به حكومة من حكومات أور بة أكثر مما تهتم بغيره من الأديان! وانه ان كان المسامون يريدون أن يفلحوا فلا مناص لهم من الاقتداء بالأو ربيين في هذا المشرب ولما كان الأو ربيون قد نزعوا من حكوماتهم كل صغة مسيحية كان على المسامين المقتدين بهم في طلب الفلاح أن ينزعوا عن حكوماتهم كل صبغة اسلامية بحيث تنظر الى الدين نظر من لا ناقبة له في الأم ولا جل . ويسمون هذا المنزع « باللاييقية » الدين نظر من لا ناقبة له في الأم ولا جل . ويسمون هذا المنزع وعضت عليه بالنواجذ وانه لم يبق من يقيم للدين و زناً الادول الاسلام ومن أجل هذا هي متأخرة متفهة و:

ولقد روَّج هذه الأغاوطة مصطفى كال رئيس جهورية أنقرة لغرض فى نفسه من جهة سلخ الترك تدريجا من العقيدة الاسلامية وصرفهم عن اللغة العربية فسار بتركيا سيرة من يجعل الدين اللسيحى هو بزعمه أجنبيا عن الحكومة التركية كما ان الدين المسيحى هو بزعمه أجنبي عن الحكومات الاوربية الراقية! وتابعه فى ذلك الحزب الذى يسمى فى تركيه «خلق فرقه سى» والذى هومن أوله الى آخره أشبه بجند لمصطفى كمال تحت قيادته لا يملكون معه قبضا ولا بسطا . فأ لغوا جميع ما تشتم منه رائحة الاسلام من أوضاع الحكومة التركية وأبطاوا الحاكم الشرعية بعد أن أبطاوا العمل بالشريعة وألغوا الوزارة التي كان اسمها «مشيخة الاسلام» وجعلوا مكانها دائرة صغيرة تابعة لنظارة الداخلية سموها « ديانت ايشي » أى أمور الديانة . وحذفوا من دستور تركيا المادة التي فيها « ان الاسلام هو دين المنجورية التركية » وكانوا على مدة بضع سنوات أبطاوا اقامة مراسيم العيدين النحر

والفطر وقالوا ان الحكومة التركية لا تعرفهما ولكنهم وجدوا فيما بعد أن المأمورين شاء رئيس الجهورية أم أبى لا بد لهم من الاحتفال بهذين العيدين فعادوا فى السنة الماضية يعطلون دوائر الحكومة فيهما وعاد رئيس الجهورية يقبل فيهما التهانئ

وأما الكتابة التركية بالحروف العربية برغم كل ما جرى لها من المعارضة فقد كان تعليلها في ظاهر الحال تسهيل التعلم على النشء وتقصير المدة اللازمة للقراءة ولمن الغرض الحقيق منها كان اقصاء الترك عن العرب وابطال قراءة القرآن تدريجاً وأهم من ذا وذا اقناع أور بة بأن تركيا قد تفرنجت تماماً وانه صار من العدل أن تدخل في العائلة الاور بية ولهذا الغرض الأخير نفسه حل مصطفى كمال الاتراك على لبس القبعة ليزدادوا اندماجاً في الاور بيين . ولقد كان ترك الحروف العربية ضربة عظيمة على تركيا في حياتها العلمية والأدبية والاقتصادية والتجارية وتعذرت الكتابة على الجميع بالحروف اللاتينية فانحصرت في فئة قليلة وقلت المكتب والحرائد وأصبحت الجريدة التي كان عدد قرائها يحصى بالالوف لا يقرأها ولا خسائة شخص وصارت الحكومة مضطرة أن تقوم باودها .

وازدادت الكتابات الرسمية صعوبة فتأخرت أشغال الناس لدى الحكومة. ودثرت ملايين من الكتب فربت بذلك بيوت لا تحصى. وأما من الجهة الفنية فالحروف اللاتينية برغم ما أدخاوا من العلمات على بعضها لايتاء اللفظ التركى حقه لا تؤدى اللفظ التركى الصحيح فى كثير من المواضع فلذلك قد تغير بها اللفظ التركى عن أصله وصارت كأنها لغة جديدة. ثم ان الحروف اللاتينية المنفصلة وان كانت أسهل فى القراءة والكتابة فانها تأخذ من الفسحة على القرطاس وتستغرق من الوقت للكتابة أكثر مما تستغرق الحروف العربية بكثير وان الكتابة العربية هى أشبه شى بالاختزال Sténographie وانها أوقع على مبدأ الاقتصاد فى الزمن والمكان وأقرب أن تكون كتابة العصر الحالى المبنى كل وضع فيه على الاختصار والاقتصاد

ولا تزال هذه الأزمة الكتابية مشتدة في تركيا ولكن الغازي لا يزال مصمماً على حل الأمة على الحروف اللاتينية حباً بالنفرنج

والذين لا يعلمون حقائق الأحوال يظنون أن الأتراك راضون مغتبطون بالغاء

الشريعة الاسلامية من المحاكم ورفع التعليم الديني من الكتاتيب والمدارس واجبار النساء على السفور وخلط الاناث والذكور في دور العلم وجهل الأوانس على الزفن مع الشبان ولبس القبعة والكتابة بالحروف اللاتينية الى غير ذلك عما أحدثته الحكومة الأنقرية المحالية ويقولون انه لولا رضى الترك بذلك لثاروا بحكومتهم ولأسقطوها ولردوها عن ثنيًّات الطرق! ولكن الذي يتأمل فيا تحمله الشعب التركي من المصائب وما نوجز من الحروب المستمرة بدون انقطاع و يعلم أن جيران الاتراك كلهم واقفون لهم بالمرصاد ينتظرون أول غرة ليهتبلوها وينقضوا عليهم و يعيدوهم أثراً بعد عين والذي يفكر في أن آمال الاتراك كانت بعد الحرب العامة قد انقطعت من الاستقلال وان كثيرين منهم ومن جلتهم على تركيا ومع هذا فقد أذن الله بأسباب متعددة يطول شرحها أن تتمكن تركيا من على تركيا ومع هذا فقد أذن الله بأسباب متعددة يطول شرحها أن تتمكن تركيا من استرجاع استقلاها وأن تعود دولة كسائر الدول ولو من الدرجة الثانية نعم الذي يستعرض على مرارة هذه الاوضاع الاجتاعية التي هي مخالفة لمذهبها ومشربها وعادتها وذوقها ولماذا هي تفضل الخضوع ها على الثورة والانتقاض والنظريق للاعداء أن يعودوا فيقضوا على تركيا كا كانوا قرروا على أثر الحرب العامة

أما العقيدة الاسلامية فلم تزعزعها حتى الآن فى تركيا هذه السياسة اللادينية ولا يزال الشعب التركى شديد الاعتصام بعروة الدين الوثتى تدل على ذلك مظاهره الدينية فى استانبول وغيرها مما لم يخف على الافرنج الذين أشاروا اليه فى جرائدهم . ولن يكون خطر على اسلام الشعب التركى الا ان استمر الحكم الحالى مدة طويلة ونشأت الافواج الجديدة على ما هى عليه من فقد التعليم الدينى . والانقريون يزعمون أن المدارس الاميرية فى فرنسة ليس فيها تعليم دينى وانهم هم انما يقتدون أبفرنسة . ولكنهم يتجاهلون أن المدارس الخاصة والمدارس العائدة للرهبان وللاساقفة وللجمعيات الدينية من كانوليك و بروتستانت هى فى فرنسة أكثر من أن يأخذها الاحصاء ولذلك التربية الدينية لا يمكن أن يخشى عليها هناك . هذا من جهة فرنسة . ونعود فنقول من حيث ان تركيا اتخذت لنفسها قانون الجزاء الايطالى ومن حيث انها على أتم الموالاة لايطالية و بين الدولتين اتفاق سياسي كما لا

يخفى فاماذا لا تريد ان تقتدى بايطالية فى جعل التعليم الدينى من أهم برامج المدارس الاميرية . وأيضاً فالأمة الالمانية التى هى فى الذروة العليا من المدنية تفرض التعليم الدينى فى جيع مدارسها . وأيضاً فالأمة ألانكليزية التى هى أعظم الدول قوة وسلطاناً فى الارض تعتنى مزيد الاعتناء بالتعليم الدينى فى مدارسها الابتدائية والتالية والعالية . ولا نعلم من حكومات الارض كلها الاثلاثاً يحاربن الديانات وقد الغين التعليم الدينى من مدارسهن وهن الروسية والمكسيك وتركيا

ثم ان فرنسة وان كانت حكومتها ذات صفة لادينية في القانون فانها تظهر في كل فرصة عظهر ديني مسيحي لايقدر القائل ان يجد فيه مقالاً . ولما مات المسيو بريان استدعت الحكومة رئيس اساقفة باريز وصلى على جنازته في نفس نظارة الخارجية . ولمامات المارشال فوش والمارشال جوفر أقيمت لهما مراسم دينية في فرنسة وفي سفارات فرنسة في الخارج . ومن شهرين أقاموا حفلة دينية في كنيسة الانقاليد بباريز عملت فيها الحكومة الافرنسية وذلك شكراً لله على انتصار الجيش الفونسوى في المغرب وافتتاحه لواحة تافيلات واستمطاراً للرحة على أرواح الذين قتاوا منه في المعارك . الى غير ذلك من المظاهر الدينية التي تقوم بها الحكومة الافرنسية والتي شهدنا منها نحن في سورية أيضاً مالا مجال فيه لمراء . ولولا النعرة المسيحية ما كانت الحكومة الافرنسية تعضد الآباء البيض والفرنسيسكانيين وسائر المسمرين الجائلين في الجزائر وتونس والصحراء والسودان الغربي وعد بضبعهم وتسهل المامهم عقبات تنصير الأمم الاسلامية وغيرها . وهذه القضية البربرية التي قام لها العالم الاسلامي وقعد ولا يزال الفرنسيس متمسكين بها ان هي الامظهر تحت حكم الجهورية الثالثة من مظاهر فرنسة في أيام لويس التاسع . فكيف تكون فرنسة الرسمية قد خلعت عنها الرداء الكاثوليكي وكيف يسوغ في الاذهان قول ينفيه ظاهر الحال

وهذه الدولة البلجيكية قد جعلت في بروغرام حكومتها الرسمى العمل لتنصير زنوج مستعمرتها الكونغو. وهذه الدولة الايطالية \_ صديقة تركيا \_ جعت الوفا من أطفال عرب طرابلس أخذتهم من بين أيدى والديهم بالقوة وحلتهم الى ايطالية لأجل تربيتهم في الديانة الكاثوليكية ولم تبال مافي ذلك من خرق العهود والاعتداء على أقدس حرية بشرية وهي الحرية الدينية. وهاده الحكومة الالمانية الحاضرة قد ضبطت منذ أشهر نشرات شيوعية

بحجة انها تتضمن دعاية لهدم الدين المسيحي. وكان الدكتور شترزمان قد أعلن في الرايخستاغ قائلاً: «ان الثقافة الالمانية مبنية على النصرانية». وقبل الحرب العامة كان المبراطور المانية وملك بروسية هو الرئيس الرسمي للكنيسة اللوثيرية كما ان ملك انكترة الآن هو الرئيس الرسمي للكنيسة الانكليكانية

وماذا يقول الانسان في تُدين الامة الانكليزية الشديد كبارا وصغاراً ومن جيع الطبقات حتى من طبقة الاشتراكيين. وكل أحد يعلم المناقشات التي ثارت في مجلس اللوردة الانكليزي ومجلس البرلمان الانكليزي من أجل سر استحالة الخبز والجر بتقديس القسيس الى جسد المسيح ودمه فانه لم يعلم الناس مسئلة أخذت من الأهمية في انكلترة ما أخذته هذه المسئلة حتى ان المرضى من اللوردة حضر وا جلسة هذه المسئلة محمولين بالأسرَّة. وتحرير الخبر ان في الكنيسة الانكليكانية التي عليها دين المملكة الرسمي خلافاً قديماً في قضية الخبر والجر. فالجناح الأيمن من رجال الكنيسة يقولون بما تقول به الكثلكة وهو انه بعجرد تقديس الكاهن على المذبح ينقلب الخبر الى جسد الرب والخر الى دمه بناء على كون المسيح في العشاء السرّى مع الحواريين ناولهم من الخبر وقال لهم : «هوذا جسدي ومن الخبر» وقال : «هوذا دمي»

فالكنيسة الكاثوليكية والمحافظون من الكنيسة الانكليكانية المنشقة عنها يقولون انه كلا قد س الكاهن على الخبز والخر ولفظ هذه الجلة التي قاها السيد المسيح ينقاب الخبز الى نفس جسد المسيح الحقيق والخر الى دمه . وأما الوسط والجناح الأيسر فيقولون ان هذه الاستحالة مستحيلة بذاتها مخالفة للعلم والفن وأن الخبز لا يمكن أن يتحول الى جسد المسيح ولا الخر الى دمه بالمعنى الحقيق وانه يقدس كل يوم ملايين من القسوس فكم مليون من كل يوم يقع هذا التحول لجسد واحد ? فلا يمكن أن يكون كلام المسيح هذا الارمز أبحيث كل يوم يقع هذا التحول لجسد واحد ? فلا يمكن أن يكون كلام المسيح هذا الارمز أبحيث إذا حصل التقديس يتذكر الناس جسد الرب ودمه تحت صورة الخبز والخر . وقد طال هذا الجدال بين الفريقين ولم تكن فئة منهما توافق الثانية واستظهر حزب الوسط والشمال بكتاب الصلاة الذي فيه عقيدة الكنيسة الانكليكانية والذي بمقتضاه لا يكون هذا الكلام الارمز أ . فاعترض حزب اليمين على ذلك وطلبوا تعديل هذا البند من كتاب الصلاة .

ولما كان كتاب الصلاة هو دستوركنيسة انكلترة وفيه نص بأنه لأيجو ز أن يعدًال منه لاكثير ولاقليل الابقرار مجلسي اللوردة والعموم جاءت هذه المسئلة الى هذين المجلسين.

وكانت الحكومة قدحولت هذه المسئلة الى مجلس مؤلف من كبار المطار بن وذلك من سبع وعشر بن سنة فجرت المذاكرة في هذا المجلس الأسقفي ولم يحصل اتفاق بين المطار بن أنفسهم على هذه النقطة وهي : «هل استحالة الخبز والجر حقيقية أم رمز » ? محقرر المجلس الأسقفي بالأكثرية كون الاستحالة حقيقية وطلب تعديل كتاب الصلاة فما يتعلق بها. وعند ذلك عرضتها الحكومة على مجلس اللوردة فبعد مناقشات شديدة قرر اللوردة بالأكثرية تنفيذ قرار المجلس الأسقفي الذي كان يرأسه رئيس أساقفة كنتر برى أكبر أساقفة انكلترة . ولما كان لابد لأجل تعديل كتاب الصلاة من قرار مجلس العموم أيضاً طرحت الحكومة هذه القضية فيه وانبرى ناظر الداخلية واعترض على اقتراح تعديل كتاب الصلاة وصرح بأنه لايرضى بالرجوع الى عقيدة الكنيسة الرومانية وان كتاب الصلاة هو دستو ركنيسة انكلترة فلا يمكن تعديل شيء منه الابرضي أكثرية الأمة ثم ردٌّ على مزاعم الفئة الثانية وقال إن هذه الاستحالة المسماة عند الكاثوليك بسر الانفارستيا مشر وط فيها الابتهال الى روح القدس وان هذا الابتهال الى روح القدس لم يكن واقعاً في الكنيسة الانكليزية فلا يمكن تمام هذه الاستحالة مع فقد هذا الشرط. وأبدى الناظر المذكور وأعاد في هذا الموضوع عيث عند الاقتراع كانت الأكثرية في جانب عدم التعديل لكتاب الصلاة وفي جانب ان قضية الخبز والخر لم تكن الا شيئاً مجازياً. وما تفق مجلس العموم يومئذ الاعلى اضافة جل دعائية جديدة تتلى لأجل الملك والعائلة المالكة ويبتهل فيها الى البارى تعالى بنصرهم وتأييدهم الخ. فالبرلمان الانكليزي المؤلف من نواب ليست لهم صبغة دينية نقض قراراً دينياً محضاً متعلقاً بالعقيدة كان قد قرره مجلس أساقفة تحت رئاسة رئيس أساقفة كنتربرى فأنت ترى أن مسئلة دينية صرفة كهذه قد كانت مدار جيع هذه المناقشات في مجلسي الشيوخ والنواب في أعظم دولة أو ربية وأعلاها كعباً في المدنية. وترى أيضاً أن ملك هذه الدولة هو نفسه رئيس كنيستها وهو الذي يُدعى له عــلى منابر كنائسها بموجب دستور ايمانها كما يدعى للخليفة على منابر الاسلام. بل الدعاء للخلفاء والماوك في المساجد لم يتفق على وجو به جيع مجتهدي الاسلام . وأما الدعاء لملك الانكايز في الكنائس فقد اتفقت عليه شيوخ الأمة الانكليزيةونوابها . فهذا الذي يسمونه بفصل الدين عن السياسة ? ويزعمون أن أوربة اتحـنة قاعدة أساسية لسياستها . لاجرم أن هـنا تضليل للأذهان وبهنان

ما وراءه بهتان

ان فصل الدين عن السياسة هو فصل ادارى كما هناك فواصل فى سائر فروع الادراة بعضها عن بعض وانه ليس من المعقول ان الدول الراقية لاتكترث لامور الدين وهو الذى عليه يحيا و يموت السواد الاعظم من رعاياها . فالدولة التى لاتهتم بأمور رعاياها الدينية تكون جاهلة معنى السياسة بالمرة . وأما ان تنفصل الامور الدينية عن الامور الدنيوية فذلك ضرورى لا نزاع فيه الا أنه لايفيد ان الدولة بفصلها هذا عن ذاك قد أهملت تعزيز ديانة قومها . بل نحن أولاء نجد ملوك أور بة ورؤساء جهورياتها ورؤساء جهوريات امريكا لايدعون فرصة لتعزيز المبدأ المسيحى والتصريح على الملائ بالعمل فى سبيله الا انتهزوها . ولقد مرّت بى خطبة لرئيس جهورية الولايات المتحدة وخطبة أخرى لما زاريك رئيس جهورية تشيكو ساوقاكياكل منهما صريحة فى هذا المعنى

وهذه هي الامة اليابانية التي هي اليوم أرق أمة شرقية ومن أرق أمم البسيطة أمة شديدة التمسك بعرى دينها وعاهلها هو رئيس الكهنة الاعظم وايام تتو يجه اقامت له الحكومة مراسم احتفال استمرت شهراً وكانت كلها مراسم دينية. ومما يعتقدون به ان العاهل هو من سلالة الآلهة ابنة الشمس وانه لابد ان يؤاكلها في احدى الحفلات الارز المقدس وهم يز رعون هذا الارز من قبل الاحتفال بأشهر وتز رعه الحكومة تحت إشراف الكهنة حتى لاتشوب قدسيته شائبة. ولقد كنت من بضع سنوات نشرت في الصحف نقلاً عن « الجورنال » الباريزي بقلم المسيو « سان بريس » تفاصيل المراسم الدينية الملوكية التي أقيمت لعاهل اليابان عند تتو يجه. وكذلك نشرت في الصحف خلاصة مناقشات الخبز والخر في مجلسي اللوردة والعموم في انكلترة. وهذا ليفهم الشرقيون و بخاصة المسامون تضليل أولئك المضالين الذين يحاولون اقناعهم بهذه المغالطة وهي انه لما كانت الامور الدينية منفصلة أولئك المضالين ونفض اليد منه!

وأما عضد الدول الأوربية للرسالات التبشيرية بالدين المسيحى فهذا موضوع ذوبال وطويل الأذيال قد نذكرله خلاصة في مكان آخر الا اننا نوصي فيه القراء بمطالعة كتاب « الغارة على العالم الاسلامي » تأليف المسيو « لُ شاتليه » رئيس تحرير مجلة « العالم

الاسلامي » الافرنسية المترجم بقلم السيدين مساعد اليافي ومحب الدين الخطيب صاحب جريدة « الفتح » التي لها في النضال عن الاسلام المواقف العظام والخدمات التي لا يمحوها كرور الايام

وخلاصة القول ان فصل الدين عن السياسة لم يكن معناه فى أور بة والمالك المتمدنة اهمال الدين ولا تجريد الحكومات من صبغته اذ أن الحكومات انما هى ممثلة للشعوب فكما تكون الشعوب تكون الحكومات وما دامت شعوب أور بة وأمريكا مسيحية فكومات هاتين القارتين مسيحية قولا واحداً. وما دامت أمة اليابان طاوية فكومتها طاوية وما دامت الصين بوذية فكومتها بوذية وما دام أهل صيام يعبدون الفيل الابيض فكومتهم تسحد للفيل الابيض

وليس في الدنيا سوى ثلاث حكومات تناهض الدين باطناً وظاهراً وهي الجهورية الحراء الروسية والجهورية الكالية الانقرية وحكومة المكسيك وذلك كما قال المسيو «شارل مو راس» الكاتب الافرنسي المشهور

أما سبب محار به البلاشفة للائديان فهو انهم لا يزيدون على ثلائه ملايين في مملكة عد أهلها ١٤٧ مليوناً كلهم متدينون وهم يعلمون انه ان عادت المنيسة الارثوذكسية الى الظهوركان لا بد من اعادة الحكم القيصري أو تأسيس حكومة جهورية مسيحية فلا تبقى منهم ولا تذر وستثأر من البلاشفة عن كل ما سفكوه من الدماء التي أسالوها أنهاراً. فالبلاشفة في محاربة الدين يجاحشون عن خيوط رقابهم لا أكثر ولا أقل

وأما المكسيك فان أحبار الكثلكة كان لهم فيها الكامة العليا وكانوا مستبدين بكل الأمور فوقع الخصام بينهم وبين رجال الحكومة واشتد الى أن تحولت الحكومة نفسها الى عدو لدود للديانة. وهذا أمر لا يلبث أن يزول و يعود الدين هناك كما في سائر البلاد الامريكية. وأما أنقرة فان الغازى يعلم أن المبدأ الديني في تركيا هو والسلطنة توأمان فهو يعمل لتوهينه اتقاء رجوع آل عثمان الى السلطنة والقضاء على الجهوية التي هو الالف والياء فيها. فهو يعمل لتوهين مبدأ ان عز وتغلب كان فيه سقوطه وسقوط الحزب الذي برأسه في شر مستطير و يوم عبوس قطرير

\* \* \*

يكثر في الشرق الآن كلام الخلق في « فصل الدين عن السياسة » ويظن بعضهم ان الأور بيين فصلوا الدين عن السياسة فصلا تاما وان الحكومات في الغرب لا تعنى بشئ من أمر الدين وغير ذلك من الترهات التي هي أبعد الأمور عن الواقع

ومن أغرب الأمور ان حكومة انقرة هي التي أعلنت كونها حكومة لا دينية عملا عبدأ فصل الدين عن السياسة وهي نفسها لا تزال كل يوم تصدر أوامر وتسن قوانين متعلقة بأمور دينية محضة من جلتها الصلاة باللغة التركية التي من أجلها ثارت الافكار في تركيا في هذه الأيام و رفض الا كثرون امتثال أوامر الحكومة بها وقالوا انه لا بأس بأن يلقى الخطيب خطبة الجعة بالتركي فأما الصلاة نفسها بالتركي فهي مخالفة للسنة

وعلى كل حال فكومة تركيا الكالية تناقض نفسها بنفسها عند ما تدعى الاقتداء والحكومات الراقية في فصل الدين عن السياسة وهي تتدخل كل يوم في الأمور الدينية الصرفة على حين ان « فصل الدين عن السياسة » معناه ان الحكومة لا تتدخل أصلا في أمور الدين وتترك هذه الامور لرؤ وساء الدين وحدهم

وحكومة تركيا الكالية لا تصدق رعيتها القول أصلا عند ما تقول لهم ان دول أو ربة قد نبذت الديانة المسيحية ظهرياً وان رقيها المادى لم يتهيأ لها الا بنبذ العقائد الدينية.

فأور بة وأمريكا وجميع الأمم المنسو بة اليها باقية على نصرانيتها تماما لم يتغير شئ من صبغتها المسيحية بل لم يتغير شئ من عقائدها الكنسيَّة التي كانت عليها من قرون

نعم يوجد في أورجة أقوام يجاهرون بعدم الاعتقاد ويناصبون الاديان و بخاصة الديانة المسيحية . ولكن هذا الجنس من الاور بيين لا يزال قليلا بالنسبة الى السواد الأعظم والاور بيون يعلنون با جعهمان ثقافتهم هي الثقافة المسيحية وأن مدنيتهم هي المدنية المسيحية وان حكوماتهم ما عدا الحكومة البلشفية الروسية مي الحكومات التي يتا أنف منها ما يقال له « العالم المسيحي »

وان المكارة في هذه الحقيقة هي مكارة في الحسوس لا غير

ولقد استرعينا أنظار المسلمين مراراً في مقالات متتابعة في الجرائد وفي الفصول المتقدمة الى مظاهر الحكومات الاوربية المسيحية من قبيل المناقشات التي وقعت في قضية الخبر والجر وقول أصحاب الجناح الايمن من أبناء الكنيسة الانكليكانية الانكليزية لانكليزية أي الكنيسة الرسمية \_ ان الخبر والجر يستحيلان بتقديس القسيس فعلا الى جسد المسيح ودمه. مما لا نحتاج لاعادة ذكره

فهل رأى القارئ المسلم الآن كم يخدعه المضالون بقولهم ان الحكومات الاوربية لا سيا الراقية منها لا تعنى بامور الديانة المسيحية وان الديانة عندها منحصرة في الكنائس لا غير! فهل مجلس اللوردية ومجلس الامة الانكليزية من الكنائس ? وهل في أوربة حكومة أرقى من الحكومة البريطانية ؟

مما لا مشاحة فيه ان بين الديانة والسياسة فصلا إداريا بحيث كل منهما لها دوائر تختص بها . ولكن مرجع الجيع الى الحكومة . والحال فى بلاد الاسلام لا تختلف عن ذلك . فشيخة الاسلام منفصلة عن سائر النظارات المدنية

إذاً خرافة فصل الدين عن السياسة في أو ربة التي لايزال يتشدق بها بعض المضللين في الشرق ليس لها أصل الا بالمعنى الادارى الذي هو جار أيضاً في بلاد الاسلام.

والحكومات الكاثوليكية بأجعها مرتبطة أشد الارتباط بالدين الكاثوليكي. ولا يشذ عن ذلك الا الحكومة الافرنسية التي اتفقت مع الفاتيكان اتفاقاً يحدد العلاقات بين الكنيسة والحكومة والتي لاتوجب التعليم الديني في المدارس الرسمية. ولا يجب أن يؤخذ من ذلك أن الحكومة الافرنسية تعارض التعليم الديني في غير المدارس الرسمية بل التعليم الديني مالئ فرنسة بو اسطة المدارس الأهلية. والحكومة الافرنسية في مستعمراتها ومناطق نفوذها تحمي الدين المسيحي ولا سيا المذهب الكاثوليكي أكثر من كل حكومة مسيحية نفوذها تحمي الدين المسيحي ولا سيا المذهب الكاثوليكي أكثر من كل حكومة مسيحية الكاثوليكية في جميع الأعياد والمواسم وتحافظ على الرسالات الدينية والرهبانيات بأجعها والكاثوليكية في جميع الأعياد والمواسم وتحافظ على الرسالات الدينية والرهبانيات بأجعها والآباء البيض وأصناف المبشرين بالدين المسيحي في الجزائر وتونس والمغرب و بلاد النيجر وعدم مراعاتها شعور المسامين الذين هم أهل هذه الأقطار عما تظهر به من هذه المظاهر وعدم مراعاتها شعور المسامين الذين هم أهل هذه الأقطار عما تظهر به من هذه المظاهر

الكاثوليكية فيما بينهم الى حد أن بعض الجوامع الكبرى في مدينة الجزائر قد تحولت الى كنائس وان بعض البربر من سكان الجرجرة من الجزائر هم حسما روى المؤرخ الثقة السيد أحد توفيق المدنى في «كتاب الجزائر » هم على شفا التحول عن الاسلام عا نشبت فيهم من براثن الرسالات التبشيرية فائما قضية الغاء فرنسة الشريعة الاسلامية من بين البربر وجايتها للرهبان الفرنسيسكانيين الذين يعملون لتنصير البربر ولغيرهم من الرهبان فهي مشروع قديم العهد بقى الفرنسيس يحدثون أنفسهم به مدة طويلة الى أن أنفذوه من ثلاث سنوات في أيام المسيو لوسيان سان الذي كان مقما عاماً في تونس وفي أيامه و بمساعيه عقد الكاثوليك مؤتمراً دينياً اسمه مؤتمر الافاريستيا في تونس فكانت لذلك ضجة شديدة بين المسلمين الا أنها لم تبلغ درجة ضجتهم شرقاً وغرباً عند ما أجبر المسيو سان حكومة سلطان المغرب بعد أن صار مقيماً عاما عندهذه الحكومة على اصدار ذلك الظهير البربري الذي يُخرج عدة ملايين من البربر من الاسلام و بعد أن منع تجوال فقهاء الاسلام وحفاظ القرآن ومشايخ الطرق من التجوال في قرى البربر وحظر على قواد البربر وزعمائهم أن يرسلوا أولادهم الى فاس أو غيرها من المدن لتعلم العقيدة الاسلامية واللغة العربية . كما تقدم و بالاختصار فان الدولة الافرنسية التي يزعم بعضهم أنها حكومة لادينية أو لايبكية كم يقال هي أشد الدول حماية للنصرانية عموماً وللكثلكة خصوصاً . وان الحزب الحرّ الذي يلتزم الحرية الدينية التامة و وقوف فرنسا موقف الحياد التام بازاء الأديان لايزال في فرنسة ضعيفاً.

وأما ايطالية فبعد أن غلب عليها حكم الفاشيست أعادت الى المدارس الأميرية التعليم الدينى الكاثوليكي ونصبت الصلبان في المدارس وفي المحاكم وعدلت قوانين العدلية تعديلا موافقاً لمبادئ الكنيسة . وأعلنت بدون محاباة أنها دولة مسيحية كاثوليكية و بثّت أيضا في مستعمراتها القسوس والمبشرين وزادت على غيرها أنها أخذت صغار المسلمين من حجور أمهاتهم قسراً لأجل أن تربيهم في الكاثوليكية في نفس ايطاليا كما ذكرنا من قبل . وهذا لم تفعله فرنسة حتى الآن وغاية مافعلت هو أنها تركت الكردينال لافيجرى ورهبانه البيض يصطادون بعض أحداث من المسلمين في أثناء المساغب التي هي كثيرة الوقوع في الجزائر ويربونهم في النصرانية . وقد ذكر السيد توفيق المدنى في كتاب

الجزائر أن هؤلاء بلغ عددهم ألفاً وخسمائة شخص وإن منهم من رجع الى الاسلام بعد أن بلغ رشده ومنهم من بقي مسيحياً حقيقيا

ولنعد الى سائر الدول الكاثوليكية ومواقفها بازاء الدين المسيحى فنقول انها باجعها على أشد ما يكون من الاعتصام به . ومنذ أر بع سنوات تشكلت فى بلجيكا وزارة أعلنت من جلة بر وغرامها العمل لتنصير أهالى مستعمرة الكونغو . وكان فى هذه الوزارة وزراء من السوسياليست ولم يعترضوا على دخول الحكومة فى قضية التنصير . فنى هذا مجال المتأمل . ولم تكن بلجيكا الى الآن مهملة هذا العمل الديني لأنه من التسعة الملايين الزنوج الذين تتأتف منهم مستعمرة الكونغوقد تنصر حتى اليوم نحو من مليون منهم عانمائة كاثوليكي ومائنا الف بروتستانتي وكل ذلك بمساعى القسوس وعضد الحكومة . ولا يخنى ان فى مستعمرة الكونغو عرباً ومستعمر بين يبلغ عددهم حسما قرأنا فى كتب البلجيكيين الذين كتب البلجيكيين المراقبة . ومن البديهي انها تمنعهم من بث الدعاية الاسلامية . وهذا دليل آخر على كون الحكومات الأور بية الراقية غير مهملة العمل لنشر الدين المسيحي كما يزعم أولئك الذين لا يفتأون ينصحون الحكومات الاسلامية باتخاذ الصبغة اللايكية أو اللايقيية كما يقول الترك . ويزعمون أن رقى رعاياها متوقف على هذا الشرط!

ان بلجيكا هي من أرقى مهالك أو ربة بلا نزاع والحكومة البلجيكية هي هذه التي تنص في بر وغرامها على قضية تنصير أهالي الكونغو

وأما الدول البروتستانتية فكلها تعلن أن ثقافتها مسيحية وان مدنيتها انجيلية وانها لا تحيد عن هذا الطريق. وكثيراً ما تعلن هذه الدول ذلك في برامجها أمام المجالس النيابية. وناظر معارف هولاندة افتتح مؤتمر المستشرقين في ليدن سنة ١٩٣١ بخطاب قال فيه: ان هولاندة لم تذهب الى الشرق لأجل التجارة بل لنشر حسنات الدين المسيحى. ولقد كنا ممن سمعوا هذا الخطاب وصرح شترزمان ناظر الخارجية الالمانية في احدى خطبه المام الريخستاغ قائلاً: «ان ثقافة المانيا مبنية على الدين المسيحى»

ولم يمض الى غاية تحرير هـذه السطور الاأيام قلائل (فبراير ١٩٣٣) على اعلان هيتلر رئيس الحزب القومي الاشتراكي الالماني عنـد ماولاه المارشال هيندنبورغ رئاسة

الوزارة برنامجا وزاريًّا صدقه جميع الوزراء استهلاله: « ان أول واجب ستقوم به الحكومة القومية الالمانية هو العمل لأجل الوحدة الروحية واحياء العقيدة النصرانية في الأمة والتقاليد المجيدة الماضية » كما قدمنا

ومن قبل مجىء هيتلر الى رئاسة الوزارة كان فون بابن رئيس الوزارة سابقا والذى هو الرئيس الثانى للوزارة لاحقاً قد خطب خطبة شهيرة أودعها الكلام نفسه

وكان الشيوعيون الالمان قد بثوا منشو رات حاوا فيها على الدين المسيحى فامرت الحكومة بجمعها ومنعها وأصدرت بلاغاً رسمياً قالت فيه : انها منعت توزيع هذه النشرات لما فيها من التحامل على الدين المسيحى

هذا وغير خاف ان امبراطور المانيا وملك بروسيا كان الرئيس الأعلى للكنيسة اللوثيرية ولا يزال حتى الآن برغم نزوله عن العرش لأن أتباع هذه الكنيسة لايزالون يرجون اعادة الامبراطورية . كذلك غير خاف أيضاً ان الكاثوليكيين في المانيا الذين هم ثلث المملكة لهم حزب في الرايستاغ يقال له « الوسط » أساس تأليفه هو المحافظة على الكثلكة

ولدى كتاب واف اسمة « الأديان في المانيا » ان سمح لى الوقت ونسأ الله في الأجل أريد أن أترجه الى العربية ليعلم أهل الشرق لاسيا المغرورون منهم أية قوة للدين المسيحي في المانيا وكيف ان التعليم الديني مقرون بالتعليم المدنى في جيع المدارس الرسمية وغير الرسمية وانه لايوجد مع ذلك أحد يقدر أن يزعم ان الأمة الالمانية أمة غير راقية أو أمة غير عصرية بل لاأحد يقدرأن يقول انه يوجد أمة أرسخ منها قدماً في العلوم والصنائع وأعلى كعباً في المدنية

ان المصلح المسيحى الأشهر كافين الذي كان هو ولوثير سبب وجود البروتستانتية في العالم كان يقول مايلي :

« ان الدولة المسيحية رأسها هو الله . فلا جل أن يكون الانسان تابعاً لهذه الدولة ينبغى له أن يقسم الايمان بعدم الحيد عن خطة الانجيل و بالمواظبة على اقامة الشعائر المسيحية و بتناول القربان أر بع مرات في العام. وذلك لائن الاشتراك في المائدة الالهية هو عبادة لله

رأس الدولة المسيحية وليسوع المسيح رأس الكنيسة. فهانان السلطتان الدنيوية والروحية باتحادهما من شأنهما تنفيذ ارادة البارى تعالى. فالسلطة السياسية بيدها السيف ولها حق القصاص ان لزم. كما ان السلطة الروحية لها حق الوعظ وحق التحريم والتحليل وكلا نوعى الائحكام الزمنية والروحية يجب أن يبنى على الكتاب المقدس

« والرئاسة الأولى هي للسلطة السياسيةخلافاً لرأى البابا غريغور يوس السابع وذلك لا نه يجب أن تتحد السلطة المذكورة من الرق الاكليريكي . ولكن لا يعني بذلك ان الدولة يجب أن تنفصل عن الكنيسة بل يجب أن تلازمها »

ويقول كلفين: « ان الملك الذي لاينشد مجد الله فليس بالذي يقيم مملكة وانما هو يقيم للحرية وعلى الحاكم أن يقبل مراقبة رعاة الدين ويوطد بالاتفاق معهم نظام الدولة لاالنظام المدنى فقط بل النظام الديني أيضاً والنظام الاحدبي والاجتماعي وعليه أن يعاقب اللصوص والفساق والمومسات والقتلة والقاذفين بالدين واتباع البابا الذين يشهدون القداس وأن يحرق بالنار السكرة ويجزى بالصرامة من يشتغلون يوم الاحد ومن يهملون إقامة الشعائر الدينية الح » (۱)

فروح هذا البروغرام هو السارى الى هذه الساعة فى الحكومات البروتستانتينة ولن تجد الحكومة الكمالية فى تركيا ولا مقلدوها فى البلاد العربية جواباً واحداً مقنعا على هذه القضايا التى قدمناها. وما بعد الحق الا الضلال

<sup>(</sup>١) (اقرأبروغرام كلفى فى كتاب فيلفريد موندو Wilfred Mondo المسمى Wilfred Mondo المطبوع فى باريز سنة ١٩٢٩)

### احصاء المسلمين

# لعقيركنب

سبق لنا تعليق (١) على قول ستودارد ان المسامين ٢٥٠ مليونا وقلنا إن المؤلف تابع غيره من المؤلفين الأور بيين الذين يخطئون في احصاء المسامين وان الحقيقة هي أن المسامين يزيدون اليوم على ثلاثة ثلمائة مليون

ولقد ظهر لنا بعد ذلك اننا نحن أيضاً أخطأنا في تقدير عدد المسلمين وانه أكثر من ٣٠٠ مليون بكثير وقد يناهز ٤٠٠ مليون

فسامو الجاوى وسومطرة بلغوا في احصائهم الاخير . ه مليوناً وليسوا ٣٥ مليوناً كما ذكرناه نقلاً عن احصاء قديم لا يزال جغرافيو أور بة يحررونه . ولقد نشر في العام الماضي رجل سويسرى كان في الجاوى مقالة في « جورنال دو جنيف » قال فيها ان مسلمي المستعمرات الهولاندية بلغوا ٢٤ مليوناً

أما مسامو الصين فلا تزال الاقوال متضار به في عددهم فن الجغرافيين من يحزرهم بعشرين مليوناً ومنهم من يحزرهم باكثر من ذلك بكثير. وفي هذه الايام لما وقعت الفتنة بين الصين واليابان من أجل منشوريا أبرقت الجعية الاسلامية في الصين الى أور بة بتلغراف احتجاج على اليابان قالوا فيه انهم يتكامون باسم خسين مليوناً من مسامي الصين ثم ورد تلغراف من توكيو يرد على مسامي الصين زاعماً أنهم ١٥ مليوناً لا ٥٠ مليوناً . وفيه أن في منشوريا مليونين من المسامين ينزعون الى تحرير منشوريا

ومما لا شك فيه أن التلغراف الياباني بخس مسلمي الصين عددهم بما رأى من شدتهم على اليابان .

La nation arabe « ولقد حزرنا عدد المسلمين في العالم في مجلتنا « الأمة العربية » المسلمين في العالم في أنا وسعادة أخى احسان بك الجابري في جنيف نحن الوفد السوري الفلسطيني

<sup>(</sup>١) انظر صفحة ٢٢ من الجزء الاول

فى أور بة وذلك بنحو من ٣٣٣ مليوناً هذا على تقدير أن مسامى الصين ٢٠ مليونا فقط أما اذا ثبت أنهم خسون مليونا فيكون المسامون ٣٦٣ مليون نسمة

وتفصيلها هدا: الجزيرة العربية ١٢ مليوناً. وسورية ٣ ملايين. وفلسطين وشرقى الاردن مليون. والعراق ثلاثة ملايين ونصف. وتركيا أربعة عشر مليونا. وايران ١٠ ملايين وأفغانستان ٩ ملايين. والهند الانكليزية ٧٨ مليوناً. والصين ٢٠ مليوناً. والوسية الآسيوية ٢٥ مليوناً

فهذه ۲۷۲ مليوناً في آسية

والروسية الأوربية قازان والقريم ٤ ملايين . وليتوانيا و بولونيا ٢٠ ألف نسمة . ويوغوسلافيا مليون ومائتان وخسون ألفاً . والجار ثلاثة آلاف . ورومانيا ٢٥٠ ألفاً . و بلغاريا نصف مليون . و بلاد اليونان ٢٠٠ ألف . وألبانيا ٢٠٠ ألف

فهذه سبعة ملايين وسه ألفاً

ومصر مع سودانها ١٨ مليوناً . وطرابلس ٧٠٠ ألف وتونس مليونان . والجزائر خسة ملايين ومراكش ٨ ملايين . والصحراء الكبرى ٣ ملايين . والحبشة ٣ ملايين . والفالا والصومال ٦ ملايين . وشرقى افريقية (زنجبار وسواحلها ودار السلام) ٦ ملايين . والكونغو والأوغاندة مليون . والآداموا والكامرون مليونان . وغينية وفوتاجالون مليون والسنيغال مليون . وسلطنة سوكوتو ١٥ مليوناً . وبورنو ٥ ملايين . وواداى ٥ ملايين . وكانم مائة ألف

فهذه ثلاثة وثمانون مليوناً في افريقية

والمستعمرات الهولاندية (أندونيسيا) ٦٤ مليوناً. والفيليين مليونان فهذه ستة وستون مليوناً في البحر الحيط الباسيفيك

فيكون جلة المسلمين ٣٣٣ مليوناً و ٣٣٣ ألفاً. أما ان صح أن المسلمين في الصين . مليوناً فيكون الجميع ٣٦٣ مليوناً هـذا بالنقريب لأن بعض الما لك احصاؤها مضبوط كصر وتركيا وسورية والعراق وطرابلس والجزائر وتونس وايران والروسية والجاوى والهند وبعضها نصف مضبوط كجزيرة العرب والحبشة ومماكش وسوكوتو وواداى الخ وهـذه تؤخذ بالتقريب من الجغرافيات والرحلات على أن بعض الناس يرون احصاءنا لجزيرة

العرب ناقصاً و يرون فيها ١٥ مليونا وأكثر. ثم اننا عامنا فيما بعد أن مسامي يوغوسلافيا مليون وثما غائة ألف نسمة وان مسامي البلغار ثما غائة ألف وان مسامي رومانيا أر بعمائة ألف ألف أكثر مما ذكرنا بما يقرب من مليون في المالك الثلاث المذكورة وقد فاتنا ذكر مسامي قبرص وهم ٧٠ ألفاً ورودس واستاتكوي وهم ٧٠ ألف نسمة

### مسلمو الفيليين

جاء في « مجلة العالم الاسلامي » الفرنسية تحت عنوان « السياسة الاسلامية » بقلم الكاتب المطلع على أحوال الشرق المسيو شاتليه Chatelier الجلة الآتية : \_\_\_

« ان الحروب التي كان الكاثوليكيون الذين افتتحوا الفيليين (١) يصاونها مسلمي « سولو » لم تأت يشمرة من جهة منع أولئك القرصان عن اجتياح جزر ذلك الأرخبيل ، الا في أواسط القرن التاسع عشر ، بعد وصول السفن الحربية على البخار . ولكن لما استولى الأميركيون على الفيليين ، وكانوا ألطف ملكة من الاسبانيول ، تحولت حركة تلك المقاطعة الاسلامية من الاوقيانوس عن الدعارة الى التجارة .

«و بينما كان الماليزيون في بروني Brunei وسارافاك Saravak و بورنيو يترقون في درجات المدنية ، و يقتدون بالأوربيين مثل مسامي ملقا ، وتجد منهم أعضاء الأندية والتجار والسماسرة ، كان مسامو الهند النيرلاندية يعرجون أيضا في مراقي الحضارة الافي آتجه Atjeh حيث قوة التدين لا تبرح ظاهرة بعظاهر المقاومة الحربية ، أما فيما عدا هذا المكان من الحيات الحاوي وسومطرة والجزر القريبة ، فانك ترى الاسلام أبعد عن الفتن من الهيئات الاجتماعية التي ترجع الى نصاب هندى . ومضى زمن طويل على الماليزيين كانوا فيه تحت ضغط ادارى هولاندى من مبادئه القهر والاحتكار . فكانوا لا يتجاوزون أفق العمل لغيرهم كرها ، فأما في هذه الآونة الأخيرة فقد نالوا شيئاً من الحرية ، وبدأوا بالصعود المادي والمعنوى والاجتماعي ، فاتسعت أنظارهم الى ما يشمل عالم القارات الكبرى ولا ينحصر في عالم هاتيك الجزائر .

<sup>(</sup>١) راجع صفحات ٣٥٨ — ٣٦٣ من الجزء الأول

« وفيما يتجاوز الجزر التي تملكها هولاندة توجد جاليات من المسلمين مبعثرة في جزر البسيفيك كلا تباعدت من القاعدة الماليزية قل عددها ، ولكنها على كل الأحوال أكثر في هذه الأصقاع البعيدة من الجاليات الأوربية ، وهي تبث الاسلام هناك بالتجارة والأخذ والعطاء عوضا عن الفتح والغزو . وهكذا فني نفس استراليا من جالة الافغان وتجار الهنود وصيارفة الماليزية ، جالية اسلامية لها جامع شهير في برث Perth ، كما أنك تجد مسلمين وصيارفة الماليزية ، خالية اسلامية لها جامع شهير في برث المعنين ومسيحيين من كثيرين من الهند في فانكوفر Vancouver من أميركا ، وتجد مسلمين ومسيحيين من أبناء اللغة العربية من سورية في الولايات المتحدة والارجنتين وزنوجا مسلمين من افريقية في البرازيل » اه ثم قال: ان اسلام الشرق الاقصى نقطته النهائية في ماليزيا و يقدر بنحو . في مليوناً عدد المسلمين في مستعمرات هولاندة و بو رنيو وسائر الجزر الى « بابوازيا » الى « الفيليين »

#### قفقاسيا

ومما وجدته في كناشاتي التي أخذت ما فيها عن أوثق المصادر ما يلي: (١) ان قافقاسيا ثلاثة أقسام كرجستان والطاغستان و بلاد الحركس

فكرجستان تحتوى أمة الكرج وهي أمة لها لسان خاص بها ومنهم مسامون ومنهم المورى ولكن النصارى أكثر. وعاصمة كرجستان تفليس ومن مدنها باطوم ومن أشهر أمراء الكرج المسامين سنجاق بكي زاده ابراهيم بك وحسين بك ولابرهيم بك ولد اسمه أرسلان بك و ولد اسمه حسن بك وولد اسمه محمد بك . وهذا قد نفته الروسية الى موسكو في أثناء هذه الحرب العامة ولهذه الاسرة مناسبة مع أسرة چور وك صو على باشا زاده محمود باشا وأخوه أحمد باشا في تركيا . ومن مشاهير الرجال الذين خرجوا من الكرج المرحوم حسن فهمي باشا ناظر العدلية السابق في تركيا وكان من أعز أصدقائنا . وجميع الكرج ثلاثة ملايين المسلم منهم وغير المسلم . وفي كرجستان لا سيا في جوار تفليس مليون ونصف أرمني . وفي كرجستان قوم يقال لهم ( اجاره ) مسامون أصابهم ضرر كبير أثناء هذه الحرب وأفني الروس أكثرهم بحد السيف بحجة ميلهم الى الدولة العثمانية . أما الطاغستان فهي

<sup>(</sup>۱) راجع صفحات ۱۸۸ ـ ۱۹۳ من الجزء الثاني

قسمان طاغستان لزكى والثانى طاغستان التركى فاللزكيون يتكامون ويكتبون بالعربية ومحاكمهم لسانها العربي. وأما الطاغستان التركى فيتكامون ويكتبون بالتركى أما الشيخ شامل فهو من اللزكيين من قرية «كره» كان من مريدى القاضى ذى الجناحين مجد الكمراوى تلقى عنه العلم والفقه وهما من قبيلة (اوار) التى منها الامير جزة الخنزاخى وهذا كان من الامراء. وكلهم قد جاهدوا فى حرب الروس جهاداً شديداً. وأول من استشهد القاضى مجمد فلما استشهد نصب الطاغستان مكانه الامير جزة فاستشهد بعد سنة من الحرب فانتخبوا مكانه الشيخ شامل. وعدد الطاغستان من ٧ الى ٨ ملايين وكلهم من أصل واحد ولكن بعضهم يتكلم بالتركى الكون الاتراك تولوا البلاد قبلاً و بعضهم يتكلم العربى من زمان الفتح العربى اذ اختلطوا بالعرب و بلادهم باب الابواب مدفون فيها كثير من زمان الفتح العربى اذ اختلطوا بالعرب و بلادهم باب الابواب مدفون فيها كثير من الصحابة وفى الطاغستان اليوم كثير من السادات. ومن عاداتهم ان الانسان لا يدخل مقبرة لهم بدون وضوء. وأما الحركس فهم من مليون الى مليونين وهم قبارتاى وابزاخ وشابسخ واو بوخ. أما القوموق والشاشان والخيداك وتابسران وكراه وكوه وجو باه والجار وشكيشروان و باكو وكنجه وقره باك واغداش وطاليش جيلان فكلها من الداغستان

### ترجمة القرآن

ثم انه بعد تحرير هذا الفصل (۱) ظهرت كتابات في موضوع ترجة القرآن الكريم الجهبذين عظيمين من جهابذة الاسلام السيد رشيد رضا صاحب المنار ومصطفى صبرى افندى التركى شيخ الاسلام السابق في السلطنة العثمانية رحها الله لا يجوز لمن أراد أن يرتوى من هذا الموضوع أن يعرد عنها

ولقد اشتمل كتاب مصطفى صبرى افندى على كلام شديد بحق الأستاذ فريد وجدى المصرى الذى سوّع للاتراك الحكاليين ترجة القرآن والصلاة بها بدون قيد ولا شرط وآلم الناس أن يكون مثل فريد وجدى من يذهب هذا المذهب وهو صاحب المواقف المشهورة فى الذب عن الحقيقة الاسلامية ولا سيما فى مقالاته الأخيرة « الاسلام دين عام خالد » ولا جرم ان التساهل فى أمر الصلاة بترجة القرآن بدون ثبوت العجز التام عن قراءة آية من آياته لا يلتئم مع تأييد الدين الاسلامي الذي يقتضى تأييده قدسية نص الكتاب الالهي والمحافظة

<sup>(</sup>١) راجع صفحات ٢٠٥ \_ ٢١٣ من الجزء الاول

عليه كما نزل والاعتقاد بأن الصلاة بترجته بدون عذر مقبول انما هي فك من عراه الوثقي وما ل ذلك الى التصرف بالصلاة الى الحد الذي لا يعرف منتهاه

ان زعم بعضهم ان الدين هو مجرد علاقة بين العبد وربه وانه مسئلة قلبية يكنى فيها الخلوص وحسن النية الى ماأشبه ذلك من الأقاويل هو قول داحض اذا دقق المفكر فيه النظر ظهر له بطلانه فان الدين لأجل أن يصان فى القلوب وان تعتصم به الشعوب يجب أن توقر شعائره الظاهرة كما يجب أن تخلص فيه النية الباطنة وان يكون بعيداً عن التصرف والتغيير والتبديل الذى يؤول بالعقائد الى الفوضى وربما انتهى بزوالها بالمرة. لقد سنت البشر كلها قوانين تجزى بالشدة كل من يخرق هيبة الملك أو يمس مقام الحكومة ملكية كانت أو جهورية وماكان ذلك الاحرصاً على بقاء تلك الهيمة فى صدور الناس وتفاديا من ان تقتحمها العامة فيضعف بذلك الوازع الضرورى بين البشر. وكما كانت هيبة الملكواجبة ضرورية فهيبة الدين أيضاً ضرورية ومن أهم شروطها حرمة نصوصه وتقديس المائة كما نزلت

وأما ترجمة القرآن لأجل فهمه وتفسيره بكل اللغات فليس ذلك بجائز فحسب بل نراه واجبا على الأمة الاسلامية

# مسألة الصلب وقول ابن حزم

وأما ابن حزم الأندلسي الفيلسوف الشهير البحاثة الكبير فرأيه في مسئلة الصلب(١) هو مايلي: \_\_

إن صلب المسيح عليه السلام لم يقله قط كافة ولا صح بالخبر قط لأن الكافة التي يلزم قبول نقلها هي إما الجاعة التي يوقن أنها لم تتواطأ لتنابذ طرقهم وعدم التقائهم وامتناع اتفاق خواطرهم على الخبر الذي نقلوه عن مشاهدة أو رجع الى مشاهدة ولو كانوا اثنين فصاعداً. واما أن يكون عدد كثير يمتنع منه الاتفاق في الطبيعة على التمادي على سنن ماتواطأوا عليه فأخبروا بخبر شاهدودولم يختلفوا فيه . فا نقله أحد أهل هاتين الصفتين عن مثل إحداهما وهكذا حتى يبلغ الى مشاهدة فهذه صفة الكافة التي يلزم قبول نقلها و يضطر

راجع صفحات ٦٢ \_ ٧٣ من الجزء الاول

خبرها سامعها الى تصديقه وسواء كانوا عدولا أو فسافا أو كفاراً ولايقطع على صحته إلا ببرهان .

فلما صح ذلك نظرنا فيمن نقل خبر صلب المسيح عليه السلام فوجدنا كواف عظيمةً صادقة بلا شك في نقلها جيلا بعد جيل الى الذين ادعوا مشاهدة صلبه فان هنالك تبدلت الصفة ورجعت الى شُرَط مأمورين مجتمعين مضمون منهم الكذب وقبول الرشوة على قول الباطل والنصاري مقرون بأنهم لم يقدموا على أخذه نهاراً خوف العامة وانما أخذوه ليلا عند افتراق الناس عن الفصح وانه لم يبق في الخشبة إلا ست ساعات من النهار وانه أنزل أثر ذلك وانه لم يصلب إلافي مكان نازح عن المدينة في بستان فخار متملك للفخار ليس موضعاً معروفا بصلب من يُصلب ولا موقوفا لذلك. وأنه بعد هذا كله رشي الشَّرَط على أن يقولوا ان أصحابه سرقوه ففعلوا ذلك وان مريم المجدلانية وهي امرأة من العامة لم تقدم على حضور موضع صلبه بل كانت واقفة على بعد تنظر هـذا كله في نص الانجيل عندهم فبطل أن يكون صلبه منقولا بكافة بل بخبر يشهد ظاهره على أنه مكتوم متواطأ عليه وما كان الحواريون ليلتئذ بنص الانجيل إلا خائفين على أنفسهم غيَّما عن ذلك المشهد هار بين بأر واحهم مستتر بن وان شمعون الصفا غرر ودخل دار قيقان الكاهن أيضا بضوء النهار فقال له أنت من أصحابه فانتني وجحد وخرج هار با عن الدار . فيطل أن ينقل خبر صلبه أحد تطيب النفس عليه على أن نظن به الصدق فكيف أن ينقله كافة و ( هذا ) معنى قوله تعالى ( وَ لَكَنْ شُبِّهُ لَهُمْ ) إنما عني تعالى أن أولئك الفساق الذين دبر وا هــذا الباطل وتواطأوا عليه هم شبهوا على من قلدهم فأخبر وهم أنهم صلبوه وقتاوه وهم كاذبون في ذلك عالمون أنهم كذبة ولو أمكن أن يشبه ذلك على ذي حاسة سليمة لبطلت النبوات كلها إذ لعلها شبهت على الحواس السليمة ولو أمكن ذلك لبطلت الحقائق كلها ولأ مكن أن يكون كل واحد منا يشبه عليه فما يأكل ويلبس وفيمن يجالس وفي حيث هو فلعله نائم أو مشبه على حواسه وفي هذا خروج الىالسخف وقول السوفسطائية والحاقة وقد شاهدنا نحن مثل ذلك وذلك أننا اندرنا للجبل لحضور دفن المؤيد هشام بن الحكم المستنصر فرأيت أنا وغيرى نعشأ فيه شخص مكفن وقدشاهد غسله شيخان جليلان حكان من حكام المسامين ومن عــدول القضاة في بيت وخارج البيت أبي رجــه الله وجاعة عظماء البلد ثم صلينا في ألوف من الناس عليه ثم لم يلبث إلا شهو راً نحو السبعة حتى ظهر حيا و بو يع بعد ذلك بالخــــلافة ودخلت أنا عليه وغيرى وجلست بين يديه ورأيته و بقي ثلاثة أعوام غير شهر س وأيام. انتهى

# عود الى رأى المستشرق هو رغرونيه

من بعد الطبعة الأولى من هذا الكتاب أتيح لنا أن نتلاقى مع الاستاذ المستشرق الشهر سنوك هورغرونيه(١)

وذلك أنه في أواخر سنة ١٩٣١ انعقد مؤتمر المستشرقين في ليدن من هولاندة وجاءه نحو من ألف مستشرق من جميع الأقطار وكانت رئاسته معقودة اللواء للاستاذ هورغرونيه . وكان محرر هذه السطور من أعضاء هذا المؤتمر وألقيت في منتدى القسم الاسلامي منه محاضرة في علاقة اللهجات العربية بالناريخ نشرتها مجلة المقتطف . ومما لا مرية فيه أن هذا المؤتمر كان حافلاً بالفوائد وانه قد ألقيت فيه نفائس من المحاضرات في كل قسم من أقسامه نادرة في بابها

ولما حصلت المعارفة بيني و بين الاستاذ المشار اليه قال لى ان بيننا نقطة خلاف لا بد من ازالة الشبهة فيها ولكن بعد أن يتسع لنا الوقت. فقلت له: اني منتظر هذه الفرصة وانفض المؤتمر بعد عشرة أيام من انعقاده لكن لم يتيسَّر لنا الاجتماع من كثرة الاشتغال وشدة الازدحام . وغاية ما حصل أنى لما ودعت الرجل قال لى : انني أنا لم أقل شيئًا ماسا بالاسلام. فقلت له : أنا انصفتك وذكرت ما لك وما عليك . فقلت انك عارضت القائلين من الهولانديين بأن جيع المسلمين في أندونسيا ليسوا بمسلمين والقائلين بأن لهولاندة أن تحملهم على النصرانية. وهذه مأثرة لا تُنسى لك. وكذلك عارضت القائلين بمنع الحج وقلت انه لا ضرر على هولاندة من الحج. ولكنك قات ان سن القوانين من الشريعة الاسلامية هو غير موافق لأنه ينبغي لنا أن نفهم المسلم أنه لا يقدر أن يعيش معيشة عصرية راقية وهو متمسك بشريعته . . . وانه يجب أن يعلم أن شريعة الاسلام لا تتسع لقبول المدنية الحاضرة. وهذا غير صحيح لأن المدنية التي أمكنها أن تنطبق على النصرانية يمكنها أن تنطبق على الاسلام. فقال: لكن القانون يحتم العمــل بوجه واحد والشريعة لا تحتم الأخذ بمذهب واحد من مذاهب الفقهاء. فقلت: للسلطان أن يرجح أحد المذاهب و يوجب العمل به وهكذا فعلت الدولة العثمانية . فسكت . ثم قال لى : ان الملاحدة من مسلمي الجاوى هم أشد تعصباً على هولاندة من المتدينين. قلت: نعم ومع ذلك فأنتم وجميع الاوربيين لا تكرهون الالحاد والملاحدة كما تكرهون الاسلام والمسامين بل العدو الاكبر

<sup>(</sup>١) راجع صفحات ٣٣٨ \_ ٣٥٧ من الجزء الاول

عندكم هو الاسلام والحال ان الاسلام كدين يتفق مع النصرانية في مبدأ مقاومة الالحاد والاباحة وفي معارضة الشيوعية. واني لانصحك أن تنصح قومك الهولانديين لا نك مسموع الكلمة بينهم في الامور الاسلامية أن لا يروجوا في بلاد أندونيسا سياسة التنصير وأن يلزموا الحياد في الدين ولا يجعلوا الحكومة آلة لا بحل دعاية دينية فلا تجني هولاندة من سياسة كهذه سوى الضرر لنفسها. فأوما لي بأن هذا صحيح

ثم كتبت اليه وكتب لى عدة مرار . وأرسلت اليه برسالة « لماذا تأخر المسامون وتقدم غيرهم » فقرأها وأجابني بأنه يوافقني على كثير من نظرياتي الا أنه يخالفني في بعضها وذلك مثل قولى ان اليابانيين تقدموا الى أقصى ما تقدم اليه الاور بيون من المدنية الحاضرة ولبثوا من أشد الامم اعتصاماً بعقيدتهم وتقاليدهم . فقال : ان اليابانيين ساكنون في جزائر ليس بينهم أمم أخرى تخالطهم الح

فأجبته: ان موضوع البحث هو هذا: هل يمكن المسلمين أن يترقوا ترقى الأمم الاوربية أو الامة اليابانية مع بقائهم مسلمين ومعتصمين بعقيدتهم وتقاليدهم أم لا ? فنحن نقول: نعم: ممكن ونضرب مثالاً على ذلك هو كون أوربة ترقت هذا الترقى المادى كله و بقيت متمسكة بديانة هي أقدم عهداً من الاسلام باكثر من سمائة سنة. وكذلك اليابان برقت هذا الترقى نفسه وهي معتصمة أشد الاعتصام بعقائد وتقاليد هي أقدم عهداً من الديانة المسيحية نفسها بقرون. فياليت شعرى لماذا المسلمون وحدهم هم الذين لا يمكنهم الرقى الا يخلع الدين الاسلامي ? كما يزعم بعض أعداء هذا الدين. ولماذا هذا الاستثناء للاسلام ؟ فلم يحر الاستاذ على هذا جواباً

وفاتنى أن أذكر أن ناظر معارف هولاندة عند ما افتتح مؤتمر المستشرقين فى ليدن فى خامس يوليو سنة ١٩٣١ قرأ على ذلك الحشد الكبير من العاماء من كل قطر خطبة ترحيب فيها قال:

« ان تبسطُ الأمة الهولاندية في المشرق لم يكن المقصد منه مجرد المكاسب المادية بل أكثر ما قصدته هولاندة بذلك هو نشر فضائل النصرانية »

فذكرت هذا في حديثي لسنوك هورغرونيه وقلت له: كيف تدعون المسلمين الى ترك الاهتمام بأمر دينهم ورجالكم الرسميون يعلنون مثلهذا الكلام في محفل كهذا المحفل. فوجم الأستاذ من سماع كلامي هذا ولحظت من وجهه انه كان متألماً من هذا التظاهر الرسمي بالدعاية المسيحية. فإن الحكمة عندهم هي في العمل بدون اعلان

ولقد سمع كل من كان فى الحفل هذه الجلة ومنهم الوف التركى الانقرى الذى كان عثل حكومة لا تفتأ تقول للسلمين : ما دمتم متمسكين بالعقيدة الاسلمية فلا يرجى لكم نجاح أفلا ترون الأوربيين كيف نجحوا وأفلحوا بعد أن نبذوا النصرانية ? وأنن نبذ الأوربيين النصرانية ? لا نعلم أنن ! ولا متى !

وكان في هــذا المحفل حاضراً هــذا الخطاب أيضاً الوفد المصرى و بينهم الدكتور

طه حسان

### السيد احمد الشريف السنوسي

إنه من بعد ظهور الطبعة الأولى(١) من هذا الكتاب قد جد من أخبار السيد أحد الشريف السنوسي ما يلي:

إنه كان آخر إقامته بتركيا في قرية خريستيان كوى بظاهر مرسين وكانت الحمومة التركية تجرى عليه الأرزاق التي تكفيه كضيف كريم كان حليفاً للدولة العثمانية ثم بعد سقوطها انحاز الى جهة الحكومة الوطنية في أنقره واستعمل نفوذ كلته في الأناضول سواء كان في قونية أو في بلاد الأكراد لأجل تأييد الحكومة الكالية التي كانت تمثل الاستقلال التركى . و بقي الأتراك الكاليون يكرمون الأستاذ السنوسي و يحسنون معاملته إلى أن فازوا على اليونانيين وتم الفوز بعقد معاهدة لوزان التي ضمنت استقلال تركيا . في بعد ذلك فترت تلك المودة التي كانوا يظهر ونها للسنوسي وصاروا يتر بصون فرصة لأجل التخلص منه والاشارة إليه بالخروج من تركيا التي وجوده فيها قد يغيظ إيطاليا . ورأوا بالمختصار أنه لم يبق عوز إليه كالماضي عندما كان مصطفى كال يقول له إن تركيا كالها طوع إرادته و إنهم هم إنما ينو بون عنه في الحكم وانه لو شاء يبايعونه بالخلافة . و بينما هم عداً وهي أنه قد جاءه في أحد الأيام شاب تركي من طلبة العلم كان تاقي الطريقة السنوسية وقال له إنه متوجه الى بير وت لزيارة الائمير سليم كبير أولاد السلطان عبد الحيد المقيم بتلك وقال له إنه متوجه الى بير وت لزيارة الائمير سليم كبير أولاد السلطان عبد الحيد المقيم بتلك مراسلة بينه و بين الائمير فألح الشاب المذكور عليه و بكونه مريداً للطريقة لم يجد السيد مراسلة بينه و بين الائمير فألح الشاب المذكور عليه و بكونه مريداً للطريقة لم يجد السيد

<sup>(</sup>١) راجع صفحات ٦٤ — ١٦٥ من الجزء الثانى

بد" ا من إعطائه ذلك الكتاب الذي ختمه السيد بقوله ( والله مع الصابر بن ) وهي آية كريمة توافق الحالة التي عليها الاعمراء آل عثمان بعد سقوطهم هذا من أعلى الدرجات إلى الهاوية التي أصبحوا فيها الآن. فذهب الشاب التركي بهذه الوصاة من مرسين قاصداً بير وت ففي اجتيازه الحدود بين ولاية أطنه وحلب قبض عليه الخفراء الاعتراك الذين على الحدود وفتشوا في جيو به فوجدوا ذلك المكتوب فقدموه الى أنقرة فصدر الاعمر من أنقرة بارسال الرجل إليها حيث استنطقوه بمزيد التدقيق والتشديد فاخبرهم بأنه هو الذي ألح على السيد باعطائه هذه التوصية واعترف بأنه كان قاصداً زيارة الائمير سليم أفندي ابن السلطان عبد الجيد. فأعالوه الى محكمة الاستقلال التي كانت تحكم بدون استناد على مواد قانونية بل بمجرد الوجدان تزعمها وقتلت على هذه الصورة ألوفا من الابرياء الذين لاذنب لهم سوى كونهم في ذات صدورهم لا يحبون الحكومة الجهورية ومن جلتهم هـ ذا المسكين الذي أصر وأبرم حتى نال تلك الوصاة من السيد السنوسي بدون ارتياح منه. ولما فرغوا من قتل الرجل عادوا الى السيد فأمروا والى مرسين بأن يقول له ليخرج حالا من تركيا. فلما أبلغه الوالى الأمر وكان لم يوجد في يده مايساعده على السفر استمهل الحكومة بعض أيام حتى يتمكن من بيع بعض أشياء يستعين بها على الرحيل فصدر الامر ثانية بعدم إمهاله ولا ساعة واحدة: وكانت حكومة أنقره وعدته بأنه إذا أراد مغادرة تركيا بانها تؤدى اليه الني جنيه يستعين بها على السفر فنسيت الحكومة الا نقرية هذا الوعد وعد ت هذا الكتاب الذي كتبه السيد السنوسي الى الامير سليم أفندي خيانة فظيعة لها ولا سما استشهاده بالآية الكريمة (واللهُ مَعَ الصَّابرينَ). ورأوا في ذلك إشارة الى كون السنوسي يتمنى رجوع آل عثمان الى الملك فاكبروا هذا الأمر إكباراً ونشروا صورة السيد في بعض جرا تدهم ووضعوا تحتها هذه الجلة (بزي خيانت ايدن سنوسي) وبالجلة فقد حققوا ماينسب اليهم من قلة الوفاء وقلبوا ظهر المجن لاجل هفوة غير مقصودة لرجل بقيت تركيا في طرابلس الغرب عدة سنوات تقاتل بسيفه وسيوف رجاله وتحافظ على شرفها بين الدول بواسطة اتباعه. ثم بعد ذلك أعملت لديه الوسائل حتى حلته عملي ترك مدينة بورصة والمجيُّ الى الاناضول منحازا الى الحكومة الانقرية ثم لجأت إليه في تسكين ثورة قونية ثم في تسكين قبائل الاكراد عند مابدءوا بالعصيان على أنقرة وتمكن السيد ذلك اليوم من ابقائهم في دائرة الطاعة. هذا وخرج السيد مبادرا وقصد دمشق الشام ومنها جاء الى بير وت ثم زار القدس الشريف ثم عاد إلى الشام ومنها ذهب بالسيارات الى المدينة المنورة. وقد قام الأمير سعيد الجزائرى من إضافته واكرامه مقاماً يحمد. و بعد أن استقر السيد السنوسي في المدينة المنورة مدة من الزمن جاء الى الحج وأقام عدة أشهر في مكة ثم قصد بلاد عسير ضيفا على السيد حسن الادريسي أمير صبيا وجيزان. و بقي عنده زمناً لما بين هاتين الاسرتين من القرابة والعلاقة ثم عاد السيد الى مكة وأقام مدة بالطائف ومدة بالزواية السنوسية في جعرانة بقرب مكة ولما حججنا سنة ١٣٤٨ تلاقينا معه في مكة وكان أوانئذ على أوفاز قاصداً المدينة المنورة وهو في هذه الايام أيضاً مقيم بها. قصدنا الحاق هذه الاخبار بترجته أوفاز قاصداً المدينة المنورة وهو في هذه الايام أيضاً مقيم بها. قصدنا الحاق هذه الاخبار بترجته إذ لاتتمالا بها. وهوخاعة كبار السادة السنوسية و بقية السلف الصالح رحه اللة رحة واسعة

### تقرير

### عن القضية الطرابلسية البرقاوية

نضم الى هذا المبحث (١) هذا التقرير الذي تقدم الى المؤتمر الاسلامي في القدس

بسم الله الرحن الرحيم

منذ أن أخذ الاور بيون يشنون الغارة على البلاد الاسلامة بحجة الاستعمار لم تفجع بلاد اسلامية — بعد الأندلس — بمثل ما فجعت به طرابلس — برقة ، تلك البلاد التي منذ سطا عليها الايطاليون وسيوف نقمتهم لم تبرح أعناق أهلها بدون رحة ولا شفقة ، حتى آلت الى مجزرة بشرية ومرسح تمثل فيه أفظع الأدوار الهمجية .

لا نريد أن نطيل البحث في مناقشة الوسائل التي تذرعت بها الدولة الايطالية لاحتلال طرابلس \_ برقة التي لا تربطها بها أية علاقة ، ونكتفي هنا بنظرة عامة في تطور القضية الطرابلسية منذ الاحتلال الايطالي الى يومنا هذا ، اذ أن المجال لا يسمح بسرد جميع الحوادث مفصلة :

لقد أغارت الدولة الايطالية على القطر الطرابلسي \_ البرقاوى فى ٥ تشرين الأول سنة ٩١١ على حين غفلة من أهله ، وكان مع خاوه من المعدات الحربية لم يكن به من الحامية العثمانية سوى ثلاثة آلاف جندى مبعثرين فى عدة مناطق . بيد أن سكان تلك

<sup>(</sup>١) راجع صفحات ٦٤ — ١٦٥ من الجزء الثاني

البلاد الذين كلهم كتلة عربية \_ اسلامية واحدة قد فطروا على عزة النفس والاباء . لذلك قاموا في وجوه الغاصبين قومة رجل واحد يدافعون عن أوطانهم ويذودون عن حياضهم بقاوب ملؤها الاعان بالله والاعتاد عليه .

واستمرت الحرب سنة كاملة لم تتمكن فى خلالها الجنود الايطالية من التقدم شبراً عن مرمى مدافع اسطولهم ، إلى أن اضطرت الدولة العثمانية الى عقد صلح مع الايطاليين. منحت فيه الطرابلسيين استقلالهم الادارى وسحبت جنودها وهى مرغمة

وعقب ذلك أخذ الايطاليون يدعون أهالى البلاد الى السكينة ويظهرون لهم حسن النية خير تلك البلاد فوضعت الحرب أوزارها وألق أكثر أهالى طرابلس برقة السلاح وعادت السيوف الى أغمادها . ولكن رجال الدولة الايطالية ما كادوا يظفرون بتجريد الأهالى من السلاح حتى قلبوا لهم ظهر المجن واخذوا يسومونهم سوء العذاب وينتقمون من كل من حرض النياس على قتالهم فيخلقون لهم تهما واهية ويزجون بعضهم فى أعماق السجون ويرمون بالبعض الى جزر ايطاليا .

فثارت ثائرة القوم من تلك الأفعال المنافية للعهود والمناقضة للوعود فانقضوا على الطاليا . وكانت أول وقعة دموية جرت وقعة تسمى بوقعة « القرضابية » وهو مكان قرب خليج سرت . جرت تلك الوقعة في أوائل سنة ١٩١٤ أضاع فيها الايطاليون ما ينيف على « ٨٠٠٠ » جندى . وعقب ذلك ازداد حقد الايطاليين على الأهلين فانهالوا على العزل منهم بالقتل والتعذيب فقتلوا في يوم واحد من الأعيان ورؤساء القبائل رمياً بالرصاص منهم بالقتل وأخذوا يقتلون الأبرياء والشيوخ والأطفال من النساء والرجال سمة في قضاء سرت وأخذوا يقتلون الأبرياء والشيوخ والأطفال من النساء والرجال

وعلى أثر ذلك اشتعلت في البلاد نار حرب سرى لهيبها في كل ناحية من النواحي وظلت الفتن تتقد الى أن نشبت الحرب العالمية فارسلت الحكومة العثمانية بعض القواد العسكريين منهم نو رى باشا شقيق أنو ر باشا الشهير . عندئذ اضطرت الجنود الايطالية أن تنسحب من كل المواقع التي أشغلتها أثناء السلم وتتحصن في مدينة طرابلس ، زواره ، الحس ، بنغازى ، درنه ، طبرق ، الى أن انتهت الحرب الكبرى فرجت ايطاليه منها وعسكرها منهوك القوى لما لاقى من الهزيمة تلو الهزيمة في ساحات الحرب الاوربية .

ورغم ذلك ساقت عدة فيالق من جيوشها الى طرابلس برقة وجهزت منهم مائة الف جندى زحفت بهم على خطوط المجاهدين في منطقة طرابلس. وما كادت تدور رحى الحرب بين الفريقين حتى انهزم ذلك الجيش العرمرم شرهزيمة وغنم المجاهدون منهم السلحة ومعدات حربية كثيرة

ولما باءت الدولة الايطالية في تلك التجربة بالفشل وعامت أنها غير قادرة على اخضاع الشعب بقوة الحديد والنار عمدت الى التضليل والتمويه فسنت قانوناً سمته « القانون الأساسي » وأعلنته في سنة ١٩١٨ ومع انه جاء غير ضامن لحقوق الأهلين قباوا به بغية حقن الدماء وراحة الفريقين وانتظروا من رجال الحكومة الايطالية تنفيذه ثم ما لبث أن ظهر أنهم اتخذوه غشاوة على أعين الناس وأخذوا يبثون بذور الفساد من وراء الحجب ويوزعون على بعض سخفاء العقول المبالغ الطائلة من الأموال والسلاح والذخائر الحربية لايقاد نار الفتن بين الأهلين والتفريق بين الوطن و بنيه والاخ وأخيه . وكادوا يصاون الى رغائبهم و يوقعون البعض في تلك الحبائل التي نسجتها أياديهم الاثيمة ، لو لا ان عقلاء البلاد أدركوا تلك الدسائس وتلافوا الأمر بعقد مؤتمر عام في مدينة غريان ضم نخبة من رجالات البلاد في سنة . ١٩٧ فتبادلوا الآراء وفكر وا فيا ينقذ البلاد من الفتن والفوضي .

و بعد المداولة في جلسات متوالية قر روا بالاجاع مايلي :

« ان الحالة التي آلت اليها البلاد لا يمكن تحسنها الا باقامة حكومة قادرة ومؤسسة على ما يحتمه الشرع الاسلامي من الأصول تحت زعامة رجل مسلم منتخب من الأمة لا يعزل الا بحجة شرعية واقرار مجلس النواب، وتكون له السلطة الدينية والمدنية والعسكرية بأكلها بموجب دستور تقره الأمة بواسطة نوابها وان يشمل حكمه جميع البلاد بحدودها المعروفة.

وقد تناقش المؤتمر في أن ذلك لا ينافي منافع دولة ايطاليا التي جاءت الى وطننا من أجلها مع اللزوم القطعي لراحتنا وسلامتنا و بين ثقة في أن الشعب الايطالي لا يرضي في هذا الزمن الذي تنال فيه كل الأمم أكبر أمانيها ، أن يقيم نفسه من أجل مطامع وأوهام فئة المستعمر بن عقبة في سبيل النظام والامن والعدل في طرابلس الغرب ولذلك لا تزال للامة

تقة فى أن تسعف بضرورياتها وان لا تصادم فى أمنية لا ترضى ولا يستقر لها حال بغيرها وقد أنبنا للطالبة بذلك وفداً من حضرات نورى بك السعداوى ومحمد خالد بك القرقنى ومحمد فرحات بك ومحمد الصادق بك ابن الحاج ليراجع كل مصدر يرى ضرورة مراجعته لتحقيق الغاية المذكورة فى القرار المبين أعلاه داعين المولى جل شأنه أن يوفقهم وأن يحقق أمانى أمتنا حرر فى ٦ ربيع الأول سنة ١٣٣٨

ثم انتخب المؤتمر هيئة حكومة عهد اليها ادارة شؤون البلاد الداخلية التي عمت فيها الفوضى بسبب الفتن التي خلقها رجال الحكومة الايطالية ، وذهب الوفد المشار اليه في ذلك الحين الى رومية ليبلغ حكومتها ما أجع عليه الشعب من المطالب وأخذ يراجع المقامات الرسمية وغير الرسمية فلم يكن حظه من رجال الحكومة الايطالية سوى الاعراض والاستخفاف عهمته .

أما هيئة الحكومة الوطنية التي عهدت اليها ادارة شؤون البلاد فانها أخذت في اقرار دعائم الامن وتنظيم الشؤون الادارية كالدوائر المالية والقضائية وتنظيم الجيش لما سيحدث من الطوارئ فساد الامن و رجعت الطمأنينة بعد الخوف الذي استولى على النفوس وانصرف الاهلون الى معائشهم ومصالحهم

أما منطقة بنغازى فان نورى باشا الذى أوفدته الحكومة العثمانيه اليها خلال الحرب العالمية حل الاهالى على التعرض على القطر المصرى وهي خطة رسمتها وزارة الحربية العثمانية فهز جيشاً مؤلفاً من « . . . » مجاهد بالاتفاق مع السيد أحد الشريف السنوسي وتجاوزا به الحدود المصرية وترك السيد أحد الشريف وكيلاً عنه في برقة ابن عمه السيد ادريس السنوسي .

ولما دخل المجاهدون الحدود المصرية اصطدموا بالجيوش الانكليزية و بعــد حروب بين الفريقين تراجع المجاهدون بصورة غير منظمة وخلال ذلك عمت الفاقة منطقة برقــة واشتدت المجاعة

فرأى السيد ادريس من الحكمة أن يعقد هدنة مع الايطاليين وأوقف رحى الحرب و بعد انتهاء الحرب الكبرى بايعه الشعب البرقاوى بالامارة و وافقت على ذلك الحكومة الايطالية بمقتضى معاهدة عقدت بين الفريقين .

بيد أن رجال الحكومة الايطالية كعادتهم في كل عهد يعقد معهم أخذوا ينقضون العهود ، فاضطر الأمير السيد ادريس أن يوحد مساعيه مع حكومة طرابلس الوطنية وعقدت الاتفاقية بين الفريقين المعروفة باتفاقية «سرت» المتضمنة توحيد القطرين الشقيقين والنضامن على المطالبة بحقوقهما معاً ? وتنص المادة الخامسة من هذا الاتفاق على توحيد الزعامة وتنصيب أمير واحد للقطرين ،

وما كادت هذه الاتفاقية تتم حتى هاجم الايطاليون سواحل مصراته فى منطقة طرابلس سنة ١٩٢٧ فأعلنت الحكومة الوطنية الحرب فى كل المناطق واستمرت الحرب بشدة هائلة ثلاثة أسابيع عجز الايطاليون خلالها عن التقدم ولو كيلو متراً وضحت البلاد بالوف من الخلق فى سبيل الدفاع ، كما ان الايطاليين خسروا اضعاف ذلك لأنهم كانوا المهاجين . ولما أيقنوا بالخيبة والفشل طلبوا توقيف القتال بغية التفاهم وانتدبوا للذا كرة السنيور « بيلا » والسنيور « رابكس » وخرجا فى الموعد المضروب الذى قررته الحكومة الوطنية فى مكان يسمى « فندق الشريف »

وقد كتبت الحكومة الوطنية للوالى الكتاب الآتى: « باندفاع أسلافكم مع تيار الفتنة والتفريق حدثت فى البلاد حالة فوضوية وقفت الحكومة الايطالية أمامها موقف المتفرج فاضطرت الأمة الى عقد مؤتمر فى غريان بلغت مقرراته الصائبة الى الحكومة وأرسلت وفدها للطالبة بما أجع عليه المؤتمر فلم يكن حظه الاالاعراض والاستخفاف بمهمة ذلك الوفد مع استمرارها على خطة المراوغة والتفريق

ولما حال الحول على وفدنا وهو يستعطف المصادر الرسمية وغير الرسمية والحكومة مصرة على تلك السياسة المنفورة. وتحقق أهل القطرين طرابلس برقة ان حياتهما محفوفة بالخطر في الحال والاستقبال وان ما دهم أحد القطرين لا بد أن يحيق بالآخر لما بينهما من العلائق المادية والمعنوية لا سيا ان ادارتهما الى عهد الاحتلال واحدة عندئذ تبادل عقلاء الفريقين المراسلات والآراء فيما يضمن الراحة ويفسح مجال الاخاء ويسهل سير الأمتين العربية والايطالية في سبيل الحياة الاقتصادية مع المحافظة على حق ايطاليا السياسي .

فقرر الفريقان بالاجاع في سرت اتفاقية من جلة فصولها المطالبة بتوحيد ادارة

القطرين وهو الحل النهائي الذي لا يبقى معه ريب لهذه القضية المعضلة التي لا تزيدها سياسة المراوغة والتفريق وطول الأمد الا تحكيما في عقد الخلاف فتصبح من الأمراض المزمنة ويعسر حلها فضلاً عما تصاب به الامتان من الخسار وما يفوتهما من المنافع كما لا يخفى

أما نحن أهل القطرين فإن الادوار المحزنة والتجارب المؤلمة أرشدتنا الى صورة حل هذه المشكلة حلا لاحظنا فيه المنافع الايطالية سياسية كانت أو اقتصادية وهو أن تؤسس حكومة نيابية للقطرين يرأسها رجل مسلم تنتخبه الامة وتكون له السلطات الادارية جميعها مع السلطة الدينية ولا نظن أن الحكومة لا تستحسن هذا الحل المفيد ان تجردت عن ملاحظة الاشكال والاعتبارات و وجهت دقيق نظرها الى الحقائق والجوهريات. كنا قر رنا مهادنة للتفاهم والمفاوضة وعامنا خلالها ان سفركم الى روما بقصد التفاهم مع حمومة جلالة الملك والحصول على إذن وصلاحية واسعة تخول لكم المفاوضة معنا للوصول الى مايرفع الخلاف الذي لا تتحمل البلاد دوامه و رعاية لاحكام اتفاقية سرت المذكورة فانا في انتظار مندوبي برقة الذين قرب وصولهم بالنظر لاشعار سمو الأمير السيد مجمد ادريس ومتي وصاوا يتعين الزمان والمكان للذا كرة التي لا نشك أنها ستبني على أساس الاخلاص وحسن النية والأمل وطيد في أن دولت كم ستضمون الى تاريخ حيات كم السياسية فراً آخر في حل المشكلات واقبلوا يادولة الوالى عاطر التحية وفائق الاحترام

و بعد استمرار المذاكرة ثلاثة أشهر والايطاليون يراوغون فى أحاديثهم مراوغة التعالب تبين أن الغاية من توقيف القتال وتلك المذاكرة الاستفادة من الوقت لاعداد العدة للحرب وقد تجلت فكرتهم هذه فى تكليفهم الأخير وهو طلبهم تسليم السلاح الذى بيد الأهلين قبل كل حل والا الحرب، عندئذ لم تر الحكومة الوطنية بداً من رفض هذا الطلب وخوض غمار الحرب، واستؤنف القتال الذى لم يزل شرره يستطير من ذلك التاريخ الى يومنا هذا

ان الحكومة الايطالية بعد ان اتخذت كل ما في وسعها من الوسائل لتفريق كلة أبناء البلاد ولم تنجح ورأت ذلك الشعب متضامناً مستميتا في سبيل الشرف والمطالبة بعقوقه عمدت الى تنفيذ سياسة الشدة والارهاق خصوصاً بعد استلام الفاشيست زمام الحكم فانهم أضافو الى تلك الشدة فكرة ابادة ذلك الشعب وامحائه لتخاو هم الديار و يستخلفوا

فيها المستعمرين من أبناء جلدتهم الذين ضاقت بهم أرضهم وهكذا أخه الفاشيست في تنفيذ سياستهم الغاشمة وما برحوا ينزلون بذلك الشعب العربي ضروب العذاب فلا يرجون طفلا صغيراً ولا شيخا كبيراً

فانهم يحكمون البلاد بأحكام عسكرية وأعمدة المشانق منذ الاحتىلال حتى يومنا هذا لم تزل منصوبة فى كل بلد من ذلك القطر فادارة البلاد تحت عاكم عسكرى مطلق اليد لا يسئل عما يفعل وله فى كل لواء وقضاء وناحية عاكم ادارى وجيع الدوائر المالية والعدلية والبلدية يديرونها بمعرفتهم وليس للائهلين مشاركة فى شؤون بلادهم ولا يستخدمون منهم حتى الخدم ولا الحجاب أيضاً الذين يقفون على الابواب وجيع المعاملة باللغة الايطالية والأغرب من هذا كله ان جباة الأموال من الفاشيست فيطرحون الضرائب و يجبونها من المكاف وهو لايدرى ما عليه ولا يعرف باية نسبة تجبى منه تلك الضريبة بل انه مرغم على ادائها عن يد وهو صاغر واذا سأل سائل عن أساس الضريبة يعد خائنا و يعاقب العقاب الأليم.

و بالجلة فان السياسة المرهقة التي تتمشى عليها الحكومة الفاشستية لم يسبق لها مثيل منذ ان عرف التاريخ ، فسفك الدماء وقتل النفوس البريئة والتجاوز على الاعراض والنفي والحكم بالسجن المؤبد وسلب الأموال وغصب الاملاك والأراضي من أيدى أصحابها وقذف البشر من الطيارات والقاء بعضهم مكبلين بالاغلال في لجيج البحر وقتل الاسرى وهتك حرمات الدين ودوس القرآن الكريم تحت الاقدام امام جاهير من المسامين وهدم اضرحة بعض الصحابة الكرام والاولياء واتخاذها اصطبلات للحيوانات والترنم بالاناشيد في الطعن بالدين الاسلامي فحدث عن ذلك ولا حرج ، ولانريد أن نأتي في هذه العجالة على ذكر الفظائع التي كتب فيها تأليف خاص يغنينا عن التفصيل فان فيه من الفظائع ماتتفطر منه الاكباد و يذيب الفؤاد

ومنه يعلم القارئ أن سياسة الفاشيست في ذلك القطر ترمى الى ابادة أهله فقد كان عدد الشعب الطرابلسي — البرقاوي قبل الاحتلال الايطالي يربو على « ١٠٥٠٠٠٠٠ » نسمة وقد صرح الجنرال غرتسياني قائد الحركات العسكر بة انه بعد الاحصاء الدقيق تبين أن سكان طرابلس — برقة لم يتجاوز عددهم « ٧٠٠ » ألف ولا ريب في أنهم قد قضوا

على ذلك الشعب المسلم بين قتل وتهجير والبقية الباقية أيضاً محكومة بالفناء لأن الضغط الشديد وشد الخناق على الاعناق لابد أن يؤدى الى تلك النتيجة وعدا ذلك فان مرافق الحياة في تلك البلاد قد استولوا عليها جيعا فالمسلم لايتمكن من الاشتغال بالزراعة ولا بالتجارة ولا بأية حرفة تؤمن معاشه فالناجر لا يمكنه النوسع بالنجارة والتجول في البلاد لنوسيع نطاق عمله بل أنهم يحددون له المبالغ التي يمكنه أن يتاجر بها والايام التي يتغيبها في الاقطار المجاورة وصنف البضاعة واذا تغيب عن الاجل المضروب له أو تاجر بأصناف غير مسموح له بها تسحب من يده اجازة التجارة و يعاقب ، زد على ذلك انهم أطفأوا نو ر العلم وتركوا ذلك الشعب يتخبط في دياجير الجهل فلم تكن في تلك البلاد الا بضع مدارس ابتدائية أسست في عهد الترك يعلمون فيها الاطفال باللغة الايطالية للوصول الى اماتة اللغة العربية حتى لاتبق ناحية من مقومات ذلك الشعب الا و يقضي عليها القضاء المبرم

ولما رأت الجاليات الطرابلسية البرقاوية التي تقطن مختلف الاقطار الاسلامية ماأحاط ببلادها من الاخطار فكرت في تأليف لجنة للدفاع عما حل ببلادها من الضيم الفظيع والظلم المريع وانتخبت هذه اللجنة و وضعت أساسا لعملها «الميثاق الوطني» وهذه مواده:

١ — تأليف حكومة وطنية ذات سيادة قومية لطرابلس \_ برقه يرأسها زعيم مسلم تختاره الامة

- ٢ دعوة جعية تائسيسية لسن دستور البلاد
- ٣ \_ انتجاب الامة مجلساً حائزاً على الصلاحية التي يخوله اياها الدستور
- ٤ اعتبار اللغة العربية اللغة الرسمية في دواوين الحكومة والتعليم.
  - المحافظة على شعائر الدين الاسلامي وتقاليد القطر في جميع ارجائه
    - ٣ ــ العناية بالاوقاف وادارتها من قبل لجنة اسلامية
    - ٧ العفو العام عن جيع المشتغلين بالسياسة داخل القطر وخارجه
- م تحسين العلاقات بين الأمة الطرابلسية البرقاوية والدولة الايطاليه بمعاهدة يعقدها الطرفان و يصدقها المجلس النيابي

ومنذ تاسست هذه اللجنة أخذت على عاتقها معالجة القضية بشتى الوسائل الداخلية في حيز امكانها فأذاعت على الملاء السياسة الهوجاء التي تتمشى عليها الدولة الايطالية في تلك

البلاد بواسطة الصحف والنشرات والرسائل وهي ترسل في كل موسم حج الى مكة المكرمة عشرات الآلاف من النشرات التحيط المسامين في جميع الأقطار عاماً بما هو حادث في تلك الديار النائية ولم تكتف بذلك بل خاطبت طاغية الفاشيست وبينت له عقم سياسة الحديد والنار التي يتعقبها في طرابلس برقة ولكن نصحها له لم يزده الاغروراً وعتواً كبيراً وقد اقتنعت بعدم الفائدة من مراجعة أولئك الطغاة الذين لا يرضيهم الا تمزيق اللحوم والولوغ في دم البشر

لذلك يتحتم على المسامين الاهتهام باخوانهم في الدين والقومية في تلك البلاد النائية أولئك المساكين الذين تقطعت بهم الأسباب وأعوزتهم الوسائل وسدت في وجوههم السبل الاسبل الموت وفي الموت راحة البائسين ولطالما ملائنا الفضاء بأصواتنا و رفعنا شكوانا الى العالم الاسلامي ليصرخ في وجوه وحوش الفاشيست عساهم يرجعون عن غيهم ويؤ و بون الى رشدهم رحة بالانسانية وشفقة على البشرية ولكن انى للسامين الذين تفرقت كلتهم وانحلت عرى جامعتهم أن يتضامنوا على القيام بمثل هذا الواجب ، ولما كان المؤتمر الاسلامي الموقر من ضمن واجبه التفكير في مثل هذه الشؤون الهامة فها اننا نبسط بين يديه قضية من أهم القضايا التي يجب العناية بها فان ذلك الشعب المفجوع في وطنه ودينه اذا لم تشمله عناية المخلصين من اخوانه المسامين الذين يهمهم أمم الدين سيصبح « لاسمح الله » أثراً بعد عين وفي ذلك مافيه من المسئولية الكبرى والبلاء العظيم

فيا أيها السادة الأكارم

إن الشعب الواقف في وجوه أعدائكم منذ احدى وعشرين سنة هو منكم ، والدين المهان في تلك الديار هو دينكم . وأولئك الشهداء الذين ضحوا بأر واحهم في سبيل الله مشهداؤكم ، هنالك في تلك الصحارى المحرقة والفيافي المقفرة اخوان لكم « صَدَ قُوا مَا عَاهَدُوا الله عَلَيْهِ فَمَنْهُمْ مَنْ يَنْتُظُرُ ومَا بَدَّ لُوا تَبْدِيلاً »

أحل. إن اخوانكم في تلك الديار النائية يستصرَّخونكم ويناشدونكم الله أن تعملوا على معالجة شؤونهم ونشلهم من براثن الأعداء قبل أن يقضى عليهم فيموتوا وبذلك تفقدون قطرا اسلاميا فتحه جدودكم الكرام ورفعوا فيه راية الاسلام منذ أر بعة عشرقرناً.

وقد أصبحت اليوم تلك التربة التي خضبت بدم الشهداء تخيم عليها سحابة سوداء تعطر ظلما وجوراً على اخوانكم البؤساء، هنالك تسمعون الصراخ والعويل والبكاء والنحيب، هنالك الانسانية المعذبة، هنالك تحار الأفكار وتزيغ الأبصار، ولامنجد، ولا مغيث، ولا منقذ، ولا معين.

فان فى تلك البلاد طائفة من المسلمين لم يزالوا شاكين السلاح يذودون عن أوطانهم ويدافعون عن كيانهم وعدوهم الجائر يتربص بهم الدوائر، فنرجو أن تفكر وا فيما يخفف عنهم المصائب التي تحل بهم قبل أن تمزقهم القوى الغاشمة ولا نخال أنها تعوزكم الوسائل لمد يد المساعدة لاولئك البؤساء وأنتم رجال الاسلام الذين تمثلون « ٤٠٠ » مليون مسلم فى الكرة الأرضية والله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه

رئيس اللجنة التنفيذية للجاليات الطرابلسية البرقاوية بشهر السعداوي

٢٦ رجب سنة ١٣٥٠

۲ کانون اول سنة ۲۳۹

## رئيس الجامعة الاسلامية

مجمهورية ليبيريا

تكرم بزيارة هذه الجريدة (۱) سيدى أفاريل رئيس الجامعة الاسلامية بجمهورية بيبيريا . وقد كان سيادته وزير الحربية ثم رئيس الوزارة . وكان في وسعه أن يكون رئيسا للجمهورية لولا أنه آثر رياسة الجامعة الاسلامية وهي أكبر منصب ديني في البلاد عين فيه سيدى أفاريل هذا لمدى حياته كلها في حين أن رئيس الجهورية تنتهى مدة رياسته في مدى أربع سنوات ولا يستطيع تولى منصبه الا بموافقة سيدى أفاريل بوصفه أكبر رئيس ديني لمسامى الجهورية

وسيدى أفار يل يمثل اللون الافريقي الأصلى واكن ملامح وجهه وسيماءه وتناسقه غير ما تراه في بعض الزنوج فهو أقرب الى سماحة الوجوه العربية وفيه جاذبية تستريح اليها النفس وطيبة مرتسمة في محياه لا يشك فيها أحد

<sup>(</sup>١) نقلا عن جريدة السياسة الغراء

وسيدى افاريل يزور الديار المصرية للرة الثانية. فقد زارها في العام الماضى وظل فيها أياماً معدودة وكذلك تكون زيارته قصيرة هذا العام. ومهمته تجارية فهو بالرغم من صفته الدينية يحمل تفويضاً من حكومته في عقد الاتفاقات التجارية مع الحكومات الأخرى.

وسيدى أفاريل يرتدى ملابس عسكرية رشيقة على الطراز الحضرى وهو فى مصر يلبس « الطربوش » ويزدان صدره بنياشين عدة يأخذك بريقها الجذاب ترى بينها نيشان اللوجيون دونير الفرنسي ونيشاناً فرنسياً آخر وثلاثة نياشين أمريكية ونيشاناً انجليزياً واثنين من ملك الحجاز وواحداً من الحكومة التونسية

وهو يتكلم اللغتين الفرنسية والانجليزية ويعرف بعض العربية وقد تلا علينا المعوذتين وسورة الفتح من دون لحن ولا غموض

وسيدى أفاريل من سلالة الماوك الذين تعاقبوا على عروش السنغال وليبريا وسيراليون ستة قرون ونصف قرن وقد بلغ عددهم ستين ملكا . ولقد كان آخرهم والد ضيفنا المحترم كان ملكا على السنغال وحارب الفرنسيين ثلاثين عاماً . وما زال والده حياً وقد بلغ من العمر مائة عام وتسعة أعوام ولم تنفرط ثنية من ثناياه حتى اليوم . وكذلك والدة سيدى افاريل . بلغت من العمر ثمانية وتسعين عاماً وهي كزوجها في عافية وصحة

ولقد اضطرت الظروف القاهرة سيدى افاريل أن يحارب جنبا لجنب مع الجنرال. غورو في سوريا أثناء الحرب الكبرى سنة ١٩١٧

ومن مهامه فى زيارته الحاضرة لمصر أن يخاطب ذوى الاختصاص فى تعيين قناصل يمثلون مصالح ليبريا التجارة فى القاهرة والاسكندرية و بور سعيد . وسيدى افاريل ينوى كذلك أن يعقد اتفاقا مع بعض المدرسين المصريين الذين يحسنون اللغة العربية ليسافروا الى ليبريا و يتولوا التعليم فى مدارسها .

ولما كان سيدى افاريل قد أصبح الرئيس الدينى الأكبر فى البلاد فسترسل حكومة الجهورية ولديه الى الازهر الشريف فى العام القادم لكى يدرسا العاوم الاسلامية دراسة متقنة تمكن احدهما من أن يتولى منصب قاضى قضاة المسلمين هناك وتمكن الآخر من

تولى منصب ديني آخر حتى اذا وافي الأجل أباهما خلفه أحدهما في رياسة الجامعة الاسلامية بديار ليبريا

وحكومة ليبريا وأهلوها قوم أشداء في الاحتفاظ باستقلالهم غاية في الغيرة على مرافقهم وحقوقهم القومية لايفرطون فيها ولا ينزلون عنها لأحد . ولقد بلغ من حرصهم على بلادهم انهم لايسمحون لاجنبي كائنا من كان ولا سيا الغر بيين بأن يشتري شبراً من الارض في ديارهم .

حدثنا رفيق كان يصحب سيدى افاريل فى زيارته لجريدتنا قال: \_ توصل أحد المستعمرين الانكليز الى أن يستحوذ على منجم لتعدين الذهب فى ليبيريا فلما توجس خيفة على نفسه وعماله استنجد بمائتى جندى بريطانى فلم يكد هذا النبأ يصل الى مسامع حكومة الجهورية حتى أنذرت الرجل بأن ينسحب هو وجنوده من البلاد والا نزل بهم من المكاره مالا يحبون فى أربع وعشرين ساعة . فانسحب الجند ووقف العمل ولم يسع القنصل الانكليزى سوى ان ينصح للجنود بسرعة الخروج من البلاد والا لم يكن أحد مسئولا عن حياتهم سواهم

وقد أخبرنا سيدى افاريل أن عدد أهل ليبربا يبلغ خسة ملايين وان كانت المراجع الجغرافية تحدد العدد الأقصى بمليونين و ربع مليون . لكنا قد نرجح صحة الرواية التي رواها سيدى افاريل لعامنا ان الاحصاء الدقيق في مثل تلك الأصقاع يكاد يتعذر .

ومما ذكره سيدى افاريل وأقرته عليه المراجع الجغرافية أن الأجانب لايزيدون فى بلاد الجهورية عن مائتى شخص كلهم فى البلاد الكبرى وفى هذا دليل واضح على أن أهل الجهورية ينفرون من العناصر الأجنبية كل النفور.

ولا عجب فان أمريكا التي تعهدت هذا الشعب منذ حوالى مائة عام أسامته قياد نفسه في النهاية وعامته الحذر الشديد من تدخل الأجانب في شئونه فأحسن الشعب الليبيري تلقن هذا الدرس الثمين وجرى عليه حتى يومنا هذا .

وفى ليبيريا زهاء ١٢٠٠٠ من الزنوج الامريكان لعل الشفيع لهم فى البقاء بين أبناء الجمهوية أنهم من طائفة الزنوج فلهم باهل افريقيا قرابة الجنس وانهم ينتمون الى الأمة الامريكية التى أحنست رعاية ليبيريا يوم كانت قائمة بشئونهم القومية منذ مائة من السنين.

وسائنا سيدى أفاريل كم عدد المسلمين بين أبناء الجهورية فقال ان من الخسة الملايين الذين يتألف منهم أهل ليبيريا ثلاثة ملايين لا يزالون فى حالة البداوة الاولى لا تكاد تكون لهم حضارة أو دين . و بينهم زهاء مليون ونصف مليون من المسلمين و زهاء نصف مليون من المسيحيين الذين اعتنقوا المسيحية بجهود المبشرين الامريكان وغير الامريكان

وسألنا سيدى افاريل من ذا يقوم بنشر التعاليم الاسلامية فى بلاد الجهورية فاجاب. بأن بين مسامى السنغال رجالا متفقهين فى الاسلام الذى هو دينهم فنهم نستمد المعامين الدينيين.

وفهمنا من سيدى افاريل أن فى الجهورية نهضة حديثة ترمى الى ترقية البلاد فى نواحى مرافقها المختلفة من تجارة وتعليم ومواصلات. والخدمة العسكرية عندهم تتناول أبناء الجهورية جيعا وقت الضرورة من سن السادسة عشرة الى سن الخسين

وحدومة الجهورية تشترى آلات مدرعة حربية كبرى من أمريكا يبلغ ثمنها ١١ مليون دولار كما أخبرنا سيدى افاريل

وقد ظل سيادته في دار الجريدة زهاء خس وأر بعين دقيقة ثم نهض منصرفا فودع عثل ما استقبل به من الاكرام. والشرقى على الشرقى عطوف. وقد طلب الينا سيادته أن نرسل اليه أعداد السياسة في مقره بليبيريا التي يصل اليها بعد شهر من الزمان يقضيه في رحلته من القاهرة الى بور سعيد الى جبل طارق الى اسبانيا ومن ثمت يركب السفينة الى بلاده بسلام

\* \* \*

أما من جهة عدد سكان جهورية ليبيريا فقد سمعنا روايات تختلف عن رواية سيدى افاريل صاحب هذا الحديث وذلك انناكنا اجتمعنا مع مندوب ليبيرنا في جعية الأمم وهو معتمد هذه الجهوية في باريز هولاندى الاصل وقد توفى منذ ثلاث سنوات ولما اجتمعنا به سألناه عن عدد أهالى ليبيريا والمسلمين منهم فقال لنا انهم مليون ونصف مليون. المسلمون منهم مليون ومائتا ألف نسمة والمسيحيون . . ٣ ألف و ربما يكون أهمل الوثنيين لأننا لا نزال نعتقد أن رواية سيدى اقاريل رئيس الجاعة الاسلامية في ليبيريا هي الصحيحة «وصاحب البيت أدرى بما فيه »

# اللافاع عن الحروف العربية

بينا لقرائنا (١) في رسالة سالفة تلك التيارات الحائمة حول قبول الحروف اللاتينية والاحتفاظ بالحروف الحالية بتعديل أو بغير تعديل. واليوم قد سنحت لنا الفرصة للدفاع عن الحروف العربية حيث قد اطلعنا على رسالة تركية حديثة الظهور، يصح لنا أن نعتبرها حجة قوية لم يستطع أنصار الحروف اللاتينية أن يقابلوها بمثلها بعد.

وهذه الرسالة عبارة عن محاضرة شائقة ألقاها الأستاذ اللغوى عالجان شرف بك فى مؤتمر با كو الذى انعقد فى أوائل العام الحالى من مندو بى جميع الشعوب التركية للنظر فى تاريخ الأمم التركية ولغاتها وآدابها واصلاح حروفها . انما كانت أهم مسئلة وضعت على بساط البحث هنالك مسألة الحروف ، وكان حضرة الاستاذ السالف الذكر أبلغ مدافع عن الحروف العربية . لقد ألم حضرته بالموضوع من جميع جهاته وخرج من بحثه مبرهنا أن الحروف العربية أفضل من الحروف اللاتينية من وجهة الرسم والخط وسرعة القراءة والموافقة للصحة وسهولة الطباعة وجال الشكل وهلم جرا

هذا رأينا من الموافق أن نلخص هذه الرسالة للقراء نظراً لأهمية الموضوع من جهة ولا تصاله بجميع الامم التي تستعمل الحروف العربية من جهة أخرى

#### الشعوب التركية والحروف العربية

ان تسعين في المائة من أفراد الشعوب التركية يستعملون الحروف العربية أما البقية وهم جاعة على الديانة المسيحية فانهم يستعملون الحروف الروسية المعدلة. ومع ذلك فان فريقاً من هؤلاء الاتراك المسيحيين القاطنين في قازان قرروا ترك الحروف الروسية وعادوا الى استعمال الحروف العربية ، كما ان فريقا آخر وهم قبيلة « الياقوت » تركوا الحروف الروسية وقبلوا الحرف اللاتينية

#### نتائج تبديل الحروف

فاذا ما اتجهت الأنظار اليوم الى تبديل الحروف العربية بغيرها فلاشك أن سيكون لهذا التبديل نتائج مدنية واقتصادية واجتماعية عظيمة. وأولى هذه النتائج ضرورة تعليم

<sup>(</sup>١) لمراسل السياسة في الاستانة بتاريخ ١٤ سبتمبر سنة ١٩٢٦

المتعلمين أجعين مرة أخرى ، ونشر المؤلفات بالحروف العربية والحروف اللاتينية سنين عديدة و بذل الجهود لنعليم الناس القراءة بنوعين من الحروف ، وتهذيب المعلمين وتربيتهم من جديد واصلاح جميع الآلات الفنية والعملية وتعديلها . أضف الى ذلك ، تلك الزلزلة الروحية الاجتماعية التى تقع بين الشعوب التركية بتبديل الحروف العربية والتى تجعل مسألة الحروف أهم مسالة اجتماعية اقتصادية تهم الشعوب التركية

#### مقارنة الحروف العربية بالحروف اللاتينية

اننا إذا قارنا الحروف العربية بالحروف اللاتينية وجب علينا أن نقرر أولا ان الحروف العربية أوفق لافادة الكلمات التركية . كانت تتكون الحروف العربية من ثمانية وعشرين حرفا . زاد عليها الأتراك ثمانية حروف فبلغت ستة وثلاثين حرفا أربعة منها حروف متحركة وباقيها حروف ساكنة ، أما الحروف اللاتينية فعبارة عن ستة وعشرين حرفا في الأصل ستة منها متحركة وعشرون ساكنة . لذلك فانه لما شرع الآذريون في قبول الحروف اللاتينية لم يجدوا فيها الاتسعة عشر حرفا (أى ٥٦ في المائة) من أربعة وثلاثين حرفاً تلزمهم لتكوين حروفهم الهجائية .

وعليه فانهم زادوا عليها حروفاً روسية وحروفاً أرمنية لتني بالمطلوب.

أما قبيلة الياقوت التركية فانهم لم يستطيعوا أن يجدوا في اللاتينية الاسبعة عشر حرفا تنفعهم ؛ ثم زادوا عليها حروفاً أخرى لا كما ها وكذلك أتراك (قازان) و (باشقيرد) لم يستطيعوا أن يقتبسوا من الحروف اللاتينية إلا تسعة عشر حرفاً . وقد ثبت من ذلك أن الحروف اللاتينية لا تني بحاجة اللغة التركية إلابدرجة (٤٧) في المائة أو (٥٦) في المائة على أغظم تقدير . وهذا أسطع دليل على أن الحروف العربية أوفق للغة التركية .

#### سرعة القراءة

اذا تبين ذلك أمكنا أن ننتقل الى موضوع «سرعة القراءة ». اننا اذا قرأ نا لاننظر الى الكلمة حرفاً حرفاً بل يقع بصرنا على الكلمة بأجعها دفعة واحدة فنميزها كما نميز الأشياء والأشخاص.

ان الحروف اللاتينية ترسم في الغالب بخطوط مستقيمة و يمزج قسم منها برسم حرف ١

فتتجلى كزوايا مستقيمة . فيكون السطر المطبوع مصفوفاً بين خطين متوازيين وترصف الكلمات كأحجار مرصوصة .

أما الحروف العربية فليس لهاخطان متوازيان أو زوايا مستقيمة. بل ليس للسطور فيها الا خطاً أساسياً تمتد منه خطوط مستقيمة أو معوجة الى أعلاه وأسفله بحيث تكون مجهزة النقط أو الاشارات الصغيرة. وهذه الحالة الخاصة بالحروف العربية تسهل لنا تمييز الكلمات دفعة واحدة بخلاف الحروف اللاتينية التي ليست كذلك.

## أى الحروف أوفق للصحة

يدعى بعضهم ومن بينهم الشيخ (جوزى مندلى) وهو عربى مسيحى تعلم فى المدارس الدينية الروسية ثم كان رقيباً على الصحف التركية أيام القيصرية الروسية أن كثرة النقط والخطوط فى الحروف العربية تجعلها ضارة بصحة البصر . وذلك خطأ . وقد دلت التجارب على انه خطأ . ويكنى أن يجئ الانسان بشئ مكتوب بالعربية وآخر محتوب باللاتينية وأن يقرب كل منهما الى بصرة ثم ينظر فيهما ليتبين لهانه يستطيع قراءة الحروف باللاتينية وأن يقرب كل منهما الى بصرة ثم ينظر فيهما ليتبين لهانه يستطيع قراءة الحروف العربية من مسافة أبعد من المسافة التي يستطيع بها قراءة الحروف اللاتينية . وقد تبارى طلاب مدرسة المعلمين الروسية فى موضوع طلاب مدرسة المعلمين الروسية فى موضوع المرعة القراءة والكتابة ففاز الأتراك بنسبة ٢٧ فى المائة فى القراءة ونسبة ٢٧ فى المائة فى

#### قراءة المخطوطات اليدوية

ثم إن المخطوطات اليدوية العربية تشبه الخطوط المطبعية كثيراً ولذلك تسهل قراءتها هذا بخلاف المخطوطات اليدوية اللاتينية والروسية فانها تصعب قراءتها. وتسهل قراءة المخطوطات العربية من جراء النقط ومن اتحاد الرسم المطبعي والرسم اليدوي.

#### سرعة الكتابة

ان الحروف العربية كالعلامات الستنوغرافية ولذلك فانها تكتب بكل سرعة .واذا ماجر بتم الكتابة بالحروف العربية واللاتينية ألفيتم أن فرق السرعة بينهما بنسبة ٣٠ في المائة .

#### الحروف والطباعة

يمكننا بعد ذلك أن نقارن الحروف العربية والحروف اللاتينية من وجهة الطباعة ان الحروف اللاتينية الكبيرة والصغيرة التي تستعمل في المطابع الآزرية اليوم يبلغ عددها (١١٠) حروف مع الأرقام

أما الحروف التركية فرغما من أن لكل منها أر بعة أشكال فانها لاتزيد على (١٥٠) حرفا وليس هذا بالفرق العظيم الذي يلجئ الى تبديل الحروف. وقد استطاع عبدالرحن بو رناش افندى تقليل عدد الحروف التركية بحيث ساوى ما بينهما و بين الحروف اللاتينية. واذا ما بجح عبد الرحن أفندى في وضع شكلين لكل حرف كما هي غايته فسيكون عدد الحروف العربية أنقص من عدد الحروف اللاتينية وهنالك لايبقي اعتراض من وجهة الطباعة أيضاً

### تعليم الحروف

أما اذا نظرنا الى مسألة تعليم الحروف وجب علينا أن نعترف قبل كل شئ أن عدد الذين يعرفون القراءة والكتابة بين الأتراك ليسوا كثيرين ، بل انهم تتراوح نسبتهم بين خسة في المائة وخسة وعشرين في المائة . انما اذا تبدلت الحروف فقد هؤلاء كذلك . لكن المسألة مسألة سهولة التعليم

ان لكل حرف من الحروف اللاتينية أربعة أشكال : كبير وصغير للطباعة وكبير وصغير للكتابة . وأكثر هذه الحروف غير متشابهة في الرسم . أما الحروف العربية فلثلاثة عشر منها شكلان ولبقيتها أربعة أشكال انما تتشابه جيع الاشكال ولهذا فان تعلم الحروف العربية أسهل بكثير من تعلم الحروف اللاتينية

#### الشعوب المتآخية والحروف الهجائية

لا جرم ان لاستعمال الشعوب المتكلمة بلغة واحدة أو بلغة متقاربة حروفا مشتركة قيمة عظيمة . لا سيما اذا كانت هذه الشعوب مرتبطة بر وابط جغرافية واقتصادية ، اذ هنا لك يسهل لهذه الشعوب تبادل كل شئ كما تقوى بينها العلاقات المدنية والاقتصادية

وحيث ان أحسن الحروف التي توافق اللغة التركية هي الحروف العربية وجب على جيع الشعوب التركية الاحتفاظ بهذه الحروف

#### أى الحروف أجل ?

ثم اننا اذا سئلنا بعد ذلك عن أى الحروف أجل ، وجب علينا أن نعترف أن هذه المسألة مسائلة شعور شخصى . بيد اننا رأينا ان الشيخ (جوزى) السالف الذكر يدعى أن الحروف العربية قبيحة المنظر ، في حين ان الكثيرين من كتاب الأوربيين ينقضون قوله ويقولون ان الحروف العربية التي تتنوع أشكالها أجل بكثير من الحروف اللاتينية التي ليست الا عبارة عن أشكال هندسية . وعليه فان الحروف العربية تمتاز على غيرها بإنها :

#### مزايا الحروف العربية

١ \_ تقرأ الكلمات العربية بها بكل سهولة

٧ - تكتب الكلمات العربية بها بكل سرعة .

ومن الممكن اصلاح الحروف العربية بلا عبث يصيب شكلها وهنالك تسهل الطباعة .

٤ - والحروف العربية أسهل للتعليم. كما ان

الحروف العربية هي الحروف التي تستعملها الشعوب التركية المتجاورة المتكامة بلغة واحدة فينبغي الاحتفاظ بها.

#### الجهة السياسية

ان تسعين في المائة من الشعوب التركية يشتغاون بالفلاحة. فلا شك أن الاقدام على تغيير الحروف يؤثر في جميع هؤلاء الفلاحين أسوأ تا ثير. وقد فطن (لذين) الى هذه النقطة فقال (لاغا معلى الاذرى) الذي يستهدف لتغيير الحروف «كيف يرى الفلاح هذا العمل ؟» وهذا سؤال لا يصح الاستخفاف به. نعم ان الفلاح التركي متا خر. لكن تا خره غير ناجم من الحروف الهجائية بل من حالته الاقتصادية

ومن الارهاق الذي يصيبه وليس للحروف الهجائية أي تأثير في انحطاطه . ولهذا فلن يفيد تغيير الحروف في رقيه المدنى والاقتصادي بل يضاعف في تأخره . وهذا ما لا يصح اقترافه .

# اظهار محاسن الاسلام

# للعالم الايطالي لورا فكشيا فالييري

من الكتب المهمة التي ظهرت في الأيام الأخيرة في الدفاع عن الدين الاسلامي كتاب السمه « إظهار محاسن الاسلام Oppalogie de L'Islamisme بقلم « لورا قكشا قالييري من علماء ايطالية Laura Veccia Valglieri وهو يقول في مقدمة كتابه هذا المترجم الى الافرنسية إنه مما لا شك فيه أن وصف مجمد بتلك الأكاذيب التي كانوا يشيعونها في القرون الوسطى عنه وعن ديانته قد خفت كثيراً في هذا العصر وصار الناس ينشدون الحقيقة التاريخية عن مجمد وعن الاسلام الذي قلب وجه العالم. ولكن مما لامراء فيه أن صوت المسلم الحر الذي يحب الله ورسوله ويرى في الاسلام الحسنات التي لا نهاية هما في الدنيا والآخرة لا يزال غير مسموع تماما والنادر من الأور بيين يعلم هذا الصوت

فحاسن الاسلام لا يمكنها أن تظهر بتدقيقات المؤرخين من الافرنج مهما كانوا منصفين لأنها تدقيقات جارية على أقلام أناس غير معتقدين بالاسلام و بحسب طرق ومفاهيم خاصة بالأور و بيين . ومع ذلك فان مستشرقين مشاهير مثل مو ير Muir واسبرنجر Gold-Ziher وغولد سيهر Gold-Ziher ونولد كه Noldek وكاناني Caetani وغيرهم قد وصاوا بعد التمحيص الى الاعتراف بصدق محمد في دعوته والى الحمم بانه كان ملهما إلهاما اختلفوا في سره ولم يفسروه على وجه واحد بل علله كل واحد بشكل . و بعض هذه الأشكال لا يقبلها حتى غير المسلم. فن هؤلاء من يقول ان العقائد التي بني عليها الاسلام أكثرها نتيجة نمو هذا الدين بعد وفاة واضعه وأنه هو لم يضع إلا أسساً أولية فقط وأن المسامين فها بعد قد فرعوا عليها . ثم بعد أن جردوا صاحب الشريعة الاسلامية نفسه من وضع هذه العقائد وردوا إليه مبادئها فقط عادوا فحصوا أقواله وأعماله التي لم يشكوا في نسبتها إليه وفصاوا هنا بين الوحى الذي كان يوحى إليه و بين المعلومات الشحصية التي اتصل بها بثمرة اجتهاده واطلاعه على الأديان الأخرى واحتكاكه بالحوادث أى إنهم فصاوا بين الالهي والبشرى في الدعاية المحمدية

قال كاتانى: إن محمد الم يجمد على حالة واحدة بل من بأطوار متعددة بحسب مقتضيات الزمان ووفقا للحوادث. وتغير هذه الأطوار ملحوظ جداً سواء فى القرآن أو فى السنة لمن عرف أن يفهمها حق الفهم. فالفرق عظيم بين محمد فى أوائل بعثته و بينه بعد أن هاجر إلى المدينة واضطر أن يعلن المقاومة بالقوة لمن أشركوا بالله

فالمسامون متفقون مع هذه الطبقة من المستشرقين على أن في ديانتهم نقاطا كثيرة متفقة مع النصرانية واليهودية ولكنهم ير ون هذا زيادة في تأييد رسالة مجمد و برهانا على أنه خاتم الرسل. ولكن بين المسامين و بين هؤلاء المستشرقين اختلافا في كيفية فهم القرآن. فعند المسلمين أنه كتاب قديم غير مخاوق وغير قابل للعارضة . وقد نزل على رجل أمي لم يتعلم شيئاً إلا ما أوحاه الله إليه وقد أوجى اليه هذا القرآن وألهمه أيضاً أعمالاً لا يجوز الجدال فيها على حين المستشرقين الذين نعنيهم ير ون القرآن تمثيلاً خالة مجمد الروحية ويزعمون أن فيه تفاوتا وأن مجمدا أضاف من نفسه الى ما هو من ربه بحسب مصلحته وأن هناك تناقضا بين بعض أقواله الى غير ذلك من الآراء . فلأجل هذا الفرق العميق بين المسلمين و بين مؤرخى الاسلام من غير المسلمين اقتصرت كثيراً في إيراد آراء المستشرقين المحدثين إلا ما أخذته من تدقيقات غولد سيهر وعولت على أقوال المسلمين أنفسهم تاركا والطبقة الماضية من عامائهم حتى أقوال مشل الامام الغزالي ولو كانت آراؤه توافق مبحثى عا فيها من المعاني العالية . عولت على المسامين الحدثين الذين احتكوا بالحياة مبحثى عا فيها من المعاني العالية . عولت على المسامين الحدثين الذين احتكوا بالحياة الغربية وأحبوا الاسلام حباً جاً ورأوا فيه ديناً يأتلف مع الأعصر الحديثة ويقبل كل ثقافة فقد كتب هؤلاء كتباً تعجز جميع انتقاداتنا العصرية عن المكابرة فيها . فأخنت اذاً من الكتب الآتية :

الاسلام والرد على منتقديه للشيخ محمد عبده. والاسلام والنصرانية لمحمد عبده أيضاً. والعروة الوثقى لجال الدين الافغاني ومحمد عبده. والرسالة الجيدية لحسين الجسر. والمدنية والاسلام لمحمد فريد وجدى. وإظهار الحق لرحة الله بن خليل. ومقال للزهراوى في ائتلاف الاسلام مع المدنية. وروح الاسلام لأمير على الهندى. وعبقرية الاسلام لعثمان بك قبرصلي زاده. وتقرير لنعمان كامل بك في مؤتمر المستشرقين العاشر. وتقرير آخر في المؤتمر المذكور لعمر الطفي

وقد استقيت من هـنه المنابع كلها مختاراً منها ما أريده بدون مراعاة الترتيب بل عراعاة المعنى و إيراد الشواهد المتطابقة فيه من أى موضع من الـكتب المذكورة

ثم ذكر صاحب هذا الكتاب فصلا فصلا عن الاسلام فالأول سرعة انتشار الاسلام و إن ذلك بيد الهية والثانى بساطة العقيدة الاسلامية وانطباقها على العقل والثالث حكمة كل شعيرة من الشعائر الاسلامية و والرابع معالى الفضائل والآداب الاسلامية و بعد تأثيرها في الخلق والخامس ائتلاف الشريعة الاسلامية مع المدينة والسادس قيمة التصوف في الاسلام والسابع الاسلام في مناسباته مع العلم

فنحن نوصى ناشئة المسلمين باقتناء هذا الكتاب وهو ١٢٥ صفحة مختصر مع الافادة معتدل مع الاجادة

# طرابلس وبرقة أيضا

ولاتمام الفائدة نذكرهنا كتابا مطبوعا في مرسيلية سنة ١٨٦٣ بقلم «شارل ادوار دغين» Charles — Edouard Guys قنصل فرنسة في الشرق ومن أعضاء جعيات علمية متعددة وعنوان هذا الكتاب « معلومات عن جزائر بومبا و بلات وخليج بومبا ونواحيه (١)» قد أخذها هذا الكاتب عن أبيه الذي كان قنصل فرنسة في طرابلس الغرب ومنه علمنا أمرا غريبا وهو أن الحكومة الروسية تدخلت لدى والى طرابلس سنة ١٧٧٧ حتى ينزل لها عن جزيرة بومبا بمقابلة شيء تؤديه له لكنه أبي اجابتها الى طلبها هذا خوفاً من تركيا وفرنسة (كذا) وكان طلب الروسية هذا في اثناء حروبها مع تركيا

ويقول المسيو غيزان الامريكيين أيضاأرادوا أن يكون لهم مرسى في البحر المتوسط فاولوا الاستيلاء على جزيرتَيْ بومبا لكنهم لم يأتوا اليهما بقوة كافية وانصرفوا

وهو يصف ما فى خليج بومبا من المراسى الامينة للسفن ويرى فى هـذا المـكان مركز علائق بين الغرب والشرق ذا بال عظيم

ويقول ان جزيرة بومبا بنفسها صغيرة صخرية لكنها تشتمل على ميناء من أحسن مايوجد وكان اللاسيديمونيون (من اليونان) قد عمر وها قديماً وجعلوها مرسى لاصلاح سفنهم وصارت مدينة وهي تبعد عن الساحل أر بعة فراسخ وموقعها شهالي غربي من الخليج وشرقيها جزيرة صغيرة اسمها «باردة» والبحر هناك كثير السمك ومحيط الجزيره الكبيرة ثلاثة فراسخ ونصف وفيها أراض قابلة للزراعة وأشجار. ويقول ان العرب لاوائل مجيئهم الى برقة كانوا يقيظون في هاتين الجزيرتين نظراً للطف هوائهما وبر ودة نساتهما. ومن هنا سموا الصغرى منها باردة. وهو يمتدح عرب برقة بحسن الضيافة وجودة الاخلاق

ثم يقول ان جزيرتي بومبا تقابلان رأس التين أي مرسى درنه ويذكر انه مر بنفسه من هناك في سفينة فرنسوية استقلها في «لارنكا» (قبرص) قاصدة مرسيلية وذلك

<sup>(</sup>١) انظر صفحات ٦٤ من الجزء الثاني وما بعدها

فى شهر يوليو سنة ١٨١٧ فساقتهم الريح نحو جزيرة اقريطش ثم بعد ذلك اضطروا ان يتقدموا نحو ساحل برقة ومنها ساروا امام السواحل حتى وصاوا الى مدينة طرابلس لعهد يوسف باشا القرمانلي

وهو يذكر ان الامريكيين كانوا نزلوا براس التين وقصدوا الاستقرار بدرنه لكن والى طرابلس كتب الى متصرف درنه فشد العرب وطردوهم . ثم انعقدت معاهدة بين والى طرابلس وأمريكا بأن يكون لها قنصل صغير فى درنه لملاحظة تجارتها

وهذا المؤلف يشير على أور بة بأن ترسل الى جزيرة بومبا فرسان مار يوحنا أورشليم الذين أخرجهم الانكليز من مالطة وتراهم يرتادون لانفسهم محلاً يلجأون اليه ويقول انه لما كانت ترعة السويس ستُفتح (١) فيتسع مجال الحركة البحرية فان عمارة هذه الجزيرة بالاور بيين أصبحت ضرورية (تأمل)

ومن أهم ماقرأته في هذا السفر الصغير هو ان سكان حضر برقة كان يقدر عددهم لذلك العهد بثلاثمائة ألف نسمة عدا العرب البوادي

والحال انه عند مجى ً الطليان كانعددهم ٣٠٠٠ ألف داخلاً في ذلك العرب البوادي . واما الآن فقد نزل عددهم عن هذا المقدار

ولقد شاهد محرر هذه السطور جزيرتى بومبا وخليج بومبا يوم ذهبت الى جهاد طرابلس و بتنا بساحل هذا الخليج ليلة وفى زاوية أم أر زم ليلة وفى زاوية مرطوبة ليلة وذلك قبل وصولنا الى معسكر أنور فوق درنه

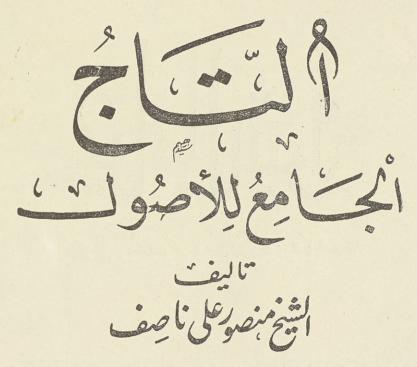
<sup>(</sup>١) قد فتحت بعد طبع هذا الكتاب بأر بع سنوات

# عَلَاللَّاللَّالِيَّالِيَّالِيَّالِيَّالِيَّالِيَّالِيَّالِيَّالِيِّالِيِّالِيِّالِيِّالِيِّالِيِّالِيِّالِيِّ دُولِهِ وَشِعْوُمِ وَمَا فِنِيهِ وَمَا فِنْهِ وَمَا فِنْهِ وَمَا فِنْهِ وَمَا فِنْهِ وَمَا فِنْهِ وَمَا فِنْهِ

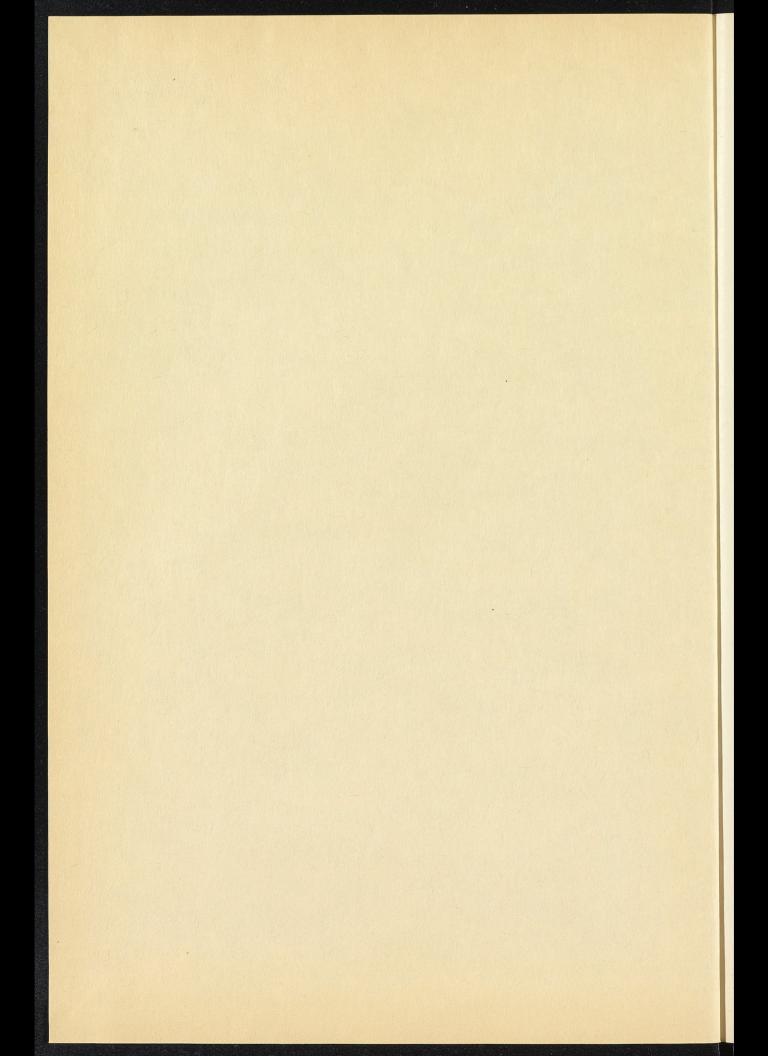
تاليف الكاتب الكبير

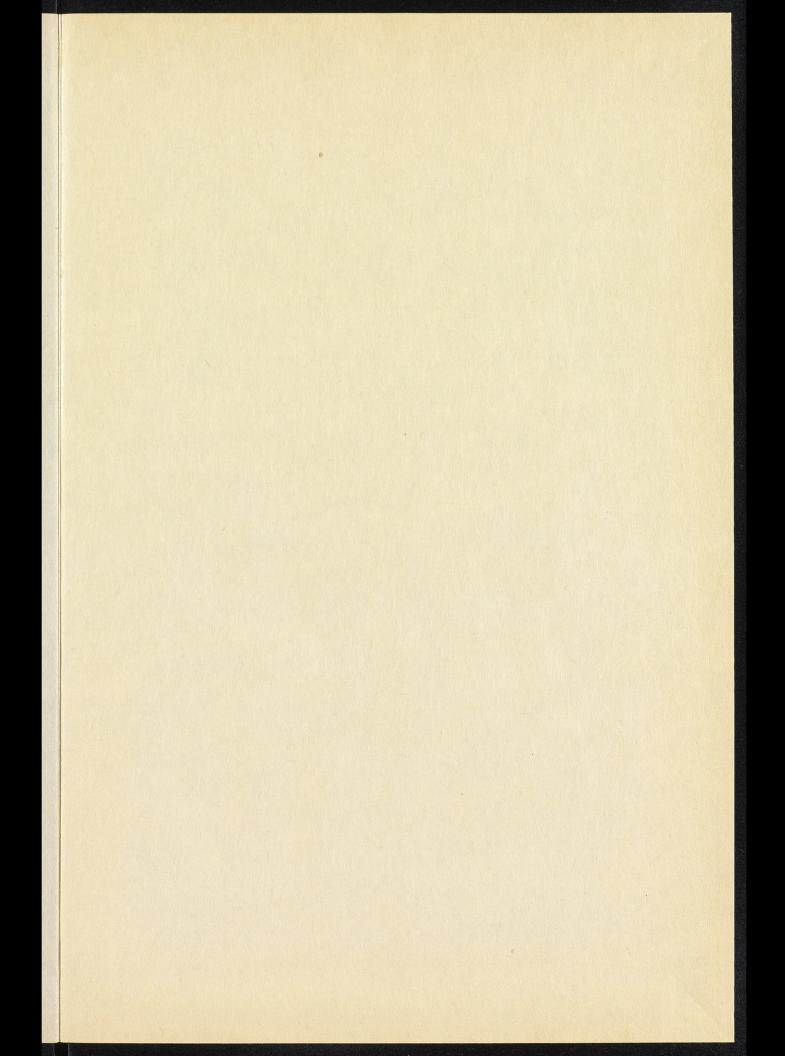
# مُخْرَلِطُفَى مُبَعِهُ إِلَيْ الْمِي وَعُضِوْلِهُمْ الْعَلَالْعِسْنَا فِي

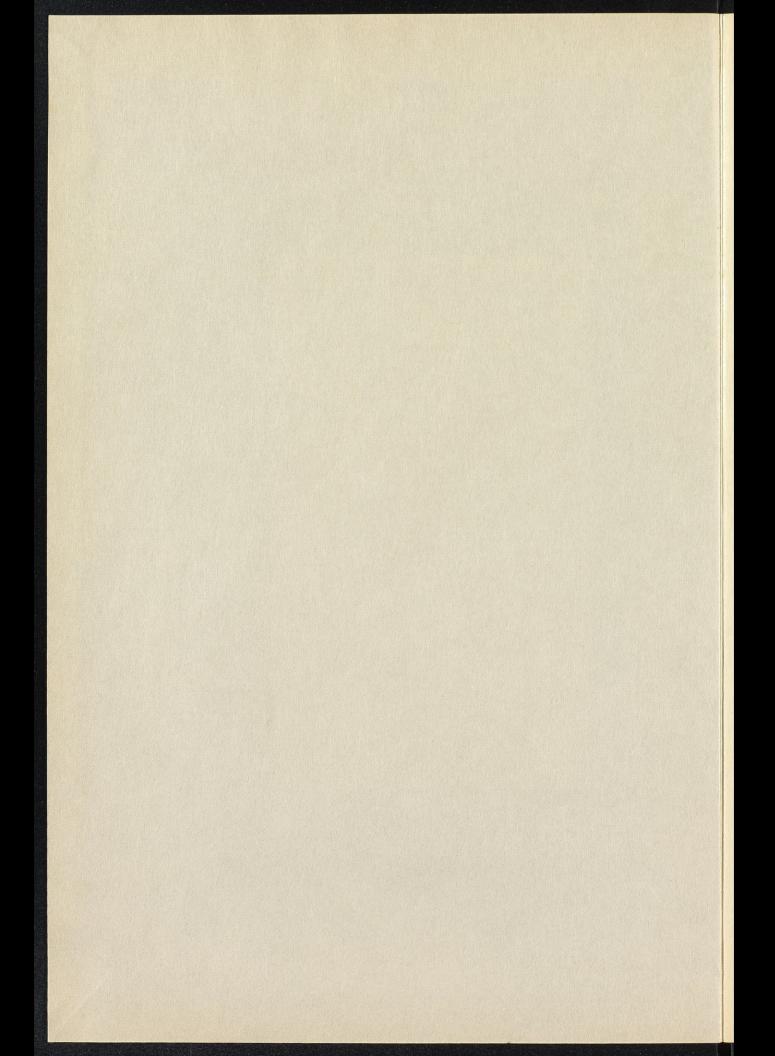
احتاج لمراجعة ٥٠ كتاباً من أنفس ما ألف باللغات العربية والافرنجى والافرنسية والانجليزية وما كتب فى أمهات الجرائد العربية والافرنجى وهو فى ٣٨٤ صفحة من القطع المعتاد مطبوع على ورق أبيض ناعم عال ومهما قيل فى الكتاب فلا يكفى للتعريف به لذلك نكتفى بأن نحث كل مشتغل بالقضايا الشرقية أو العربية أو الاسلامية بمراجعة هذا السفر النفيس فيجد فيه زبده ابحاث مؤلفه الفاضل ويغنيهم عن مراجعة كتب عديده ويوفر عليهم أوقاتهم



ألف هذا الكتاب حضرة صاحب الفضيلة الشيخ منصور على ناصف من علماء الأزهر الشريف وللدرس بالجامع الزينبي وقد جعه من كتب الحديث الجسة المعتمدة . وقسم الكتاب الى أر بعة أقسام . الأول فى الايمان والعملم والعبادات وهو موضوع الجزء الأول الذي تم طبعه . والحكتاب مزدان بشرح جامع يوضح الغامض ويشتمل على تراجم الذين ورد ذكرهم في المتن والشرح ولقد توسع المؤلف الفاضل فى بعض الأبو اب فافتتحها با يات من القرآن الكريم وزاد في الآحاديث ماجاء في موطأ الامام مالك ومسند الامام الشافعي والامام أحد وغيرها والكتاب مطبوع طبعاً متقناً بالشكل الكامل على ورق جيد . ويقع في يجهع صفحة بالقطع الا كبر فنحث رجال العلم وطلاب الحديث على اقتنائه لاجتناء ثمراته . وجاري طبع الجزء الثاني الذي قارب على التمام ويتلوه باقي الانجزاء







DATE DUE			
FEB1	5 2007		i.
FEE	09 700	7	
West o	, 50 166		
MAY 2 8	2013		
			,
	}		
	)		
	;	)	)
GAYLORD			PRINTED IN U.S.A.



893.791 St644 3

10879692

E DUND

JAN 1 0 1957

